



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية



قسم التاريخ

التخصص: التاريخ العسكري للجزائر عبر العصور

عنوان الأطروحة:

عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية (1956م - 1960م)

أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الدكتوراه (ل م د) في التاريخ المعاصر تخصص التاريخ العسكري للجزائر عبر العصور

لجنة المناقشة

إشراف:

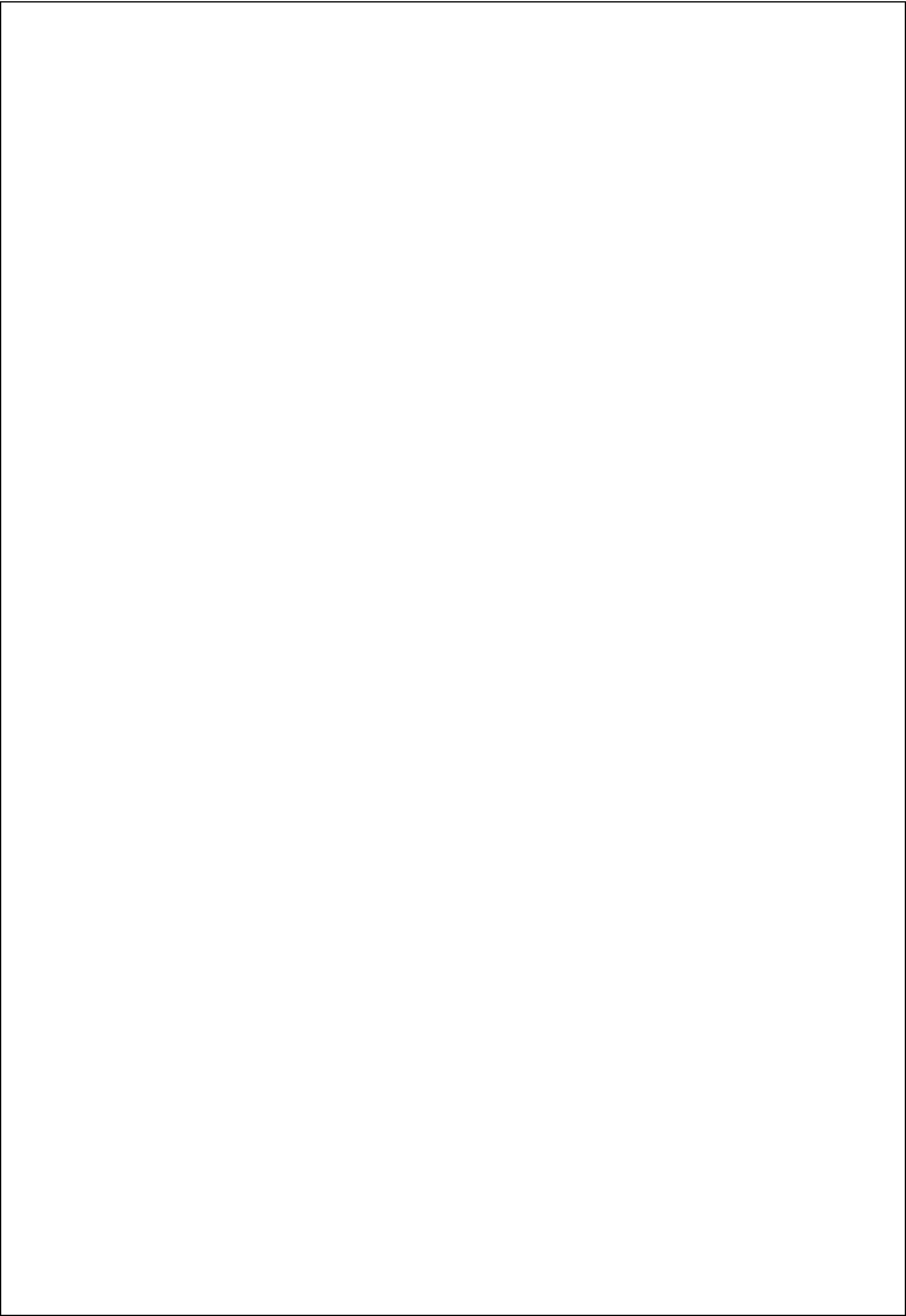
- د. علامة صليحة

إعداد الطالبة:

- فتيحة هرماق

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
حمزي كمال	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
علامة صليحة	أستاذ محاضر -أ-	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
عويمر مولود	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
علاوي فضيلة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
شتوان نظيرة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة علي لونيبي -العفرون-
سبيحي عائشة	أستاذ محاضر -أ-	عضوا مناقشا	المركز الجامعي مرسلني عبد الله -تيازة-

السنة الجامعية: 2023م/2024م



إهداء

إلى والدي العزيز أطال الله في عمره

إلى أُمي الغالية.....حفظها الله ورعاها

إلى من تحمل تبعثر أوراقى وفوضى أفكاري.....زوجي العزيز

إلى شمعة حياتي.....ابنتي الغالية

إلى من ضحى بالنفس والنفيس.....شهداء الجزائر

أهدي هذا العمل

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بداية وقبل كل شيء أشكر الله عز وجل الذي وفقني في إتمام هذا العمل المتواضع، والذي منحني الصبر والقوة على مدار هذه السنوات لأنطلق من بذرة صغيرة خصبة، لتصل في الأخير إلى نبتة يانعة خضراء، والتي أتمنى أن تكون في مستوى البحث العلمي الأكاديمي.

ولأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، أتقدم بخالص شكري وامتناني للمشرفة، د/- علامة صليحة التي لم تتوان ولو للحظة وجيزة في تقديم يد المساعدة لي في كل ما يخص الإرشادات والتوجيهات العلمية والمعرفية والمنهجية، والتي أشكر صبرها الطويل معي عبر كل محطة من محطات هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساندني لأتم هذه الدراسة المتواضعة بخير وعلى خير، من أساتذة وأصدقاء ومراكز البحث العلمي ودور المكتبات والأرشيف

والحمد لله دائماً وأبداً.

مقدمة

صنف المؤرخون الثورة التحريرية الجزائرية (1954م - 1962م) على أنها أعظم حركة تحررية بالعالم في النصف الثاني من القرن العشرين، بعد أن قدمت نموذجا تحرريا استثنائيا لدول العالم الثالث آنذاك، خاصة بعد أن كون مفجرو الثورة التحريرية المسلحة وحدة سياسية، عسكرية، اجتماعية، عن طريق ترجمة الفكر التحرري إلى ثورة شعبية موحدة الأطراف رامية بذلك إلى تحقيق الاستقلال.

وحدت جبهة التحرير الوطني الشعب الجزائري تحت راية واحدة، هادفة إلى تنظيم العمل المسلح منذ انطلاقه، وهذا ما يظهر جليا في التقسيم الأولي الذي استحدثته الثورة الجزائرية لحظة انطلاقها، مع العلم أن هذا التقسيم لم يكتس طابعا جغرافيا فحسب، بل تم وصله بتقسيم سياسي، عسكري، وكذا إداري، ومن بين هذه المناطق الجغرافية نذكر الولاية الرابعة التاريخية.

اعتبرت الولاية الرابعة التاريخية من أبرز الولايات السياسية والعسكرية في الثورة التحريرية، نظرا لما لعبته من دور أساسي في نضالها ضد المستعمر الفرنسي، خصوصا وأنها شكلت مركزا هاما للاتصال بين ولايات الشمال ومدينة الجزائر، الأمر الذي جعلها مستهدفة من قبل الجيش الفرنسي بمحاولاته العديدة لعزل الثورة عن المنطقة.

حفز نداء أول نوفمبر 1954م الشعب الجزائري للالتحاق بالثورة من جهة، وتجنيب كل القوى الحية المتحمسة للعمل الثوري من جهة أخرى، والولاية الرابعة التاريخية كغيرها من الولايات الثورية الجزائرية كان لها نصيب كبير من العمليات العسكرية والتفجيرات التي غرست الرعب والذعر في نفسية المستعمر الفرنسي من جيش، إدارة، ومستوطنين خصوصا وأن هذه الأخيرة كانت تتسم بموقع استراتيجي جعلها محط اهتمام السلطات الاستعمارية الفرنسية، كونها تتوسط البلاد أولا وهذا ما سيجعلها منطقة عبور مهمة جدا، وتحتوي على مدينة مهمة جدا بالنسبة للمستعمر وهي مدينة الجزائر ثانيا، محل تركز أكبر الإدارات الفرنسية، والمراكز الاقتصادية من مصانع، موانئ، ومطارات.

يتمحور موضوع بحثنا حول عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية (1956م - 1960م)، لما كان لهذه الأخيرة من تأثير كبير على الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر، فقد أدت العمليات العسكرية التي أطرها جنود جيش التحرير الوطني بالولاية إلى زعزعة تركز الجيش الفرنسي بالمنطقة وتخريب مخططاته.

تكتسي الدراسة أهمية بالغة في إطار مشروع كتابة تاريخ الولاية الرابعة، الذي سيمكن الأجيال القادمة من التعرف على التاريخ النضالي للمنطقة، بحيث ستسجل كل الأحداث والمعارك بمختلف تنظيماتها ووحداتها العسكرية وهيكلتها المسلحة، فضلا عن قادتها وضباطها، وفق إنشاء بنك معلومات يحتوي على



كل الأحداث التاريخية المتعلقة بالولاية الرابعة، تزامنا مع حرص مجاهدي هذه الأخيرة على الإدلاء بشهاداتهم الحية، وتسليم مختلف الوثائق والملفات وحتى الصور، التي تخص الثورة التحريرية بالمنطقة.

يعود اختيارنا لموضوع بحثنا إلى مجموعة من الأسباب نوردتها فيما يلي:

* الرغبة الشخصية في دراسة تاريخ الولاية الرابعة التاريخية والبحث فيه بحكم ارتباطي الجغرافي بها.
* اكتشاف النشاط العسكري للولاية التاريخية الرابعة، والتعرف على هيكلتها الجديدة بعد قرارات وتنظيمات مؤتمر الصومام.

* دراسة وتحليل الاستراتيجيات المتبعة من قبل جيش التحرير الوطني في العمليات العسكرية التي أطرها ضد قوات الجيش الفرنسي.

* تحليل خطة الحرب المعتمدة من قبل جيش التحرير الوطني في القرى والأرياف ومقارنتها بتلك التي جسدها في حرب المدن.

* تحليل الاستراتيجية الفرنسية المتبعة في إطار مايعرف بالمخططات العسكرية الفرنسية بالولاية الرابعة التاريخية وتبيان تأثير العمل العسكري لجيش التحرير الوطني على خطة المستعمر الفرنسي.

* توضيح أهمية الولاية الرابعة التاريخية بالنسبة للولايات التاريخية الأخرى فيما يخص الجانب العسكري، وتبيان مقدرته على زعزعة الجيش الفرنسي آنذاك.

حددنا الإطار الزمني لإشكالية البحث في الفترة الممتدة ما بين (1956م - 1960م)، وذلك لكون أن مصطلح الولاية استحدث سنة 1956م في إطار قرارات مؤتمر الصومام التاريخي، بينما توقفنا في سنة 1960م، نتيجة لتغير الاستراتيجية العسكرية المتبعة من قبل جيش التحرير الوطني، ولأن جبهة التحرير الوطني قد عادت في هذه الفترة لمحاولة النظر في القضية الجزائرية من خلال شقها السياسي، ولكن لا يعني أن العمليات العسكرية قد توقفت في الولاية الرابعة التاريخية، أما اختيار هذه المنطقة الجغرافية للدراسة فقد كان نتيجة لأهميتها الجغرافية، والاستراتيجية في حرب التحرير الجزائرية.

تتمحور إشكالية الموضوع الرئيسة حول مدى تأثير العمليات العسكرية لجيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية على مسار الثورة بالمنطقة أولا، وفي كل ولايات الجزائر ثانيا.

وقد انبثقت عنها جملة من التساؤلات الفرعية نذكرها كالاتي:

- كيف أثرت أزمة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على المنطقة؟

- كيف جرت تحضيرات تفجير الثورة في المنطقة الرابعة التاريخية؟

- من الذي أشرف على تدريب الشباب للاستعداد للعمل المسلح في المنطقة الرابعة التاريخية؟
- ماهي أهم العمليات العسكرية التي قام بهام فجروا الثورة التحريرية في المنطقة الرابعة التاريخية، وكيف كان رد فعل السلطات الاستعمارية حيال ذلك؟
- ماهي التغييرات التي استحدثتها مؤتمر الصومام على الولاية الرابعة التاريخية في المجال الإداري، السياسي والعسكري؟
- ماهي الاستراتيجية المتبعة من قبل جيش التحرير الوطني في عملياته العسكرية ضد الجيش الفرنسي، وهل اختلفت بين القرى والمدن؟
- كيف كان رد الاستعمار العسكري على عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية، وهل كان رده متنوعا بتنوع مجالات الثورة الجزائرية، أم اقتصر رده على الفعل العسكري فقط؟
- وللإجابة على هذه التساؤلات قمنا باتباع المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على التحليل، ويقوم على جمع المادة التاريخية من أصولها، ومن ثم تحليلها ونقدها وتمحيص معلوماتها، في حين وضعنا خطة بحث تتكون أساسا من مقدمة، فصل تمهيدي، أربعة فصول وخاتمة، حيث تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى انتشار الثورة في المنطقة الرابعة التاريخية (1954م - 1956م)، مدرجين فيه أثر أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على المنطقة الرابعة، واجتماع مجموعة ال 22 التاريخي، فضلا عن التحضير لتفجيرات الفاتح من نوفمبر عام 1954م، وأهم العمليات العسكرية التي شهدتها المنطقة في الفترة الممتدة ما بين (1954م - 1956م)، بينما عنواننا الفصل الأول بمؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، الإداري، والسياسي في الولاية الرابعة التاريخية 20 أوت 1956م، مشيرين فيه إلى حيثيات انعقاد مؤتمر الصومام التاريخي والقرارات التي جاء بها مبرزين أثرها على تنظيم العمل الثوري سياسيا، وإداريا، وعسكريا في الجزائر عموما وفي الولاية الرابعة التاريخية خصوصا، مع توضيح الحدود الجغرافية التي ضمتها الولاية الرابعة التاريخية، في حين خصصنا الفصل الثاني لتحليل العمليات العسكرية التي قام بها جيش التحرير الوطني في الفترة الممتدة ما بين (1956م - 1960م)، من كمائن، اشتباكات، معارك، هجومات وتخريبات وعمليات فدائية، كما أدرجنا في الفصل الثالث العمليات العسكرية التي نفذها جيش التحرير في الولاية الرابعة التاريخية في الفترة الممتدة ما بين (1958م - 1960م) مبرزين استراتيجيته المتبعة من خلال كمائنه، اشتباكاته، معاركه، هجوماته وتخريباته، في حين جاء الفصل الرابع لنبرز فيه السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية، محاولين

التطرق إلى سياسة الاعتقال والتعذيب، سياسة عزل الشعب عن القاعدة الثورية من خلال جمعه في المناطق المحرمة والمحتشدات، وحصره فيها بالعمليات التمشيطية التي تدخل في إطار المخططات العسكرية الفرنسية للقضاء على الثورة بالولاية، بالإضافة إلى سياسة الحركات المضادة للثورة واستغلال العامل النفسي لكسب المواجهة لصالحها ضمن ما يعرف بسياسة الحرب النفسية، أما الخاتمة فقد جاءت بحوصلة حول أهم وأبرز النتائج التي أَلَمْنَا بها في خضام تحليلنا للموضوع، كما أَلَحَقْنا مضمون البحث بمجموعة من الملاحق التي توضح أهم العناصر التي تخدم الموضوع وتوضحه.

لم يخل إنجازنا لهذا البحث العملي من صعوبات تتجلى في صعوبة الحصول على المادة العلمية من الطرف الثاني في المواجهة (فرنسا) بصفة مباشرة، وهذا ربما ما أدى إلى افتقار العمل لبعض الشواهد الضرورية التي تخدمه وتوضحه بصفة جيدة.

اعتمدنا في تحليل أحداث وعناصر بحثنا العلمي على قائمة ببليوغرافية متنوعة بين مصادر، مراجع، وثائق أرشيفية، شهادات مجاهدين، مقالات، رسائل الماجستير وأطراح الدكتوراه، بين ما هو باللغة العربية، وبين ما هو باللغة الفرنسية وبين ما هو مترجم، نورد أهما فيما يلي:

- وثائق من الأرشيف الفرنسي.

- شهادات مجاهدين وعلى رأسهم شهادة المجاهد العربي عبدون، والمجاهد بوكتب بوعلام، والمجاهد يحيى الوزري المدعو سبيلو، والمجاهد عبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة، حيث أفادتنا هذه الشهادات في تحليل أبرز الاشتباكات والكمائن التي جرت بالمنطقة الثانية والثالثة من الولاية التاريخية الرابعة.

- محمد الصالح الصديق، رحلة في أعماق الثورة مع العقيد عزورن محمد (بريروش) -مواقف- شهادات-ذكريات-خواطر، الجزائر: دار هومه، 2012م، والذي أعطى لنا معلومات مهمة عن التحضير لمؤتمر الصومام 20 أوت 1956م.

- محمد تقية، حرب التحرير في الولاية الرابعة، تر: بشير بولفراق، دار القصبة للنشر، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2012م، فقد ساهم هذا المصدر في إعطاء صورة شاملة عن الولاية الرابعة من حيث جغرافيتها، طابعها البشري، تنظيمها الإداري، العسكري وإشارة لأهم المعارك التي جرت بها.

- بلقاسم المتيجي، مسيرة مجاهد "من الشفة إلى الكتيبة الحمدانية" - الزواوي عبد القادر المدعو السي بن عيشة-، الجزائر: مطبعة ليجوند، 2016م، فقد وضع هذا المصدر أهم العمليات لعسيرية التي شارك فيها المجاهد عبد القادر الزواوي في المنطقة الثانية والثالثة من الولاية الرابعة التاريخية.
- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، تق، الحاج بن علا، الجزائر: دار القصة، 2010م، حيث ساعدنا هذا المصدر كثيرا في تحليل المعارك والاشتباكات والكمائن بل وحتى العمليات الفدائية التي شارك فيها محمد الشريف ولد الحسين بالولاية الرابعة.
- وجدنا مجموعة من الدراسات السابقة والتي تخص موضوع الثورة بالولاية التاريخية الرابعة (1954م-1962م)، ونذكر من بينها:
- عيسى حمري، الثورة التحريرية في الولاية الرابعة "المنطقة الثالثة أنموذجا" (1956م-1962م)، إشراف، عبد القادر دوحه، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في تاريخ الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، 2016م/2017م.
- عزيز خيثر، وحدات "كوموندو" الولاية التاريخية الرابعة "1956م-1960م" -خبة جيش التحرير الوطني"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج05، ع01، الجزائر، 2021م.
- أمحمد بوحوموم، استيراتيجية البعد التنظيمي في الولاية التاريخية الرابعة، ع01، الجزائر، 2011م.
- شتوان نظيرة، الثورة التحريرية: 1954م-1962م "الولاية الرابعة أنموذجا"، إشراف، يوسف مناصرية، أطروحة مقدمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان- لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007م/2008م.
- عالم مليكة، دور الجيلالي بونعامة (المدعو السي أحمد) في الثورة التحريرية "1954م-1956م"، إشراف، يحيى مسعودة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2003م/2004م.

- حمري عيسى، الثورة التحريرية في الولاية الرابعة "المنطقة الثالثة أنموذجا" (1956م-1962م)، إشراف، عبد القادر دوحه، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في تاريخ الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، 2016م/2017م.

انقسمت هذه الدراسات السابقة في معالجتها لموضوع الثورة بالولاية الرابعة التاريخية، بين من حلل الموضوع بصفة عامة شاملا كل مجالات الثورة التحريرية في الولاية، وبين من اختار منطقة تاريخية واحدة من الولاية الرابعة ودرسها، أو تخصص في وحدى عسكرية محددة، إلا أننا ارتأينا إلى تحديد جزئية النشاط العسكرية في الولاية الرابعة بهدف دراسته وتحليل تنظيماته وهيكلته واستراتيجيته العسكرية.

الفصل التمهيدي: الثورة في المنطقة الرابعة التاريخية

(1954م-1956م)

1- أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وأثرها

على المنطقة الرابعة

2- اجتماع مجموعة الـ 22 التاريخية وأثره على المنطقة

الرابعة

3- تحضيرات اندلاع الثورة بمنطقة متيجة ومدينة

الجزائر

4- النشاط العسكري في المنطقة الرابعة التاريخية

(1954م-1956م)

الثورة في المنطقة الرابعة التاريخية (1954م-1956م)

حرص الجزائريون على مواجهة الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ يوم 05 جويلية 1830م بمختلف الأنواع والأساليب بدءا بالمقاومات الشعبية، مروراً بالمقاومة السياسية التي قادتها الحركة الوطنية الجزائرية، المتشكلة من مجموعة الأحزاب والتيارات بمختلف توجهاتها السياسية، وصولاً إلى الكفاح المسلح بعد تأكدهم من عقم العمل السياسي.⁽¹⁾

أولاً- أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وأثرها على المنطقة الرابعة:

كانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية⁽²⁾ هي التي تكتسح الساحة السياسية في الجزائر مطلع سنة 1947م داخلياً، أما خارجياً فقد أصبحت القاهرة قبلة للشوار خاصة بعد انعقاد "مؤتمر المغرب العربي"⁽³⁾ الذي أكسب القضية المغاربية بعدها العربي والعالمي، وحول هذا الموضوع لخص عبد الكريم غلاب في خطابه الدافع الأساسي لعقد مؤتمر المغرب العربي في النقاط التالية:

- دراسة قضية المغرب العربي.
- البحث عن علاقة فعالة تمكن المغاربة من الحصول على استقلالهم في الإطار العربي.

¹- عمار ملاح، ثورة التحرير المباركة الفاتح نوفمبر 1954م، الجزائر: دار الهدى، جانفي 2019م، ص13.

²- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية: كانت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بمثابة غطاء لحزب الشعب الجزائري، تأسست سنة 1946م تحت رئاسة أحمد مصالي الحاج، أيدت الحركة إنشاء جمعية تأسيسية جزائرية ذات سيادة منتخبة على أساس الاقتراع العام دون تمييز أي نوع، تطالب بجلء الحيوش الفرنسية من الجزائر وإعادة الأراضي التي انتزعت، بالموازاة مع تعريب التعليم الثانوي وعودة المساجد إلى مهمتهم في عملية الإشراف الديني والبحث، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، الجزائر: دار الحكمة، 2014م، ص192، ويحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، الجزائر: دار الهدى، 2009م، ص355).

³- بلقاسم بولغيتي، لجنة تحرير المغرب العربي وإسهامها في وحدة الكفاح المغاربي (1948م-1956م)، إشراف: حوتية محمد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية، أحمد دراية، أدرار، الجزائر، (د.ت)، ص ص27-28.

- ضرورة إنشاء جيش تحرير موحد لتحرير الأوطان المغاربية، وكان الشاذلي المكي⁽¹⁾ آنذاك ممثلاً لحزب الشعب بالقاهرة.⁽²⁾

قررت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية عقد مؤتمر لها في 15 فبراير 1947م في مصنع لبيع المشروبات ببلكور بالعاصمة الجزائر، حيث كان هذا الأخير ملك لأحد المناضلين يدعى السي مولود، وفي هذا الصدد يقول أحمد مهساس⁽³⁾: "حضرت لهذا المؤتمر كعضو للجنة المركزية وكمسؤول عن التنظيم لمنطقة قسنطينة، كان هذا اللقاء هو المرة الأولى التي يلتقي فيها المسؤولون السياسيون والإطارات على المستوى الوطني بعد سنوات السرية".

احتدم النقاش بين تيارين خلال أشغال المؤتمر، أحدهما يؤازر الهيكلية السياسية من خلال المشاركة في الانتخابات بصفة عامة مع تكريس حركة الانتصار للحريات الديمقراطية مواجهة شرعية للعمل

¹ - الشاذلي المكي (1913م-1988م): ولد الشاذلي المكي بختقة سيدي ناجي ببسكرة في 15 ماي 1913م وبها تعلم قواعد القراءة والكتابة، وبالموازاة مع ذلك درس في المدرسة الفرنسية ليتحصل على الشهادة الابتدائية، واصل دراسته في الفترة الممتدة ما بين (1934م-1939م) بجامع الزيتونة، انضم كمناضل في صفوف حزب نجم الشمال الإفريقي، وأصبح سنة 1935م رئيساً لجمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين، تم توقيفه سنة 1939م في سجن قسنطينة، عاود نشاطه السياسي في حزب الشعب الجزائري باعتباره رئيساً لفيدرالية الحزب في قسنطينة بعد إطلاق سراحه سنة 1943م، توجه إلى القاهرة يوم 20 أكتوبر 1945م بعدما حكم عليه بالإعدام من قبل السلطات الفرنسية بعد مجازر 08 ماي 1945م، وهناك ساهم في تأسيس مكتب المغرب العربي في 08 جانفي 1948م رفقة مناضلين سياسيين تونسيين ومغاربة، كما شارك الشاذلي المكي في مؤتمر باندونغ للكتلة الأفروآسيوية بأندونيسيا في شهر أفريل 1955م، ليعتقل في جويلية من نفس السنة رفقة أحمد مزغنة بالقاهرة ويسجن إلى غاية سنة 1960م، تقلد بعد الاستقلال عدة وظائف بوزارتي التربية والشؤون الدينية بالعاصمة، لتوافيه المنية يوم 02 سبتمبر 1988م، (للمزيد من المعلومات أنظر: عمر بوضربة، **جهود الشاذلي المكي للتعريف بالمسألة الجزائرية في المشرق العربي**، المجلة التاريخية الجزائرية، مج03، ع02، الجزائر، 02 ديسمبر 2019م، ص ص155-156).

² - لمجد ناصر، أحاديث مع أحمد علي مهساس أحد مهندسي ثورة التحرير، تق: محمد عباس، ط1، الجزائر: دار الخليل، 2013م، ص45.

³ - أحمد مهساس: ولد أحمد محساس يوم 17 نوفمبر 1923م ببودواو، من عائلة ريفية بسيطة، انضم إلى شبيبة حزب الشعب الجزائري في بداية الأربعينات، كما أسس رفقة محمد بلوزداد لجنة شباب بلكور، كان من المؤيدين لإنشاء المنظمة الخاصة وضاعف جهوده لتقوية هذا التنظيم السري، وتولى أيضا مسئولية نائب رئيس منطقة الوسط، حيث كان له نشاط واسع في المنظمة والحزب، اعتقل سنة 1950م إثر اكتشاف المنظمة الخاصة وحكم عليه بخمس سنوات سجن بتهمة تهديد أمن الدولة، ونظم رفقة أحمد بن بلة خطة للخروج من السجن ونجحا فيها سنة 1952م، فتكفل الحزب بنقلهما إلى فرنسا بعيدا عن حملة التفتيش عليهما في الجزائر، (للمزيد من المعلومات أنظر: عبد الله مقلاتي، أحمد محساس ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية، أفكار وآفاق، ع07، الجزائر، 2016م، ص ص10-11).

السياسي، أما التيار الثاني المكون من المنظمة الخاصة⁽¹⁾ فقد كان يستعجل إرساء قواعد التحضير للكفاح المسلح.⁽²⁾

لم يقتصر التصدع الذي أصاب حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على منطقة دون غيرها، بل شمل مختلف أنحاء الجزائر بالنظر إلى الشعبية التي كان يتمتع بها الحزب، وعانت منطقة متيجة من هذا الانشقاق والصراع السياسي الشيء الكثير، رغم أنه لم يكن مطروحا بين المصاليين والمركزيين محوري الصراع فقط، بل كان مطروحا بين المركزيين والثوريين (المحايدين) أيضا.

كان المركزيون في بداية الأزمة يشكلون الجناح الأكثر قوة وشعبية بين مناضلي المنطقة نظرا لارتباط القاعدة بكريتلي مخطر، علي يحيوي، بن يوسف بن خدة، أحمد يزيد، وغيرهم من أبناء منطقة متيجة البارزين الممثلين لهذا الاتجاه، والذين عارضوا بشدة حينها فكرة العمل المسلح لعدم اكتمال التحضير المادي وقتها، لاسيما وأن صورة مجازر شهر ماي 1945م لازالت عالقة في الأذهان.⁽³⁾ اتخذت قرارات توفيقية تاريخية في الأخير حسب رأي أحمد مهساس أبرزها: الموافقة على إنشاء المنظمة الخاصة للإعداد للعمل المسلح والمشاركة في الانتخابات، وقرر المكتب السياسي إسناد مهمة

¹ - **المنظمة الخاصة:** هي الجناح المسلح في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، كما أطلق عليها أيضا تسمية العظم، أو الشرف العسكري، ولكن تسميتها الصحيحة والأكثر انتشارا حسب شهادة أحمد مهساس هي المنظمة الخاصة، وهذا تمييزها عن الحركة السياسية للحزب، عين على رأسها المناضل الشاب محمد بلوزداد، هدفت إلى تجنيد الشباب الجزائريين وإخضاعهم للتدريب العسكري إستعدادا للكفاح المسلح وفق مقاييس دقيقة ومتشددة، كما عملت على جمع السلاح، المؤونة، الذخيرة، والأموال استعدادا منها لتفجير الثورة التحريرية، حيث أجمعت المصادر التاريخية على أن جاهزية المنظمة الخاصة لتفجير العمل الثوري كانت عام 1949م، اكتشفت من قبل القوات الفرنسية سنة 1950م، (للمزيد من المعلومات أنظر: سعاد يمينة شبوط، **حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (1945م-1965م) "من الأزمة إلى القطيعة"**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع08، الجزائر، ص160، وعبد المالك بوعريوة، **اكتشاف المنظمة الخاصة عام 1950م وانعكاساته على حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، مجلة البحوث التاريخية**، مج05، ع01، الجزائر، جوان 2021م، ص- ص 217- 218، 226- 227).

² - لمجد ناصر، المرجع السابق، ص45.

³ - نظيرة شتوان، **سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير**، الجزائر: دار طليطلة، 2019م، ص64.

هيكلتها وإعدادها لمحمد بلوزداد⁽¹⁾ نظرا لخبرته العسكرية في المجال، حيث أنه كان يشرف على التدريب شبه العسكري للعديد من المناضلين قبل المؤتمر.⁽²⁾

تميز نشاط المنظمة الخاصة بالسرية التامة -من تدريب المناضلين وجمع الاشتراكات والتبرعات وشراء الأسلحة وتخزينها استعدادا لتفجير الثورة التحريرية-، والتي تتكون قيادة أركانها من ثمانية أعضاء، ستة قادة مناطق، مدرب عسكري وقائد، وفي هذا الصدد يقول حسين آيت أحمد: "وهكذا وجدنا أنفسنا على رأس منظمة بالغة السرية لها مهمة التحضير للثورة، مع أنه لم تكن هناك تجربة ثورية، ولا حتى كفاءات سياسية خاصة"⁽³⁾، كما كلف أحمد بن بلة بزيارة المناضلين وإقناعهم بالانضمام إلى المنظمة، وقد جاء في شهادته ما يلي: "لقد كان من اختصاصي أن أجوب البلاد من قرية إلى أخرى، وأزور المناضلين وأحاول إقناع الأنصار بالالتحاق بنا، وهذه التنقلات كانت سرية، لم أكن أنزل أبدا في فندق، بل دائما عند مواطن، ولا أبدو إلا قليلا جدا، لقد وجدت عند الفلاحين تفكيراً قريبا جدا من تفكيري، ولما كانوا يجهلون وجود المنظمة الخاصة، فإنهم كانوا يحكمون على عمل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من خلال خطب قادتها"⁽⁴⁾.

قسمت منطقة متيجة من الناحية الإدارية كما يلي:

¹⁻ محمد بلوزداد (1924م - 1952م): ولد محمد بلوزداد المدعو السي مسعود في 09 نوفمبر 1924م بمدينة الجزائر، والتي نشأ وتعلم فيها حتى تحصل على الشهادة الأهلية العليا المعادلة لشهادة البكالوريا حاليا، إلا أنه لم يواصل دراساته العليا بسبب تأثير ضغوطات الإدارة الاستعمارية التي كانت تعمل على إقصاء نشاط وحيوية المتفوقين من الجزائريين، اشتغل بفضل شهادته كموظف مكلف بشئون الأهالي إلا أنه سرعان ما تخلى عن منصبه لصالح العمل والممارسة السياسية، لينخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1943م، وتوج انضمامه بتأسيس منظمة ثورية رفقة مجموعة من الشباب منهم: أحمد محساس، أحمد يوسف، محمد باشا تازير، حمودة لعراب تحت اسم لجنة شبيبة بلكور، حيث كان هدفهم الأساسي هو التنظيم السري لعمل مسلح مباشر مستقبلا، شارك في إصدار صحيفة سرية للحزب تحت عنوان "الوطن"، كما ساهم في التحضير لمظاهرات 08 ماي 1945م بتنظيمه مظاهرة محلية في 01 ماي 1945م بالجزائر العاصمة، هذا ما جعله محل مطاردة الشرطة الفرنسية إلا أنها فشلت في القبض عنه، وعوضت فشلها باضطهاد أسرته، أصبح محمد بلوزداد لاحقا عضوا بارزا في المكتب السياسي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ليصبح رئيس المنظمة الخاصة مكلفا باختيار العناصر المؤهلة للنشاط الثوري، أصيب بمرض السل الرئوي وتوفي يوم 14 جانفي 1952م، وشيعت جنازته بمدينة الجزائر بحضور رفقاء النضال، (للمزيد من المعلومات أنظر، فاطمة حباش، محمد بلوزداد المناضل الجزائري (1924م-1952م)، مجلة عصور، ع 26-27، الجزائر، جويلية-ديسمبر 2015م، ص- ص 313، 314، 316).

²⁻ لمجد ناصر، المرجع السابق، ص 46.

³⁻ حسين آيت أحمد، المرجع السابق، ص 145.

⁴⁻ أحمد بن بلة، المرجع السابق، ص ص 78 - 79.

- الناحية الغربية: وتشمل حمر العين، العفرون، شفة، موزاية، تولى قيادتها قدور العسكري.
 - الناحية الجنوبية: وتشمل الأطلس البليدي حتى المدينة، تحت قيادة الطبيب الجغلالي.⁽¹⁾
 - الناحية الشرقية والشمالية: تضم بوينان، بوفاريك، بئر توتة، وقد تولى قيادتها كريتلي مختار.⁽²⁾
- تم اكتشاف المنظمة الخاصة يوم 18 مارس 1950م أو ما يعرف تاريخيا بجائحة تبسة، حيث فشلت في هذا التاريخ العملية التأديبية التي جرت ضد أحد قدماء المناضلين المتهم بإفشاء الأسرار التي كان يعرفها عن المنظمة الخاصة، فبعد فرار العنصر المشتبه به من قبضة الكوموندوس الذي قام باختطافه، سارع إلى إطلاع مصالح البوليس الفرنسي على معلومات مفادها وجود شبكات شبه عسكرية تابعة للحزب.

أسفرت عملية البحث والتقصي التي نفذها رجال الدرك الفرنسي عن وقوع اعتقالات عديدة، وواصلت مصالح الشرطة التحقيق عبر حملة استعلامات ومداهمات شملت كافة ربوع الوطن، وكان ذلك على يد شرطة المباحث العامة، مستعملة في ذلك تشكيلة متنوعة من التعذيب للاستتطاق عنوة.⁽³⁾

بلغ عدد المعتقلين 155 مناضلا بعد 13 يوما من عمليات الاستجواب، وذكرت صحافة *Algérie libre* الصادرة بتاريخ 15 ماي 1950م عددا يفوق 500 حالة اعتقال مس بعضها أوساط المنظمة

¹- **الطبيب الجغلالي (1913م - 1959م):** هو بوقاسمي الطبيب المدعو السي الطبيب الجغلالي، ولد سنة 1913م بدوار تيارة بتابلط، التزم بتوعية الشباب وحثهم على النشاط السياسي والتحضير للثورة، ترأس خلية حركة الانتصار بدوار تيارة التابعة لقسم المدينة، وكان له تأثير كبير في الوسط الشعبي، ألقت عليه السلطات الاستعمارية القبض يوم 06 نوفمبر 1954م ثم أطلق سراحه نظرا لضعف الأدلة، التحق بصفوف الثورة التحريرية سنة 1955م بتابلط، ثم التقى بالعقيد كريمة بلقاسم وأمر أوعمران سنة 1955م، حينما كان ينشط بناحية بوفاريك، ومن هناك بدأ يرسل قائد المنطقة العقيد أوعمران، ونظرا لكثرة نشاطه الثوري ترقى إلى رتبة ملازم أول سنة 1956م، وركز على تسليح الولاية الرابعة وتحمل مسؤولية نسج شبكة التسليح في صيف 1958م، فعمل على نشر الثورة بالولاية السادسة، وبعد استشهاد العقيد عميروش والسي الحواس تنقل الجغلالي إلى منطقة بوزكرة لإعادة تنظيم الولاية السادسة التاريخية وهيكله وحداتها، وعند وصوله إلى ناحية قرية مجينو قرب المدينة استشهد في صيف 1959م، (المزيد من المعلومات أنظر: يوسف مناصرة ورحيمة بوخاتم، **مسار الشهيدين الجيلالي بونعامة (السي محمد) 1926م-1961م وبوقاسمي الطبيب (الجغلالي) 1913م-1959م**، *مجلة الدراسات التاريخية العسكرية*، الجزائر، جانفي 2020م، ص ص 149 - 150).

¹- نظيرة شتوان، المرجع السابق، ص ص 69 - 70.

²- عبد القادر ماجن، **التحضير للثورة بناحية متيجة وواقع اندلاعها**، *مجلة أول نوفمبر*، ع81، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر 1987م، ص80.

³- بن يوسف بن خدة، **جنود أول نوفمبر 1954م**، تر، مسعود حاج مسعود، ط2، الجزائر: دار الشاطبية، 2012م، ص214.

السياسية التي لم تسلم هي الأخرى من عملية القمع، فدعي أعضاء المنظمة الخاصة وبعض أعضائها المعتقلين إلى المثل أمام محكمة البلدية وكان عددهم يبلغ 56 متهما، وتمت محاكمتهم ابتداء من يوم 22 سبتمبر 1951م بناء على التهم الآتية:

- المساس بأمن الدولة وتكوين جمعية أشرار.
- المساس بوحدة التراب الفرنسي وسلامته.⁽¹⁾

تأجلت المحاكمة إلى أول جانفي 1952م، لتصدر المحكمة الفرنسية أحكامها يوم 11 مارس 1952م، وتراوحت بين 3 إلى 8 سنوات سجن سواء كان المتهم معتقلا أو غائبا في حق كل من: محمد خيضر، حسين آيت أحمد، أحمد بن بلة، محمد بوضياف، محمد أعراب، أحمد يوسف وأحمد مهساس، مع غرامات مالية وسنوات عديدة من حظر الإقامة والتجريد من الحقوق المدنية، في حين أصدرت في حق باقي المعتقلين أحكاما أقل قسوة وتم العفو عن بعضهم، يضاف إلى هذا حجز أجهزة الإرسال اللاسلكي والأسلحة والذخائر والمتفجرات والوثائق المكتوبة التي عثر عليها البوليس الفرنسي أثناء حملة المdahمات.⁽²⁾

أحدث اكتشاف المنظمة الخاصة صدمة قاسية في نفوس المناضلين، خاصة بالنسبة للعناصر التي كان لها طموح كبير في الإعلان عن الثورة المسلحة تزامنا مع الإنجازات التي أقل ما يقال عنها أنها عظيمة في الميدان العسكري، فقد تم إنشاء العديد من الشبكات المختصة في صناعة المتفجرات، وأخرى تهتم بتوفير الملاجئ السرية للفارين، وإعداد مطامر ومخابئ صالحة لحفظ وتخزين الأسلحة والذخيرة، بالموازاة مع الاهتمام بالعمل الفدائي الذي تعد عملية بريد وهران أشهره بقيادة أحمد بن بلة، وذلك بهدف توفير الأموال اللازمة التي تحتاجها المنظمة الخاصة من جهة، وللتخلص من تبعية الديون التي أخذت تتراكم عليها من جهة أخرى، إلا أن بقاء التنظيم العسكري يعمل بسرية تامة في المناطق التي لم تطلها أيادي الفرنسيين أعاد بعث القليل من النشاط والحيوية في نفسية المناضلين وكان هذا عزاءهم الوحيد في تفجير الثورة التحريرية الجزائرية.⁽³⁾

¹- بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص 225.

²- نفسه، ص ص 225 - 226.

³- أمال شلي، التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية "1954م-1962م"، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005م/2006م، ص 334.

يعتبر العمل السياسي التمهيدي أمراً ضرورياً قبل الشروع في العمل العسكري، لأن كل نشاط يجب أن يسبقه منطلق وتخطيط نظري قبل تطبيقه، ومن هنا شرع الجناح الثوري في عمل سياسي مستقل لم يخرج عن الإطار التنظيمي المألوف في توعية الجماهير وتهيأتها للكفاح المسلح، وبالفعل جرت عدة لقاءات بين عضوي من المنظمة الخاصة المنحلة وهما: محمد بوضياف ومصطفى بن بولعيد مع عضوين من اللجنة المركزية وهما: محمد دخلي مسؤول عام للتنظيم ومساعدته رمضان بوشبوبة مراقب التنظيم،⁽¹⁾ وانتهت هذه اللقاءات بالاتفاق على بعث المنظمة الخاصة من جديد لدى القاعدة، وهو ما عرف بـ"القوة الثالثة"، للحفاظ على وحدة الحزب، وكان ذلك أصل إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي تأسست في 23 مارس 1954م في مدرسة الرشاد بالعاصمة،⁽²⁾ على يد ستة من الشبان وهم: محمد العربي بن مهيدي، محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد، رابح بيطاط، ديدوش مراد، وكريم بلقاسم،⁽³⁾ حيث هدفت هذه اللجنة إلى إعادة وحدة الحزب وإنقاذه من التفكك، بالموازاة مع إعادة تأسيس القاعدة العسكرية.⁽⁴⁾

صدر بيان يلخص أهداف تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل، مبرزاً حرصها على وحدة الحزب ومطالبة الأعضاء بعدم تبني الخلافات القائمة على مستوى القيادة، كما أصدرت اللجنة صحيفة "الوطني" "Le patriote" وهي صحيفة سياسية إعلامية اتخذت مواقف حيادية من الصراع الدائر بين المصاليين والمركزيين.⁽⁵⁾

تابع أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل عقد الاجتماعات السرية في الفترة الممتدة ما بين مارس وأكتوبر 1954م، خاصة بعد قدوم محمد بوضياف إلى بونينان في شهر أفريل من سنة 1954م وعبر

¹ - يبرر محمد بوضياف انضمام عضوين من اللجنة المركزية لها بأنه كان بغرض الحصول على مساعدات مادية وأدبية، ولا سيما إمكانية الاتصال بمناضلي الحزب الذين كانوا على اتصال مباشر بالإدارة.

² - أمال شلي، المرجع السابق، ص 336-337.

³ - بسام العسلي، **جبهة التحرير الوطني**، ط3، لبنان: دار النفائس، 1990م، ص 17.

⁴ - أمال شلي، المرجع السابق، 337.

⁵ - قريري سليمان، **تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940م-1954م**، إشراف: يوسف منصورية، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010م/2011م، ص 258.

عن استيائه وغضبه جراء تأخر انطلاق الكفاح المسلح في الجزائر بسبب مشاكل الصراع والسلطة على القيادة.⁽¹⁾

بدأ كل من سويداني بوجمعة⁽²⁾ وأحمد بوشعيب⁽³⁾ بعد رحيل بوضياف في الاتصال بالمسؤولين الأوائل في الحزب لإمدادهم بالأفواج المزمع تدريبها، فتمكنا من تشكيل حوالي 20 فوجا يعين على رأس كل فوج رئيس، كما كان كل مناضل يؤدي القسم على المصحف الشريف، وتتم العملية تحت نطاق

¹ - نظيرة شتوان، المرجع السابق، ص 66.

² - **سويداني بوجمعة (1922م - 1956م)**: ولد سويداني بوجمعة يوم 10 جانفي 1922م بقالة، زاول دراسته بمسقط رأسه حيث تحصل على الجزء الأول من شهادة البكالوريا، ما سمح له بالعمل في مطبعة أحد المستوطنين في الفترة الممتدة ما بين (1939م - 1942م)، انخرط في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية "فوج النجوم"، انضم إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1942م، اعتقل بعد سنة من ذلك، وحكم عليه بثلاثة أشهر سجن مع دفع غرامة مالية قدرها 600 ألف فرنك فرنسي قديم بسبب قيادته لمظاهرة بمدينة قالمة تنديدا بالإجراءات القمعية الفرنسية التي كانت توجهها ضد الجزائريين، ثم جند إجباريا في صفوف الجيش الاستعماري سنة 1944م.

بدأ في عملية جمع الأسلحة بعد مجازر 08 ماي 1945م وألقي عليه القبض في السنة الموالية ليسجن لمدة 18 شهرا، وبعد خروجه من السجن انضم إلى المنظمة الخاصة، أين تم تكليفه بتدريب المناضلين عسكريا، ليكتشف أمره سنة 1948م فصدر في حقه الحكم بالإعدام غيابيا، ثم انتقل إلى بودواو شرق العاصمة، وكان أحد المنظمين لعمليات الفاتح من نوفمبر 1954م بالمنطقة، استمر كفاحه إلى غاية استشهاده في حاجز قرب مدينة القليعة غرب العاصمة في 16 أفريل 1956م. (للمزيد من المعلومات أنظر، الحاج مسعود جديد (السي علي)، **مذكرات شهيد لم يممت**، تق: مراد وزناجي، الجزائر: دار المعرفة، 2011م، ص 31).

³ - **أحمد بوشعيب**: هو الحاج بوشعيب المدعو السي أحمد بوشعيب، ولد يوم 13 جويلية 1918م بعين تيموشنت، توقف عن الدراسة بعد تحصيله على شهادة التعليم الابتدائي، عمل لاحقا كساعي بريد بمسقط رأسه، التحق بحزب الشعب الجزائري سنة 1937م، ثم أختير ليكون عضوا في المنظمة الخاصة، طارده السلطات الاستعمارية بعد مشاركته في عملية بريد وهران، الأمر الذي جعله ينتقل بين مخبأ وآخر إلى أن استقر بالمتيجة ليشترك في عملية التحضير للثورة التحريرية بالمنطقة، ألقى عليه القبض في منطقة متيجة بعد سنة من النضال المستمر لنشر الثورة، ليقتضي ما تبقى من سنوات هذه الأخيرة في السجن، (للمزيد من المعلومات أنظر: مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، **الدليل التاريخي لثورة التحرير الجزائرية الكبرى لولاية تيبازة (1954م - 1962م)**، الجزائر: دار الهدى، 2012م، ص 35).

المحافظة على السرية التامة وعدم خيانة التنظيم الذي أخذ بالتوسع بين صفوف مناضلي القاعدة الحزبية في الوقت الذي كان فيه الحزب يعاني من التشتت والتمزق على مستوى القمة.⁽¹⁾

شرع سويداني بوجمعة وأحمد بوشعيب في هيكلة الأفواج بهدف الإعداد للثورة المسلحة وتعبئة الشباب، ثم قاما بعدة اتصالات كالاتصال بقدر المعسكري الموجود بالناحية الغربية ودرسا سويا نظام الخلايا وطبيعة المنطقة، فاتصلا بالناحية الجنوبية التي يرأسها الطيب الجغلاي الذي أكد لهما بأن المناضلين في هذه الناحية على أتم الاستعداد لتفجير الثورة.

عين ديدوش مراد في هذه الفترة قائدا سياسيا على المنطقة، وكان مما اتخذه من إجراءات هو:

- الشروع في عقد اجتماع بناحية بوينان حضره قادة الخلايا والأفواج لتقييم نتائج المجهودات ونشاط المناضلين.

- تفقد الأفواج الموزعة عبر كل من بوينان، بوفاريك، الصومعة، الشبلي، سيدي عايد، وحلوية.

- الاطلاع على نظام العمل في هذه المناطق والوسائل المستعملة.⁽²⁾

لم تثبط أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من عزيمة المناضلين، فقد واصلوا نشاطهم السياسي والعسكري على حد سواء بكل المناطق الجزائرية عامة والمنطقة الرابعة التاريخية خاصة، وبالتالي فإن هذه الأزمة بقدر ماكانت لها آثار سلبية كانت لها آثار إيجابية غيرت من طريقة الكفاح الكلاسيكية بالنسبة للجزائريين، وجعلتهم يفكرون هذه المرة بجدية تامة في تأطير الكفاح المسلح وشنه بعدما أدركوا وتأكدوا من انعدام جدوى الأسلوب السياسي، ليقودهم التأطير الجديد إلى التحضير لاجتماع مجموعة الـ 22 التاريخية أو ما يعرف تاريخيا باجتماع مجموعة الـ 21 + 1.⁽³⁾

¹ - نظيرة شتوان، المرجع السابق، ص 68.

² - نفسه، ص ص 69 - 70.

³ - نفسه، ص 70.

ثانيا - اجتماع مجموعة ال22 التاريخية وأثره على المنطقة الرابعة:

تعددت أسباب وظروف انعقاد اجتماع مجموعة ال 22 التاريخية بين ما هو متعلق بالصعيد الخارجي وبين ما هو متعلق بالصعيد الداخلي، فعلى المستوى الخارجي مثلاً كان لتطور الأوضاع في تونس والمغرب الأقصى أثراً بالغاً في تسارع الأحداث بالجزائر، فبعدما بدأت حكومة "مانديس فرانس" تمهد لمنح الاستقلال لتونس وتليها المغرب الأقصى، فلم يبق أمام العناصر الثورية في الجزائر من حل سوى التحرك بسرعة من أجل التعجيل بإعلان الكفاح المسلح، لأن تخلص فرنسا من الفيتنام ومنحها الاستقلال لتونس والمغرب الأقصى معناه التفرغ نهائياً لتثبيت دعائمها في الجزائر ومضاعفة قواتها بها، وإلقاء كامل ثقلها العسكري للقضاء على جذور الحركة الوطنية ومنع أي وسيلة من وسائل العمل الثوري ومحاربتها.⁽¹⁾

أما على المستوى الداخلي فأدى الصراع المحتدم بين اللجنة الثورية للوحدة والعمل والمصاليين الذين وصفوها بالانحيازية كونها ضمت في عضويتها عنصرين من أعضاء اللجنة المركزية السالفي الذكر وهما: محمد دخلي ورمضان بوشبوبة، إلى تضاعف اتصالات اللجنة بقدماء المنظمة الخاصة الناجين من الاعتقال والذين لا تزال تحذو بهم الرغبة في الكفاح المسلح ودعوتهم لحضور اجتماع بالجزائر العاصمة، والابتعاد عن حلفائهم المركزيين والانفراد بأنفسهم معلنين أنهم أحرار في اتخاذ قراراتهم.⁽²⁾

يعد اجتماع مجموعة الاثنين والعشرين التاريخية⁽³⁾ الذي تم في النصف الثاني من شهر جوان 1954م، أحد الاجتماعات التاريخية التي غيرت مجرى القضية الجزائرية، خصوصاً بعد الهيكلية الوطنية التي أحدثها هذا الأخير للثورة، من تقسيم القطر الجزائري إلى مناطق، وهو نظام مطابق شبه كلي للتنظيم الذي كانت عليه المنظمة الخاصة، بتعديل بسيط وهو تقسيم منطقة الشرق الجزائري إلى منطقتين: منطقة الشمال القسنطيني أصبحت المنطقة الثانية، بينما بقي جنوبها تحت مسمى المنطقة الأولى، في حين

¹ - عبد السلام كمون، اجتماع لجنة ال22 إشكالية التوقيت وعدد الحضور وهويتهم -، مجلة الحقيقة، ع34، الجزائر، (د.ت)، ص77.

² - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر، نجيب عياد صالح المثلوثي، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2006م، ص63.

³ - وهم: مختار باجي، رمضان بن عبد المالك، مراد ديدوش، لخضر بن طوبال، عمار بن مصطفى بن عودة، رابح بيطاط، مصطفى بن بولعيد، يوسف زيغود، بوجمعة سويداني، أحمد بوشعيب، محمد مرزوقي، عثمان بلوزداد، محمد العربي بن مهيدي، السعيد بوعلي، سليمان ملاح، عبد القادر العمودي، عبد السلام حبشي، محمد مشاطي، عبد الحفيظ بوصوف، محمد بوضياف، إلياس دريش، والزيبر بوعجاج، (للمزيد من المعلومات أنظر: المتحف الوطني للمجاهد، الشهيد مصطفى بن بولعيد، المرجع السابق، ص59).

حافظت منطقة الغرب الجزائري على هيكلتها القديمة، وتغير اسم منطقة الجزائر واحد إلى المنطقة الرابعة، مع تحول منطقة الجزائر 02 إلى المنطقة الثالثة.⁽¹⁾

كان كل المشاركين في اجتماع مجموعة الـ 22 التاريخية من قدماء المنظمة الخاصة، الذين وصلوا نشاطهم وحافظوا على الاتصالات مع المناضلين الموثوق بهم في الجهات التي كانوا يمارسون فيها مسؤولياتهم، بالرغم من مطاردتهم من قبل الشرطة الفرنسية.⁽²⁾ أثّرت في هذا الاجتماع مجموعة من القضايا، وهي تلك التي تخص تاريخ المنظمة الخاصة منذ تأسيسها إلى حلها:

* حصيلة الاضطهاد والتتديد بموقف الاستسلام لقيادة الحزب.

* العمل الذي أنجزه قدماء المنظمة الخاصة في الفترة الممتدة ما بين "1950م - 1954م".

* أزمة الحزب ودواعيها العميقة التي تتعلق بالنزاع بين خط إصلاحى للقيادة، والتطلعات الثورية للقاعدة، وهي الأزمة التي كانت نتيجتها انشقاق الحزب وعدم الجدوى من برنامجه.

* شرح موقف الحضور في اللجنة الثورية للوحدة والعمل بالنسبة للأزمة مع المركزين.⁽³⁾

وكانت الهيكلة الوطنية كالاتي:

1- منطقة الأوراس:

- ممثل جبهة التحرير الوطني: مصطفى بن بولعيد.

- قائد المنطقة: شبحاني البشير، واتباعا لشهادات بعض المجاهدين فإن بن بولعيد قد عين محله شبحاني بشير قائدا للمنطقة، ليصبح ممثلا لجبهة التحرير الوطني وفي نفس الوقت قائدا للمنطقة، ولعل ذلك كان سببا في الاعتداء عليه وإعدامه بتهمة واهية.

2- منطقة الشمال القسنطيني:

- ممثل جبهة التحرير الوطني: ديدوش مراد المدعو السي عبد القادر.

¹- يوسف مناصرية، تنظيم وهيكلية الثورة أثناء اجتماع مجموعة الاثنين والعشرين من خلال مفكرة الشهيد "مصطفى بن بولعيد"، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، مج 3، ع 02، الجزائر، جويلية 2021م، ص 124.

²- محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954م، ط2، الجزائر: دار النعمان، 2011م، ص 46.

³- نفسه، ص 49.

- قائد المنطقة: بقي مجهولا، ولعل ذلك يعود إلى تأخير التشاور لأعضاء المنظمة بالمنطقة لاختيار أحدهم من بين الذين حضروا اجتماع مجموعة الاثنان والعشرين (زيغود يوسف، عبد الله بن طوبال، ومصطفى بن عودة).⁽¹⁾

3- منطقة القبائل:

- ممثل جبهة التحرير الوطني: رابح بيطاط المدعو السي أمحمد.
- قائد المنطقة: الرقيب أوعمران المدعو السي رابح، ومن هنا يظهر أن تعيين رابح بيطاط قد تم قبل التحاق كريم بلقاسم بالثورة، كونه كان من أنصار مصالي الحاج وبقي على قناعاته حتى بعد التحاقه بالثورة.

4- منطقة العاصمة:

- ممثل جبهة التحرير الوطني: محمد بوضياف المدعو السي الطيب.
- قائد المنطقة: السي زيد، والواضح أن التحاق كريم بلقاسم بالثورة أدى إلى تحويل رابح بيطاط مكان محمد بوضياف ليصبح قائدا لمنطقة العاصمة، ويصبح محمد بوضياف منسقا بين قادة الثورة في الداخل وقادتها في الخارج.

5- منطقة وهران:

- ممثل جبهة التحرير الوطني: محمد العربي بن مهيدي المدعو السي حكيم.
- قائد المنطقة: السي أمحمد (لعله حاج بن علة).⁽²⁾
تفرق المجتمعون وعاد كل منهم إلى منطقته بعد الاجتماع، وكان قد كلف كل من أحمد بوشعيب وسويداني بوجمعة بالتحضير للثورة في المنطقة الرابعة التاريخية، وذلك بمعية كل من الزبير بوعجاج ومحمد مرزوقي بالعاصمة، وشرعوا مباشرة في التدريبات العسكرية وتكوين المناضلين تكوينا عسكريا وتهيئتهم نفسيا لخوض غمار الثورة المسلحة، حيث تمت هيكلة عدد الأفواج بحوالي 20 فوجا، ضم الفوج الواحد ما بين 05 و 07 مناضلين، بالموازاة مع إنشاء العديد من مراكز التموين والتدريبات العسكرية وصناعة القنابل اليدوية والمتفجرات.⁽³⁾

¹- يوسف مناصرية، تنظيم وهيكل الثورة أثناء اجتماع مجموعة ...، المرجع السابق، ص 124.

²- نفسه، ص 125.

³- نظيرة شتوان، المرجع السابق، ص ص 72، 73.

ثالثا - تحضيرات اندلاع الثورة بمنطقة متيجة ومدينة الجزائر:

شملت عملية التحضيرات في المنطقة الرابعة كلا من منطقة متيجة ومدينة الجزائر مقسمة على

النحو التالي:

* **منطقة عمليات:** وهي المتيجة،⁽¹⁾ فقد اختار المسؤولون بها سبعة عشر هدفا مقسمون على نوعين، عمليات لغنم السلاح وهما عملية ثكنة بوفاريك و ثكنة البليدة، وعمليات لضرب الاقتصاد الفرنسي متجلية في تعاونية بوفاريك، مصنع باب علي، الجسور (المقرونات و حمام ملوان)، واد الكرمة، واد الثلاثاء، بن شعبان، جسر ميمون، وخط السكة الحديدية ببوفاريك.

* **منطقة انسحاب:** وتم اختيار الساحل ليكون منطقة انسحاب لكونه يحوي مناظير مخلصين وبعض الملاجئ التي كانوا قد جهزوها سابقا.

* **منطقة آمنة:** وقع الاختيار على منطقة غرب تيبازة لتكون منطقة لجوء وراحة نظرا لملائمة موقعها الجغرافي (مناطق جبلية) من جهة، ولاحتواءها على أفواج من المناضلين الذين قرروا عدم المشاركة في العمليات، بل سيقون قوة احتياطية ونواة أولى لنشر الثورة بعد نجاح عملية انطلاقها.⁽²⁾

اقتضى التحضير للعمل المسلح تدريباً عسكرياً جاداً يقوم على تدريب الشباب على استعمال السلاح حيث خصص لكل فوج حصة أسبوعية يتدرب من خلالها على فك وتركيب وتنظيف الأسلحة، فضلا عن التدريب على استعمال القنابل والمتفجرات واكتساب الخبرة في طريقة رميها، بالإضافة إلى تلقي دروس نظرية في كيفية شن الهجمات ونصب الكمائن وخوض المعارك وتأطير حرب العصابات.⁽³⁾

¹ - قررت الإدارة الاستعمارية إقامة مركز استعماري في بوفاريك اختير له مخيم يرلون Camp Derlon الذي تم بناءه سنة 1835م، وهذا كون أن المنطقة كانت تشكل سوقا نشيطة تمتد فيها الضيعات الخصبة ذات المساحة الشاسعة، ومع مطلع القرن العشرين احتضنت منطقة متيجة المقاومة السياسية باتجاهاتها المختلفة، كما وجد فيها عدد كبير من المناضلين المأوى والمكان الملائم لتحضير الثورة رغم الاستيطان الكولونيالي، والتمركز العسكري الفرنسي الكثيف بها، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 56، 57).

² - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: 1954م-1962م "الولاية الرابعة أنموذجا"، إشراف، يوسف مناصرية، أطروحة مقدمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007م/2008م، ص 42.

³ - نفسه، ص 43.

- يتم اختيار الشباب على أساس مجموعة من الشروط نردها فيما يلي:
- أن يكون عضوا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية لمدة تزيد عن خمس سنوات.
- أن يكون متمتعا بكامل اللياقة البدنية والصحة العقلية.
- أن يكون قد أثبت شجاعته والتزامه وصدق نواياه خلال فترة عضويته.
- يفضل على الشاب أن يكون قد أدى الخدمة العسكرية الإلزامية لاستغلال خبرته في ميدان التدريب.⁽¹⁾
- لم تكن هناك مراكز بآتم معنى كلمة "مراكز" للتدريبات، وإنما كان المناضلون يتدربون في أماكن كانوا قد اختاروها بأنفسهم نظرا لخطورة الوضع وسرية الموقف، ونذكر منها:
- مركز حلوية ببيت بوعلام قانون.
- مركز قرواو.
- مركز أولاد يعيش بمنزل محمد العيشي.
- مركز بوشماعلة وهي عبارة عن مغارة وسط الغابة بضواحي فروخة.
- مركز ذراع الديس وهو عبارة عن مغارة وسط غابة كثيفة بالأطلس البلدي (موسى الحاج)،⁽²⁾ وقد خصصت بيوت المناضلين السالفة الذكر للتدريب على استعمال الأسلحة، أما تجارب التدريب على القنابل والمتفجرات فكانت تتم في المراكز الجبلية (بوشماعلة وذراع الديس)، تحت إشراف كل من سويداني بوجمعة وأحمد بوشعيب.
- قرر التنظيم السري الشروع في صناعة القنابل أثناء الاجتماع الذي عقد بمنزل "موسي محفوظ" في جويلية 1954م بحضور كل من سويداني بوجمعة، بوعلام قانون، موح العمري، وعبد القادر رابح، وبالفعل تمت صناعة القنابل والمتفجرات (البارود والعبوات الناسفة) بواسطة علب المصبرات والكبريت الأصفر والفحم والطين الحرة وزيت الخروب والأنابيب، وهي التي استعملت في تفجيرات ليلة الفاتح من شهر نوفمبر سنة 1954م.⁽³⁾

¹- عبد القادر ماجن، التحضير للثورة بناحية متيجة وواقع اندلاعها، مجلة أول نوفمبر، ع81، المنظمة الوطنية

للمجاهدين، الجزائر، 1987م، ص10.

²- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: 1954م-1962م "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص43.

³- نفسه ص44.

أ- الاجتماعات المحلية:

عقد المناضلون منطقة متيجة عدة اجتماعات محلية بعد اجتماع مجموعة ال 22 التاريخي، من أجل دراسة ومناقشة الظروف التي تمر بها مرحلة التحضيرات وأهم ما يجب اتخاذه من قرارات، سواء على المستوى العسكري أم السياسي، إلى جانب اجتماعات أخرى مصغرة يحضرها المسؤولون دون سواهم، بينما هناك اجتماعات أخرى موسعة يحضرها المناضلون بصفة عامة ومن أهم الاجتماعات التي عقدتها منطقة المتيجة نذكر:

* اجتماع بوشماعلة:

انعقد اجتماع بوشماعلة في جويلية 1954م بمنزل الشهيد الطيب سليمان قويدر ببوشماعلة، ترأسه ديدوش مراد ومساعداه سويداني بوجمعة وأحمد بوشعيب بحضور مسؤولي النواحي وهم على التوالي:

- بوعلام قانون (حلولية).
- طيب سليمان سعيد (فروخة- بوشماعلة).
- طيب البرزالي (البليدة).
- عمير المحفوظ (أولاد يعيش).⁽¹⁾
- قدور المعسكري (حمر العين- بوركيكة- موزاية- حمام ريغة- بومدفع- العفرون).
- الصيد بوعلام (سوق علي).
- طاهر بونيلة (سيدي عايد- بوفاريك).
- بوعلام بورقعة (بوينان).
- محمد بلعمري (بني شريف).
- بومسيد محمد (بهلي).
- طيب سليمان محمد (الغرابة).

دامت أشغال المؤتمر ثلاثة أيام نوقشت من خلاله عدة نقاط أبرزها: الوضع الذي يمر به التنظيم الثوري، تنظيم صفوف المناضلين وهيكلتهم في إطار أفواج مسلحة ذات نظام عسكري، الحث على مواصلة التكوين بشكل سري والحرص على الجدية في العمل، وقد أقيمت خلال الاجتماع دورة تدريبية يتعرف خلالها المناضلون على كيفية صناعة الألغام والقنابل.⁽²⁾

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: 1954م-1962م "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص46.

² - نفسه ص47.

واصل المناضلون نشاطهم من حيث تكوين الأفواج المسلحة وتحديد النقاط الاستراتيجية، وتوفير الذخيرة الحربية والأسلحة والتدريب على استعمالها وتنظيم صفوف المناضلين تنظيمًا يتماشى ومتطلبات المرحلة القادمة، ووضع خرائط بنيت عليها المواقع الاستراتيجية للمنطقة، في حين انتقل ديدوش مراد إلى منطقة الشمال القسنطيني لتنفيذ المهام الجديدة التي أسندت إليه، بينما تم استبداله برابح بيطاط كقائد جديد للمنطقة الرابعة التاريخية، الأمر الذي لقي نفورا من البعض حسب ما أدلى به أحمد بوشعيب، كون أن رابح بيطاط لا يعرف المنطقة جيدا ويجهل طبيعة النشاط الثوري بها، عكس ديدوش مراد الذي كان ملما بجميع ما يخصها من مشاكل سواء تلك المتعلقة بالتمويل أو السلاح، إلا أن القائد الجديد قد حذى حذو القائد الأول مواصلا تأدية نفس المهام التي أوكلت إليه مشرفا بنفسه على مختلف النشاطات والتدريبات العسكرية التي كان يقوم بها المناضلون، مترئسا بذلك العديد من الاجتماعات المحلية التي حملت في فحواها تقييم الوضع وتبيان المستجدات.⁽¹⁾

اتفق كريم بلقاسم بعد أن التقى بمصطفى بن بولعيد في مدينة الجزائر على ضرورة التعجيل بالكفاح المسلح، فسرعان ما حددوا في اجتماعهم التاريخي الذي عقده في العاشر من أكتوبر تاريخ اندلاع الثورة التحريرية وهو يوم الإثنين الفاتح من نوفمبر عام 1954م على منتصف الليل وهو اليوم المصادف لعيد جميع القديسين بالنسبة للأوروبيين، كما تم فيه تحديد المسؤوليات والأهداف، هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فقد اجتمع ممثلوا الثورة في مراكز الاصطياف بسويسرا لتنظيم عمليات شراء الأسلحة، وحشد التعبئة الشعبية لموازة الثورة التحريرية.⁽²⁾

*اجتماع أولاد يعيش:

انعقد اجتماع أولاد يعيش يوم 15 أكتوبر 1954م في بيت المناضل وخام عبد القادر بأولاد يعيش، وهو اجتماع دعا إليه محمد بوضياف وحضره كل من سويداني بوجمعة، أحمد بوشعيب، خالي عبد القادر، قدور المعسكري، بوعلام بورقعة المدعو بوعلام شينو، بلعمري محمد، كريتلي مخطار، حسين لحول، وموسى بوشبوبة، وهو اجتماع حضر فيه كل طرف لغرض خاص يرمي إليه، فقد كانت غاية المركزيين من الاجتماع هي إقناع المناضلين بالانضمام لصفوفهم، أما الثوريين فقد كانت غايتهم

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: 1954م-1962م "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص48.

² - بسام العسلي، المرجع السابق، ص18.

الحصول على الأموال اللازمة لشراء ما يلزمهم في التحضير للعمل الثوري، وهي متواجدة على مستوى ميزانية الحزب.⁽¹⁾

اعتبر الاجتماع فاشلا تاريخيا كون أنه لم يحقق أي طرف الغرض الذي اجتمع من أجله، فالمناضلون الثوريون رفضوا الانضمام إلى صفوف المركزيين ومواجهة المصاليين، مبرزين هدفهم الرئيسي وموضحين أن العدو الحقيقي ليس لا المصاليين ولا المركزيين ولا مصالي الحاج وإنما العدو الحقيقي هو الاستعمار الفرنسي، أما المركزيين فقد رفضوا بدورهم إمدادهم بالأموال، وهو ما كان رد حسين لحول على أحمد بوشعيب حين طلب منهم المال قائلا: "...أخذتم الرجال وتريدون أخذ الأموال، أنحن بقرة حلوب تحلبونها متى شئتم..."⁽²⁾

حدث صدام كبير بين المركزيين والثوريين أدى إلى طرد حسين لحول من قبل محمد بوضياف، بينما أشهر أحمد بوشعيب سلاحه مهددا به لحول وبوشبوبة، لتحدث القطيعة النهائية بين الطرفين، تجلى عنها إصدار أوامر وتعليمات من قبل اللجنة المركزية لمجموعة من المناضلين بالبليدة بأن لا يتعاونوا مع التنظيم الثوري، ولم يشأ التنظيم أن يخرج الصراع الدائر بينهما، حتى لا يتقطن الاستعمار الفرنسي لما هو مقبل عليه، مقررين بذلك تسوية المشاكل بعد تقجير الثورة الجزائرية المسلحة.⁽³⁾

*اجتماع مزرعة 40 شهيدا(حوش لقرو):

انعقد الاجتماع بتاريخ 24 أكتوبر 1954م في بيت سويداني بوجمعة بمنطقة بوينان ضم كلا من سويداني بوجمعة، أحمد بوشعيب، بوعلام قانون، رابح بيطاط، برزالي الطيب، خوزي السعيد وعبد القادر بن طوبال، وتمت فيه عملية دراسة المناضلين لوضعية الثكنتين المذكورتين آنفا، وناقشوا مع خوزي السعيد وعبد القادر بن طوبال جميع الترتيبات عن كيفية دخول الثكنتين ومراكز الأسلحة والمؤونة وأحوال الحراسة.

كلف بوعلام قانون رفقة بعض مناضلي الناحية بالتوجه نحو ثكنة العتاد ببوفاريك لمعرفة مسالك ومداخل الثكنة للاطلاع في عين المكان على الخطة المرسومة وإجراء التدريبات اللازمة لذلك، أما ثكنة

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية، 1954م-1962م "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص48.

² - عبد القادر ماجن، المرجع السابق، ص13.

³ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، مج01، ج03، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص15.

البلدية فقد تكلف بتتبع أحوالها الطيب البرزالي مع بعض مناضلي المنطقة الثالثة ومناضلي الناحية، على أن الأمر هو بمثابة معاينة ومتابعة لكل التحركات داخل الثكنة وباتجاهها.⁽¹⁾

***اجتماع 31 أكتوبر 1954م:**

يعتبر هذا الاجتماع الأخير الذي سبق اندلاع الثورة التحريرية، انعقد في بيت سويداني بوجمعة، ترأسه رابح بيطاط، وحضره كل من: سويداني بوجمعة، أحمد بوشعيب، وأوعمران، وقادة الأفواج: بونيلة الطاهر، بلعمري محمد، صيد بوعلام، سليمان بوعلام، كزواتي محمد، وفيه تمت دراسة مختلف الظروف والأوضاع المناسبة لتفجير الثورة، كما اتفق المجتمعون على المواقع التي ستنفذ فيها العمليات، كما وزعت القنابل المزمع تفجيرها في العمليات على رؤساء الأفواج.⁽²⁾

اندلعت ثورة أول نوفمبر سنة 1954م بعد أن كانت اللجنة التحضيرية قد قسمت البلاد إلى خمس مناطق تاريخية وهي: منطقة الأوراس، منطقة الشمال القسنطيني، منطقة القبائل، منطقة الوسط (الجزائر)، ومنطقة الغرب، معينة على كل واحدة منها مسؤولا ونائبا، بالإضافة إلى مجموعة الستة التاريخية المكونة من: مصطفى بن بولعيد، ديدوش مراد، محمد العربي بن مهيدي، رابح بيطاط، محمد بوضياف، ليلتحق بهم كريم بلقاسم لاحقا، كما لم تهمل اللجنة ممثلي قضيتها بالخارج فعينت كلا من أحمد بن بلة، حسين أيت أحمد، ومحمد خيضر لتولي هذا الشأن،⁽³⁾ كما تم الاتفاق على أن يكون هناك اجتماع للقيادة الوطنية في منتصف شهر جانفي 1955م لتقييم المرحلة السابقة من النشاط العام، ولوضع برنامج للعمل في المرحلة اللاحقة.⁽⁴⁾

تم الاتفاق على هيكلة الثورة بشق سياسي وهو جبهة التحرير الوطني، وشق عسكري تحت اسم جيش التحرير الوطني، كما أصدر بيان صنف بمثابة نداء موجه لكل أفراد الشعب الجزائري يوضح لهم فيه أسباب الثورة، أهدافها، وسائلها، أساليبها ومآلاتها، وهو ما يعرف ببيان أول نوفمبر 1954م.⁽⁵⁾

تجسدت عمليات الفاتح من نوفمبر عبر جميع مناطق التراب الجزائري متمثلة في الهجوم على مراكز العدو الفرنسي لاغتنام الأسلحة، تخريب المصالح الاقتصادية، عمليات فدائية في المدن، وتخريب البنية

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 88.

² - نفسه، ص ص 88، 89.

³ - مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، الدليل التاريخي لثورة التحرير الجزائرية الكبرى لولاية تيبازة "1954م - 1962م"، المرجع السابق، ص 18.

⁴ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر: دار البعث، 1984م، ص 84.

⁵ - نفسه، ص 82.

التحتية من طرق وجسور وسكك حديدية،⁽¹⁾ و حول تفجير الثورة المسلحة يقول عبد الحفيظ أمقران: "...كنت على علم بأن تفجير الثورة المسلحة آت في أقرب الآجال حينما كنت في باريس وفي خلية سرية للجنة الثورية للوحدة والعمل مع الأخ أميروش، وجماعة من المناضلين مثل السعيد حواسي، يوسف مقران، السعيد مداح، أحمد صخري، السي طاهر، السي بشير، وكنا نجتمع تحت غطاء الشعبة المركزية لجمعية العلماء التي كان يرأسها الشهيد الربيع بوشامة".⁽²⁾

¹ - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 82.

² - عبد العزيز وعلي، أحداث ووقائع في تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، تق، عبد الحفيظ أمقران الحسني، (د.م)، الجزائر، 2011م، ص 19.

رابعاً - النشاط العسكري في المنطقة الرابعة التاريخية (1954م-1956م):

أ- المنطقة الرابعة عشية اندلاع الثورة في 01 نوفمبر 1954م:

قسمت المنطقة الرابعة إلى ناحيتين: العاصمة والمتيجة، ووصل عدد العمليات فيها إلى 22 عملية منها 05 عمليات بالعاصمة و17 عملية بالمتيجة بما في ذلك الهجوم على ثكنتي بوفاريك والبليدة، ولمواجهة النقص في عدد المناضلين المسلحين، طلبت قيادة المنطقة الرابعة من المنطقة الثالثة مساعدتها فأرسل كريم بلقاسم حوالي 20 جندياً تحت مسئولية "أوعمران" للمشاركة في عمليتي الثكنتين السالفتي الذكر.

والملاحظ هو أن منطقة متيجة عرفت نصيباً معتبراً من العمليات المنفذة عشية اندلاع الثورة بالمنطقة الرابعة مقارنة بغيرها، وهذا نتيجة لطبيعة المنطقة التي تحتل موقعا استراتيجيا، فهي عبارة عن سهل واسع يمتد بين الساحل شمالا وجبال الأطلس البليدي جنوبا، وجبال الناظور غربا ووادي يسر شرقا، كما عرفت المنطقة منذ وقت مبكر اهتمام الإدارة الاستعمارية بها لغرض التوسع والاستيطان، وحتى فيما يخص أولئك الذين وصفوها بالمستنقع المتعفن كانوا يدركون تمام الإدراك شدة خصوبتها وعطائها.⁽¹⁾

تم تقسيم المنطقة الرابعة أثناء اندلاع الثورة التحريرية إلى ثلاثة مناطق أساسية لتنفيذ عمليات الاندلاع حيث عرفت:

المنطقة الأولى: يقصد بها الجهة الشرقية لتراب الولاية الرابعة بها جبال الزيرير وبوزقزة وسهل متيجة الشرقي، كما تنتشر بها عدة مدن لعبت دورا هاما خلال مرحلة الثورة كمدينة بومرداس والتابلاط والروبية والحراش والأربعاء.

المنطقة الثانية: وهي المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط إلى حدود بوغزول جنوبا مروراً بالمدينة والبليدة والبرواقية وقصر البخاري وبوشراحيل وضواحيهما، كما ضمت تيبازة وحجوط والقليلة وتامزقيدة وموزاية، بها سهل متيجة الوسطى الخصب الذي جمع أكبر عدد من المستوطنين خلال الفترة الاستعمارية، كما ترتفع فيها جبال الشريعة التي كانت مركزاً حامياً للمجاهدين إبان الكفاح المسلح، ولا ننسى جبال زكار وشنوة والذي اعتبر الرابط الوثيق لتنتقل كتائب جيش التحرير الوطني بين الشمال والجنوب، نظراً لكثافته الغابية وسكانه الذين التقوا حول الثورة.⁽²⁾

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص55.

² - مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، الدليل التاريخي لثورة التحرير الكبرى لولاية تيبازة...، المرجع السابق، ص16.

المنطقة الثالثة: تعد هذه المنطقة الأوسع من حيث المساحة حيث تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى حدود تيارت جنوباً، بها عدة مدن كعين الدفلى والشلف وتنس وثنية الحد والخميس وتيسمسيلت، فضلاً عن جبال بيسة، بها أراضي خصبة ويجري بها واد الشلف كما تعلوا بها عدة جبال أهمها: الوئشريس الذي وقف صامداً في وجه قنابل طائرات العدو الفرنسي خاصة بين مرحلتي "1958م-1959م"، تغطي هذه الجبال غابات كثيفة من العرعار والصنوبر البحري والأرز وغيرها، والتي كانت شاهدة على عديد معارك جيش التحرير الوطني ضد العدو الفرنسي.⁽¹⁾

تفرق قادة المنطقة وقادة الأفواج المكلفين بالعمليات يوم 31 أكتوبر 1954م على الساعة الرابعة والنصف مساءً، حيث اتجه كل قائد إلى عناصره أين عقدت الاجتماعات قبل موعد العملية بحوالي ساعتين، وقد شملت عمليات أول نوفمبر في منطقة متيجة 13 هدفاً موزعة على النحو التالي:

1. الهجوم على ثكنة بوفاريك:

نفذ الهجوم حوالي 33 مناضلاً تحت قيادة سويداني بوجمعة وأمر أوعمران وفوج من حلوية وآخر⁽²⁾ من الغرابية و 07 مناضلين من المنطقة الثالثة، وهم على التوالي: سويداني بوجمعة، أمر أوعمران، بوعلام قانون، محمد بورقعة، عبد القادر رابح، عباس الفوضيل، موسى الطيب (أحمد بن الشيخ)، صامت عمر، محمد زيتوني بن محي الدين، زغيي بوعلام،⁽³⁾ هارون المحفوظ، محمد شاطر، عبد القادر رقيب (موح أحسن)، محمد حوالي، هارون علي صالح، دحدوح بن يوسف، هارون محمد، عبد القادر بن طوبال (مجند بالثكنة وتواطأ مع سويداني بوجمعة)، محمد بن توتة، محمد بوكرت، أحمد عزي، حمود زيدان، محمد هواري، أما المشاركون من المنطقة الثالثة فهم، أرزقي بن توارق، أمر بن طالب، عمروش الهادي، سعيد عكروم، طاهر شماعلة، أمر المخفي،⁽⁴⁾ محمد أكلي، مسلم محمد، أمر بوركايب، ويحيى سحنون.⁽⁵⁾

2. الهجوم على ثكنة (بيزو) البلدية:

¹ - مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، الدليل التاريخي لثورة التحرير الكبرى لولاية تيبازة...، المرجع السابق، ص 16.

² - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 89.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه، ص 90.

⁵ - نفسه، ص 91.

تعتبر عملية ثكنة بيزو (ثكنة 19 جوان حاليا) بالبليدة أحد أهم المصالح التي خطط المناضلون لاحتكامها ليلة 01 نوفمبر 1954م، نظرا لما تختزنه من أسلحة وعتاد حربي، فانطلق منفذوا العملية من بيت بوعلام قانون بطلوية حيث أقلمهم العربي موسى صهر سويداني بوجمعة وسائقه الخاص في سيارة من نوع "Traction"، أما بعض عناصر المنطقة الثالثة فنقلوا من طرف محمد زيتوني وعمر صامت إلى غاية مقبرة المسيحيين (ويرات)، وقد بلغ عدد المناضلين الذين شاركوا في هذا الهجوم حوالي 14 مناضلا من الناحية وهم: رابح بيطاط، أحمد بوشعيب، الطيب البرزالي المدعو السي مراد، خذيري عمر المدعو عمر الغول، سيدي يخلف مصطفى، هواري محفوظ،⁽¹⁾ علي بن قريان، مصطفى الراوي، مصطفى بن بيرم، رابح زغدار، عمر بلعيد، دحمان بن صفار، مغني موسى المدعو موسى الطويل أو المتيجي، محمد خايلي المدعو خير، خوزي السعيد (وهو مجند منسق العملية من داخل الثكنة مع أحمد بوشعيب)، أما المناضلين الذين قدموا من المنطقة الثالثة ضمن هذه المجموعة فهم: أحمد جنان المدعو السي عثمان، وأحمد فاهم.

قاد الفوج كلا من رابح بيطاط وأحمد بوشعيب متوجهين في حدود الساعة الحادية عشر والنصف ليلا نحو الثكنة، وكان أحمد بوشعيب يرتدي لباسا عسكريا أحضره له خوزي السعيد وقام بتسليق الجدار حيث دخل إحدى ممرات الثكنة وتلاه عمر الغول، ليتصل بهما خوزي السعيد ويعطيتهما مقصا خاصا لقص قضيب الحديد ودلهما على أماكن تواجد الأسلحة والذخيرة الحربية، لكن فوجئوا بأن الصناديق كانت فارغة، وبينما هم منهمكون في البحث عن الأسلحة المخبأة انطلقت العمليات بنواحي بوفاريك واعتلت ألسنة النيران تعاونية الخضر⁽²⁾ والفواكه فتجندت عناصر الثكنة الذين كانوا خلالها في عطلة يحتفلون بعيد القديسين، وخرجت المجموعة من الثكنة دون أن تحقق غايتها المنشودة، فانسحب على إثرها أعضاء الفوج إلى الشريعة حسبما كان الاتفاق عليه من قبل ليتجهوا بعدها نحو منطقة تقاحة.⁽³⁾

لم تحرز العمليات الأولى ليلة أول نوفمبر 1954م في المنطقة الرابعة التاريخية النتيجة المنتظرة منها مقارنة مع المكانة التي تمتعت بها قبيل اندلاع الثورة، وسرعان ما كشف ذلك الأمر عن وجود نقاط ضعف كثيرة اعترت العمل الثوري عند بدايته بالمنطقة.⁽⁴⁾

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 92.

² - نفسه.

³ - نفسه، ص 94.

⁴ - الطاهر جبلي، الإمداد بالسلح خلال الثورة الجزائرية "1954م-1962م"، الجزائر: دار الأمة، 2014م، ص 156.

ركزت قيادة الثورة في المنطقة الرابعة خلال العمليات الأولى على مهاجمة الثكنات والمراكز العسكرية الفرنسية بغرض الحصول على الأسلحة والذخيرة، وعلى رأسيهما عمليتي ثكنة بيزو بالبليدة وثكنة بوعمرس ببوفاريك السابقتي الذكر والتي تكلفا بمهمة الهجوم عليهما كلا من سويداني بوجمعة وأعمر أو عمران على رأس مجموعة من مناضلي المنطقتين الرابعة والثالثة بعد الاتصال بسعيد بن طوبال-شقيق لخضر بن طوبال، والذي كان يشغل جنديا برتبة رقيب في صفوف الجيش الفرنسي، حيث عرض خدماته على المجاهدين ومساعدتهم على الدخول للثكنة والاستحواذ على ما فيها من أسلحة، غير أن أحد الحراس انتبه بعد سماع دوي تفجيرات قام بها فوج آخر في بوفاريك بتعاونية الخضر والفواكه قبل الموعد المتفق عليه بدقائق قليلة، الأمر الذي حال دون تحقيق الأهداف المرجوة.⁽¹⁾

لم تهدف قوات جيش التحرير الوطني ضرب المصالح العسكرية فقط بل حرصت على ضرب مصالح الاقتصاد الفرنسي بالمنطقة، وقدرت العمليات الخاصة بهذا الشأن ب 11 عملية مابين مدينة الجزائر ومنطقة متيجة شارك فيها مناضلوا المراكز التالية: الغرابة، البوراري، سيدي عايد، وهي موزعة على النحو الآتي:

3. عملية تعاونية بوفاريك: كلف فوج هذه العملية بإحراق تعاونية الخضر والفواكه بواسطة ألغام ومتفجرات، فتمت هذه الأخيرة بنجاح، شارك فيها مجموعة من المناضلين ويتعلق الأمر ب: سليمان الطيب المدعو محمد الصغير، علي عزي، بوعلام الوزري، ومحمد زيدان.⁽²⁾

4. عملية المقرونات (جسر حمام ملوان): تم اختيار المناضلين المشاركين في هذه العملية من بين أفواج بوينان وعمروسة والشبلي، من خلال الاجتماع الأخير الذي عقد في بيت سويداني بوجمعة، وقام المناضل محمد بلعمري باختيارهم تحت إشراف سويداني بوجمعة، كما حددت مجموعة من الشروط للمناضلين الذين سوف ينفذون العملية وهي كالتالي: أن يكون المناضل عازبا، ومؤديا للخدمة العسكرية، ومسئولا للخلية، ووفقا لهذه الشروط تم اختيار الأعضاء التالية أسماؤهم: محمد بلعمري، بوعلام بورقعة، عبد القادر خالي، بلقاسم العزوني، مصطفى زميم، كانون محمد بن مصطفى، بلكاس مناد، بلكاس أحمد، بلكاس البشير، عبد القادر زواوي، مولود براري، كانون محمد بن بوعلام، برداوي محمد،⁽³⁾ نوي عبد القادر بن عبد القادر، زميم عمر بن عمر، زميم الجيلالي، عبد القادر بورقعة، محمد زرمان، عبد القادر

¹ - الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص 157.

² - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 94.

³ - نفسه، ص 95.

زerman، موح علي، موح الرابطي، طاشوش إبراهيم، بلقاسم مداح المدعو السي جمال، محمد فروخي، رابح بوزار، رابح القبائلي، قدور بلزرق، علي طاشوش، أمحمد شعواو، ومحمد شعواو.

اشترك الفوج في تلغيم المقرونات (جسر حمام ملوان)، وتمت العملية بنجاح، فبعد الانفجار سدت الطريق بالحجارة،⁽¹⁾ وانسحب أعضاء الفوج إلى كاف الريح ومنه إلى منطقة تفاحة أين تم اللقاء مع بقية الأفواج الأخرى.

نفذت العملية من طرف عبد القادر خالي، بلقاسم مداح، وإبراهيم طاشوش، أما بقية الأعضاء فقد كلفوا بمهام مختلفة منهم ستة سائقين لقيادة الشاحنات العسكرية المحملة بالسلاح التي من المفترض غنمها وتهريبها من ثكنة بوفاريك ومنهم: ريف رابح، بلقاسم عزوني، ومحمد العمري المدعو السي حسين، ومنهم من تم تكليفهم بالحراسة ومراقبة الطريق والعمل كمرشدين لمنفذي العمليات عند انسحابهم.

5. عملية تلغيم السكة الحديدية (بوفاريك):

نفذ العملية فوج حوش البوراري ببوفاريك برئاسة صيد بوعلام،⁽²⁾ وكان قد حدد سويداني بوجمعة نوع العملية والهدف خلال الاجتماع الأخير الذي عقد في بوينان وطلب فيه من رئيس الفوج تحديد العناصر المؤهلة لذلك، وكان قد وزعهم على النحو التالي: عمليتا السكة الحديدية اليمنى واليسرى نفذها كل من بأحمد محمد، عمراوي محمد بن ميلود، كزواتي عبد القادر، محمد خروبي، قاسمي عبد القادر، وعبد العزيز سعيدون.

6. عملية جسر ميمون:

يكن جسر ميمون عند مخرج بوفاريك باتجاه الشبلي، ونفذ العملية كل من أحمد بلعيد، محمد سعدي، علي صيد، وميلود عواق، وقد أشرف على مراقبة المجموعتين محمد كزواتي في حين تعذر على المناضل دحمان بن نيلة المشاركة بسبب إصابته بمرض السل، بالرغم من حضوره المتواصل لاجتماعات التدريب والتحضير، وكللت العملية بالنجاح التام.

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 96.

² - تدرب الفوج على كيفية الرمي واستعمال الأسلحة المتوفرة من نوع "رشاش ستان" في غابة حوش البوراري وكيفية صنع البارود من الدفلة والملح الصافي، وكانت صناعة البارود تتم في بيت المناضل أحمد بلعدي، وحسب شهادة المجاهد عبد القادر كروتني أحد المشاركين في هذه التدريبات فإن التدريب دام مدة 03 أشهر، تحت إشراف كل من سويداني بوجمعة وأحمد بوشعيب، وكانت العملية تتم بصفة مصغرة أي أن أحمد بوشعيب كان يختار مناضلين أو ثلاثة ويدربهم على فنون القتال، ثم يختار مناضلين أو ثلاثة آخرين ويتولى مهمة تدريبهم وهكذا دواليك، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 97).

7. لغم بمنطقة سيدي عايد: والتي تم من خلال هذه العملية قطع الخيوط الهاتقية.
 8. لغم بجسر بن شعبان: حيث نجحت هذه الأخيرة التي نفذها كل من محمد مقداد، أحمد عمور وعلي معزير المدعو أحمد.
 9. عملية تهديم جسر وادي الثلاثاء: تمت هذه العملية بواسطة الألغام، وقد كللت بالنجاح ونفذها كل من: بوعلام مبارك، علي كرار، وموسى غربي.
 10. عملية تحطيم جسر واد الشعاببية (واد كحيلة): نفذت هذه العملية على يد عبد القادر ولد العربي، وقدور عيساني.
 11. عملية تلغيم جسر وادي الكرمة (ببابة علي): نفذها كل من عبد القادر خوي، أحمد زواوي، ومحمد بوعمر.
 12. عملية حرق معمل الورق (ببابة علي): شارك فيها كل من الطاهر بونيلة وهو قائد العملية⁽¹⁾، محفوظ كرار، مختار شيخاوي، محمد حميدي، أحمد جابر، ومحمد مسوكات.
 13. عملية تحطيم جسر واد لكحل: وتمت هذه الأخيرة بالنجاح وفي الوقت المحدد، نفذت من قبل أحمد حرز الله مسؤول الفوج، أكلي وابل المدعو سامر، عبد القادر زياني، ومحمد عرابي. أوكلت مهمة الحراسة والتدخل عند الضرورة لفوجين اثنين، وتولى مهمة الإشراف والتنسيق بين الفوجين المكلفين بهذه المهمة للمناضل محمد بلعمري⁽²⁾.
- كان لمدينة الجزائر نصيب من العمليات العسكرية التي نفذها جيش التحرير الوطني ليلة 01 نوفمبر 1954م، والتي أعلن بها تغيير نمط المقاومة وبداية الكفاح المسلح، فقد تم تكليف كل من الزبير بوعجاج ومحمد مرزوقي بالتحضير لاندلاع الثورة في اجتماع مجموعة ال 22 التاريخي على مستوى مدينة الجزائر، وقد اختار المسؤولون خمسة أهداف استيراتيجية في قلب المدينة لتكون مسرحا لأهم العمليات التي هم بصدد تنفيذها رغم التشديدات الأمنية الموجودة هناك، وهذه الأهداف هي:
1. الهجوم على مبنى الإذاعة: وقد أشرف على هذه العملية محمد مرزوقي ونفذها فوجان اثنان كل فوج متكون من 04 مناضلين وهم: محمد مرزوقي (قائد الفوج)، عبد الرحمان توجين، عبد القادر شعال،

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 99.

² - نفسه، ص 100.

ومحمد أديم من الفوج الأول، عباس مدني (مسئول الفوج)، محمد جفافلة، عمار بتوش، وعبد الرحمان بليمان من الفوج الثاني.⁽¹⁾

2. **عملية حرق مخازن وقود موريب بالميناء:** وأشرف عليها عثمان بلوزداد، وكانت من تنفيذ عثمان بلوزداد، يوسف بن سليمان، مولود بن قاسمية، ومحمد حرتي.⁽²⁾

3. **عملية حرق مصنع تمييع الغاز:** هدفت العملية إلى حرق المصنع وتخريب بعض منشآته، وأشرف عليها قاسي عبد الله مختار ونفذها فوجان، كل فوج مكون من ثلاثة مناضلين، فيضم الفوج الأول عبد القادر قاسمية (مسئول الفوج)، قدور الهجيم، وعمار شعلال، بينما يضم الفوج الثاني قاسي عبد الله عبد الرحمان (مسئول الفوج)، عبد القادر سكات، وإبراهيم سكات.

4. **عملية البريد المركزي:** أشرف على هذه العملية أحمد بيسكر وضمت كل من أحمد بيسكر (مسئول الفوج)، عبد المجيد براكا، محمد بناي، الشريف قرماط، ومحمد مصباح، إلا أنها لم تنفذ.

5. **عملية مخزن الفلين:** أشرف على هذه العملية صادق نابتي بمشاركة عيسى بورابة، إلا أنها لم تنفذ هي أيضا.⁽³⁾

لم تحدد مناطق خاصة بالانسحاب بمدينة الجزائر عكس منطقة متيجة، إلا أنه تم اختيار مجموعة من المناضلين أوكلت لهم مهمة إعادة النظام والاتصال بعد الانطلاقة بالموازاة مع تجهيز المخابئ وهم: مراد بوقشورة، سعيد حالي، عيسى كشيدة، عبد الله لويديو، عبد القادر مدني، العربي زموري، أكلي سليمان، عمر بورادرة، وسعيد الإسكافي.⁽⁴⁾

يقول محمد مرزوقي حول نجاح عمليات الفاتح من نوفمبر 1954م من عدمها في المنطقة الرابعة التاريخية: "كنا نعلم مسبقا بأننا لن ننجح في كل العمليات، لكن هدفنا الأساسي كان أن نشعل فتيل

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص62.

² - نفسه، ص62.

³ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص63.

⁴ - تم تخصيص ثلاثة أفواج احتياطية في كل من بلكور، بئر مراد رابيس، (La redoute) والجوائر الوسطى، فضم فوج بلكور كل من: حسين بوقرفة، عبد الرحمان حموي، علي بيسكر، محمد بن قاسمية، عصمان كاوة، عثمان حدانو، محمد بوبكر، ومحمد عبو، بينما ضم فوج بئر مراد رابيس مصطفى باب علي، أحمد مرابط، خالد ترفاس، ذبيح شريف، مخلوف مكحيي، قاسي عبد الله بن الطاهر، قاسي عبد الله محمد أمزيان، وصالح شيخ، في حين ضم فوج الجوائر الوسطى ياسف سعدي، عمر عيدون، ومحي الدين برزاون، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص65).

الثورة"، وهذا ما أكدّه أحمد بوشعيب في شهادته قائلاً: "لم تكن عمليات الفاتح من نوفمبر في النتيجة ناجحة كما كنا نتوقع، خصوصاً وأننا فشلنا في أهم تلك العمليات، وهي عمليتي ثكنة بوفاريك والبلدية، لكن حققنا هدفنا وغايتنا منها وهو الإعلان عن بداية الكفاح المسلح، كما تسببت تلك العمليات في خسائر معتبرة للعدو، وفي إحداث هلع كبير وسط المستوطنين، وفي صفوف أجهزة الأمن الفرنسية".⁽¹⁾

تؤكد بعض الشهادات أن هناك عملية فدائية تم التحضير لها لتنفيذها ليلة الفاتح من نوفمبر 1954م بمنطقة باليسترو من طرف فوج من المناضلين مكون من: أحمد فودي، محمد السبع، محمد طوطاح، علي الخليفي، وشخص يدعى السي علي من تلا مهدي، حيث سلم هذا الأخير قنابل يدوية لرفقائه كي يرموها في البلدية حين تشير الساعة إلى منتصف الليل، وفعلاً توجه الفوج إلى المكان المتفق عليه، وبقي ينتظر هناك وكونه لم يتلق الأمر بالتطبيق عاد أدراجه من دون تنفيذ العملية.

أما بالنسبة لنواحي بومرداس، دلس، والثنية فيؤكد المناضل محمد بن صيبو المدعو "موح آكلي" أنه تجمع عدد كبير من المناضلين في سيدي عيسى بشراية شهر أوت 1954م، وحضر الاجتماع كريم بلقاسم، محمد قالمي، عبد الرحمن محفوظ، رفقة آخرين، فشرح لهم كريم بلقاسم حالة الوضع السياسي بالبلاد وأنه حان الوقت لتفجير الثورة، وعقد الحاضرون اجتماعاً آخر في منزل المناضل محمد بن صيبو بأولاد أحداش حضره كل من محمد قالمي، رزقي الحداد، عبدة السعيد، علي إيدر، محمد زعموم المدعو السي صالح، علي بودريالة، سعيد شكرابي، محمد قاسمي، وصاحب المنزل، حيث اتفقوا على تكوين نظام شبه عسكري يحضر للعمل المسلح، ماعدا سعيد شكرابي الذي فضل العمل السياسي بعد أن استشار السياسيين في الأمر، وبعدما وصلتهم الأوامر بالتنفيذ اتفقوا أن يكون لقاءهم في منزل السيد إيدر على الساعة العاشرة ليلاً ليلة الفاتح من شهر نوفمبر 1954م، وقد حضر ذلك الموعد كل من: محمد زعموم، محمد قالمي، محمد الصغير رمضان، رزقي بوخالفة، السعيد عبدة، محمد قاسمي، علي إيدر، محمد أسامبي، محمد الشيخ، محمد بن صيبي، سعيد بونخلة، محمد بن حدادي، السعيد بن حدادي، الوناس ميكيري، محمد علوش، محمد بن علي حدادي، سعيد مسعودي، محمد كريم، ورابح شعباني.

نفذت مجموعة من العمليات تلك الليلة في المنطقة ومن بينها: حرق دار البلدية، قطع أعمدة الهاتف، ورمي مناشير بيان أول نوفمبر، ويتكون الفوج الذي نفذ العملية من: محمد قالمي (مسئول

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجاً"، ص 65.

(الفوج)، موسى زياني، شارف الوناس، علي عبيدش، ربيع غاري، محمد السعيد هباب، والحسين مزغنيش.⁽¹⁾

كانت تفجيرات عشية الفاتح من نوفمبر عام 1954م حدث الساعة بالنسبة للإدارة الاستعمارية، فسرعان ما انتشر الخبر في صبيحة اليوم الموالي في مختلف الصحف الفرنسية الداخلية والخارجية، فقد كتبت جريدة LECHO D'Alger (ليكو دالجي) بالخط العريض العبارات التالية: "الإرهابيون يقومون بعمليات هجوم عبر مختلف مناطق الجزائر"، "مجموعات مسلحة تقوم بتظاهرات في الأوراس، منطقة القبائل، وهران، ومناطق مختلفة من الجزائر العاصمة"، "الإرهابيون المسلحون يهجمون على الثكنات العسكرية، الأبراج، ويفجرون مراكز الشرطة والدرك الوطني ويشعلون الحرائق"، "مقتل القائد العسكري قاي مونيرو وقايد منطقة إموشين بأريس"، "ابنة القائد العسكري بأريس الآنسة مونيرو تعرضت لجروح متفاوتة الخطورة"... وغيرها من العناوين التي توضح مدى تأثير تفجيرات عشية الفاتح من نوفمبر 1954م على نفسية الإدارة الاستعمارية.⁽²⁾

عقد الحاكم العام في الجزائر روجي ليونار اجتماعا مستعجلا في مكتبه بعد ساعات قليلة من تفجيرات الفاتح من شهر نوفمبر عام 1954م، أمرا فيه كلا من روني مايار وجاك شوفالييه بالالتحاق به، كما أصدر أوامر خاصة تقضي بوجوب استدعاء كل الإطارات والضباط السامين من أجل إيجاد حل لهذا الحدث التي اعتبره غريبا وغير معتاد من المقاومين الجزائريين.⁽³⁾

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية...، المرجع السابق، ص 67.

² - Commandant AZZEDINE, LES FELLAGAS, Préface de Mourad OUSSEDIK, Algérie : ENAG Editions , 2012, p p 41- 42.

³ - Yves COURRIERE, La guerre d'Algérie -Les fils de la toussaint-, Algérie, Edition Casbah, p320.

ب-النشاط العسكري في المنطقة الرابعة التاريخية (1954م-1956م):

يمكن الحكم على عمليات الفاتح من نوفمبر 1954م بكونها عمليات ناجحة حتى لو أنها لم تلق النتائج الحقيقية المنتظرة منها، ولكن هدفها الفعلي قد تجسد على أرض الواقع وهو زعزعة ثقة القوات الفرنسية التي طالما زعمت باستيلائها الكلي على الجزائر وإحاقها بفرنسا، وأن بقائها فيها أمر محتوم ومسألة قضي الأمر بها ولا نقاش فيها، إلا أن المرحلة الصعبة والأكثر خطورة لازالت تنتظر المناضلين، فالخطوة القادمة هي كيفية المحافظة على توازن القوى ونشر الثورة عبر كل نواحي المنطقة خصوصا، وعبر كل مناطق الجزائر عموما.

انسحب المناضلون المنفذون لعمليات منطقة المتيجة ليلة 01 نوفمبر 1954م إلى المناطق الجبلية المتاخمة لمنطقة البليدة وبالتحديد إلى منطقة المقطع الأزرق (منطقة تقاحة)، للابتعاد عن المخاطر التي من الممكن أن يتعرضوا لها أولا، ولترصد رد فعل الإدارة الاستعمارية تجاه ما يحدث ومدى استجابة الشعب الجزائري لها ثانيا.⁽¹⁾

بدأت عمليات الانتشار من جديد بعد مرور ثلاثة أيام، حيث غادر المناضلون المنطقة كل إلى وجهته الموكلة إليه، فعاد كل من سويداني بوجمعة وأحمد بوشعيب إلى حوش القايلة ليبقي الأول ينتقل بين الشبلي وبوفاريك وبوينان يترصد الأخبار ويراقب تطورات الأمور عن كثب، في حين توجه أحمد بوشعيب إلى البليدة للاتصال من جديد بالمناضلين، وهذا كله بغية وضع استراتيجية جديدة للمرحلة المقبلة، في حين توجه أعمار وأعمران والأعضاء المشاركين في العمليات من المنطقة الثالثة إلى حمام ملوان، وسلخوا طريق بوقرة والأربعاء وبودواو بواسطة سيارة قديمة استأجروها إلى أن وصلوا إلى سيدي بوناب، ليلتقوا بالمناضل كريم بلقاسم قائد المنطقة الثالثة، وتنقل البعض الآخر فرادى ومثنى عبر القطار والحافلة.⁽²⁾

ألقت السلطات الاستعمارية الفرنسية القبض على العديد من مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، متهمة إياهم بكونهم المتسبب الرئيسي في العمليات الفدائية التي شهدتها الجزائر ليلة الفاتح

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص70.

² - نفسه، ص ص70، 71.

من شهر نوفمبر من عام 1954م، وعلى رأسهم المناضل الجليلي بونعامه⁽¹⁾ يوم 06 نوفمبر من نفس السنة، وتم الإلقاء به في سجن بربروس ثم حول إلى سجن وهران، أين وضع تحت الإقامة المحروسة إلى غاية شهر نوفمبر من سنة 1955م، فاستطاع أن يخادع الحراس ويتسلل إلى مدينة الأصنام ويتصل برفقائه من المناضلين ومنهم: السي عمر بن محجوب والسي البغدادي⁽²⁾

واجه العمل الثوري في بداياته عدة صعوبات بالمنطقة الرابعة التاريخية، ويرجع أحمد بوشعيب السبب وراء ذلك إلى نقص الإمكانيات وضعف الاستيراتيجية العسكرية المتبعة بالموازاة مع غياب التنظيم السياسي وفي هذا الصدد يقول: "في البداية لم تكن منتشرين جيدا، كنا متمركزين في غرب المتيجة ولم يكن عندنا إمكانيات لنشر الثورة، كما أنه لم يكن لدينا نظام سياسي، وبدون ذلك النظام فكل العمليات التي نقوم بها كانت تستغل في بعض الأحيان لغير صالحنا، لكننا رغم تلك الظروف صمدنا، حاولنا قدر

¹ - الجليلي بونعامه (1926م - 1961م): ولد الجليلي بونعامه المدعو السي أحمد يوم 26 أفريل 1926م بقرية موليار بتيسمسيلت، والتي عرفت بعد الاستقلال باسم بني هندل ثم أضحت تحمل اسمه تكريما له، دخل المدرسة الابتدائية، ليوقف تعليمه وينخرط في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية حيث تقلد مسؤولية قسم بوقايد، التحق بالنظام السري في المنظمة الخاصة، شارك في مؤتمر هورنو ببلجيكا سنة 1954م بعد انشقاق الحزب بين المصاليين والمركزيين، أوقف الجليلي بونعامه بعد عمليات الفاتح من نوفمبر 1954م، ليطلق سراحه سنة 1955م كغيره من المناضلين وفرضت عليه الإقامة الجبرية في وهران، فتوجه إلى الشلف وأعاد اتصاله بنظام الناحية وشرع يوجب الونشريس والظهرة مع أحمد عليلي (السي البغدادي) أول قائد للناحية، إذ قام مع النواة الأولى من المناضلين في رص الصفوف لسكان الونشريس لقادة الثورة، عين في نهاية سنة 1956م عضوا في مجلس المنطقة الثالثة برتبة ضابط أول (ملازم أول) عسكري وراح يكون وحدات مقاتلة تنطلق لمهاجمة الوحدات العسكرية الفرنسية كما كون أفواجا من الفدائيين والمسلحين في ضواحي مدن الشلف، الخميس، مليانة، وغيرها، وفي صيف 1957م ترقى السي أحمد إلى قائد المنطقة الثالثة برتبة ضابط ثاني (نقيب)، وفي نهاية 1958م عين في مجلس الولاية برتبة صاغ أول (رائد)، عسكري تحت قيادة القائد السي أحمد بوقرة أصبح قائدا للولاية الرابعة بعد قضية السي صالح زعموم، استشهد ليلة 08 أوت 1961م بعد معركة حامية الوطيس بينه وبين فرقة المضليين 11 للصاعقة والملحقة بالرئاسة يساندها المضليون المتواجدون بحامية البليدة، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد علوي، قادة ولايات الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، الجزائر: دار علي بن زيد، 2013م، ص- ص 131-135).

² - مليكة عالم، دور الجليلي بونعامه (المدعو السي أحمد) في الثورة التحريرية "1954م-1956م"، إشراف، يحيوي مسعودة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2003م/2004م، ص14.

استطاعتنا نشر الثورة في البداية، عن طريق العمليات التخريبية والفدائية، ثم عندما تشكلت الأفواج العسكرية عن طريق الاشتباك وتوسيع النشاط الثوري (شرق، غرب، جنوب).⁽¹⁾

يؤكد لخضر بن طوبال⁽²⁾ نفس المشاكل التي صادفت المناضلين أثناء تفجير الثورة فيقول: "في الوقت الذي بدأت فيه الثورة لم يكن لدينا الحد الأدنى من إمكانيات العدو، يمكن القول أن الثورة بدأت من الصفر، وهذا لا يعني أنه ليس لدينا قوة، فقوتنا كانت تكمن في الإيمان بالهدف، وتكمن أيضا في اليوم الذي قررنا فيه تفجير الثورة، أخذنا قرارا على أنفسنا، وأخذ كل مجاهد، قرارنا كان ألا نغلب".⁽³⁾

التقت القيادة المحلية من جديد في بيت المناضل رابح بوزار في خدام بالشبلي الذي يعتبر أول مركز قيادة في المنطقة الرابعة، أما قائدها رابح بيطاط فلم يلتحق بالأفواج السالفة الذكر بمنطقة تفاحة كونه تاه أثناء عملية الانسحاب فعاد متنكرا إلى العاصمة عبر أولاد يعيش، بني مراد رفقة المناضل علال بن شعشوع سعيا منه لإيجاد سبل الاتصال بين مجموعة مدينة الجزائر ومنطقة متيجة.⁽⁴⁾

عقدت اجتماعات متعددة في منطقة المتيجة بهدف تنسيق الأعمال والجهود وتخطيط العمليات، وكانت تجرى في مراكز مختلفة كي تكون بعيدة عن الأنظار، ومن أهم هذه الاجتماعات نذكر:

1. اجتماع أولاد فايت: حيث عقد هذا الأخير بين 20 و 24 نوفمبر 1954م في بيت المناضل أحمد جعدي وأخيه أمقران طيبة، حضره كل من سويداني بوجمعة، رابح بيطاط، أحمد بوشعيب، عبد القادر رابح، وكريتلي مختار المدعو السي بن يوسف.

¹ - عيسى حمري، الثورة التحريرية في الولاية الرابعة "المنطقة الثالثة أنموذجا" (1956م-1962م)، إشراف، عبد القادر دوحه، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د.) في تاريخ الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، 2016م/2017م، ص 42.

² - لخضر بن طوبال: هو سليمان بن طوبال، ولد عام 1923م بالخروب بميلة، انخرط في حزب الشعب الجزائري سنة 1938م، ويعتبر من قادة المنظمة الخاصة، شارك في لقاء مجموعة ال 22 التاريخية، تولى قيادة الولاية الثانية والشمال القسنطيني، عين عضو في لجنة ال 22، تولى قيادة الولاية الثانية للشمال القسنطيني، عين عضو في لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية والثالثة، كما شارك في اتفاقيات إيفيان، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد بوشبوب، **إجماع العقدا العشر: من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959م، ظروفه، أسبابه، وانعكاساته على مسار الثورة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة وهران، الجزائر، 2010م، ص 43).

³ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص 71.

⁴ - نفسه، ص 71.

هدف الاجتماع إلى دراسة أوضاع المنطقة عقب انطلاق الثورة التحريرية، وصياغة استراتيجيات التنظيم العسكري والسياسي لها، فضلا عن تنسيق العمل بين النواحي، ولأجل ذلك تم إنشاء صندوق البريد ليستقبل من خلاله المناضلون مختلف الرسائل الواردة من الساحل، أشرف عليه المناضل عبد القادر رابح كونه كان أدرى بحقيقة ما يجري داخل المنطقة قبل اندلاع الثورة، وتعود أسباب اختيار هذا المكان كمركز للاجتماع إلى:⁽¹⁾

- يحتل المكان موقعا بعيدا عن الأنظار ويتوفر على منفذ يمكن المناضلين من الإفلات بسرعة وسهولة في حالة حدوث طارئ.

- صاحب البيت (أحمد جعدي) مناضل معروف في الحركة الوطنية تعود على استقبال المناضلين في بيته دون التعرض لأيّة مخاطر.

تنقل المجاهدون بعد منطقة أولاد فايت إلى دوار بن صالح بوادي العلايق باستثناء رابح بيطاط الذي التحق بمدينة الجزائر كما سبق لنا الذكر، وهناك وقع الاتصال ببقية رؤساء الأفواج بمنزل يحيى زنيخري وجلول ملايكة بوادي العلايق، ومنه انتقلوا إلى بيت قدور الغربي بموزاية، ثم إلى منطقة سيدي محمد بلعش وهي منطقة تقع ما بين حمر العين وبوركيكة بنواحي تيبازة.

2. **اجتماع سيدي محمد بلعش:** يعتبر هذا الاجتماع من أهم الاجتماعات التي عقدت في المنطقة نظرا لما اتخذته من قرارات وتنظيمات عسكرية، حيث مكث المجاهدون فيه مدة تزيد عن ثلاثة أشهر، وحسب المناضل أحمد بوشعيب فقد حضر الاجتماع مجموعة من المناضلين وهم:⁽²⁾ سويداني بوجمعة، أحمد بوشعيب، كريتلي مختار، رابح عبد القادر، العامري محمد، برزالي الطيب، طيب سليمان محمد المدعو السي زبير، بلقاسم مداح المدعو كرمو جمال، محمد عمرواي المدعو السي المفتاح، الهواري محفوظ، بن قنة عبد القادر، بن بيرم مصطفى، قدور معسكري، بورقعة محمد، بن قربان علي، بن رضوان محي الدين، عبد القادر شعال المدعو السي أعمر، محمد لحول المدعو موح الطاهر، العربي مبارك، بوطران أحمد المدعو محيوس، الراوي مصطفى، طيان عبد القادر، وعمر المحفوظ المدعو السي منصور.⁽³⁾

بقي هؤلاء المناضلون يواصلون تدريباتهم العسكرية التي كانت تخصص في الفترة المسائية عن طريق استعمال سلاح موزر رشاش، المسدسات، ومختلف أنواع القنابل، بالموازاة مع تلقي دوس التوعية

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 110.

² - نفسه، ص 111.

³ - نفسه، ص 112.

تحت إشراف المجاهد أحمد بوشعيب، أما الفترة الصباحية فقد خصصت لحفر المخابئ ببوركيكة، ويعود سبب اختيار هذه المنطقة إلى: كونها همزة وصل ما بين المتيجة والساحل والأطلس البليدي ومنطقة زكار، كما يمتاز جبلها بموقع استراتيجي لتوفره على غطاء نباتي كثيف وهمم شاهقة مطلة على مختلف الجهات، فتم حفر خمس مخابئ منها ماهو مخصص لجمع المؤونة ومنها ماهو مخصص لجمع الأسلحة والذخيرة والتدريب على الرمي، وأما عملية التموين فكانت تتم عن طريق المناضل بوران بن عيشة رفقة مناضلين اثنين أحدهما من بوركيكة يدعى الطيب ركابي، والآخر من حمر العين يدعى لخضر بن عيشة.⁽¹⁾

تشكلت الأفواج من جديد بعد انقضاء فترة التدريب، وعين مسئولو النواحي على النحو التالي:

- محمد بلعمري بناحية بوقرة وبوينان.
- الطيب سليمان محمد المدعو السي زوبير بناحية الصومعة.
- الطيب سليمان عبد القادر بناحية عمروسة.
- علي بن قربان بناحية أولاد يعيش إلى طريق الشريعة.
- الطيب برزالي بناحية البليدة طريق شفة.
- عبد القادر المدعو السي عبد الكريم بناحية الشفة إلى واد جر.
- الطيب الجغلالي بالناحية الجنوبية (التيطري).

كلف مهمة التنسيق بينهم إلى كل من سويداني بوجمعة وأحمد بوشعيب، في حين كلف كريتي مخطار بالجانب السياسي، وقد قسم سويداني بوجمعة المجاهدين إلى خمسة أفواج توزعوا على النحو التالي:⁽²⁾ الفوج الأول بموزاية يتكون من: موح درويش، موح الطويل، علي بن قريان، وعبد القادر رابح، الفوج الثاني بسيدي الفوضيل يتكون من: الطيب البرزالي، قدور المعسكري، هوارى المحفوظ، ومصطفى بيرم، الفوج الثالث بالصومعة يتكون من الطيب سليمان المدعو السي الزوبير، عبد القادر بن قنة وسونسور المحفوظ، الفوج الرابع ببوينان ويتكون من: موح العمري، بلقاسم مداح المدعو جمال كرامو، وأخيرا الفوج الخامس بالأربعاء والمتكون من عبد القادر من بلكور وآخرون لم نوفق في ضبط أسمائهم.⁽³⁾

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص - ص 113، 115، 117.

² - نفسه، ص 111.

³ - نفسه، ص 114.

العمليات العسكرية في إقليم متيجة في الفترة الممتدة ما بين (1954م-1956م):

1. عملية اغتيال العميل مولود برقية في ديسمبر 1954م: حيث نفذت هذه العملية من طرف سويداني بوجمعة رفقة كريتلي مخطار المدعو السي بن يوسف قرب مسجد فروخة بضواحي بلدية الصومعة قبل صلاة الجمعة، وقد كان هذا العميل بمثابة عين رئيس بلدية الصومعة "آستي" التي لا تتام، فأوشى بمناضل من المنطقة الثالثة لدى السلطات الاستعمارية، والذي كان قد شارك في هجومات ليلة أول نوفمبر 1954م يدعى محمد الشريف رمضاني، لهذا قرر سويداني بوجمعة تصفيته، فكانت هذه العملية أول عملية اغتيال ينفذها هذا الأخير على عميل من عملاء الاستعمار الفرنسي.⁽¹⁾

2. عملية الغرابة ديسمبر 1954م: أصدرت جبهة التحرير الوطني قرارا يقضي بإجبار الجزائريين العاملين لدى السلطات الاستعمارية بتقديم استقالتهم، ولكن أحد هؤلاء رفض تنفيذ القرار، وهو علي عزري مستشار بلدي من منطقة الغرابة، فحكم عليه سويداني بوجمعة بالإعدام وطلب من المناضل عبد القادر رابح تنفيذ الحكم فيه في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر عام 1954م.

3. عملية الهجوم على مراكز الشرطة بالبليدة 28 ديسمبر 1954م: كانت العملية من تخطيط سويداني بوجمعة بهدف وضع أسس قاعدية للثورة، وتبيان أن ماحداث ليلة الفاتح من نوفمبر 1954م ليس حدثا عابرا قام به مناضلون خارجون عن القانون كما تروج له السلطات الاستعمارية الفرنسية، فكانت العملية ترمي إلى زعزعة الاستقرار وزرع الفرع والهلح في نفوس المستوطنين من جهة، ومحاولة كسب تأييد الشعب الجزائري له من جهة أخرى.

اجتمع كل من عبد القادر رابح، الطيب البرزالي، عمار الغول المدعو السي عمر وعلي بن قربان في بيت الهواري المحفوظ،⁽²⁾ بهدف اغتيال أحمد بن قليل والذي كان كاتب محضر لدى الشرطة، والتومي مفتش الشرطة، وأحمد بوشنافة، وقد استطاع هذا الأخير أن يلقي القبض على المحفوظ وموسى الذي باح بالعملية قبل وقوعها بربع ساعة، مما أفشل عملية اغتيال بوشنافة والتومي وتسبب في استشهاد عمار الغول، أما عملية اغتيال أحمد بن قليل فقد توجت بالنجاح.⁽³⁾

4. هجوم حمام ملوان جانفي/فيفري 1955م: تم هذا الهجوم على مركز لاصاص بحمام ملوان، حيث أسفر عن جرح مسؤول المركز برتبة ضابط.

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 119.

² - نفسه، ص 120.

³ - نفسه، ص 121.

5. **عملية موزاية فيفري 1955م:** استهدفت العملية اغتيال عميلين الأول يدعى سويدي والثاني يدعى بن عيشي في موزاية، وتمت هذه الأخيرة في شهر فيفري من عام 1955م.⁽¹⁾

6. **الهجوم على مزارع ببير غبالوا جوان 1955:** قام رابح زيراري المدعو الرائد عز الدين بتنظيم تجمع لعدد كبير من المسبلين من أجل تطهيرهم لشن هجوم كبير على مزرعة ملك لأحد المستوطنين بمنطقة ببير غبالو ضواحي باليسترو (الأخضرية حاليا)، حيث قام بتسليح أكثر من ألف شخص ببنادق صيد، سكاكين خناجر، قنابل يدوية مصنوعة من مواد تحضيرية بسيطة: كدلاء الزيت، الغاز، المازوت... وغيرها.

كانت خطة الرائد عز الدين تقتضي تخريب أي شيء يمر أمامهم، سواء كانت أعمدة كهربائية، أو خطوط الهاتف، أو الأشجار المثمرة، فضلا عن تخريب الطرقات من أجل منع الاستعمار الفرنسي من القيام بعمليات تمشيط بالمنطقة، وفي الأخير يقومون بالهجوم على مزارع المستوطنين، وحول هذا الموضوع يقول: "قمت بشرح أسباب هذه العملية للمسبلين، وقمت بتقسيم فصيلتي إلى ثلاثة أفواج، فقد كان تنفيذ خطتنا يقتضي انتظار حلول الليل."⁽²⁾

كانت المزرعة التي بصدد تفجيرها من قبل المسبلين محل شكوى دائمة لدى المحكمة من طرف العمال والفلاحين، وذلك نتيجة سوء معاملتهم من قبل مسؤولها، لتكون نهايتها على يد جنود جيش التحرير الوطني، فبمجرد حلول الظلام حتى قام المسبلون باقتحام المزرعة وإخراج العمال وعائلاتهم منها، فضلا عن إخراج حوالي ثلاثمائة رأس من الحيوانات المختلفة المتواجدة بها من أبقار وأغنام وماعز... وغيرها، ليتم حرقها وتفجيرها بالقنابل اليدوية، فكانت نهايتها في ذلك اليوم.⁽³⁾

7. **اشتباك الفرنان بمرتفعات بوعرفة 11 جويلية 1955م:** يذكر حسين دودو في شهادته عن ظروف اكتشاف مركز صناعة المتفجرات والقنابل اليدوية المتواجد بغابة الفرنان الواقعة في أعالي مدينة البليدة، أنه بعد إلقاء القبض على الطيب البرزالي والشيخ خليفة، حاصر الفرنسيون المركز مباشرة بعد أسر المجاهدين المذكورين، ويظن حسين دودو بأن هاتين الحادثتين قد أسفرتا عن إفشاء أسرار الثورة، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك وهو أن العدو الفرنسي ربما يكون قد وجد لدى المناضلين وثائق خاصة تدلهم على بعض مراكز جيش التحرير الوطني، وعليه حوشر المركز يوم 11 جويلية 1955م أين كان يختبئ

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 120.

² - Commandant AZZEDINE, LES FELLAGAS, OP- Cit, p68.

³ - Ebid, p69.

كلا من: الهواري محفوظ، محمد فلاح، قماروي عزازي، مصطفى بن بيرم، مصطفى سلحا، مصطفى الراوي، عمر إدريس، الربيعي، قدور العسكري المكلف بحماية الأسلحة (صانع المتفجرات والقنابل اليدوية)، حسين دودو، السعيد دريوش، والبشير دريوش من الحطاطبة.⁽¹⁾

دامت مدة الاشتباك حوالي ثماني ساعات ابتداء من العاشرة صباحا وإلى غاية الخامسة والنصف مساء، استطاع من خلالها المجاهدون اقتحام الصف الأول من الحصار المكون من ثلاثة صفوف، وتحصنوا في أماكن استيرتاجية، وقد ساعدتهم في ذلك القنابل اليدوية التي كانت بحوزتهم، فقد قدرت بحوالي 200 قنبلة، وهذا ما مكنهم من الصمود يوما كاملا، وقد قدرت حصيلة الاشتباك بما يلي: استشهاد هواري محفوظ، دريوش السعيد، ودريوش البشير، أسر ثماني مجاهدين من بينهم أربعة جرحى وهم: مصطفى بن بيرم، مصطفى الراوي، مصطفى سلحا، عزازي قماروي الذي لم يعرف مصيره بعد هذه العملية، وفلاحي محمد،⁽²⁾ حسين دودو الذي بترت يده اليمنى في المستشفى انتقاما منه، الربيعي، وأمر إدريس، بينما استطاع المناضل قدور العسكري أن يلوذ بالفرار، أما حصيلة الجيش الاستعماري فقد قدرت ب 18 قتيلا و 41 جرحا.

8. كمين بني عريف ببلدية أولاد سلامة 1955م: نصب المناضلون كميناً بدوار بني عريف عند مفترق الطرق بني عريف/العنصر بالمناطق الجبلية في الصباح الباكر من سنة 1955م، خلف استشهاد اثنين من صفوف جيش التحرير الوطني، وإصابة اثنين آخرين بجروح، بينما سقط ثمانية عشر جندياً فرنسياً.

9. هجوم المرجة ببلدية أولاد سلامة سنة 1955م: هو هجوم تم على مركز حراس الغابات، تم فيه غنم 06 بنادق صيد ومؤون.

10. كمين بوفاريك في مارس 1956م: وقع هذا الكمين على طريق واد الثلاثاء ببوفاريك في مارس 1956م، إلا أن نتائجه بقيت مجهولة.⁽³⁾

11. حادثة المصاليين بمنطقة زولي في مارس 1956م: شنت القوات الفرنسية عملية تمشيط واسعة بالمناطق الجبلية ببلدية زولي بمساعدة جماعة من المصليين، فوقع اشتباك بين الطرفين أسفر عن قتل

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 124.

² - نفسه، ص 125.

³ - نفسه، ص 128.

قائد جماعة المصلين وأسر 45 من أتباعه، فكان جراً ذلك رد فعل الجيش الاستعماري وحشياً بانتقامه من السكان العزل بأبشع الصور.⁽¹⁾

12. كمين القهاليز بمفتاح شهر أفريل 1956م: أثار تزايد كمية الخبز الموزعة على دوار القهاليز بالمناطق الجبلية المطلّة على بلدية مفتاح شكوك المخابرات الفرنسية، لذلك أرسلت هذه الأخيرة كتيبة لاستطلاع الوضع، وقد كان حينها علي خوجة⁽²⁾ متواجداً في عين المكان يقود عملية عسكرية، فلما بلغته الأنباء عن قدوم الكتيبة جهز لها كميناً قتل فيه 150 جندياً فرنسياً وغنم أنواعاً متباينة من الأسلحة، وبالمقابل استشهد مناضلين اثنين، وكما جرت العادة صب الاستعمار الفرنسي غضبه على القرية التي فر سكانها منها خوفاً على حياتهم، فما كان إلا من سلطات العدو أن تدمرها عن آخرها وتحولها إلى منطقة محرمة.⁽³⁾

عرفت منطقة القهاليز عملية مهمة جداً شهر ماي من عام 1956م والمعروفة ب معركة دوار

¹ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره ...، المرجع السابق، ص 126.

² - **علي خوجة:** ولد مصطفى خوجة المعروف ثورياً باسم "علي خوجة" يوم 12 جانفي 1933م ببلكور، استدعي لأداء الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، الذي عاد إليه بعدما تم استدعائه مرة أخرى سنة 1955م، كان رفيقه في الثكنة ابن عم علي تازورت الذي كان يعمل في شبكة اتصالات أعمار أوعمران، فطلب منه هذا الأخير أن يخرج معه الأسلحة من الثكنة التي كان فيها، وتمت المهمة بنجاح يوم 16 أكتوبر 1955م عندما لاذ رفقة رفيقه بالفرار من ثكنة بلكور حاملين معهما صندوق فيه 10 رشاشات "مات 49" ومجموعة من القنابل اليدوية "الرمانات"، ليلتحق علي خوجة بعد فراره بجبال الأخضرية التي ستصبح فيما بعد المنطقة الأولى من الولاية الرابعة، وبعد إثبات جدارته في الميدان أسندت له قيادة فوج من المجاهدين، ثم أسندت له قيادة فصيلة كانت تعد الأولى في المنطقة رفقة فصيلة السي لخضر، وبعد النجاحات العسكرية التي حققها علي خوجة مع جنوده ظهرت فكرة تشكيل وحدة عسكرية جديدة متميزة عن باقي وحدات جيش التحرير الوطني التي كانت موجودة بالمنطقة، فاقترح علي خوجة في نهاية شهر جوان 1956م على قيادة المنطقة تشكيل وحدة الكوموندو، فكان تأسيس "كوموندو بوزقة" رفقة نائبه مصطفى لكحل الفار من ثكنة باليسترو، ليعرف لاحقاً الكوموندو بتسمية "كوموندو المنطقة الأولى"، وأطلقت عليه أيضاً تسمية "كوموندو الموت" نظراً للقوة التي كان يتمتع بها أولاً، ولخطورة العمليات والمهام التي كان يقوم بها ثانياً، (للمزيد من المعلومات أنظر: عزيز خيثر، وحدات "كوموندو" الولاية التاريخية الرابعة "1956م-1960م" - نخبة جيش التحرير الوطني، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 05، ع 01، الجزائر، 2021م، ص ص 697، 698).

³ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 127.

القهايلز⁽¹⁾ ماي 1956م، حيث قدم إلى دوار القهايلز قائد كتيبة الكوموندو علي خوجة رفقة نائبه الحاج علي شهر ماي من سنة 1956م حوالي الساعة السادسة مساء قبل نشوب المعركة بثلاثة أيام، وقد شهدت نفس الأمسية عقد اجتماع عام لسكان المنطقة تحت إشراف علي خوجة ونائبه، فحواه توزيع المهام على مناضلي الناحية المتمثلة في الاتصال والمؤونة والمالية ومسؤولية المسبلين.

صادف هذا الوقت من السنة شهر رمضان المعظم، فغادر علي خوجة ونائبه الدوار بمجرد تناولهما الإفطار عند المناضل عمار مشري، متجهين نحو دوار الجبابرة، إلا أنهما سرعان ما عادا في اليوم الموالي إلى دوار القهايلز على الساعة السابعة مساء رفقة أربعين مجاهدا بهدف نصب كمين للعدو الفرنسي، بغية إشغاره بتواجد جيش التحرير الوطني في المنطقة.

قام علي خوجة بتقسيم جنوده إلى أربعة أفواج، حيث أخذ كل فوج مكانه الاستراتيجي في انتظار قدوم جنود الجيش الفرنسي، وكانت بحوزتهم مجموعة من الأسلحة من النوع التالي: مدفع رشاش عيار 24-29، بندقية عشارية من صنع مصري، مسدس رشاش نوع ألماني، رشاش مات 49، والباقي عبارة عن أسلحة أوتوماتيكية بما فيها بنادق الصيد.⁽²⁾

مر يومان وجنود جيش التحرير الوطني ينتظرون دون جدوى -حسب شهادة كل من: حسن دلال،⁽³⁾

¹ - دوار القهايلز: يقع دوار القهايلز بمنطقة مفتاح ضواحي الأربعاء بالبليدة، يحده من الناحية الشرقية دوار زواترا، ومن الناحية الغربية دوار سياخين ومن الناحية الشمالية دوار زروالا، ومن الناحية الجنوبية دوار بني سعدة، يبعد عن منطقة مفتاح مسافة 21 كلم، وعن منطقة الأربعاء بمسافة 20 كلم، وعن منطقة البليدة بـ 52 كلم، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، منشورات قسم الإعلام والثقافة، الجزائر، 1982م، ص 97).

² - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 98.

³ - حسن دلال: ولد حسن دلال سنة 1939م، والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م برتبة جندي، واشتغل بعد الاستقلال موظف بمطار الدار البيضاء، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 97).

محمد زيطار،⁽¹⁾ بوعلام كيد،⁽²⁾ محمد قصار،⁽³⁾ محمد قلفاط،⁽⁴⁾ والصادق مشري،⁽⁵⁾ فقد كان هؤلاء في المنطقة يقومون بمهام الاتصال والتموين، وتخريب مؤسسات العدو ومنشآته-، إلا أنه في اليوم الثالث أقبل جنود الجيش الفرنسي إلى المكان على الساعة السابعة إلا عشرة دقائق، والبالغ عددهم خمسة وأربعون جنديا، وقصدوا مباشرة دار مشري الواس المتواجد فيها فوج من المجاهدين، ومن ثم نشبت المعركة بين الطرفين ودامت نصف ساعة.⁽⁶⁾

كان علي خوجة قد ذهب في مهمة إلى دوار شعبانة المحاذي لمدينة مفتاح، وحين بلغه نشوب المعركة التحق على الفور بجنوده وأشرف على إدارة المعركة بنفسه، وتمكن خلالها من القضاء على معظم جنود الجيش الفرنسي،⁽⁷⁾ فلم ينج من العدد المذكور سوى خمسة جنود وتم غنم أسلحتهم بصفة كاملة.

أرسلت قوات الجيش الفرنسي قوات ضخمة إلى المنطقة في المراكز التالية: مركز الفيض (بوليو- الحراش)، مركز حسين داي، مركز الليدو (برج الكيفان)، مركز الدار البيضاء، مركز خميس الخشة، مركز الأربعاء، بالإضافة إلى المراكز المحيطة بالمنطقة، إلا أن علي خوجة كان قد انسحب وجنوده من الميدان قبل أن تصل قوات العدو إلى هذا الأخير، وبمحض الصدفة حلت بالمنطقة كتيبة للمجاهدين

¹- محمد زيطار: ولد محمد زيطار سنة 1936م، والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م برتبة نقيب، واشتغل بعد الاستقلال شرطي بلدية مفتاح، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 98).

²- بوعلام كيد: ولد بوعلام كيد سنة 1931م، والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م، عرف أثناء الثورة باسم بوعلام كثيرا، حيث كان مسؤولا للقسم، وبعد الاستقلال اشتغل كسائق بمستشفى مفتاح، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 98).

³- محمد قصار: ولد محمد قصار سنة 1925م، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م، كان مسؤولا سياسيا عسكريا، واشتغل بالتجارة بعد الاستقلال، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 98).

⁴- محمد قلفاط: ولد محمد قلفاط سنة 1937م، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1958م، عرف إبان الثورة التحريرية باسم السي الشريف، تولى مسؤولية قائد كتيبة، واشتغل بعد الاستقلال سائقا بمطار الدار البيضاء، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 98).

⁵- الصادق مشري: ولد الصادق مشري سنة 1933م، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956م، كان مسؤولا للتموين، ثم اشتغل بالفلاحة بعد الاستقلال كعامل حر، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 98).

⁶- المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 97، 98.

⁷- المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 98.

متكونة من ثمانين مجاهدا بقيادة المناضل عمر حيشم، فعززت قوات المناضل علي خوجة، وكانت قد وصلت إلى المنطقة قبل وصول قوات الجيش الفرنسي إليها بحوالي عشرة دقائق، فكان لقائهما فرصة توزيع جنوده على الأماكن الاستراتيجية، مع العلم أن الكتيبة كانت تحوي على أربع قطع رشاش من نوع 29/24، وباقي القطع عبارة عن أسلحة أوتوماتيكية بما فيها بنادق الصيد.

دامت المعركة بين الطرفين ثلاث ساعات، استمرت فيها الطلقات النارية إلى غاية اليوم الموالي، وهذا راجع إلى استعمال عمر حيشم لخطة عسكرية أرفقتها نتائج جد إيجابية، من خلال أمره لجنوده بأن يبادروا بإطلاق النيران على الجيش الفرنسي عندما يبدأ في التوغل بالمنطقة، ثم ينسحبون من الميدان في الوقت نفسه الذي يطلق فيه جنود الخصم العنان لنيران رشاشاتهم.

انسحبت كتيبة عمر حيشم من ساحة المعركة بعد أن ألحقت خسائر جسيمة في صفوف الجيش الفرنسي، وبعد أن نجحت في خطتها بتوجيه نيران رشاشات جنود العدو الفرنسي إلى بعضهم البعض، نتيجة سقوط الأمطار الغزيرة، فضلا عن كثافة الضباب وبداية ظلام الليل الذان كانا يلفان المنطقة، فبقوا يصوبون النيران إلى بعضهم البعض إلى غاية أمسية اليوم التالي، في حين كان عمر حيشم قد التحق بكتيبة علي خوجة في الطريق، فأهداه هذا الأخير مدفعا رشاشا كان قد غنمه من نفس المعركة.⁽¹⁾

خسر الجيش الفرنسي في معركة دوار القهاليز 375 قتيلًا و 70 جريحًا، الأمر الذي جعله دائم البحث عن سبب للانتقام من السكان المدنيين العزل حين يعجز عن مواجهة مجاهدي جيش التحرير الوطني، وفعلا استغل حادثة اغتيال أحد المستوطنين من طرف الفدائيين بمدينة مفتاح لتنفيذ جريمته الإنسانية وهي اغتيال مائة شخص داخل المدينة ليلة عيد الفطر المبارك.⁽²⁾

استشهد مجاهدين في صفوف جيش التحرير الوطني وهما محمد علاق، والتونسي، وتم غنم مدفع رشاش من نوع 29-24 رفقة أسلحة الأربعين جنديا الذين تم القضاء عليهم في مطلع المعركة.⁽³⁾

واجهت مدينة الجزائر صعوبات جمة في عمليات التنظيم الأولى خاصة بعد الإجراءات التي اتخذتها فرنسا والمتمثلة في موجة الاعتقالات الواسعة التي مست المناضلي الذين شاركوا في عمليات الفاتح من نوفمبر سنة 1954م، إلا أن المناضلين الاحتياطين الذين لم يشاركوا في هذه العمليات كانوا على

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة...، المرجع السابق، ص 99.

² - نفسه، ص 100.

³ - نفسه.

استعداد تام لمواصلة الكفاح، ولهذا اتخذت مجموعة من الإجراءات والتدابير الأولية من أجل تنظيم الثورة في مدينة الجزائر، والاتصال بالمناضلين وتكوين الأفواج والخلايا العسكرية والسياسية.

كان لرابع بيطاط دورا فعالا في إعادة تشكيل التنظيم الثوري في مدينة الجزائر رغم المدة القصيرة التي تولى فيها مهمة التنظيم، إلا أن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما تم اعتقاله في مارس 1955م، وعن ظروف إلقاء القبض عليه يقول أوعمران: "اتصل بي كريم وأخبرني أن بطاط أُلقي عليه القبض بسبب مناضل خائن يدعى "لاجودان"، كان قد طلب مقابلتنا جميعا (بطاط، كريم، وأوعمران)، ولأن بطاط كان قد ذهب بمفرده فقد أُلقي عليه القبض، وعند سماعي الخبر التحقت بالعاصمة في شهر أفريل رفقة مناضل يدعى السي الحنفي وكان مريضا جدا-، لتتصل بعبان وكريم في شارع "Vobon"، ولأن الاتصال تأخر، وقعنا في مواجهة مع شرطين، حدث أثناءها تبادل لعيارات نارية، لكننا تمكنا من الفرار، حيث اختبأنا في مخبزة ملك لمناضل يدعى السي الجيلالي بحسين داي، قضيت الليلة عنده رفقة السي الشريف (علي ملاح) ثم انتقلت إلى منزل مناضل آخر يدعى حسين العسكري ب "Verdin".⁽¹⁾

كان لحادثتي استشهاد ديدوش مراد في 18 جانفي 1955م واعتقال مصطفى بن بولعيد في فيفري 1955م أثرا كبيرا على مسار الثورة التحريرية، إلا أن التحاق عبان رمضان بالثورة في جانفي 1955م كان له الأثر البالغ على تنظيمها خاصة في المدن، أما في الجبال فقد تشكلت النواة الأولى لجيش التحرير الوطني بالمنطقة الرابعة وهو ما عرف بمركز "سيدي موحا بن عيش"، وفي مارس 1955م تم القبض على رابع بيطاط وخلفه "أعمر أوعمران" على رأس المنطقة الرابعة.⁽²⁾

برزت قيادة جديدة بالجزائر بعد إلقاء القبض على رابع بيطاط ترأسها كريم بلقاسم، عبان رمضان، وأعمر أوعمران، حيث تم تعيين هذا الأخير مسؤولا عن المنطقة الرابعة التاريخية، ثم تدعمت هذه النواة الجديدة بعناصر فعالة ساهمت بشكل كبير في تشكيل الشبكات الفدائية في الجزائر، وربط الاتصال بالمناطق الأخرى وهذا من أجل تنسيق العمل الثوري، وتعتبر المجموعة المتكونة من العناصر الآتية الذكر القيادة الأولى للتنظيم الثوري في مدينة الجزائر وهي التي بادرت بالاتصال بالشخصيات القيادية في الثورة: كديدوش مراد، كريم بلقاسم، أعمر أوعمران، ويوسف سعدي، ثم التحق بهم ذبيح شريف الذي كان بفرنسا آنذاك، وكان لهذا الأخير دورا فعالا في إعادة تفعيل النشاط الفدائي في مدينة الجزائر، بعد أن قام

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص 81.

² - مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، المرجع السابق، ص 18.

بتكوين مجموعة مكونة من صالح بوحارة، حمدي، لجقام، قاسم محمد، جعفر، عبد الرحمان لعلا، وكان هذا التنظيم وراء الكثير من العمليات التي نفذت في العاصمة سنة 1955م.⁽¹⁾

واجه العمل الثوري في مدينة الجزائر ظهور تنظيم الحركة الوطنية الجزائرية كتنظيم معادي لتنظيم جبهة التحرير الوطني، وفي بدايته كان العديد من المناضلين لا يفرقون بين التنظيمين، ولم يستدركوا ذلك إلا بعد عدة شهور، وفي هذا الصدد يقول المناضل علي الهادي: "إن السيد مصطفى زكال كان يجمع الاشتراك لتنظيم بلونيس، واتصل ابنه حميد بي وأخبرني أن والده يشك في هذا التنظيم، وأن بحوزته ثلاثة ملايين فرنك فرنسي مايعادل سنة من المساعدات لعائلات المعتقلين، فأخبرته أن يقول لوالده بأن لا يعطي هذا المبلغ لأي شخص، بل يحتفظ به، وذهبت إلى مصطفى فتال وأخبرته بالأمر، فأمرني أن أتوجه إلى منزل مختار بوشافة لأقابل أوعمران، ولما تمت المقابلة استدعي مصطفى وقد عرض عليه أوعمران التوجه معه إلى مراكز جيش التحرير في الجبال ليتعرف بنفسه على المناضلين والمجاهدين الحقيقيين، وبعد اقتناعه بالأمر أخبرهم بمكان وجود المال".⁽²⁾

واجهت جبهة التحرير الوطني تنظيم الحركة الوطنية الجزائرية وقضت على مسئولها بمدينة الجزائر "رحاني"، عن طريق بوشافة مختار كما حاولت إقناع عناصرها بضرورة الانضمام للعمل الثوري، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، لأن هؤلاء طالبوا بتعيين مصالي الحاج قائدا للثورة ومع تلاميذهم في معاداة قيادة الجبهة قررت هذه الأخيرة التصدي لهم بقوة وصرامة شديتين.

عانت المنطقة الرابعة التاريخية كغيرها من المناطق الثورية مشكل التسليح والتمويل والتمويل، وباعتبار مدينة الجزائر القلب النابض للثورة فإنها كانت تقوم بالدور المزدوج، العمل الثوري الميداني، وتدعيم المناطق الأخرى بكل الإمكانيات المتاحة.⁽³⁾

سافر ياسف سعدي في ماي 1955م إلى باريس في إطار البحث عن الدعم، وكانت مهمته مقتصرة في الالتحاق بأحد قادة جبهة التحرير الوطني بسويسرا، لشرح الوضعية التي تعيشها المنطقة الرابعة خلال هذه الفترة، ومطالبتهم بتوفير الحاجيات اللازمة من الأسلحة والمتجرات ولكن ألقى عليه القبض في زيوريخ رفقة محمد بوضياف وأحمد مهساس، وأطلق سراحهم بعد 10 أيام من الاعتقال، ومن ثم توجه ياسف سعدي نحو بروكسل إلا أنه وقع تحت قبضة البوليس البلجيكي إثر محاولة فاشلة من طرفه

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص 81 ، 82.

² - نفسه، ص 82.

³ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص 82، 83.

للركوب في إحدى بواخر الشحن للذهاب إلى طنجة، فعاد إلى الجزائر عن طريق باريس لكن أُلقي عليه القبض مرة أخرى من قبل السلطات الفرنسية، لكنه بقي على اتصال دائم مع حديدوش وهو داخل السجن. عمل بعض المناضلين في هذه الفترة على تنظيم أنفسهم في شكل أفواج فدائية لمواصلة الكفاح الثوري ومن بينهم مختار بوشافة، ومصطفى فتال، فقد قام هذا الأخير بتنظيم مجموعات في قطاعات مختلفة مثل كلو-سالامبي وبلكور، القصبية، وكان حديدوش هو المنسق الفعلي بينهم وبين عبان رمضان.⁽¹⁾

شرع ياسف سعدي بعد إطلاق سراحه في تنظيم المجموعات المسلحة مع حديدوش، لينظم إليهم صالح بوحارة، علي لابوانت، ولاحقا أحمد لغراب، عرباجي، بغدادي لشنوا، قبيلي، بوخالفة خليفة، تواتي سعيد، علي سرجون، والإخوة عمارة.

التقى ياسف سعدي ببوحارة في 19 جانفي 1956م وشرح معه أولى معالم الهيكل التنظيمي للعمل الفدائي بمدينة الجزائر، ليتوصل لاحقا إلى صياغة الهيكل التنظيمي لمدينة الجزائر وتم تقسيمها إلى ثلاث نواحي كما يلي:

- الناحية الأولى: وتشمل على شاتو نوف، الأبيار، القصبية، الحي الأوروبي، وشامانوف.⁽²⁾
- الناحية الثانية: وتمتد إلى غاية ميزون كاري، مرورا ببلكور وكلو- سالومبي، لارودوت، القبة، بئر مراد رايس، وحسين داي.
- الناحية الثالثة: وتمتد من باب الواد إلى قيوفيل وتضم بوفريزي، وفري فالون، نوتردام أفريك وسانت أوجين غربا.⁽³⁾

كان يرأس كل ناحية مسؤول بمساعدة نائبين وتنقسم كل ناحية إلى أقسام وكل قسم ينقسم إلى فروع وكل فرع ينقسم إلى أفواج، وكل فوج ينقسم إلى هياكل قاعدية بالأحياء، وبهذا تم حل الشبكات الفدائية الأولى وأعضائها أدمجوا في النواحي الثلاثة الجديدة، وتكفل بمهمة إعادة التنظيم شرقي إبراهيم. تبلور العمل الثوري في مدينة الجزائر حيث عازمت جبهة التحرير الوطني على فرض هيمنتها بأساليب وطرق ثورية منها تصديها للحركات المتمردة والمتخاذلة، وقد عرفت مواجهة صراعات وعقبات على مستويات مختلفة شكلت حواجز بالنسبة لمسيرة الثورة، فكان عليها في البداية القضاء على الحزب

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية...، المرجع السابق، ص 83.

² - نفسه.

³ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص 83، 84.

الشيوعي الجزائري لأنه قام بأعمال مغرضة تهدف إلى فرض وجوده وإعطائه شرعية التمثيل السياسي مستقبلا، ومن بين هذه الأعمال المغرضة قيامه بعملية تخريبية في المرسى وإلقاء قنبلة على إحدى مراكز الشرطة، وتهريب شاحنة محملة بالأسلحة من طرف الملازم "مايو" لتنظيم عمل مسلح بالجبال الذي أطلق عليه اسم الجبل الأحمر وذلك سنة 1956م، وكان رد فعل الجبهة أن كلفت بعض المناضلين بالاتصال برؤساء الحركة لإفشالها والتمكن من أخذ سلاحها، وكانت نتيجتها أن انضم أفراد هذه الحركة بصورة فردية إلى صفوف جيش التحرير الوطني.⁽¹⁾

تولى عبان رمضان مهمة الاتصال بالشخصيات الجزائرية وإقناعها بالانضمام إلى جبهة التحرير الوطني، وبالفعل فقد انضم الكثير من المركزيين أمثال بن يوسف بن خدة، سعد دحلب، ومحمد لبجاوي من الحزب الشيوعي، كما كان لياسف سعدي وعلي لابوانت دورا كبيرا في تحضير القصبة، إذ استغل لياسف سعدي معرفته الجيدة بحي القصبة وبدأ في العمل وذلك بإيجاد مخابئ وملاجئ سرية ومراكز الصناديق البريدية، كما ساعدته مخبزة أبيه في عملية الاتصال بأبناء الحي والعمل على ضمهم إلى الثورة، وبالتالي فيمكن حصر نشاط مدينة الجزائر خلال هذه الفترة فيما يلي:

- تدعيم المناضلين في الجبال وفي مناطق الوطن الأخرى بكل الإمكانيات.
- جمع المعلومات حول تحركات العدو الفرنسي.
- جمع المال، السلاح، واللباس.
- ترهيب وتحذير الجزائريين المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي.
- إثبات قدرات الثورة الجزائرية على ضرب كل من تسول له نفسه للوقوف في طريقها.
- إثبات قدرة الثورة التحريرية على حماية المتعاونين معها.
- القيام بعمليات التطهير وتصفية الخونة والمتعاونين مع السلطات الاستعمارية وحراس السجون لتهيئة الجو وانتشار الثورة أواسط الشعب.

* الشبكات الفدائية التي نشطت بمدينة الجزائر:

نشطت مجموعة من الشبكات الفدائية بمدينة الجزائر نورها فيما يلي:

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية ...، المرجع السابق، ص 85.

1- شبكة بلكور: والتي تتكون من: مختار بوشافة، مصطفى فتال، محمد إيلول الطيب⁽¹⁾، خالد رملة، إبراهيم ماحي، عبد القادر حسني، محمد بوبكر، عمر كانون، لخضر فركوس، مصطفى ابن نعمان، حميدات كوبي، ومحمد حدوش.

2- شبكة المدنية (المرادية): وضمت كل من: محمد محمدي زرق العيون، عبد الرحمان لعلا، سعيد مدني المدعو لبتي، إلياس دريش، محمد قاسم، السعيد إيليس، وعبدى جعفر مجدقان.

3- شبكة حسين داي: والتي ضمت: محمد زيوي، عيسى نايلي، الهادي زرماني، محمد عادل، محمد شريفي طابروت، والسعيد بناي.

4- شبكة الحراش: وتتكون من: حسن باي، عبد القادر دوبا، عمار شبلي، ومحمد إيدير قماروي.

5- شبكة القصبة: والمتضمنة كل من: حديدوش، ياسف سعدي، صالح بوحارة، علي لابوانت، عبد القادر عرباجي، أحمد لغراب، أحمد لغواطي، غرمول، والإخوان موساوي.

6- شبكة باب الوادي: والتي ضمت كل من: أرزقي المكي، عمار حمادي، حسن العسكري، مولود عمران، وفرحاني.⁽²⁾

تأخرت العمليات الأولى في الناحية الغربية للمنطقة وهذا راجع لمجموعة من الأسباب نورد أبرزها فيما يلي: وجود تنظيمات موازية لجبهة التحرير الوطني منها تنظيم بلحاج الجيلالي عبد القادر المدعو "كوبيس"، فضلا عن وجود مجموعات مسلحة موالية للشيوعيين بمنطقة عين الدفلى، بالإضافة إلى إلقاء القبض على عدد كبير من المناضلين الذين كان يعول عليهم نشر الثورة في الناحية مباشرة بعد تفجيرها، إلا أن هذا لا ينف وجود خلايا منعزلة بادرت بتنظيم السكان ونشر الثورة من خلال تعبئة الجماهير حولها على غرار فوج خميس مليانة.⁽³⁾

التحقت عناصر جديدة بمواقعها في الظهرة والونشريس ابتداء من سنة 1955م، أين التحق الجيلالي بونعام خفية بأوريونفيل (الشلف حاليا)، ليتصل بمعاقل الكفاح فوجد أن التنظيم قد قطع أشواطاً لا بأس

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 86.

² - نفسه، ص ص 87، 88.

³ - عيسى حمري، الثورة التحريرية في الولاية الرابعة "المنطقة الثالثة أنموذجاً" (1956م-1962م)، المرجع السابق، ص 42.

بها في المنطقة، فالتقى بأحمد بوقرة في جبال الونشريس والظهرة لتفعيل العمل الثوري وهكذا تشكلت جبهة وجيش التحرير الوطنيين لينتشر التنظيم عبر باقي نواحي المنطقة الرابعة التاريخية.⁽¹⁾

أشرف الجيلالي بونعامة بالتنسيق مع ثوار مناطق زكار والظهرة، على وضع التنظيمات الأولية للثورة بالأماكن المتاخمة لجبال الونشريس خاصة في الفترة الممتدة ما بين (1955م-1956م)، فامتد نشاطه في كل من الشلف، الخميس، وبرج بونعامة، وعرف بحسن المعاملة والتدبير والتنظيم، مما أكسبه ثقة المواطنين والمجاهدين،⁽²⁾ خصوصا بعد تطبيقه للاستراتيجية التالية:

1. توظيف خبرته العسكرية التي اكتسبها من المنظمة الخاصة في مجال إعداد الأفواج العسكرية والتدريب على حرب العصابات وكيفية استغلال الوسط الطبيعي بالإضافة إلى الانضباط ودقة التنظيم.
2. إعطاء الأولوية للشباب الذين سبق لهم النشاط العسكري نظرا لاكتسابهم للخبرة العسكرية التي ستمكنهم من القيام بمهامهم الجديدة في صفوف جيش التحرير الوطني، كمدرّبين للأفواج العسكرية التي أنشأها بونعامة، ثم كقادة للهياكل العسكرية في كل المستويات (الأقسام، النواحي، المناطق، ثم الولاية).⁽³⁾
3. تنسيق العمل السياسي والعسكري مع الطيب الجغلاي في نواحي المدية، ومع كريتيلى مخطار في نواحي المتيجة، مما جعل طرق التحضير السياسي والعسكري متشابهة في إطارها العام في كل المنطقة الرابعة التاريخية ومتكاملة فيما بينها.⁽⁴⁾

بدأت تتشكل الخلايا التي عملت على نشر التوعية وهيكلية التنظيم وجمع الأسلحة والأموال والأدوية والألبسة في الونشريس، مع التأكيد على الطابع الشعبي للثورة عن طريق توزيع النداءات المشجعة على الالتحاق بالعمل الثوري ونذكر منها: "يا أخي لجزائري يالي راك عسكري عند فرنسا وتشوف القتل والحرق والتعذيب والدم والنار والدموع، كل هذا في وطنك الجزائري وعلى خوتك الجزائريين، صار ترضى هذا، يا أخي الجزائري القلب الطاهر مايرضاش بهذا، أحمل سلاحك وأرجع لخوتك المجاهدين الطاهرين، وبين بللي الجزائريين خوتك، الي نصحك حبك".⁽⁵⁾

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص46.

² - نفسه.

³ - أحمد بوحوم، استراتيجية البعد التنظيمي في الولاية التاريخية الرابعة، ع01، الجزائر، 2011م، ص139.

⁴ - نفسه.

⁵ - المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية تيسمسيلت، السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية تيسمسيلت، ص11.

كون الطيب الجغلالي في المنطقة الممتدة من المدينة غربا إلى نواحي عين بسام والأخضرية شرقا مجموعة من الأفواج العسكرية، حيث قام بتنظيمها وتكوينها سياسيا وعسكريا في الفترة الممتدة ما بين (1954م-1956م)، فقد حرص حرصا شديدا على التحضير للعمل المسلح في المنطقة بفعل اتصالاته بشيوخ وطلبة الزوايا الذين كان على تواصل بهم في إطار النشاط العلمي والديني الثوريين، ليقوم بجمع نحو 600 بندقية وكمية من الذخيرة، واستطاع سنة 1955م أن يشكل كتيبة عسكرية قدر عدد أفرادها ب102 جنديا، وأرسل في نفس السنة مجموعة أفواج بتعداد 102 جنديا إلى جبال الزبربر للاطلاع على نشاط مناضلي المنطقة الثالثة، كما أرسل أفواجا أخرى إلى جبال الوزانة وبومعالي (الغيساوية) قصد التدريب على استخدام السلاح.⁽¹⁾

تميزت الفترة الممتدة ما بين (1954م-1956م) عموما بإحداث خلايا جهوية وتنظيم نشاط جبهة التحرير الوطني في المدن والقرى والأرياف، بغية شرح الأهداف الرئيسية للثورة ودعمها بشتى الوسائل المختلفة، عن طريق رصد تحركات الجيش الفرنسي وتوفير كل ضروريات الدعم اللوجستيكي، وكي لا تتكشف هذه ⁽²⁾الخلايا حرصت كل الحرص على عدم التنسيق بينها، كون أن نشاطها يستدعي السرية، خصوصا وأن الإدارة الاستعمارية كانت تلقي القبض على كل شخص مشتببه فيه بأنه يدعم ويساند الثورة. اتسمت هذه الفترة أيضا بكون أن العمليات العسكرية التي نفذها أفواج من المسبلين شملت إعدام المستوطنين وتخريب ممتلكاتهم، كما ألحقت خسائر كبيرة بشبكات الهاتف والكهرباء، وفي الوقت نفسه شهدت تحطيم الجسور والطرق بهدف ضرب وإحاق خسائر كبيرة بمصالح الاقتصاد الفرنسي، من خلال استهداف أرزاق الكولون من شاحنات وحافلات وحتى القطاع العام، فوصل الأمر حتى إلى تدمير منشآت الإدارة الفرنسية.

شهدت الجهة الشرقية من المنطقة الرابعة التاريخية نشاطا مكثفا بعد اندلاع الثورة التحريرية، فمن جهة كانت بها مجموعة من المناضلين المستعدين لمباشرة الكفاح المسلح، ومن جهة أخرى التحقت بها بعض الشخصيات التي ستلعب دورا هاما في ترسيخ النظام الثوري بالمنطقة، أمثال أوعمران، أحمد بوقرة، محي الدين برزوان (السي جعفر)، السعيد بن طوبال، وغيرهم، وهذا نتيجة للسياسة التي جسدتها المنطقة الرابعة بهدف نشر الثورة في هذه الجهة، والتي اعتمدت فيها على الإجراءات التالية: تجنيد المناضلين

¹- أمحمد بوحوم، استراتيجيات البعد التنظيمي في الولاية التاريخية الرابعة، المرجع السابق، ص137.

²- بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية، ثورة أول نوفمبر 1954م "معالمها الأساسية"، الجزائر: دار النعمان، 2012م، ص179.

لتدعيم الأفواج العسكرية المشكلة حديثاً، ومن بين الذين ساهموا في تشكيل هذه الأفواج حسب العديد من شهادات المناضلين أحمد بوقرة، تنفيذ العمليات العسكرية لغنم الأسلحة خاصة مع النقص الذي كانت تعرفه المنطقة وضرب المصالح الاقتصادية للعدو كقطع أسلاك الهاتف وحرق بعض مزارع المستوطنين، والقضاء على الشخصيات العميلة للاستعمار،⁽¹⁾ تكوين وتدريب الأفواج العسكرية، وكان قد ساهم المجندون الجزائريون الفارون من الجيش الفرنسي دوراً هاماً في هذا المجال، فعلى سبيل المثال كان لعلّي خوجة دوراً مميزاً في هذا المجال بعد التحاقه بالمنطقة إثر فراره من ثكنة بودواو سنة 1955م، حيث تم اختياره كمسئول عن الأفواج العسكرية بالمنطقة، فاختار منها أحسن العناصر وكون وحدته التي سميت بالكوموندو، ونذكر أيضاً مصطفى لكحل الذي فر من ثكنة باليسترو والتحق بصفوف الثورة في هذه المنطقة.⁽²⁾

قسم أعمار أو عمران أثناء تواجده بهذه الجهة المنطقة إلى أفواج، وعين مسئولّي الأفواج من المناضلين على النحو التالي:

* فوج دوار بني خلفون: أشرف عليه الشيخ السعيد.

* فوج دوار معالة: أشرف عليه المدعو عمار الشايح.⁽³⁾

* فوج دوار إيسري: أشرف عليه المدعو دواوي.

* فوج دوار قرقور: أشرف عليه المدعو لونييس.

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجاً"، المرجع السابق، ص 88.

² - نفسه.

³ - **عمار الشايح**: ينتسب عمار الشايح إلى قرية المعالة بباليسترو، أدخل إلى كتاب القرية وهو في السادسة من عمره فحفظ القرآن الكريم، وبسبب الفقر توقف عن الدراسة واتجه نحو العمل لدى أحد المستوطنين، وقد ألهمت المشاهد المأساوية الآتية من معاملات المستوطنين مع الجزائريين الشعور الوطني لدى عمر الشايح فانتقل إلى بلكور أين بدأ العمل في التجارة، فانخرط فيها في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية سنة 1945م، فاتصل بدوار المعالة رفقة مسئولين في الحركة الوطنية وأشرف على تنظيم الخلايا وعقد الاجتماعات التي استدعي إليها الشباب الوطنيين، وهكذا تمكن من بث شبكة التنظيم بالمنطقة، وقد تبنى موقف الحياد أثناء الشقاق في صفوف الحركة الوطنية، وبقي على اتصال بالمناضلين الموجودين بالأخضرية، أشرف على تدريب الأفواج الأولى لجيش التحرير الوطني بالمنطقة، وشرع في تكوين الخلايا الموجودة بالمنطقة، وفي التعبئة الجماهيرية، وفي بداية سنة 1955م نفذ مشروع إنشاء فوج منظم للمنطقة من المجاهدين، حيث ترأس بنفسه فوج المعالة ونواحيها وبدأ في تنفيذ العمليات العسكرية المنظمة بالناحية، مبرهنًا بذلك على قدرته التنظيمية بالرغم من الحصار الذي ضربته الإدارة الإستعمارية على المنطقة، وفي جانفي 1958م سقط عمار الشايح في معركة غير متكافئة مع زميلين له بقرية غزيباوان في بني عمران ببومرداس، (للمزيد من المعلومات أنظر: عبد القادر ماجن، الشهيد الشايح عمار، مجلة أول نوفمبر، العدد 77، الجزائر، (د.ت)، ص ص 46، 47).

*فوج فوج بني عمران: أشرف عليه المدعو موحا التوم.

*فوج دوار أولاد عيسى: أشرف عليه أحمد فودي.⁽¹⁾

كما حرصت قيادة المنطقة الرابعة التاريخية على تثبيت دعائم العمل الثوري بها وذلك من خلال تقسيم المهام وتحديد المسؤوليات والأهداف وتعيين الأماكن الاستراتيجية وإنشاء الملاجئ وحفر المخابئ وجمع الاشتراكات من المواطنين الجزائريين، ولقد كانت هذه الأخيرة تدفع حسب إمكانيات كل فرد، وتدفع كذلك عينا إما قمحا، شعيرا، أو زيتا، كما تم الحرص على تنسيق العمل الثوري بين مختلف قيادات وأجزاء المنطقة عن طريق إنشاء مراكز اتصال وعبور بين مختلف الأقسام والنواحي، فمثلا نجد ناحية تابلاط وحدها بلغ فيها عدد مراكز الاتصال والعبور حوالي إحدى عشر مركزا ثلاثة منها بالعيساوية، ومثلها بفتح الحوضين وأربعة بمزغنة ومركز واحد بتابلاط.

ولتسهيل عملية التنظيم قسمت الجهة الشرقية من المنطقة الرابعة التاريخية في شهر جانفي 1955م إلى أقسام موزعة كما يلي:

* المعالة والسبت وبوكرام: تولى مسؤوليتها عمار الشايع.

* يسر وتابلاط: تولى مسؤوليتها علي الداودي.

* الأخرية: تولى مسؤوليتها رابح مقراني المدعو السي لخضر.

* بني عمران: أشرف عليها أوزير السعيد المدعو عمرو.

* الزبربر بداور الميهوب: تولى مسؤوليتها رابح زيراري السي عز الدين.

استهدفت أول عملية فدائية بمستوطنة باليسترو⁽²⁾ (الأخرية حاليا) قرية الغوال، وهي قرية من قرى

دوار معالة محصنة طبيعيا ومغطاة بأشجار الصنوبر ولها عدة معابر، تمكن من خلالها مراقبة القادمين

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية (1954م-1962م) "الولاية الرابعة أنموذجا"، المرجع السابق، ص 89.

² - **مستوطنة باليسترو**: كانت منطقة باليسترو منذ إعادة الترتيب والتنظيم الإداري الذي عرفته في ظل الاحتلال الفرنسي سنة 1837م تضم عددا معتبرا من الدواوير، وهي تقه بين أربعة أقليم هي: إقليم الثنية، عين بسام، ذراع الميزان، وإقليم الأربعاء، حيث حدد المعهد الوطني للكارتوغرافية بالجزائر على النحو التالي: يحد منطقة باليسترو من الناحية الشمالية إقليم الثنية، ومن الناحية الجنوبية إقليم عين بسام، ومن الناحية الشرقية يحدها لإقليم ذراع الميزان، أما من الناحية الغربية فيحدها إقليم الأربعاء، وتمتاز المنطقة بسلسلة جبال عالية متشابكة مع بعضها، وتجري في خنادقها وديان وجداول كثيرة في اتجاهات مختلفة، وأشهرها: واد بوعمود، واد يسر، واد زروة وواد المالح، أما أشهر مخانقها فنذكر: مخانق باليسترو التي توجد بأعلىها مغارة تيزي غير، وخانق بوزقة، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصالح بجاي، دراسة تاريخية لمنطقة باليسترو بالجزائر (1869م-1962م)، مصر: المكتب العربي للمعارف، 2016م، ص ص 25، 26).

باتجاهها، وتقع هذه القرية في سفح جبال معالة العليا يقطعها طوليا من الجهة إلى الشرقية واد بورجة الذي يصب في واد يسر بالجهة الجنوبية الغربية لمستوطنة باليسترو، بالقرب من قرية تاصلحت الواقعة أسفل سفح جبل بورباش.⁽¹⁾

نفذت العملية ضد موسى موساوي من أولاد سلام ببلدية معالة، حيث كان هذا الأخير شيخ فرقة الآغوال وما جاورها من الأعازيب وأحد أعوان الاستعمار الشرسين، إلا أن إقامته الدائمة كانت في مستوطنة باليسترو، ولذلك كلف القائمون على التنظيم وقتها كلا من الفدائيين أو شن مصطفى المدعو مصطفى الكحلوش وموح الدراجي المدعو باحمد محمد⁽²⁾ بتنفيذ العملية في شهر مارس 1955م.

كان الهدف من جراء هذه العملية هو إحراج السلطات العسكرية في مستوطنة باليسترو، وتصحيح معتقدهم الخاطئ بأن المنطقة محروسة من الثوار ولا يستطيعون دخولها، هذا من جهة ومن جهة أخرى إدخال الرعب في نفوس المتعاونين معهم تمهيدا لمطالبتهم بالاستقالة من مناصبهم.⁽³⁾

نجا شيخ الفرقة من الموت بأعجوبة بعد إصابته بجروح بليغة الخطورة نقل على إثرها إلى فرنسا لإجراء عملية جراحية من قبل السلطات الاستعمارية، وعاد إلى منطقة باليسترو ليستقر بها مجددا إلى غاية الاستقلال، بينما لاذ الفدائيان بالفرار عبر نفق كان يستعمله أحد المستوطنين لتفريغ الفضلات المتبقية من إنتاج الخمر ويصب النفق بالجهة الغربية الشمالية لمستوطنة باليسترو.

تمكن الفدائيان من الإفلات حيث وصلا الهرب خارج محيط المستوطنة، ليتم تجنيدهما في صفوف جيش التحرير الوطني، فقد كان النظام يقتضي حينها أن يقوم الراغب في الالتحاق بالمناضلين بالقيام بعملية فدائية تكون ناجحة، يثبت فيها شجاعته وقدرته على الفر أولا ووصدقه وولاءه للثورة الجزائرية ثانيا.⁽⁴⁾

خسر الجيش الفرنسي سنة 1955م بمنطقة باليسترو 185 جنديا بما فيهم عشرة ضباط (حرر واحد منهم)، وأعدم 22 مدنيا حاملا للسلاح، كما أسقطت طائرة، وقضى على عدة سيارات عسكرية وألحقت بها أضرار جسيمة، كما تم الاستيلاء على مجموعة من الأسلحة على رأسها بندقيتين رشاشيتين من نوع

¹ - محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص 439.

² - استشهد مصطفى كحلوش في معركة عين الدفلى بجبال بوزقرة في بداية السداسي الثاني من سنة 1956م، بينما التحق رفيقه بصوف الثوار إلى أن اختل عقليا فاضطر المجاهدون إلى التخلي عنه، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص 441).

³ - محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص 440.

⁴ - نفسه، ص 441.

54/29 بعلبة مجهزة، وست رشاشات خفيفة ب38 علبة و100 فشكة 7/68 طولاً و04 بندقيات ماس 49 شبه أوتوماتيكي ب14 علبة و26 مفرقة يدوية وآليتين للإرسال والقبض اللاسلكي وخريطة رسم البلد، كما استولى جيش التحرير الوطني على كل الأجهزة التي كانت بحوزة الجيش الفرنسي.⁽¹⁾

ساهمت عمليات التخريب التي قامت بها عناصر جيش التحرير الوطني بالمنطقة في إفساد خط السكة الحديدية وتقجير أربعة عشر قطارا وإحراق 28 مزرعة تابعة للمستوطنين، كما أريدت 17 سيارة و15 جرارا وآلة للحصاد و03 شاحنات وعدة دكاكين، كما خربت الطرق والمخارج، والأعمدة الكهربائية ثمانية عشر مرة وقنوات الماء 10 مرات، وأحرق 200 قنطارا من التبن و26 كومة علفا، كما قطعت 764 من الأوتاد التيليغرافية ومحقت 48 عمودا كهربائيا وخربت أربعين معامل تخريبا متفاوت النتائج، وقد اعترف الجيش الفرنسي بالخسارة التي ألحقت بمعمل الآجر والتي قدرها بخمسين مليونا، وبالمقابل خسر جيش التحرير الوطني ثلاثة وعشرين مجاهدا وثمانية وعشرين جريحا من المجاهدين المسبلين، كما فقدت ثمانية رجال.⁽²⁾

التقى رجال منطقة باليسترو في المخبأ السري الذي كان في ساحة بيت المجاهد السي أحمد بجاوي رفيق قايد بوكرام،⁽³⁾ حيث تعرف هذا الأخير على قادة الثورة بالمنطقة أول مرة حين تم لقاءه بكل من أعمار أوعمران والسي صالح الذي كان يشغل نائباً لكريم بلقاسم أحد أقطاب ثورة الفاتح من نوفمبر

¹ - جريدة المجاهد، لازل النصر متواصلا "بعض اليوميات لجيش التحرير الوطني"، ع03، 01/09/1956م، ص28.

² - نفسه.

³ - قايد بوكرام: ولد محمد بن محمد قايد بتاريخ 01 مارس 1908م بقرية قرينجيل دوار بوكرام، وهو سليل عائلة نوارثت وظيفة القايد في الدوار منذ سنة 1851م، دخل زاوية قريته في سن مبكرة حيث حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة من عمره، أعده والده قايد الدوار لمهمة القيادة رغم صغر سنه، عين قايدا للدوار خلفا لأبيه سنة 1940م، وعند اندلاع ثورة التحرير في 01 نوفمبر 1954م حرص القايد على إقناع السكان بضرورة مساندة الثورة كما كان هو يساندها بالرأي والمال، ألقي عليه القبض في سوق الحد أثناء توجهه في حافلة من مدينة باليسترو إلى مدينة الجزائر، وبقي هناك مدة 12 يوا تعرض فيها لكل أنواع التعذيب النفسي والجسدي، استشهد القايد يوم 16 جويلية 1957م في معركة تاقدرت رفقة رفيقه المجاهد السي الوناس، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص- ص482، 483، 484، 485).

1954م، وقد كان برفقتهم رابح مقراني المدعو السي لخضر⁽¹⁾ ابن قرية قرقور المتاخمة لمستوطنة باليسترو، وكان الحضور هذه المرة مقتصرًا على السي علي خوجة قائد فرقة الكوموندوس والذي كان ينشط في محور منطقتي باليسترو والبويرة واصلًا إلى حدود سور الغزلان، وقد رافقه في هذا اللقاء أحد رجال كتيبته رويس بشير والقايد محمد وعبد القادر موهوب.⁽²⁾

اعتمد السي لخضر في استراتيجيته العسكرية بمنطقة باليسترو على الاستعانة بالمجاهدين علي خوجة ورابح زيراري المدعو الرائد عز الدين في تشكيل الخلايا السياسية والأفواج العسكرية، والتي من بينها الأفواج الثلاثة الأولى التي شكلها سنة 1955م، والتي تعد نواة كوموندوس علي خوجة، كما قام بتنسيق العمل مع قائد المنطقة أعمر أوعمران بحيث أصبحت جبال الزبير وبوزقزة مركزًا لتدريب الأفواج القادمة من العاصمة، أما بمجرد ولوج سنة 1956م أضحت العمل الثوري عملاً عسكرياً بحثاً بسبب توفر الإمكانيات المادية والبشرية للثورة، فكثف من العمليات العسكرية في منعرجات تابلاط، ونواحي الأخضرية، خميس الخشنة، وفي جبال بوزقزة وغيرها.⁽³⁾

تحدث قائد الكوموندوس علي خوجة في الجلسة عن أهمية العمليات التي تنفذها وحداته ضد مصالح الفرنسي وجيشها، ونلخصها فيما يلي:

¹ - السي لخضر (1934م - 1958م): ولد رابح مقراني المدعو السي لخضر في قرية قرقور الواقعة على بعد 04 أو 05 كلم غرب مستوطنة باليسترو بتاريخ 06 نوفمبر 1934م من عائلة متواضعة، حفظ نصيباً من القرآن الكريم بكتاب القرية ثم التحق بالمدرسة الكولونiale في المستوطنة والوحدة آنذاك والتي كانت تسمى مدرسة الذكور المركزية، كان رابح مقراني يبيع جريدة Algérie libre سنة 1945م، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية وجد نفسه مضطراً إلى ولوج عالم الشغل، فالتحق بمركز التكوين المهني بالحراش حيث زاول تربضه هناك وتخرج بشهادة الكفاءة المهنية في أشغال البناء، فقد كانت المهنة الوحيدة المسموح بها لأبناء الجزائريين آنذاك، اتصلت جبهة التحرير الوطني بالشباب البناء قبيل اندلاع الكفاح المسلح، وكلفته بتنظيم الشباب كي يلتحقوا بالجبال، وفي بداية سنة 1955م كانت منطقة باليسترو وعين بسام مسرحاً للنشاط الحربي الذي يقوده الشاب رابح مقراني والذي صار اسمه الثوري السي لخضر، وأصبح هذا الأخير المسئول العسكري والسياسي الأول بمنطقة باليسترو، وفي بداية سنة 1957م تم تعيينه بمجلس الولاية الرابعة نائباً للعقيد السي أمحمد بوقرة، فعمد إلى تطبيق خطة واسعة تهدف إلى تكوين وتنظيم عناصر جيش التحرير الوطني بهدف تنظيم وهيكله الوحدات القتالية، وبمبادرة منه تم تأليف دليل عسكري بعنوان "من الحرب إلى المقاومة"، قاد السي لخضر عمليات عديدة ضد الجيش الفرنسي أشهرها معركة بولقرون التي استشهد فيها يوم 05 مارس 1958م، للمزيد من المعلومات أنظر، محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص - ص 470، 471، 473، 474، 479).

² - نفسه، ص 443.

³ - أمحمد بوحوم، استراتيجيات البعد التنظيمي في الولاية التاريخية الرابعة، المرجع السابق، ص 138.

- برهنة مدى أحقية وجود جيش التحرير الوطني في المنطقة وبأنه قادر على أن يضرب أعداءه في أي موقع يكونون فيه.

- التأثير على معنويات جنود الجيش الفرنسي وعلى نفسية المستوطنين الذين تسعى قيادة جبهة التحرير الوطني إلى أن تفرض عليهم التعامل مع جيش التحرير الوطني كقوة فاعلة في الميدان.

- السعي للاستحواذ على أسلحة الجيش الفرنسي التي تعتبر أحد مصادر التمويل بالذخائر الحربية.

- إعطاء الثوار بالمنطقة صيتا وسمعة دعائية تجعل تزعزع حسابات القيادة العسكرية الفرنسية بالمنطقة، وبذلك تتمكن الثورة من اكتساب نقاط مهمة على المستوى الوطني.

تم في هذه الجلسة تحديد أسماء المستوطنين الذين سوف يعاقبون أمام أعين العساكر الفرنسية

بضواحي ناحية باليسترو، وكان من بينهم: Bénéjean Michel, Servat, Marry, Ponce.⁽¹⁾

اتفق قائد كتيبة الكوموندوس علي خوجة رفقة مساعده بشير رويس على تعيين أربعة أفواج من جنود الكتيبة لتنفيذ هذه العملية، وكل فوج يتشكل من ثلاثة عناصر مسلحين ومجهزين أحسن تجهيز، وأن يكون من بينهم عنصر واحد على الأقل ممن يتقنون الحديث باللغة الفرنسية، حتى يتمكنوا من المرور دون أي عائق يصادفهم.⁽²⁾

نزل المجاهدون إلى مدينة باليسترو يوم الثلاثاء 06 مارس 1956م حوالي منتصف النهار -حيث تضعف المراقبة من قبل الفرنسيين- في المكان المتفق عليه، فوجدوا الألبسة العسكرية التي يبدون فيها وكأنهم من رجال الدرك، حاملين نفس الأسلحة التي يحملها هذا النوع من العسكريين، وانطلقت كل مجموعة نحو الهدف الموجه إليها على أساس أن يتم تنفيذ الإعدام في المستوطنين المستهدفين على الساعة السادسة مساء.⁽³⁾

تقدمت المجموعة المكلفة بإعدام المستوطن بينيجون ميشال صاحب المزرعة القريبة من قرية أولاد سيدي عبد العزيز، والتي تبعد عن مدينة باليسترو بنحو 05 كلم، في الوقت الذي كانت فيه العائلة في المزرعة تقوم بترتيب وتنظيم أمورهم العادية، حتى قدم إليهم ثلاثة رجال من رجال الدرك يوم 06 مارس 1956م على الساعة الخامسة وأربعين دقيقة، وكان أول من التقوا به هو الخادم المسمى أحمد

¹- محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، 444.

²- نفسه، 445.

³- نفسه.

لونييسي،⁽¹⁾ فطلبوا منه أن يقودهم إلى صاحب المزرعة، وبعد حوالي عشرين دقيقة من وصول الدركيين إلى المزرعة فجر أحد الدركيين المفاجأة قائلاً: "نحن مجاهدون وقد حكمت عليكم جبهة التحرير الوطني بالإعدام، وتبعته الرشاشات مخترقة أجساد كل من المستوطن وزوجته وابنهما أندري، وفي تلك الأثناء وصل إلى البيت الابن الثاني للمستوطن والمدعو ميلو على متن الجرار، فوجه إليه المجاهدون رشاشاتهم وأصابوه فسقط أرضاً من مقعد الجرار الذي توقف فجأة، وقام مضرجاً بدمائه مستقلاً سيارته بمساعدته خادمه لونييسي أحمد بعد انسحاب المجاهدين متوجهاً إلى مدينة باليسترول للعلاج ولإخبار رجال الدرك والمسئول العسكري بالمنطقة بما حدث، كما شهد كذلك ببراءة خادمه من الاشتراك معهم في العملية الفدائية التي استهدفت عائلته.⁽²⁾

كانت المجموعة الثانية من رجال الكوموندوس في نفس الأثناء تدخل مزرعة المستوطن سيرفه صاحب المزرعة الواقعة على بعد 05 كلم شرق مدينة باليسترول وقد كانت ضيعته تحتل المكان الذي بني فيه مصنع الدهن (S.N.I.C) بالأخضرية حالياً، وقد كان من نصيبه من نار الثورة مثل سابقه بينيجون، حيث فاجأه المجاهدون الثلاثة الذين قدموا إلى مزرعته في زي الدرك الفرنسي على الساعة الخامسة والنصف مساءً، وقد جرى نفس الحوار بينهم، حول الوضع الأمني على العموم والمستوطن يخالهم فرقة من الدرك الفرنسي.

أخبر المجاهدون المستوطن ومن كان معه بحلول الساعة السادسة مساءً أن جبهة التحرير الوطني قد قضت بإعدامهم، واخترقت الرصاصات أجساد كل أفراد العائلة ماعدا صبية صغيرة لم تتجاوز الأربع سنوات أصابتها رصاصة طائشة.

لم يكن حظ المجموعة الثالثة كحظ المجموعتين السابقتين بسبب أن المستوطن ماري صاحب المزرعة -التي كانت تقع على بعد 04 كلم شرق مدينة باليسترول والتي هي الآن مقر الثكنة العسكرية للوحدة الثالثة-، قد كان يومها غائبا عن المنزل، فاكتفى المجاهدون بتخريب ممتلكاته وحرق بيادر التبن وذبح الأغنام وقتل الكلب والبغل.

¹ - أحمد لونييسي: يعد أحمد لونييسي من مواليد سنة 1926م، ينتمي إلى قرية أولاد سيدي عبد العزيز المتاخمة لمزرعة بيجان ميشال، حيث كان يشتغل عنده خادماً، وقد شهد عملية الإعدام والتي لازال يذكر تفاصيلها سنة 2016م، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص448).

² - نفسه، ص446.

كللت مهمة المجموعة الرابعة التي قصدت مزرعة المستوطن بونس بالفشل بسبب أن هذا الأخير تمكن من الانتباه إلى أن الوافدين إليه ليسوا من رجال الدرك الفرنسيين،⁽¹⁾ فسارع إلى الاحتماء ببيته الذي كان مدرعا بالشبابيك الحديدية على النوافذ والباب الرئيسي، وبدأ بإطلاق نيران بندقيته عليهم، فاضطر المجاهدون إلى الانسحاب قبل أن يتمكنوا منه خشية أن يحاصروهم العسكر الفرنسي الذي كان قريبا من المزرعة بتلك الجهة.

حققت العمليات الفدائية السالفة الذكر مرادها بنسبة 100% رغم أنها كانت ناجحة بنسبة 75%، فتأثيرها المعنوي والنفسي على السلطات العسكرية والمدنية بمنطقة باليسترو كان قويا جدا، وحتى أنه في اليوم الموالي جاء لعدد من المسؤولين المحليين ورجال الصحافة الذين حاولوا مع لونييسي أمحمد معرفة ماجرى إلا أن هذا الأخير التزم الصمت ولم يدر بأي تصريح، وخلصوا في النهاية إلى القول بأن أتباع كريم بلقاسم بالمنطقة جاؤوا من جبال بوزقزة للقيام بهذه العمليات.⁽²⁾

يستشف من الأحداث السالفة الذكر أن تنظيم جيش التحرير الوطني واستراتيجية سير العمليات العسكرية في المرحلة الأولى من اندلاع الثورة التحريرية بالمنطقة الرابعة التاريخية، كانت منظمة في مجموعات متفاوتة العدد لا يصل عادة إلى كتيبة إلا نادرا، وكانت تنشط كل مجموعة في منطقة جغرافية محددة لنصب الكمائن لقوافل العدو من أجل غنم الأسلحة، لأن الهدف الرئيسي في هذه المرحلة لم يكن نجاح العمليات العسكرية بقدر ما كان جمع الأسلحة والذخيرة استعدادا للمرحلة المقبلة، هذا من جانب أما من جانب آخر فقد حرص المناضلون الجزائريون على زرع البلبلة والقلق في نفسية المستوطنين وفي صفوف الإدارة الاستعمارية.

لم يكن جيش التحرير الوطني منظما خلال هذه الفترة في وحدات قتالية ثابتة ومعروفة، وإنما طبيعة المجال الحيوي وجغرافية المنطقة التي ينشط فيها هي من كانت تحدد نوعية العمليات التي يقوم بها، وعدد الأفواج التي يحتاجها حيال ذلك، بيد أن المناضلين لم يتوقفوا هذه الفترة عن مواصلة تدريب الجنود والمناضلين الذين التحقوا بالجبال عقب تقجير الثورة المسلحة، وفي إطار حرب العصابات أو كما تعرف بحرب الكمائن.⁽³⁾

¹ - محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص 447.

² - نفسه، ص 448.

³ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص 129.

تميزت سنة 1956م بتحول وعي المناضلين نحو اتجاهين اثنين، تمثل الأول في نقل العمليات العسكرية للثورة في المنطقة الرابعة باتجاه العاصمة والمداخل المؤدية إليها، كالهجمات التي أشرف عليها السي لخضر بأولاد موسى (سان بول سابقا) شرق متيجة في فيبرابر 1956م وهجوم تابلاط في بداية مارس وكمين جرح قرب الأخضرية حيث تم فيه أسر الضابط مركس، أما الثاني فتمثل في توسيع امتداد النظام الثوري للجهة وجيش التحرير الوطني نحو غرب المنطقة، وهذا بعد أن أحكم قواعده في جبال الأطلس وكسر استراتيجيات العدو الاستعماري السياسية، والعسكرية بعد أن ألحقه بهزيمة تلو الأخرى، فكان جيش التحرير الوطني يكثف عملياته في أجهزة الاستعمار وأعوانه ويوجه ضرباته ضد المصالح الاقتصادية للعدو الفرنسي، من تخريب، حرق المزارع، قطع الطرق وأعمدة الهاتف، الكهرباء وطرق المواصلات.⁽¹⁾

كانت العمليات العسكرية تزداد شيئا فشيئا عبر كل نواحي المنطقة التاريخية الرابعة، بفضل التدابير التي تم اتخاذها في مختلف المجالات على غرار إقامة مراكز سرية للتدريب العسكري على الرماية واستخدام السلاح والانضباط والتدريب على حرب العصابات، بالاعتماد على رصيد المنظمة الخاصة التي أصدرت كتيبات حول الحروب الثورية وإعادة طبعها وتوزيعها، كون أن التكوين العسكري عامل حاسم في انتصارات جيش التحرير الوطني،⁽²⁾ فنذكر على سبيل المثال لا الحصر: هجوم أولاد موسى، كمين الأخضرية، طريق الشرعية، سيدي غيلاس، سكامودي بتابلاط Deux bassins، عين النصور بمليانة وغيرهم، وهذا ما هو إلا دلالة على حرص مناضلي جيش التحرير الوطني على إرساء دعائم العمل الثوري وتوطيده في المدن والأرياف بغية الحفاظ على استمرارية الثورة وقوتها، رغم الأساليب الجهنمية الفرنسية التي حرصت من خلالها على تضيق الخناق على الثوار منذ مهد الثورة المسلحة، وناهيك على أن التواجد الاستعماري العسكري بدأ يزداد منذ بداية سنة 1955م، إذ أقام مراكز جديدة له في الأماكن الاستراتيجية كما عمل على تسليح المستوطنين حفاظا لهم على أنفسهم وممتلكاتهم وعقاراتهم ومزارعهم، التي سرعان ما تحولت إلى مراكز عسكرية للمراقبة والتدخل السريع في حالة وقوع أي طارئ.⁽³⁾

¹ - بلقاسم خلاص، التنظيم العسكري والفدائي وأساليب التسليح في الولاية الرابعة، الجزائر: دار موفم للنشر، 2019م، ص20.

² - عيسى حمري، واقع التدريب أثناء الثورة التحريرية "1956م-1962م"، مجلة مدارات تاريخية، مج01، ع01، الجزائر، مارس 2019م، ص306.

³ - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، المرجع السابق، ص130.

تضمنت شبكة الجيوش الفرنسية المدعمة مختلف أنواع الجيوش بما في ذلك اللفيف الأجنبي⁽¹⁾ الذي اتخذ من حلوية مقرا له، وأصبحت مراكز حراس الغابات هي الأخرى حصونا مدججة بالأسلحة، لاسيما وأن المنطقة محاطة بعدة مطارات من شأنها تطويق جهات كثيرة: مطار الجزائر، بوفاريك، البليدة، بئر غبالو، وعين وسارة.⁽²⁾

عرف شهر ماي من سنة 1956م حدثا مهما تمثل في إضراب الطلبة والتلاميذ الثانويين يوم 19 ماي 1956م، الذي أعطى للمنطقة الرابعة تجنيدا نوعيا، كما شهدت هذه الأخيرة في جويلية من نفس السنة عملية عسكرية ضد جيش التحرير الوطني، تمثلت في الهجوم على مركز الوزانة بالمنطقة الرابعة، وكانت نتيجتها استشهاد "عمارة رشيد" وإلقاء القبض على الطالبات: "مريم بن ميهوب، صفية بازي، فضيلة ميسلي"، وهو الإعلان العام عن التحاق المرأة الجزائرية بالثورة التحريرية.⁽³⁾

لم تتمكن قيادة الثورة التحريرية من عقد الاجتماع المزمع عقده في السنة الأولى من الاندلاع لتقييم المرحلة السابقة والتجديد المرحلي للمرحلة اللاحقة إلا أن عملية نشر الثورة خصوصا في الأرياف قد انطلقت من قبل الأفواج الأولى التي عملت على التحسيس على أساس بيان أول نوفمبر 1954م وتكوين الملاجئ الآمنة لجيش التحرير الوطني مع جمع المال وبعض الأسلحة المتوفرة لدى الشعب.⁽⁴⁾

¹ - اللفيف الأجنبي: يقصد باللفيف القوم الذين يجتمعون من قبائل شتى ليس لهم أصل واحد، وجاءوا ألفافا أي لفيف تحزبوا حزبين، واللفيف ما اجتمع من الناس من مختلف المناطق والبلدان وصاروا في فرقة واحدة، وكان اللفيف الأجنبي أهم ميزات الجيش الفرنسي، حيث كانت فرنسا تستعمل الفيالق من المرتزقة لتحقيق مآربها سواء في العالم الجديد أو الهند الصينية أو غيرها، وأصل مصطلح اللفيف الأجنبي هو (Légion étrangère) وهو عبارة عن هيئة جيش مؤلف من المشاة والفرسان، وهو الذي استعملته فرنسا للقضاء على مقاومة الشعب الجزائري، ويطلق على اللفيف الأجنبي في الاستعمال الشعبي الجزائري كلمة "لاليجو" والتي تعني في المفهوم العامي فرقة تابعة للجيش الفرنسي تتكون من جنود متطوعين، غالبا ما ينتمون إلى جنسيات مختلفة تحت قيادة ضباط فرنسيين، وكان هؤلاء الجنود يقبلون للتجنيد دون التحري عن ماضيهم ولا عن جنسيتهم الأصلية، بل ولا يطلب منهم حتى وثائقهم الشخصية، والواضح أن هؤلاء -حسب اعترافات الفرنسيين أنفسهم- كانوا يتألفون من المجرمين والمعقدين والمنحرفين ومركبي الجرائم الكبيرة، (للمزي من المعلومات أنظر: توفيق برنو، اللفيف الأجنبي والثورة الجزائرية (1832م-1962م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج15، ع02، الجزائر، 2022م، ص ص 728، 729).

² - نظيرة شتوان، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير...، المرجع السابق، ص ص 130، 131.

³ - مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، الدليل التاريخي لثورة...، المرجع السابق، ص 19.

⁴ - نفسه، ص 19.

الفصل الأول: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم

العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة

التاريخية 20 أوت 1956م

1- انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م

2- التحديد الجغرافي للولاية الرابعة التاريخية

3- التنظيم السياسي والإداري في الولاية الرابعة

التاريخية

4- التنظيم العسكري في الولاية التاريخية

الرابعة

مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة التاريخية 20 أوت 1956م:

جاء اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية في ظروف خاصة ناتجة عن الأزمة التي مرت بها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، لذلك لم يكن لدى أعضاء قيادتها الوقت الكافي لوضع التنظيمات السياسية، الإدارية، والعسكرية التي تنظمها، وكما كان الاتفاق فإنه سيعقد مؤتمر يقيم المرحلة السابقة بعرض إنجازاتها وتحديد نقاط صعوباتها، وينظم المرحلة اللاحقة من خلال وضع خطط وهياكل تنظيمية لها بعد عام واحد من تفجير العمل المسلح، إلا أن هذا لم يحدث بسبب تعرض قادة الثورة الجزائرية إلى التصفية أو الاعتقال من قبل السلطات الاستعمارية، وتم الانتظار حتى تاريخ 20 أوت 1956م ليتم عقد أول مؤتمر تنظيمي للثورة التحريرية وهو مؤتمر الصومام نسبة إلى وادي الصومام الذي انعقد فيه.

أولاً- انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م:

أ- ظروف انعقاد مؤتمر الصومام:

افترقت الثورة الجزائرية إلى النظرة الشمولية في مخططات النشاط الثوري، كما لم تتمكن من توحيد الرؤى والإمكانات المادية والبشرية واستغلالها بطرق عقلانية بفعل سياسة اللامركزية التي اعتمدت قبيل اندلاع الثورة والتي أدت إلى تباين السياسات والاستراتيجيات من منطقة إلى أخرى، مما جعل المرحلة الأولى (1954م-1956م) تشهد العديد من التناقضات والاختلافات بين هذه الأخيرة، كون أن تسييرها كان ناتجا عن اجتهادات المجالس الإقليمية لهياكل الثورة، مما جعل انعقاد مؤتمر وطني ليتولى مهمة تنظيم العمل الثوري وتصليح الخلل الموجود في جبهة وجيش التحرير الوطنيين ضرورة حتمية وملحة.⁽¹⁾

اعتبرت الفترة الممتدة ما بين نوفمبر 1954م وأوت 1956م مرحلة تجريبية، حيث ظهرت جبهة التحرير الوطني-جيش التحرير الوطني كجهاز وظيفي لا مركزي⁽²⁾ يعمل دون الرجوع إلى استراتيجيات مشتركة، بالرغم من المحاولات التي جرت كي تبقي على الحد الأدنى من التشاور بعد تزايد الخلافات بين

¹- أمحمد بوحوم، العلاقات التاريخية للولاية الرابعة مع الهيئات المركزية للثورة الجزائرية بالخارج بين سنتي 1957م-

1962م، إشراف، بشير سعدوني، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2015م-2016م، ص71.

²- محمد حربي، الجزائر (1954م-1962م) جبهة التحرير الوطني -الأسطورة والواقع-، تر، كميل قيصر داغر، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية ودار الكلمة للنشر، 1983م، ص146.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

القادة، فقد تم توقيف بيطاط بعد أن حضر لموعد مع العربي بن الهاشمي المدعو "سليمان لاجودان" الذي زعم أنه سيسلمه رسالة من البعثة الخارجية في مارس 1955م، وتم توقيف ياسف سعدي بعد لقاءه مع بوضياف في سويسرا في جوان من نفس السنة.

أدت ضرورة العمل إلى احتكام كل قيادي الثورة باتخاذها لمبادرات دون العودة لمشاورة القادة الآخرين، وكل مبادرة عبرت بدورها على الشكل العام للثورة، فقد اعتبرت مدينة الجزائر هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955م غير مناسبة، كما رفض أحمد بن بلة تأييد تصريحات أعمار أوعمران حول فرانس أوبسارفاتور الخاصة بحل المسألة الوطنية على مراحل، وفي شمال قسنطينة اعتبر زيغود يوسف أن من مسؤولياته إرساء البنى المحلية للاتحاد العام للعمال الجزائريين، وأن مدينة الجزائر تتعدى على صلاحياته، كما واجهت فيديرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا سنة 1956م أزمة داخلية تسببت بها مجموعة تعلن ارتباطها بكريم بلقاسم وأعمار أوعمران متهمة الفيدرالية بتنفيذ أوامرها من القاهرة، وفي منطقة القبائل تم نسب كريم بلقاسم إلى محمد بوضياف وأحمد بن بلة عدم رغبتهما في توفير السلاح للمناطق غير المجاورة لتونس ومراكش، لكونها تنتم بسهولة للإشراف عليها بسرية أكبر من الخارج.⁽¹⁾

أدى غياب التنسيق بين مناطق الثورة نظرا لعدم وجود هيئة قيادية تتكفل بهذه المهمة إلى جعل الثورة بحاجة إلى قيادة مركزية قادرة على تنسيق مختلف المهام بعيد المجالات والنواحي في الداخل والخارج، وتكون ناطق رسمي للشعب الجزائري.⁽²⁾

كانت الثورة الجزائرية في هذه الفترة بحاجة إلى هيكلة وطنية شاملة في المجالين السياسي والعسكري على حد سواء، بهدف توحيد المواقف المطروحة على الساحة الوطنية، وكان من الضروري إصدار وثيقة تتضمن مختلف القضايا التي تهم الثورة وتكون بمثابة المرجعية التي تطبق على مستوى جميع هياكلها وتجسد عبر كل قواعدها.⁽³⁾

عرف الجيش الفرنسي انتشارا واسعا عبر كامل التراب الوطني الجزائري، وارتفع أعداده من حوالي 50000 سنة 1954م إلى 834000 في فيفري سنة 1955م، بالموازاة مع المعارك الضاربة التي نشبت بين جيش التحرير الوطني والقوات الفرنسية في مختلف مناطق البلاد مثل: "معركة الجرف" التي وقعت

¹- محمد حربي، الجزائر (1954م-1962) جبهة التحرير الوطني -الأسطورة والواقع-، المرجع السابق، ص147.

²- أمحمد بوحوم، العلاقات التاريخية للولاية الرابعة مع الهيئات المركزية...، المرجع السابق، ص72.

³- مديرية المجاهدين، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م، تصدير، عبد العزيز بوتفليقة، الجزائر: الديوان الوطني للنشر والتوزيع، 2008م، 17.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

في شهر سبتمبر 1955م بالمنطقة الأولى في الجبل الأبيض قرب تبسة بين وحدات جيش التحرير الوطني وقوات عظمى لجيش المحتل دامت ثمانية أيام ألحق فيها جيش التحرير الوطني بقوات المستعمر هزيمة نكراء بقيادة الشيحاني البشير، ومعركة هود شيكة بواد سوف التي دامت ثلاثة أيام في الفترة الممتدة ما بين 09، 10، 11 أوت 1955م، ومعركة مزرعة دالي بن شواف التي دامت يوما كاملا من السادسة صباحا إلى غاية سقوط الظلام يوم 18 نوفمبر 1954م، والتي استشهد فيها باجي مختار، ومعركة "إيفري البلح" بجبل أحمر خدو بالأوراس بقيادة مصطفى بن بولعيد والتي تكبدت فيها قوات الاستعمار الفرنسي خسائر فادحة في العتاد والعدة.⁽¹⁾

جاء مؤتمر الصومام ليوضح حاجة الثورة إلى هيئة وطنية شاملة تكون مسئولة عن القضايا التي تطرح على مستوى هياكل التنظيم، والاستراتيجيات الجديدة التي تحتاجها الثورة، وذلك بالموازاة مع سياسة الإدارة الاستعمارية التي كانت دائما ما تعمل على تطوير أساليبها وقدراتها الحربية بهدف القضاء على الثورة التحريرية الجزائرية، وبالمقابل كان الأمر معاكسا تماما فلم يكن بوسع قادة الثورة التحريرية أن تضع استراتيجيات ذات بعد وطني شامل ومنظم،⁽²⁾ خصوصا بعد تزايد الفئات المنظمة للثورة التحريرية وتغيير في المعارك التي أضحى يقودها جيش التحرير الوطني بعدما امتدت إلى المدن سنة 1956م، بالموازاة مع صعوبة الاتصالات والتواصل بين المناطق الثورية بعد أن قامت حكومة إدقارفور Edgar Faure بتطبيق حالة الطوارئ يوم 23 فيفري 1955م في الجزائر وتعيين جاك سوستال كوالي جديد على الجزائر.⁽³⁾

اتخذت الإعدادات لمؤتمر الصومام شكلا ملموسا منذ شهر مارس 1956، فقد أرسل عبان رمضان سعد حلب إلى شمال قسنطينة للتباحث مع زيغود يوسف الذي كان مهتما بحل مشكلة التزود بالسلاح وإعادة النظر في قضية التقسيم الإقليمي، وتحديد مسؤوليات كل شخص مع توحيد القيادة العسكرية، أما الوفد الخارجي فقد أرسل من جهته إلى الجزائر العاصمة تقريرا سياسيا كتبه أحمد يزيد وحسين آيت

¹ - بشير سعدوني، مؤتمر الصومام 2 أوت 1956م - ظروف انعقاده وانعكاساتها المختلفة على مسار الثورة الجزائرية -،

مجلة الدراسات الإفريقية، ع06، الجزائر، 20 ماي 2018م، ص05.

² - أحمد بوحوم، العلاقات التاريخية للولاية الرابعة مع الهيئات المركزية...، المرجع السابق، ص72.

³ - بشير سعدوني، المرجع السابق، ص06.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

أحمد، مقترحين على الصعيد التنظيمي قيادة من 12 عضوا تتألف من قادة المناطق الستة وستة أعضاء من البعثة الخارجية.⁽¹⁾

وصل سعد دحلب إلى قسنطينة أين كان في استقباله بوجريو مسعود المدعو مسعود القسنطيني الذي أوصله إلى الناحية التي كان بها صالح بوبنيدر، وتوجها معا إلى "بني أحمد" قرب "حمام المسخوطين" حيث كان كل من زيغود يوسف ومعه كل من عبد الله بن طوبال وعلي كافي وباقي أعضاء مجلس المنطقة والنواحي.⁽²⁾

جاءت رسالة من المنطقة الرابعة بالموافقة على عقد المؤتمر في المنطقة الثانية بعد رجوع دحلب إلى العاصمة، وأعطى زيغود تعليماته بالاعداد لاحتضان المؤتمر، وأختير في الأول مكان "المشروحة" وهي منطقة تقع بجبال بني صالح تابعة للمنطقة الثانية وانطلقت التحضيرات، إلا أن استشهاد باجي مختار أدى إلى وقوع مشاكل داخل قيادة الناحية التي كان يشرف عليها عمار بن عودة، حيث انشقت عنه جهة سوق أهراس، فلم يعد المكان مناسباً لعقد مؤتمر وطني بتلك الأهمية مما جعل المنطقة تتخذ إجراء جديداً وهو اختيار بوالزرور مكاناً لعقد المؤتمر، لكون المنطقة محصنة طبيعياً بفضل وقوعها في منطقة محاطة بالجبال الكثيفة والوعرة والتضاريس التي لا تسمح للجيش الفرنسي بالتحرك بسرعة، كما أنها تحتوي على ملاجئ ومخابئ التي تحضر على المستعمر سهولة عمليات تمشيطها، إضافة إلى المراقبة المحكمة التي يفرضها جيش التحرير الوطني على كامل المنطقة وضواحيها.

كانت الأحداث المؤلمة التي شهدتها العام الأول من بداية الثورة قد حالت دون لقاء قادتها بعد عام من اندلاعها كما جرى الاتفاق بين القادة، بسبب استشهاد باجي مختار وديدوش مراد وسجن رابح بيطاط وإلقاء القبض على مصطفى بن بولعيد، واستشهاد سويداني بوجمعة في المنطقة الرابعة.⁽³⁾

توقفت الاستعدادات لعقد المؤتمر الوطني بالمنطقة الثانية بعد أن وردت رسالة إلى زيغود يوسف من قيادة المنطقة الأولى "الأوراس" مفادها استشهاد مصطفى بن بولعيد، الأمر الذي أدى إلى شن هجوم شرس على الأوراس، وعلى إثر هذا جاءت رسالة ثانية من مدينة الجزائر تقترح مكاناً وسطاً لعقد الاجتماع، وذلك كتسهيل منها للوصول جميع قادة الثورة إلى المكان المقترح لعقد المؤتمر وهو وادي

¹ - محمد حربي، (1954م-1962) جبهة التحرير الوطني - الأسطورة والواقع -، المرجع السابق، ص 148.

² - علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي - من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946م-1962م -، الجزائر: دار القصب، 1999م، ص 97.

³ - علي كافي، المرجع السابق، ص 98.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

الصومام مع تحديد يوم 20 أوت 1956م تكريما وتشريفا لهجومات 20 أوت 1955م بالمنطقة الثانية "الشمال القسنطيني".

أصبح الاتصال بين المناطق الخمس الثورية يتم عبر المنطقة الرابعة التي تولت تحضير هذا اللقاء بسبب نقل مكان المؤتمر إلى المنطقة الثالثة،⁽¹⁾ أين تم اللقاء بين ممثليها وبين المشاركين من بقية المناطق على مشارف حدودها مع مرشدين، فبالنسبة للمنطقة الثانية كان في استقبال وفدها المسؤول قاسي علي على حدود المنطقة، أما فيما يخص وفد المنطقة الرابعة التي ذهب أميروش لاستقبالهم فقد وقعوا في كمين أثناء مجيئهم إلى المنطقة بين الأغل وتزاملت بين الجيش الفرنسي ووفد الجزائر المكون من أمحمدي السعيد، أعر أوعمران، وكريم بلقاسم، وكانوا قد وضعوا وثائقهم على ظهر بغل، ولما وقع الاشتباك فر البغل من الرصاص في اتجاه معسكر العدو غير البعيد من المكان محملا بوثائق المؤتمر⁽²⁾ المراد عرض جدول أعماله في الاجتماع المزمع عقده، وحقيبة أمحمدي السعيد التي تحتوي على 08 ملايين سنتيم وحقيبة أوعمران التي كانت هي الأخرى تحتوي على مبلغ لا يقل أهمية عن المبلغ الأول. قرر أميروش بعد التشاور مع مساعديه الأقربين تغيير مكان انعقاد الاجتماع الذي كان مقررا في البداية بقلعة "أث عباس" في الفاتح من أوت عام 1956م، وبحلول ذلك التاريخ كانت جميع الوفود حاضرة بالمنطقة باستثناء الوفد الخارجي وممثلين عن المنطقة الأولى (الأوراس)، فاقترح عميروش على كريم بلقاسم منطقة أوزلاقن أين كان هذا الأخير مترددا خوفا على أمن الوفود خصوصا وأن المكان يبعد بضعة كيلومترات من ثكنة "إغزر أمقران"، إلا أنه وافق أخيرا بعد محاولات عميروش لإقناعه بأن سكان المنطقة متضامنون مع الثورة إلى جانب توفر الإمكانيات البشرية والمادية لدى مساعديه⁽³⁾ التي ستكون كافية لضمان سلامة المؤتمرين.⁽⁴⁾

لم يكن كمين "الأمل والبندقية" الذي شنه الجينرال دوفور غريبا لولا اكتشاف الوثائق التي كانت في حوزة المؤتمرين والتي بينت لهم أن هناك مؤتمرا سريا سينعقد في المنطقة، فسارع الجيش الفرنسي إلى غلق المنطقة بدءا من سطيف والبرج نزولا إلى البحر ثم الببيان، وطوقوا مساحة واسعة بالعسكر والطيران

¹ - علي كافي، المرجع السابق، ص 99.

² - علي بطاش، أحمد فضال "الرائد السي حميمي أفاضل" من قادة الولاية الثالثة، الجزائر: دار الأمل، 2018م، ص 120.

³ - وهم: السي حميمي، عبد الرحمان ميره، حماي قاسي، عيسى البونداوي، محند أكلي أوعنصر، وأوداك أعراب.

⁴ - علي بطاش، المرجع السابق، ص 121.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

والبواخر الحربية،⁽¹⁾ وهو مادفع جبهة التحرير الوطني إلى إصدار تعليمات إلى كتائب جيش التحرير الوطني التي يرأسها كل من عبد الرحمان ميرة، مقران حراني، وعيسى أعراب، بتكثيف العمليات العسكرية بعيدا عن مكان المؤتمر قصد تضليل العدو وهذا ما تم فعلا بمنطقة عين الحمام، البويرة، بوقاعة، البيبان والتخوم الجنوبية لجبال جرجرة، مما دفع بالقوات الفرنسية بعد ذلك إلى إستهداف هذه المناطق بعمليات تمشيطية.⁽²⁾

كان السي حميمي على اتصال دائم بأعميروش طيلة فترة انعقاد المؤتمر، فكان يتنقل بين الجنود ليلا ونهارا يذكرهم بالتعليمات، وينبههم إلى اليقظة التامة، فقد جند 500 جندي في مراكز حراسة مقربة مستعدين للتصدي لأي هجوم مفاجئ، كما كان بإمكان المؤتمرين الانسحاب إلى غابة الزان الكثيفة وسفوح أرقراج الحصينة، أما إذا كان الانقضااض جويا فقد تم تهيئة 14 مخاباً سريا.

حضر مؤتمر الصومام عدة مسئولين عن المناطق التاريخية وهم:

- زيغود يوسف ممثلا عن المنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) ومرافقيه: لخضر بن طوبال، عمار بن عودة، روابحية حسين، إبراهيم مزهودي.

- كريم بلقاسم ممثلا عن المنطقة الثالثة (القبائل) برفقة أمحمدي السعيد، عميروش آيت حمودة، وقاسي حماي.

- أعمر أو عمران ممثلا عن المنطقة الرابعة (الجزائر) بمرافقة كلا من سليمان دهيلس (السي صادق)، السي أمحمد بوقرة، وصالح زعموم.

- العربي بن مهدي ممثلا عن المنطقة الخامسة (وهران) والذي كان رئيسا للجلسة، إلا أنه لم يأت بوثائق خاصة بالمنطقة الخامسة رغم أنه شارك باسمها، وأوضح علي كافي بأن عبد الحفيظ بوصوف قد أخبره بأن بن مهدي لم يجتمع بقيادة المنطقة ولم يبلغهم بشأن هذا المؤتمر.

- عبان رمضان ممثلا عن جبهة التحرير الوطني وكاتبا للجلسة.

- بقيت المنطقة الأولى بدون ممثل بعد اغتيال مصطفى بن بولعيد في مارس 1956م، ولم يحضر عمر بن بولعيد المؤتمر، رغم وصوله إلى المنطقة الثالثة على رأس مجموعة من الجنود لكنه لم يبق لحضور

¹ - علي كافي، المرجع السابق، ص100.

² - علي بطاش، المرجع السابق، ص122.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

المؤتمر، إلا أنه أكد التزامه بما يصدر عنه، وبالمقابل فإن المنطقة الأولى لم تخوله تمثيلها في المؤتمر.⁽¹⁾

- لم يكن الوفد الخارجي حاضرا، وحسب شهادة علي كافي فإن الأسباب كانت مجهولة، فقد كلف بن مهدي بالاتصال مع الوفد بالخارج، ولكن الوفد لم يبعث من يمثله في المؤتمر، أما بالنسبة لفيدرالية فرنسا فلم تكن مهيكلة آنذاك كمناطق مقسمة.⁽²⁾

يعود سبب اختيار المنطقة الثالثة لعقد مؤتمر الصومام نتيجة لكونها تتوسط المناطق التاريخية، وهذا ما يسهل وصول كل الوفود إليها من دون أية مشاكل، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فيعود اختيار منطقة وادي الصومام إلى اعتباره مظهرا من مظاهر السيطرة العسكرية لجيش التحرير الوطني، لأن هذا المكان بالذات كانت فرنسا تزعم أنها مسيطرة عليه تماما، لذلك أراد جيش التحرير الوطني أن يتحد الاستعمار الفرنسي ويبرز للرأي العام الفرنسي والعالمي مدى قوة وسيطرة جيش التحرير الوطني في حربه ضد⁽³⁾ المستعمر، وأن المكان الذي أعلن القادة المستعمرين أنهم سيطروا عليه وتمت تصفيته تماما من الثوار هو محل سيطرة قادة الثورة، وأبرز دليل على ذلك هو استطاعتهم أن يعقدوا فيه أول مؤتمر لهم، وهذا ما أكدته الرائد أحمد فضال المدعوا السي حميمي في شهادته حول أسباب اختيار منطقة الصومام لعقد المؤتمر مؤكدا أن المنطقة تمكن تغطية المؤتمرين وتأمين وصولهم إلى غابة أكفادو عند الطوارئ.⁽⁴⁾

انعقد مؤتمر الصومام في قرية "إيفري أوزلاقن" "بغابة أكفادو" في السفوح الشرقية لجبال جرجرة المشرفة على الضفة الغربية لوادي الصومام، التي قدمها قادة الثورة من مختلف المناطق التاريخية، وقد استمرت أيام انعقاد المؤتمر في الفترة الممتدة ما بين 14 أوت 1956م إلى غاية 23 أوت 1956م.⁽⁵⁾

حرص عيان رمضان على توسيع الجبهة والاستعانة برفقائه المركزيين، خصوصا وأن القيادة الجديدة للجبهة تدعمت في شهر ماي من عام 1956م بالتحاق محمد العربي بن مهدي بقيادة العاصمة وانطلاق

¹ - علي كافي، المرجع السابق، ص 102.

² - نفسه.

³ - محمد لحسن زغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية "1956م-1962م"، الجزائر: دار هوم، 2009م، ص 134.

⁴ - عبد المالك بوعريوة، دور المناطق التاريخية للثورة التحريرية في مؤتمر الصومام "1954م-1956م"، مجلة الحقيقة، ع 24، جامعة أدرار، الجزائر، (د.ت)، ص 406.

⁵ - محمد لحسن زغيدي، المرجع السابق، ص 134.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

العمليات الفدائية في المدن الكبرى، كما استعان عابان رمضان بخدمات زملائه في حزب الشعب ومنهم بن يوسف بن خدة وبعض الزملاء في الحزب الشيوعي، وقام بتشكيل لجنة لإعداد الوثائق التي ستعرض يوم 20 أوت 1956م على المجتمعين في مؤتمر الصومام، وكانت هذه اللجنة تتشكل من:

- عبد الرزاق شنتوف وهو من الأعضاء البارزين في حزب الشعب الجزائري.
- عبد المالك تمام وهو أيضا من الأعضاء البارزين في حزب الشعب الجزائري،⁽¹⁾ الذي كلف بإعداد خطة تنظيم الجبهة.
- محمد الصديق بن يحيى ومحمد حربي الذان كلفا بإعداد كل ما يتعلق بالسياسة الاجتماعية، الاقتصادية، والعلاقات الخارجية.
- رضا مالك ومصطفى الأشرف الذان كلفا بجانب تحديد طبيعة الثورة من حيث سياقها الأيديولوجي والتاريخي.⁽²⁾
- عمار أوزقان وهو من الأعضاء البارزين في الحزب الشيوعي، لكنه انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني سنة 1955م.

- محمد لبجاوي وهو أيضا من الأعضاء البارزين في الحزب الشيوعي.

إن الملاحظ على وثيقة الصومام هو أنه تم تحريرها من طرفين لم تكن تجمعهما نقاط مشتركة كثيرة وهما حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي، ولم تكن لهما رؤية موحدة للنضال الوطني، وبالرغم من هذا فقد أشرفوا على إعداد وثيقة تعد من أهم الوثائق والمحطات التاريخية التي عرفت الجزائر، وعلى هذا الأساس اختلفت وتباينت الرؤى والأحكام بخصوص مؤتمر الصومام ونتائجه.⁽³⁾

وصل خبر اعتقال الرائد عز الدين وثلاث ممرضات بينهن فاطمة بعزي قبيل افتتاح أشغال المؤتمر، فقرر السي صادق، والسي أمحمد، والسي الشريف المغادرة فورا إلى الناحية الرابعة لمواجهة الوضع، كما

¹- نور الدين حاروش، مواقف بن يوسف بن خدة النضالية والسياسية "قراءة في تاريخ الجزائر الحديث"، الجزائر: شركة دار الأمة، 2011م، ص243.

²- يوسف قاسمي، موانيق الثورة الجزائرية "دراسة تحليلية نقدية (1954م-1962م)، إشراف، بوصفصاف عبد الكريم، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008م/2009م، ص149.

³- نور الدين حاروش، المرجع السابق، ص244.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

قرر السي صادق تكليف كلا من بن يوسف بن خدة وسعد دحلب الذين لم يشاركا في المؤتمر بمهمة تنظيم الاتصال بين المنطقة الرابعة والجزائر العاصمة.⁽¹⁾

بدأ المؤتمر أشغاله بصفة رسمية يوم 20 أوت 1956م، وكان الرأي في البداية قد توجه إلى تكوين لجان متخصصة لدراسة مشاريع المؤتمر التمهيدية، واتفقوا قبل ذلك على المناقشة الجماعية لبعض القضايا الخاصة التي كانت قد حدثت في المناطق الثلاث: الثانية والثالثة والرابعة، فأحدثت ضجة لدى بعض القادة وهي:

-أولاً: قضية الليلة الحمراء التي اتهم أميروش بارتكابها في قرية فرعون أو إيقونداجن شرق وادي الصومام، فحواها أن الثوار كانوا قد نفذوا عمليات قتل في قاندين من عائلة أروابح بعد أن رفضا التسليم من وظيفتيهما كما أمرت جبهة التحرير الوطني، وكان لهذين الإخوين أخا كان نائبا في البرلمان سابقا فغضب حيال الأمر وأظهر العصيان وعادى الثورة، فكون فريقا من الحركة لمحاربتها، حيث نظم استعراضا بسطيف على رأس 3000 حركي وجند كل رجال القرية هذه الفرق، بعدما قام الجنرال دوفور DUFOURE بتدعيمها.⁽²⁾

فشلت جهود عميروش في إعادة رجال القرية إلى الثورة، ولما اشتدت مخاوفه من أن يمتد العصيان إلى بقية القرى الأخرى قام بتصفيتهم في ليلة واحدة، وحسب شهادة Yves La Courrière بأنه قتل في الليلة الواحدة ما بين 1000 و1200 رجل وإمرأة وهذا ماسمي بالليلة الحمراء، إلا أن الرائد السي حميمي الذي كان حاضرا ومسئولا مع عميروش أكد أن عدد الذين أعدموا يتراوح بين 85 و100 ولا يزيد عن ذلك، وكان كلهم رجالا فقط، وفي استجواب قام به يحيى بوعزيز مع الرائد السي حميمي أكد فيه هذا الأخير مبالغة La Courrière ومن هم على شاكلته.

دافع أميروش عن موقفه لما تم عرض القضية في المؤتمر مستعينا برأي الإمام مالك الذي يجيد بجواز قتل الثلث لاصلاح الثلثين الباقيين، ودافع عنه كريم بلقاسم وحال دون إدانته رغم رفضه لأسلوبه، بحجة أن الثورة قامت لتحمي الشعب لا لأن ترتكب المجازر ضده، وأوضح للمؤتمرين أن عميروش رجل

¹ - يحيى بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة التاريخية (أول نوفمبر 1954م - 19 مارس 1962م)، الجزائر: شركة دار الأمة، 2004م، ص76.

² - نفسه، ص77.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

جاد ومتحمس لخدمة الثورة، وبحوزته المزيد من الأسلحة والذخائر والجنود أحسن من غيره في كل المناطق التاريخية، وتم بالفعل تجاوز المشكلة.⁽¹⁾

ثانياً: مجزرة سكامودي SAKAMODY التي قيل أنه ارتكبها كوموندو علي خوجة الذين قتلوا عددا من رجال ونساء الأوروبيين في المنطقة الرابعة، فدافع أوعمران على علي خوجة ورجاله وأوضح للمؤتمرين أن ذلك لا يمكن أن يقارن بما ارتكبه ويرتكبه الجيش الفرنسي في النساء والأطفال الجزائريين، وأن مجرى الحادثة كان قد مر بظروف خاصة، وبذلك تم تجاوز هذه الحادثة كسابقته.

ثالثاً: أحداث 20 أوت 1955م بالشمال القسنطيني التي اتهم فيها زيغود يوسف بقتل خلالها 71 أوروبيا، وبمقابل ذلك قتلت القوات الفرنسية الاستعمارية 12000 شخصا في سكيكدة، عين عبيد، والخروب، واد زناتي وقالمة وغيرها، حيث شبه المؤرخون تصرفها هنا لا يختلف عن تصرفها أيام مجازر 08 ماي 1945م.⁽²⁾

برر زيغود يوسف صنيعة بأن هذه الحوادث جعلت الثورة تتغلغل في أوساط الشعب الجزائري، وأكسبتها سمعة حسنة ومكانة واسعة وتأييد وتعاطف كبيرين على المستوى الخارجي، وأنه بفضلها حصل جيش التحرير الوطني بالمنطقة الثانية على 700 قطعة سلاح بينما لم يكونوا يملكون شيئا قبل ذلك.⁽³⁾
مضمون وثيقة الصومام 20 أوت 1956م:

استطاع قادة الثورة أن يضعوا بدقة النقاط التي يجب دراستها اعتمادا على التجارب السابقة التي مرت بها الثورة المسلحة لتقادي كل الإشكاليات في المستقبل، وقد احتوى جدول الأعمال على استيراتيجية الثورة في المستقبل سواء السياسية، العسكرية، أو الاجتماعية، كما استمع المؤتمر لتقارير المناطق المقدمة للمؤتمر.⁽⁴⁾

استطاع مؤتمر الصومام أن يخرج بمجموعة من القرارات المهمة التي تناولت مختلف الجوانب التنظيمية للثورة وهي:

(1)- تقسيم البلاد إلى ست مناطق حربية مع تغيير لفظة المنطقة إلى ولاية ابتداء من تاريخ المؤتمر، لتصبح الناحية منطقة، والقسم ناحية، وهكذا يصبح تقسيم الولاية على النحو التالي: الولاية، المنطقة،

¹- يحيى بوعزيز، الثورة في الولاية الثالثة التاريخية (أول نوفمبر 1954م-19 مارس 1962م)، ص78.

²- نفسه.

³- نفسه، ص79.

⁴- محمد لحسن زغيدي، المرجع السابق، ص136.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

الناحية، فالقسمة، يرأسها قائد برتبة عقيد، والملاحظ هنا هو أن هذا التقسيم الإداري الذي أقره مؤتمر الصومام لا يختلف عن التقسيم الذي أحدثه قادة الثورة عشية اندلاعها سنة 1954م، فقد أبقى على نفس الترتيب: الولاية الأولى (الأوراس)، الولاية الثانية (الشمال القسنطيني)، الولاية الثالثة (القبائل)، الولاية الرابعة (الجزائر)، الولاية الخامسة (وهران)، واستحداث الولاية السادسة (الصحراء)، مع إعطاء نوع من الاستقلالية لمدينة الجزائر عن الولاية الرابعة نظرا لخصوصيتها كعاصمة، ولثقلها الديمغرافي والسياسي والديبلوماسي، والتي ستحتضن لاحقا مقرا للجنة التنسيق والتنفيذ التي ستشرف على النشاط الثوري، السياسي، والعسكري بها بقيادة عيان رمضان،⁽¹⁾ هذا على الصعيد الداخلي، أما فيما يخص الصعيد الخارجي فقد تم اعتماد نظام فيديرالية جبهة التحرير الوطني بالمهجر خاصة في فرنسا، والبعثة الخارجية بالقاهرة، وجيش الحدود كتنظيم عسكري في كل من تونس والمغرب الأقصى لاحقا.⁽²⁾

تخضع مراكز القيادة لمبدأ الإدارة الجماعية، مكونة من القائد الذي يحمل صفتان عسكرية وسياسية، وهو يمثل المركزية لجبهة التحرير الوطني ويحيط به ثلاث نواب من الضباط يعثون بالفروع التالية: الفرع السياسي، الفرع العسكري، فرع الاستعلامات والاتصالات، كما توجد مراكز قيادة لكل من الولاية والمنطقة والناحية والقسم.

(2)- القرارات العسكرية: تناولت التوحيد العسكري وما يتعلق به في النواحي التنظيمية والرتب والمخصصات، كما تقرر الانتشار والتوسع والاكثار من الهجمات.

(3)- القرارات السياسية: تناولت التنظيم السياسي وبالشكل الآتي:

أ- المحافظون السياسيون وتتمثل مهامهم الأساسية في: تنظيم وتنشيف الشعب وما يتصل به من الدعاية والأخبار والتوجيه، والحرب النفسية وللمحافظين السياسيين الحق في إعطاء آرائهم في جميع برامج الأعمال العسكرية لجيش التحرير الوطني،⁽³⁾ وباختصار هم أشخاص يعينون على مستوى كل ولاية يعدون بمثابة جهاز الاستخبارات والاستعلامات والاتصالات الذي سينشأ لاحقا تحت إشراف لجنة التنسيق والتنفيذ في العاصمة، ثم في الحدود الغربية تحت إشراف عبد الحفيظ بوصوف.⁽⁴⁾

¹ - الطاهر جبلي، مؤتمر الصومام والقاعدة الشرقية، مجلة المصادر، ع09، الجزائر، 2004م، ص214.

² - يوسف قاسمي، المرجع السابق، ص155.

³ - محمد لحسن زغدي، المرجع السابق، ص138.

⁴ - يوسف قاسمي، المرجع السابق، ص159.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

-ب- المجالس الشعبية: وهي تلك التي تتشكل بواسطة الانتخابات، التي تنتظر في القضايا العدلية، والإسلامية، والمالية، والاقتصادية، والشرطة، تتشكل في كل قرية ودوار وبلدية ويكون المسبلون عمادها، لتكون بمثابة إدارة محلية ترعى الشؤون العامة.

-ج- المنظمات المسيرة:

* المجلس الوطني للثورة: ويتكون من 34 عضوا منهم 17 دأئمون و17 مساعدون، يمثل الهيئة العليا لقيادة الثورة، وهو بمثابة البرلمان وهيئة التشريع، ويجتمع المجلس مرة واحدة في السنة مدة وجود الحرب، وهو المجلس الوحيد الذي بموجب قراراته يستطيع إيقاف القتال.

*لجنة التنسيق والتنفيذ: وتتكون من خمسة أعضاء، وتتجلى مسؤولياتهم في مراقبة التنظيمات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، العسكرية واللجنة المكلفة بإنشاء ومراقبة اللجان المختلفة كما لها الحق في تشكيل الحكومة المؤقتة بالتنسيق مع مندوبي الثورة بالخارج،⁽¹⁾ وهو مذكرو عبد الحفيظ بوصوف في اجتماع لجنة العشرة بتونس سنة 1959م بأن مؤتمر الصومام قد وضع مبدأين وهما: رأسا مدبرا للثورة ويقصد به المجلس الوطني للثورة، ورأسا منفذا لها ويقصد به لجنة التنسيق والتنفيذ،⁽²⁾ وبذلك صارت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنيين يمثلان وحدة القيادة الوطنية التي تحققت بفعل إرادة الشعب الجزائري.⁽³⁾

-د- قرر مؤتمر الصومام فيما يخص العلاقة بين جبهة التحرير الوطنيين بأن يعطي أولوية السياسي على العسكري،⁽⁴⁾ أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الداخل والخارج فقرر بأن يعطي أولوية الداخل على الخارج مع مراعاة مبدأ التشارك في الإدارة، وحول هذه النقطة وضح عبان رمضان أن منطق

¹- محمد لحسن زغيدي، المرجع السابق، ص139.

²- شاوش حباسي، مؤتمر الصومام "آراء ومواقف"، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع04، الجزائر، 2003م-2004م، ص16.

³- جريدة المجاهد، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ع09، 20/08/1957م، ص02.

⁴- لا تخلو العلاقة بين جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني من الوضوح، فجيش التحرير الوطني يتكون من وحدات قتالية كالفيلق والكتيبة وقسمة القطاعات والقوات الخاصة، أما جبهة التحرير الوطني فشمّل كل مايتعلق بالتنظيم السياسي للمقاومة كالاستخبارات والاتصالات والمحاسبة والخدمات الاضافية مثل الصحافة والخدمات الصحية والمنظمات الجماهيرية كالاتحاد العام للعمال الجزائريين وغيرها، والتنظيم السياسي موجود في كل ولاية على النحو التالي: المحافظ السياسي للقسمة، الرقيب الأول السياسي للقطاع، المرشح السياسي للمنطقة، الملازم الأول السياسي للمنطقة، والرائد السياسي للولاية، (للمزيد من المعلومات أنظر: جودي أتومي، وقائع سنين الحرب في الولاية الثالثة (منطقة القبائل) "1956م-1962م" -قصص حرب-، ج02، (د.م)، الجزائر، 2009م، ص83).

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

الأشياء هو الذي يقتضي أن يكون الخارج تابعا للداخل، نظرا لاستحالة قيادة العمل الثوري من الخارج، فضلا على أن الداخل هو مصدر شمولية الثورة وله أهلية التحكم في القوى الرئيسية لها،⁽¹⁾ وهو نفس المبدأ الذي تعترف به جميع الدول وجميع الثورات، كما يؤكد هذا القرار هدف الكفاح الأساسي، وهو نيل الاستقلال الوطني.⁽²⁾

هـ- شكل مؤتمر الصومام محاكم إسلامية لمحاكمة المدنيين والعسكريين المخالفين للنظام الثوري، والمرتكبين للمخالفات والجرائم، وتعتمد على النظام القانوني الثوري بالنسبة للعسكريين وعلى أحكام الشريعة الإسلامية بالنسبة للمدنيين أثناء المنازعات، كنظام بديل يلجأ إليه الشعب بدل التوجه إلى المحاكم الفرنسية التي تصدر أحكامها وفق القانون الوضعي، هذا من جهة ومن جهة أخرى وضع المؤتمر نظاما للانضباط داخل الجبهة مرتكزا على الأخلاق الإسلامية، كما نظم عبر قوانين الجبهة الأخطاء المرتكبة والتي تترتب عنها عقوبات حددها وصنفها إلى:

* أخطاء من الدرجة الأولى: وتشمل الكلام الفاحش والبذاء والتدخين وما إلى ذلك.

* أخطاء من الدرجة الثانية: كرفض الأوامر، النميمة، وقول الزور.

* أخطاء من الدرجة الثالثة: كإفشاء الأسرار، إثارة الفتن، التعامل مع العدو الفرنسي، الاستسلام وغيرها.⁽³⁾

و- أحدث مؤتمر الصومام التاريخي هيكله جديدة على المستوى التنظيمي والسياسي وهو ما عكف قادة الولاية التاريخية الرابعة على تحقيقه ميدانيا من خلال ثلاث مهمات رئيسية نوردتها فيما يلي:

* تركز هيكله الثورة الجديدة على مد النظام الثوري إلى المناطق التي لم يصلها بعد لسبب أو لآخر.

* مساعدة أعضاء الولاية السادسة على استكمال الهياكل التنظيمية على تراب ولايتهم.

* ربط العلاقات بين الولاية الرابعة والولاية الثالثة التاريخيتين شرقا والولاية الخامسة التاريخية غربا عبر جبال تنس والونشريس.⁽⁴⁾

¹- ميلود تيزي، خلفيات الصراع بين الداخل والخارج بعد مؤتمر الصومام 1956م، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع101، الجزائر، ص154.

²- جريدة المجاهد، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، المرجع السابق.

³- يوسف قاسمي، المرجع السابق، ص160.

⁴- بلقاسم خلاص، المرجع السابق، ص21.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

خرج مؤتمر الصومام بوثيقة سياسية، تعتبر الميثاق أو المنهج السياسي الذي سارت عليه الثورة الجزائرية، وقد احتوت الوثيقة على 23 صفحة مكتوبة بالآلة الراقنة، أخرجت في صورتها النهائية في شكل قرارات ثورية تمثلت في وثيقة هيئة التنسيق والتنفيذ لجبهة التحرير الوطني، تقع في 11 صفحة⁽¹⁾ يضاف إليها الغلاف الذي كتبت وسطه، وفي أعلى الصفحة الأولى على اليمين كذلك الشعار التالي لجبهة التحرير الوطني الجزائري عنوانه: "أوامر وتعليمات"، وقد كتبت الوثيقة بالفرنسية ثم ترجمت إلى العربية، أما الجزء الثاني من الوثيقة والذي احتوى على 11 صفحة تمثلت في المنهاج السياسي لمؤتمر الصومام عنوانه: "لضمان انتصار الثورة الجزائرية في الكفاح من أجل الاستقلال الوطني"، وتم توقيع هذه الوثيقة في الجلسة الختامية،⁽²⁾ بأقسامها الثلاثة: الحالة السياسية الراهنة، الآفاق العامة، ووسائل الدعاية.⁽³⁾

كرس مؤتمر الصومام جانبا هاما من أشغاله لقضية الإعلام وأصدر على إثرها مبادئ وقواعد في غاية الأهمية من حيث التأسيس والتوجيه للإعلام الجزائري، سواء أثناء الثورة أو بعدها، فأعطت وثيقة الصومام قراءة جديدة لمفهوم ودور الإعلام الثوري من خلال المحاور التالية: مفهوم ومبادئ الإعلام، ورجال ووسائل الإعلام من خلال ما يلي: "يجب التشبع بالمبدأ، ليست الدعاية ذلك الهرج والمرج المتميز بعنف القول الذي يكون عقيما كالزبد يذهب جفاء، أما وقد أصبح الشعب الجزائري مدركا للأوامر، ومستعدا للعمل المسلح الإيجابي المثمر، فإن كلام جبهة التحرير الوطني يجب أن يكون معبرا عن رشد الشعب باتخاذ شكلا جديا، متزنا معتدلا دون أن ينقصه الحزم والصدق والحماس، الذي يعلي من شأن الثورة".⁽⁴⁾

عالج مؤتمر الصومام التوجهات الإعلامية من خلال جبهتين، جبهة داخلية وأخرى خارجية، وحدد المبادئ الإعلامية وأولويتها بالنسبة للثورة والوسائل الدعائية الملائمة لكل جبهة على النحو التالي:

¹ - حورية ومان، بن يوسف التلمساني: البعد المغاربي للثورة التحريرية الجزائرية من خلال مواعيدها الأساسية "بيان أول نوفمبر 1954م وميثاق مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م، مجلة العلوم الاجتماعية، ع26، الجزائر، سبتمبر 2017م، ص223.

² - نفسه، ص224.

³ - محمد لحسن زغيدي، المرجع السابق، ص139.

⁴ - موسى شرف، الإعلام الثوري الجزائري من النشأة إلى غاية مؤتمر الصومام، مجلة الإنسان المجال، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، ع01، السنة الأولى، المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر، أبريل 2015م، ص69.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

* الجبهة الداخلية: الشعب الجزائري في المدن والبادي، وجيش التحرير الوطني في الجبال.

* الجبهة الخارجية: الرأي العام العربي (المغرب العربي خاصة)، الرأي العام الآسيوي والإفريقي، بالإضافة إلى الرأي العام الغربي، مع التركيز على الرأي العام الفرنسي.⁽¹⁾

وضح أبو القاسم سعد الله فيما يخص النشاط الإعلامي الإذاعي الذي تلى مؤتمر الصومام، بأنه تميز بنشاط اعتمد على جهود وطنية جزائرية بواسطة "صوت جبهة وجيش التحرير الوطنيين" من الإذاعة الوطنية السرية المتنقلة، عكس العام الأول للثورة التحريرية التي اعتمدت في نشاطها الإعلامي بصفة كلية على ما كانت تبثه إذاعة صوت العرب بالقاهرة، بالموازاة مع توحيد اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني تحت غطاء جريدة المجاهد، والتي أصبحت اللسان الوحيد الناطق باسم جبهة التحرير الوطني، وبالرغم من وسائلها البدائية إلا أنها استطاعت أن تشكل تحديا صارخا للنظام الاستعماري مواجهة بذلك كبرى المخاطر.⁽²⁾

أرسى مؤتمر الصومام -رغم الانتقادات التي وجهت له من قبل بعض المعارضين- تنظيما سياسيا محكما وخلق جيشا نظاميا، فقد أثرى منهجيه إيديولوجية جبهة التحرير الوطني وزود الثورة التحريرية الجزائرية بالأدوات التي كانت تنقصها لتوفير أسباب نجاح الكفاح المسلح، وفي هذا الصدد يقول لخضر بن طوبال: "...لكن هذا المؤتمر رغم نقائصه ورغم ضعف التمثيل على المستوى الوطني أقام مع ذلك وحدة نظامية، وشهدنا لأول مرة مثل هذا التنسيق ومثل هذه المعركة، وأعني بذلك تنصيب هياكل كانت هي الهياكل نفسها في جميع الأماكن، ولأول مرة كان لنا جيش موحد لم يكن له في السابق من الجيش إلا الاسم، ولأول مرة أيضا في تاريخ ثورتنا حدد ما يشبه المبادئ...، وبقيادة موحدة في هذا الوقت كان التنسيق فعليا بين الولايات، كما أن التنسيق بين الداخل والمنظمة في الخارج كان حقيقيا، وهو ما لم يكن موجودا من قبل".⁽³⁾

يتحدث العقيد "إيعزورن" عن مجريات المؤتمر قائلا: "بدأ المؤتمر أشغاله في هذا المكان يوم الإثنين 20 أوت 1956م، وضم المؤتمر إخوة في الوطنية والنضال من معظم أنحاء القطر الجزائري، وتمت

¹ - موسى شرف، المرجع السابق، ص70.

² - عمر بوضربة، التدويل من خلال موانئ وتجارب جبهة التحرير الوطني "1954م-1958م"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع12، الجزائر، جوان 2017م، ص222.

³ - محمد يعيش، مؤتمر الصومام عام 1956م وإشكالية تجسيد قراراته، مجلة البحوث والدراسات، ع24، السنة 14، الجزائر، 2017م، ص329.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

مصادقتهم على قرارات هامة عسكرية وسياسية، كان لها أثرها الإيجابي الفعال في جمع كافة الشعب وطاقاته النضالية، وتوسيع الثورة مع التأسيس والتعميق والتنظيم، واستطاع جيش التحرير بعد هذا المؤتمر أن يبسط سلطته على كامل التراب الجزائري منتقلا من حرب العصابات إلى الحرب الجزئية، أما الشعب الجزائري فقد صار بعد هذا اليوم كتلة واحدة تنتظمها أجهزة الثورة وخلاياها، وأصبح لكل فرد دوره في الثورة يقوم به حسبما تقتضيه مصلحة الثورة ومتطلباتها، وانتقل الشعب -بهذا التنظيم- من حالة المستعمر الخامد الذي ينفع بالأحداث الخارجية انفعالا سلبيا إلى حالة المناضل الثوري الواعي الذي يسير الحوادث نحو هدف مقصود وحسب خطة منظمة!!⁽¹⁾، وأسست الثورة المجالس الشعبية التي أصبح الشعب بفضلها يمارس استقلاله الوطني في جميع مجالات الحياة، ويحياها في واقعه اليومي ويتهيئ بذلك لممارسة الحرية والاستقلال.⁽²⁾

أما محمد الصالح الصديق فيقول في هذا الشأن: "إن مؤتمر الصومام سادته الأخوة الحقّة والوطنية الصادقة، وجمع القلوب والمشاعر على حب الجزائر، وحب التضحية من أجلها، وكان التواضع والإيثار ونكران الذات هي أخلاق الجميع حتى أن المؤتمرين عندما انتهى المؤتمر أخذوا صورا تذكارية وألحوا على عبان رمضان أن يتصدرها فاعتذر بأنه يخاف التصوير لأنه يخشى أن يكذب اعتقاده في نفسه بأنه لم يكن على كل حال كما تظهره الصورة، (شيء يقربه من فصيلة⁽³⁾ الخنازير البرية) - كما جاء في (المقاومة) لسان حال جبهة التحرير الوطني، عدد 01، 01 نوفمبر 1956م، ومن هنا كانت نتائج مقرراته استقلال الجزائر وتطهير أرضها من جردان الاستعمار الفرنسي، وبالتالي كان مؤتمر الصومام قد بوأ الجزائر مكانة مرموقة بين دول العالم، حيث كان عنوانا بارزا على وعي قادة الثورة ونضجهم السياسي المتميز.⁽⁴⁾

حدد مؤتمر الصومام هدفا واضحا هو تجهيز الحركة الثورية بدعائم هيكلية ومرجعية فكرية كاملة بغية الانتقال من مرحلة الارتجال إلى مرحلة التنظيم، ومن مرحلة الأداء الفردي إلى مرحلة الأداء الجماعي في إطار منظومة مهيكلية، وقد حقق ذلك من خلال رسم الخطوط العريضة لمنهج قتالي، وإعادة

¹ - محمد الصالح الصديق، رحلة في أعماق الثورة مع العقيد عزورن محمد (بريروش) -مواقف-شهادات-ذكريات-خواطر، الجزائر: دار هومه، 2012م، ص189.

² - نفسه، ص190.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه، ص191.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

تقسيم الجزائر إلى ست ولايات تاريخية عوضا عن المناطق التاريخية التي كان معمولاً بها، كما أقر منطقة مستقلة وهي مدينة الجزائر العاصمة، بالموازاة مع تكريس البنية الهيكلية والتنظيم العسكري لجيش التحرير الوطني، وتحديد الشروط السياسية لوقف القتال مع توضيح ملامح الحكومة المستقبلية التي ستتشكل عقب التخلص من النظام الاستعماري، وقد نتج عن إنشاء الهيئتين الهيكليتين لجبهة التحرير الوطني (المجلس الوطني للثورة الجزائرية ولجنة التنسيق والتنفيذ) التي أصبحت الهيئة العليا للثورة التحريرية، كما اتخذ المؤتمر قرارهم بعد إجراء تقييم للوضع العام في الجزائر على عدة أصعدة منها العسكري، السياسي، الهيكلي والديبلوماسي.⁽¹⁾

¹ - الهاشمي جيار، مؤتمر الصومام الفعل المؤسس بجلوه ومره، تر، حضرية يوسف، الجزائر: منشورات ANEP، 2012م، ص96.

2/- التحديد الجغرافي للولاية الرابعة التاريخية:

تمتد الولاية الرابعة التاريخية من المنطقة المحاذية للبحر الأبيض المتوسط شمالا إلى حدود الصحراء الشمالية الجزائرية جنوبا، ومن حدود غيليزان ومستغانم غربا إلى حدود البويرة وتيزو وزو شرقا، تتخللها خلجان بحرية وسلاسل جبلية وعرة وكثيفة الغطاء النباتي كسلسلة جبال الونشريس والظهرة وجبال بوزقزة والزبربر، كما تحذوها سهول خصبة مستغلة من طرف المستوطنين مثل سهول متيجة، الشلف، سرسو، وببسة.⁽¹⁾

ينطلق الخط الفاصل لحدود الولاية الرابعة التاريخية ابتداء من الساحل الغربي لمدينة تنس، وينحدر جنوبا باتجاه أوريانفيل (الشلف حاليا) وفيالار (تيسمسيلت)، ويمتد إلى حدود الطريق العرضي، ثم يميل باتجاه الجنوب الشرقي، مروراً بالناحية الجنوبية لقصر الشلالة، ثم يعرج باتجاه الشرق نحو مدينة بول كازال (عين وسارة)، سيدي عيسى، باليستر (الأخضرية)، وينغلق المنحنى بكوربي- مارين (زموري)، وعلى الرغم من التعديلات التي أدخلت على هذه الرقعة الجغرافية، بقيت الولاية الرابعة التاريخية تضم عشية إيقاف القتال يوم 19 مارس 1962م ستة مناطق.⁽²⁾

جاء مؤتمر الصومام بعدة تنظيمات مست كل المناطق التاريخية حيث أصبحت المنطقة تعرف باسم الولاية، والمنطقة الرابعة التاريخية كغيرها من المناطق خضعت لهذا التغيير، فأضحت تعرف بالولاية الرابعة التاريخية مثلها فيه كل من أعمر أو عمران، سليمان دهيلس (السي الصادق)، أحمد بوقرة (السي أمحمد) وعلي ملاح (السي الشريف) مسؤول ناحية سور الغزلان،⁽³⁾ وقسمت على إثره إلى ثلاث مناطق، والمناطق بدورها قسمت إلى نواحي والنواحي قسمت إلى أقسام.

قسمت الولاية الرابعة التاريخية بناء على مقررات مؤتمر الصومام إلى ثلاث مناطق:

1. المنطقة الأولى: وتضم شرق المتيجة والأطلس البلدي بجباله الشاهقة حيث يصل ارتفاعها إلى 11000 مترا، تغطي جبال الأطلس البلدي غابات كثيفة انطلاقاً من قمم جبال تابلاط إلى غاية قمم

¹- مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، دليل الولاية الرابعة التاريخية "الماضي-الحاضر والمستقبل"، الجزائر، 2014م، ص 11.

²- محمد تقيّة، حرب التحرير في الولاية الرابعة، تر: بشير بولفراق، دار القصة للنشر، الجزائر: دار القصة للنشر، 2012م، ص 13.

³- أحمد عصماني والحبيب سالم، دور الولاية الرابعة في دعم وتنظيم الولاية السادسة "1956م-1959م"، مجلة مدارات تاريخية، مج 03، ع 02، الجزائر، جوان 2021م، ص 188.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

جبال تامزغيدة،⁽¹⁾ امتدت شرق العاصمة وتشمل الكتلة الجبلية لبوزقزة، الزبربر، تبلاط، والمدن الهامة بها ك: الأربعاء، مفتاح، الأخضرية (باليسترو سابقا)، تابلاط، عين بسام، الثنية (منيل فيل سابقا)، الرويبة، برج الكيفان، والحراش.⁽²⁾

2. المنطقة الثانية: وهي المنطقة الأوسع مساحة، وقد ازدادت اتساعا بعد ضم جزء من الولاية السادسة لها، وتمتد من سيدي فرج شمالا إلى قصر الشلالة جنوبا، وهي تحكم تقريبا منطقة المتيجة بأكملها،⁽³⁾ وقد ضمت الأطلس البلدي، جبال شرشال، سهل متيجة، والساحل والمدن الهامة فيها وهي: البليدة، المدية، البرواقية، بوفاريك، القليعة، موزاية، العفرون، حجوط، شرشال، عين البنيان، الشراقة، بئر خادم، كما تحتوي المنطقة على جبال كثيفة الغابات وذات منحدرات أقل وعورة، والسهوب المتاخمة للصحراء انطلاقا من بوغاري (قصر البخاري)، إلى غاية الشهبونية، عين وسارة وقصر الشلالة جنوبا.⁽⁴⁾

3. المنطقة الثالثة: وفيها جبال الظهرة، زكار، الونشريس، وسهل الشلف وأهم مدنها نجد: ثنية الحد، مليانة، خميس مليانة، عين الدفلى، الشلف، تنس، تيسمسيلت، والمهدية، مع العلم أن الولاية الرابعة التاريخية تحوي بهذه المناطق الثلاث على اثني عشر ناحية وثمانية وأربعين قسما.⁽⁵⁾

عرفت الولاية السادسة التاريخية مشاكل داخلية سنة 1957م بعد استشهاد العقيد علي ملاح المدعو السي الشريف، وذلك إثر قضية "شريف بن السعيد" وهو أحد العملاء المندسين في صفوف الثورة بالولاية السادسة،⁽⁶⁾ وعلى إثر هذا ألحقت المنطقة الأولى منها بالولاية الرابعة لتصبح المنطقة الرابعة لها،⁽⁷⁾ ثم تمت إعادتها بعد تنظيم الولاية السادسة من جديد تحت قيادة العقيد السي الحواس، وتشمل هذه المنطقة: جبال ديرة، جبل بوقعدن، الكاف الأخضر، وأهم المدن نجد: سور الغزلان، سيدي عيسى، عين بوسيف، بير عبالو، قصر البخاري، قصر الشلالة.⁽⁸⁾

1- محمد تقي، المرجع السابق، ص14.

2- بلقاسم خلاص، المرجع السابق، ص16.

3- محمد تقي، المرجع السابق، ص 14.

4- نفسه، ص14.

5- بلقاسم خلاص، المرجع السابق، ص16.

6- سنتطرق إليه بالتفصيل في الفصل الخامس.

7- مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، دليل الولاية الرابعة التاريخية...، المرجع السابق، ص11.

8- بلقاسم خلاص، المرجع السابق، ص16.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

تحتل الولاية الرابعة التاريخية مكانة واسعة وأهمية قصوى في مسار الثورة التحريرية الجزائرية، لما لها من موقع جغرافي متميز يجعلها تتوسط البلاد، واحتوائها على جبال وغابات وسهول تسهل استراتيجيات حرب الكمائن، كما أنها تتاخم البحر عبر مسافة ثلاثة مائة كيلومتر، فضلا عن احتضانها لمدينة الجزائر والتي تمثل عاصمة البلاد، والتي تعد مدينة استيرراتيجية بالنسبة للاستعمار الفرنسي، كما نجد بها ارتفاع الكثافة السكانية الاستعمارية، فمنذ سنة 1830م كانت هذه المنطقة من أكثر المناطق إغراء للمستوطنين لما يمتد عليها من سهول خصبة كسهل المتجة، وسهل الشلف.

عرفت الولاية الرابعة التاريخية تركز كثيف للتواجد العسكري في المنطقة سواء على المستوى العددي أو على مستوى البنية العسكرية من ثكنات ومراكز حراس الغابات ومطارات، كمطار الدار البيضاء، مطار عين وسارة، مطار بير غبارو، وغيرهم، وبالموازاة مع ذلك كانت تتمركز بها معظم المراكز الاقتصادية والإدارية للإدارة الاستعمارية.⁽¹⁾

عرفت الولاية الرابعة التاريخية تقسيما جديدا في صيف 1958م، حيث قسمت المنطقة الثالثة التي تقع غربا إلى قسمين، فشمالا أصبح منطقة رابعة وجنوبا بقي منطقة ثالثة كل عليها مجلس سياسي وعسكري.

تعرضت الولاية الرابعة التاريخية إلى تقسيم آخر سنة 1959م، فتم تأسيس منطقة خامسة في الجهة الجنوبية لها، ضمت المنطقة الأولى من الولاية السادسة بها عدة مدن نذكر منها: سور الغزلان، سيدي عيسى، عين بسام، عين بوسيف، كما نجد بها جبل بوقعدون وديرة وأراضي شبه صحراوية.

أخذت الولاية الرابعة مبادرة لضم العاصمة -مدينة الجزائر- بموافقة مجلس الثورة وكونت منطقة جديدة هي المنطقة السادسة لها، متضمنة إيطارات من جيش التحرير الوطني الذين كانت لهم معرفة خاصة بالعاصمة، وجاء هذا القرار نتيجة للاستراتيجية الجديدة التي اتبعها جيش التحرير الوطني سنة 1960م مواجهها بها مخطط شال هذا من جهة، ومن جهة أخرى أمام فراغ العاصمة من النظام منذ سنة 1957م.⁽²⁾

¹ - بلقاسم خلاص، المرجع السابق، ص 17.

² - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، دليل الولاية الرابعة التاريخية "الماضي-الحاضر والمستقبل"، المرجع السابق، ص 12.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

تتميز الولاية الرابعة التاريخية بتنوعها الجغرافي إذ نجد بها تقريبا مختلف أصناف التضاريس التي تتشكل منها أقاليم الجزائر، فضلا عن وادي الشلف الشهير بسهوله المعطاءة، إلى جانب سهول المتيجة الذائعة بخصوبة أراضيها، وتقدر مساحتها بـ 100 كلم طولا و 50 كلم عرضا، وتضم جزءا من سهل سرسو الشهير بأراضيها المنتجة للحبوب، ضف إلى ذلك منطقة الساحل وهي منطقة هامة لزراعة الخضر، وبالرغم من أن هذه الأقسام تتباين مع المناطق الجبلية الفقيرة بمواردها، لكنها كانت⁽¹⁾ تشكل ملاجئ حصينة إبان الثورة التحريرية المسلحة، فيما تتميز السهوب بأراضيها الجرداء، تتوسط السهول الغنية شمالا والجبال الجرداء في أغلبها جنوبا.

تميزت سهول متيجة ووادي الشلف بتمركز أكبر عدد من المستوطنين وملاك الأراضي الزراعية، ومن مشاهير ملاك الساحل نجد بورجو الأفرسينغ والجرمن وغيرهم ممن استوطن بالمتيجة، كما استوطن الجرمان أيضا بسهول الشلف ومستعمرات سرسو، ومما يلاحظ هنا هو أن توطين المستوطنات في الأراضي الأكثر خصوبة بكثرة ينبأ بمدى شراسة المعركة المنتظرة بالمنطقة.

كان يقطن بهذه الأراضي ملاك أصليين يملكون جزءا من ثروات هذه المنطقة خاصة فيما يتعلق بسهول الشلف، ومن بينهم نذكر على سبيل المثال لا للحصر: عبد القادر سايج رئيس الجبهة الجزائرية، بن طيب بوطيبة، الباش آغا بوعلام وغيرهم، وهم من النخب في عهد الإدارة الاستعمارية يتقاسمون عدة آلاف من الهكتارات ومن أجود أنواع الأراضي بالمنطقة، كما نجد بها المزارعين الجزائريين العاملين بحقول الخضر والحمضيات الذين استحوذوا على العديد من الأراضي الفلاحية ذات النوعية الجيدة في كل من الساحل ومنطقة المتيجة.⁽²⁾

يعيش سكان الجبال حالة من الفقر المدقع جنوب الأطلس البليدي وفي أعماق الونشريش وجبال الظهرة والتيطري في أكواخ مبنية بالطوب وتجميع لأغصان الأشجار، أو تبنى بخليط من الطين والتبن، ويغطي السقف بالديس، ويعتدون في عيشتهم على بعض الشجيرات المثمرة من أشجار التين والزيتون والبلوط، بينما تنتشر بعض المشاتي الصغيرة للفلاحين الصغار في سهول الشلف والمناطق الجبلية

¹ - محمد تقي، المرجع السابق، ص 16.

² - نفسه، ص ص 16، 17.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

الصالحة للزراعة وتربية المواشي، في حين يقطن السهوب الموالون الرحل وشبه الرحل، ومقارنة بسكان المناطق الجبلية فهؤلاء يعيشون نوعا من الاستقلال الاقتصادي.⁽¹⁾

¹ - محمد تقيّة، المرجع السابق، ص 17.

3/- التنظيم السياسي والإداري في الولاية الرابعة التاريخية:

قسمت كل ولاية في مؤتمر الصومام إلى مناطق، والمناطق إلى نواحي والنواحي إلى أقسام والقسم إلى نصف قسم، تدار هذه الهياكل والمناطق من قبل هيئات أو مجالس قيادية على مستوى الولاية التي هي أعلى جهاز، أو على مستوى نصف القسم الذي يأتي في قاعدة الهرم. تتشكل الهيئات القيادية على مستوى جميع هذه المستويات من مسئول سياسي عسكري يساعده ثلاثة نواب.⁽¹⁾

1.الولاية: تعد الولاية هيئة إدارية توجد في أعلى هرم التنظيم الإداري على المستوى الولائي، يرأسها مسئول يجمع بين الصلاحيات السياسية والعسكرية يساعده ثلاثة نواب، الأول مكلف بالشؤون السياسية وهو المحافظ السياسي، والثاني مكلف بالشؤون العسكرية، أما الثالث فهو مكلف بالأخبار والاتصالات، ويشكل هؤلاء مجتمعين مجلس قيادة الولاية، وقد وزعت المهام على أعضاء المجلس الولائي على النحو الآتي:

1.1- قائد الولاية: وهو المسئول الأول على مستوى الولاية يجمع بين الصلاحيات السياسية والعسكرية، يحمل رتبة صاغ ثاني، يعين بصفة رسمية من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم من قبل الحكومة المؤقتة الجزائرية بعد سنة 1958م، ويتولى عدة مهام نورد أهمها فيما يلي:

* تعيين إطرارات الولاية على مستوى الهياكل الإدارية من أعلى إلى قاعدة الهرم السياسي.
* المشاركة في الاجتماعات الوطنية التي تعقدها لجنة التنسيق والتنفيذ أو المجلس الوطني للثورة سواء داخل التراب الوطني أو خارجه.

* رئاسة المجلس في جميع الاجتماعات التي يعقدها هذا الأخير.
* تحديد صلاحيات ومهام كل مسئول في الولاية وتوزيعها على رؤساء اللجان التابعة لجيش التحرير الوطني، كلجنة الإعلام، ولجنة الصحة ولجنة التموين وغيرهم.

* التدخل الإيجابي في حل الخلافات والنزاعات الواقعة خارج حدود الولاية التاريخية الرابعة.

* تقديم التقارير الدورية للمجلس الوطني باسم الولاية.⁽²⁾

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجاً-، المرجع السابق، ص 111.
² - محمد قنطاري، مؤتمر الصومام ومؤسساته السياسية والعسكرية، "الندوة الفكرية حول مؤتمر الصومام"، الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد، 19- 20 أوت 1996م، ص12.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

2.1-المحافظ السياسي: يعين المحافظ السياسي على رأس وحدة إقليمية بناء على قرارات مؤتمر الصومام، يكون حاملا لرتبة صاغ أول، وتجلت مهمته في التنظيم السياسي للشعب الجزائري الذي كان مهيكلا في خلايا وأفواج وفرق أو دواوير حسب طبيعة الميدان، فقد خضعت السهول والمراكز العمرانية للسلطة المباشرة للمحافظ السياسي، كونها مصدر امدادات الثورة في أعماق الجبال، ولأسباب أمنية كان التنظيم محاطا بالسرية التامة مما أوجب اختيار أسلوب التنظيم المنفصل عن بعضه البعض في خلايا وأفواج متخصصة في:

- * جمع المال والأدوية، تنظيم المراكز، جمع الاستعلامات حول تحركات العدو وكشف الخونة.
- * تشكيل الخلايا وانتقاء الفدائية مع تنظيم عملية الاتصالات.⁽¹⁾
- * تعليم اللغة العربية عن طريق إقامة مدارس في الوسط الريفي.
- * تنظيم الإدارة حتى يتسنى للثورة التحكم في جميع الشؤون المدنية والاجتماعية والاقتصادية للمواطنين.
- * وضع إحصاء لضحايا حرب التحرير.
- * تقديم الخدمات العامة للمواطنين في مجال التعليم والإدارة والصحة والتوجيه والفلاحة.
- استحداث نظام للتعاون من أجل إعادة بناء ماهدمه الاستعمار الفرنسي من منازل ومنشآت الإشراف من خلال القيادة على مستوى القسم والناحية على تسيير المدارس القرآنية المتواجدة على مستوى الأرياف والمدن كالمدرسة الزبيرية بالمدينة ومدرسة الإرشاد بالبلدية.
- * تنظيم أسواق تلتقي فيها الأعراش وسكان الجبال بسكان السهول للتبادل التجاري.
- يتم اختيار المحافظ السياسي وفق مقاييس معينة منها فصاحة اللسان، الوعي السياسي، الشجاعة، السيرة الحسنة والثقة بالنفس، ويخضع المحافظ السياسي على مستوى القسم لأوامر المحافظ السياسي على مستوى الناحية، والذي بدوره يخضع لأوامر المحافظ السياسي على مستوى المنطقة، وهذا الأخير يخضع لأوامر المحافظ السياسي على مستوى مجلس قيادة الولاية، والذي يخضع بدوره لقائد الولاية على وجه الخصوص.⁽²⁾

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الولاية الرابعة، التقرير السياسي من 20 أوت 1956م إلى نهاية 1958م، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية، ج1، الجزائر، (د.ت)، ص34.

² - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص113.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

نتج عن إضراب الثمانية أيام 1957م تحطيم نظام المدن نتيجة لما أعقب هذا الأخير من عمليات القمع، فأصبح النظام في المراكز العمرانية تحت المسؤولية المباشرة للمحافظ السياسي المتواجد في أنحاء المدن أو بالمراكز المهيأة داخل المدن نفسها.⁽¹⁾

استطاع المحافظ السياسي أن يحقق انتصارات كبيرة وأن يضطلع بنشاطات مكثفة في الأرياف أكثر منها في المدن بحكم طبيعة النظام الذي أقره مؤتمر الصومام، فشمّل بذلك المحافظ السياسي كل قطاعات الحياة في الدوار، وكان يعقد الاجتماعات العامة لسكان الدوار قصد توعيتهم وشرح مغزى الكفاح الوطني ضد المستعمر الفرنسي، وهو ما يعرف بالتربية السياسية.⁽²⁾

3.1-المسئول العسكري: يشرف المسئول العسكري على جميع الشؤون العسكرية على مستوى الولاية، تتم ترقيته من بين أعضاء مجالس المناطق التابعة للولاية ويكون حاملا لرتبة صاغ أول، يتكفل بالإشراف على عملية التدريب والتكوين العسكري للوحدات العسكرية، الكوموندوس، الكتيبة، والفيلق، كما يدرس الترقيات الخاصة بإطارات جيش التحرير الوطني على مستوى المناطق وتقديمها لمجلس الولاية للموافقة عليها، بالموازاة مع الإشراف على وضع الخطط العسكرية للتصدي للعدو وصناعة القنابل والمتفجرات، وتقديم تقارير دورية للهيئات العليا للثورة عن الوضع العسكري للولاية، حيث تتضمن حصيلة المعارك، الكمائن، والاشتباكات، بالإضافة إلى تسيير مصلحة صيانة الأسلحة والإمداد العسكري وتخزين الأسلحة الخفيفة والثقيلة، كما يقوم بتوزيع المهام على الهيئات العسكرية التابعة لسلطته، وبذلك فالمسئول العسكري هو مساعد قائد الولاية في تسيير الشؤون العسكرية.⁽³⁾

4.1-مسئول الأخبار والاتصال: يكون مسئول الأخبار والاتصال عضوا في المجلس الولائي برتبة صاغ أول (رائد) أسندت له مهمة الإعلام والاتصال ومن صلاحياته مايلي:

- * ضمان الاتصال بين الولاية الرابعة والولايات الأخرى.
- * الاتصال بين القيادات السياسية والعسكرية المتواجدة في المناطق الجبلية (الفدائيين والمسلحين المتواجدين في المناطق الحضرية وشبه الحضرية لتزويد الثوار بما يحتاجون إليه من تموين، وكذا بالمعلومات التي تخدم الثورة).

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الولاية الرابعة، التقرير السياسي من 20 أوت 1956م إلى نهاية 1958م، المرجع السابق، ص 35.

² - نفسه، ص 38.

³ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص 113، 114.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

* الإشراف على شبكات نقل البريد بين مراكز قيادة جيش التحرير الوطني وعلى جهاز الإعلام والدعاية، والتنسيق مع المسؤول السياسي لإعداد برنامج سياسي وإعلامي لرفع معنويات جيش التحرير الوطني، وكذا تجنيد الجماهير وتنظيم المظاهرات.⁽¹⁾

كان يختار مسئول الأخبار والاتصال وفق شروط معينة نبرز أهمها فيما يلي:

- إتقانه للغتين الفرنسية والعربية فضلا عن الرسوم الكاريكاتورية.
- معرفة المنطقة التي يشرف عليها معرفة كاملة وشاملة، حتى يتسنى له معرفة المسالك والطرق التي يتحرك فيها، ومعرفة سكان المدن والقرى الذين هو بصدد التعامل معهم، فضلا عن نقاط المراقبة التي يضعها العدو في كل ناحية وكل قسم.
- استغلال المعلومات التي تزوده بها الشبكة الإعلامية التابعة للثورة في مختلف الهياكل، بالإضافة إلى المعلومات التي يمكن أن تزوده بها العناصر العامة داخل الثكنات العسكرية الفرنسية -أو المواطنين المتواجدين داخل المحتشدات والمعتقلات، لأن شبكة الإعلام التابعة لجبهة وجيش التحرير الوطنيين متواجدة في كل مكان، وعلى كل مسئول إعلام استغلالها.
- حسن المعاملة مع المواطنين حتى ينال ثقتهم وبالتالي يوفونه بالمعلومات الخاصة بتحريك العدو وعملائه.
- التحلي بالقدرة على الكتمان والمحافظة على المعلومات، ومن أهم رواد هذه المهمة لدينا صالح زعموم، عمر أوصديق، لخضر بوشمع، وكثيرا ماكان السي أحمد بوقرة يشارك في صياغة وكتابة النشريات والمناشير.⁽²⁾

تميزت الولاية الرابعة التاريخية بخصائص مهمة في نظامها الإداري الثوري، حيث أنها اتسمت بكونها لم يكن لها مقرا مستقرا وثابتا، وإنما اختيار المكان كان مرتبطا بعوامل مختلفة ومتباينة على رأسها: توفر عنصر الأمن، فقد اتخذ قادة الولاية منذ إنشائها مقرات مختلفة أغلبها تقع في مناطق جبلية محصنة بعيدة عن أعين العدو وعملائه كجبال التيطري والشرية والزرير، ويترتب أحيانا تغيير مقر الولاية في فترة وجيزة مرة أو مرتين تبعا لتطورات الأحداث ومجرياته، وهذا للحفاظ على سرية العمل الثوري، والحرص على عدم اكتشاف مكان الولاية.

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص114.

² - نفسه، ص115.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

يعود اختيار مقر الولاية إلى المسئول نفسه، فهو الذي يختار المكان طبقا لمعرفته الجيدة به وبسكانه، حتى يستطيع ممارسة مهامه ووظيفته على أكمل وأحسن وجه، كما لم تكن للولاية حدودا ثابتا، فكثيرا ما كانت تطرأ تغيرات في حدودها طبقا لما تمليه طبيعة المرحلة وتطوراتها.

يجتمع مجلس الولاية شهريا لتقييم الوضع ودراسة المشاكل المطروحة على الساحة الولاية لمحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، فعقد أول اجتماع ولائي للولاية الرابعة التاريخية في شهر سبتمبر على ضوء قرارات مؤتمر الصومام في جبل الزبير من عام 1956م بغرض شرح قرارات المؤتمر، لينطلق بعدها التطبيق الميداني للقرارات.⁽¹⁾

توالت على قيادة الولاية التاريخية الرابعة ست قيادات نوردها بإيجاز فيما يلي:

***- القيادة الولاية الأولى (سبتمبر 1956م - ديسمبر 1956م):** وقد تولى مسؤوليتها أعمر أو عمران بمساعدة كل من:

- سليمان دهيلس: مسؤول عسكري برتبة صاغ أول (رائد).
- أحمد بوقرة المدعو السي أحمد مسؤول سياسي برتبة صاغ أول (رائد).
- صالح زعموم مكلف بالأخبار والاتصال برتبة صاغ أول (رائد)، حيث كانت الولاية مقسمة إلى ثلاث مناطق، فحرصت القيادة في هذه المرحلة على ترجمة قرارات مؤتمر الصومام في ميدان الهيكل والتنسيق والتنظيم العسكري والسياسي والإداري.⁽²⁾

***- القيادة الولاية الثانية (ديسمبر 1956م -أفريل 1957م):** وقد ترأسها سليمان دهيلس المدعو السي صادق خلفا للعقيد أو عمران الذي التحق بالخارج، تكون مجلس الولاية خلال هذه الفترة من:

- الصاغ الثاني سليمان دهيلس مسؤول سياسي وعسكري.
- الصاغ الأول السي أحمد بوقرة مسؤول عسكري.
- الصاغ الأول عمر أو صديق المدعو السي الطيب مسئول الأخبار والاتصال،⁽³⁾ وقد اتسمت هذه الفترة بتواصل عملية التنظيم طبقا لمقررات مؤتمر الصومام الذي تدعم بعد إضراب الثمانية أيام (28 جانفي - 04 فيفري 1957م) الذي انجر عنه التحاق عدد كبير من الشباب الذين التحقوا بصفوف الثورة الجزائرية،

¹- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية، "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص116.

²- المنظمة الوطنية للمجاهدين، الولاية الرابعة، التقرير السياسي من 20 أوت 1956م إلى نهاية 1958م، المرجع السابق، ص 39.

³- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية، "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص117.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

فمن هم من جند في صفوف الجيش ومنهم من أصبح من إطارات الولاية، ومنهم من أرسل إلى الخارج لجلب السلاح.⁽¹⁾

تميزت هذه المرحلة ببداية تشكيل الكتائب، حيث أصبحت لكل ناحية كتيبة ولكل منطقة كوموندو ولكل قسم فصيلة، كما تشكل أيضا فيلق الولاية إلا أنه سرعان ما تم التخلي عن هذا النموذج لعدم ملاءمته والظروف القتالية بالمنطقة، كما حرصت قوات جيش التحرير الوطني خلال هذه الفترة بمواجهة العناصر المضادة للثورة.

* - القيادة الولائية الثالثة (أفريل 1957م - 05 ماي 1959م): ترأس هذه القيادة العقيد أحمد بوقرة، حيث شرع هذا الأخير مباشرة بعد توليه قيادة الولاية في تشكيل مجلس الولاية الذي عرف عدة تغييرات خلال فترة قيادته، فقد كان أول مجلس في الفترة الممتدة ما بين أفريل 1957م وأفريل 1958م، والذي كان مكونا من:

- الصاغ الثاني أحمد بوقرة مسئول سياسي وعسكري.
- الصاغ الأول رابح مقران مسئول عسكري.
- الصاغ الأول صالح زعموم مسئول سياسي.
- الصاغ الأول عمر أوصديق المدعو السي الطيب (مسئول الأخبار والاتصال)، واستمر هذا المجلس إلى غاية استشهاد الرائد السي لخضر في 05 مارس 1958م، ليصبح مجلس الولاية متكونا من العناصر الآتية الذكر في الفترة الممتدة ما بين (أفريل 1958م - سبتمبر 1958م)⁽²⁾
- الصاغ الثاني أحمد بوقرة مسئول سياسي وعسكري.
- الصاغ الأول رابح زراري (المدعو السي عز الدين) مسئول عسكري.
- الصاغ الأول صالح زعموم مسئول سياسي.
- الصاغ الأول عمر أوصديق مسئول الأخبار والاتصال.

¹ - أحمد بن جابو، دور السي أحمد بوقرة في الثورة الجزائرية، إشراف، مسعودة يحياوي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2000م/2001م، ص38.

² - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص119.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

دام هذا المجلس إلى غاية تشكيل الحكومة المؤقتة الجزائرية في شهر سبتمبر 1958م، فتوجه عمر أوصديق إلى الخارج إثر تعيينه كاتباً للدولة في الحكومة المؤقتة، والتحاق الرائد عز الدين أيضاً بعد إطلاق سراحه بالحكومة المؤقتة في الخارج.

أصبح مجلس الولاية التاريخية الرابعة مع بداية سنة 1959م مكوناً من العناصر التالية:

- الصاغ الثاني العقيد أحمد بوقرة مسئول سياسي عسكري.

- الصاغ الأول الجيلالي بونعامة مسئولاً عسكرياً.⁽¹⁾

- الصاغ الأول صالح زعموم مسئولاً سياسياً.

تميزت هذه الفترة من الحكم الإداري في الولاية الرابعة بإعادة تنشيط النظام في مدينة الجزائر في شهر سبتمبر سنة 1958م، تقادياً للفراغ السياسي الذي لحق بها، فأسندت عملية إعادة التنظيم في المدينة إلى أحمد فخار، كما تم وضع هيكل خاص من طرف قادة الولاية عرف باسم مصلحة الإعلام والدعاية في شهر فيبرابر من سنة 1957م، فضلاً عن إرسال الممرضات إلى الخارج ماعدا فئة قليلة منهن اللاتي فضلن البقاء في تراب الولاية الرابعة.⁽²⁾

* - القيادة الولائية الرابعة (قيادة صالح زعموم ماي 1959م جوان 1960م): ترك العقيد أحمد بوقرة باستشهاده فراغاً كبيراً في القيادة على مستوى الولاية الرابعة، ونظراً لعدم تدخل الحكومة المؤقتة الجزائرية بتعيين من يستخلفه، عقد اجتماع موسع لمجلس الولاية يوم 14 جانفي 1960م في الروابح شمال بوغار، حضره كلا من:

- الصاغ الأول السي صالح مسئول عسكري (قائد الولاية بالنيابة).

- الصاغ الأول الجيلالي بونعامة مسئول سياسي.

- الصاغ الأول النقيب السي لخضر مسئول (المنطقة الرابعة).

- الصاغ الأول النقيب حليم مسئول (المنطقة الأولى).⁽³⁾

تقرر في هذا الاجتماع تقييم الوضع السياسي والعسكري ودراسة الخطة الجديدة للقتال وضم المنطقة الخامسة إلى الولاية الرابعة بعد أن كانت تابعة للولاية السادسة إثر الحوادث التي جرت في هذه الأخيرة،

¹- نظرية شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجاً-، المرجع السابق، ص119.

²- نفسه.

³- صادق بخوش، مذكرات الرائد السي لخضر بورقعة "شاهد على اغتيال الثورة"، تق، الفريق سعد الدين الشاذلي، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة، 08 ماي 2000م، ص47.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

والتي كان من نتائجها استشهاد الطبيب الجغلاي النائب الأول للقائد السي الحواس وضباط آخرون وهم السي خالد كاتب الولاية السادسة، الضابط حميد الذي عين على رأس الفياق المتوجهة إلى الولايات المتضررة، السي الجيلالي قائد فرقة رجال الصاعقة "الكوموندوس" الذي كان مكلفا بمكافحة المصاليين في جبل بوكحيل، كما تقرر أيضا إيفاد مبعوثين النائب الأول للولايات الأولى والثانية والثالثة والسادسة للنظر فيما إذا كان ممكنا تطبيق بعض أو كل قرارات اجتماع العقداء، كما تم إعادة تشكيل مجلس الولاية ومجالس المناطق، ليصبح هذا الأخير مكونا من:

- صالح زعموم: مسئول سياسي وعسكري برتبة صاغ أول (قائدا بالنيابة) في انتظار تعيينه من قبل الحكومة المؤقتة (استشهد قبل أن يصله التعيين).⁽¹⁾
- صاغ أول الجيلالي بونعامة مسئول عسكري.
- صاغ أول السي لخضر بوشمع مكلف بالاستعلامات والاتصالات.
- ضابط ثاني السي حليم مفوضا سياسيا، ومن خلال هذه المرحلة تم نقل مقر مجلس الولاية من الونشريس إلى التيطري.⁽²⁾

2. المنطقة: تدار المنطقة من قبل مسئول سياسي وعسكري برتبة ضابط ثاني يتمتع بصلاحيات واسعة في إدارة الشؤون العسكرية والسياسية في حدود منطقته الجغرافية بأقسامها ونواحيها، يساعده ثلاث نواب برتبة ضابط أول، الأول مكلف بالشؤون السياسية والثاني بالشؤون العسكرية والثالث بالأخبار والاتصال، وقد عرفت الولاية الرابعة التاريخية أول تقسيم لها إلى ثلاث مناطق ومع انتشار الثورة تشكلت المنطقة الرابعة ثم الخامسة وفي أكتوبر 1960م استحدثت المنطقة السادسة.⁽³⁾

3. الناحية: يكون المسئول الأول بالناحية برتبة ملازم أول يساعده ثلاثة نواب:

- مسئول سياسي برتبة ملازم.
- مسئول عسكري برتبة ملازم.

¹- صادق بخوش، المرجع السابق، ص 47.

²- نفسه.

³- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص 125.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

- مسئول مكلف بالأخبار والاتصال برتبة ملازم، وإلى جانب هؤلاء هناك كاتب الناحية، ممون، ممرضون، ومسئول نزع الألغام والاتصال بالناحية، ولمجلس الناحية كل الصلاحيات في إصدار القرارات والأوامر على مستوى الناحية.

4. القسم: وهو التنظيم الذي يقع في أسفل الهرم التنظيمي ويضمن الاتصال بالقاعدة الشعبية وبمناضلي جبهة التحرير الوطني، ويتشكل مجلسه من أربعة أعضاء، مسئول القسم وهو سياسي عسكري برتبة مساعد، المحافظ السياسي والمسئول العسكري ومسئول الأخبار والاتصال برتبة عريف أول، حيث توكل لكل واحد منهم مهام معينة، فالمحافظ السياسي مثلاً هو المسئول عن العلاقات مع الشعب ومناضلي جبهة التحرير الوطني، فهو يقدم لهم التوجيهات ويشرف على انتخابات المجالس الشعبية، وينصب لجنة الاتصال المشكلة من ثلاثة أعضاء وينشط اللجنة الخماسية التي تدير سياسياً المجالس الشعبية على مستوى الأرياف والمدن، يمكن أن ينبثق عنها لجان صغرى على مستوى الدوار والأحياء في المناطق الحضرية، وتتكون لجنة الخمسة من:

- رئيس الدوار: وهو رئيس اللجنة والمسئول المباشر أمام المحافظ السياسي.
- مسئول الأمن والمراقبة.
- مسئول الشؤون الاجتماعية والثقافية.
- مسئول القضاء والإدارة.
- مسئول المالية والتموين، كما ينقسم القسم إلى أنصاف أقسام حسب اتساع رقعة القسم وعدد السكان به.⁽¹⁾

5. المجالس الشعبية: شرعت الولاية الرابعة التاريخية في تأسيس المجالس الشعبية بالمدارس تطبيقاً لقرارات مؤتمر الصومام، بهدف إعطاء الحرية التامة للشعب لاختيار ممثليهم تحت إشراف المحافظ السياسي للقسم، والذين تكمن مهمتهم في تنسيق وتنظيم الشعب وتوفير الدعم المادي والمعنوي للثورة التحريرية.⁽²⁾

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجاً-، المرجع السابق، 138.

² - نفسه، ص 139.

6. المصالح الملحقة بجيش التحرير الوطني: اعتمد جيش التحرير الوطني على عدة مصالح ساعدته في تحقيق انتصارات كبيرة في معركته مع الجيش الفرنسي، حيث كان لهذه الأخيرة دور كبير في إيجاد التناسق بين وحداته من جهة، ولمسايرة الآلة الاستعمارية من جهة أخرى، ومن أهم هذه المصالح نذكر:

1.6- مصلحة الصحة: كان لجيش التحرير الوطني مراكز صحية يرأسها أطباء وممرضون مهمتهم تكمن في الكشف الطبي عن المنخرطين في جيش التحرير الوطني، حيث يهتم كل مركز بالفيلق التابع له، أما الكتائب فلها مستشفيات متنقلة تستقبل الجرحى وتقدم لهم العناية الأولية ثم توجههم إلى المناطق الأبعد والأكثر أمنا، وغالبا ما توجد هذه المستشفيات في الغابات والجبال، وقد استفادت الثورة من خبرات الأجانب في هذا المجال سواء كانوا أطباء أو ممرضين، عربا أو أوروبين.

2.6- مصلحة الطبوغرافيا: تلخص عمل هذه المصلحة في تصميم الخرائط الخاصة بالولايات والمناطق التابعة لها، فضلا عن النواحي والقسمات وكذلك تحديد مناطق تمرکز العدو الفرنسي، فكانت بمثابة دليل لجيش التحرير الوطني في تنقلاته وتنفيذ هجماته، وقد أعد هذه الخرائط مختصون في الطبوغرافيا.⁽¹⁾

3.6- مصلحة المراسلات: كان يتم اختيار رجال من بين أحسن المناضلين لتكوين حلقة اتصال من العناصر النشطة التي تتتابع في توصيل الرسائل والنشريات لجيش التحرير الوطني، ولا يتنقل العنصر المكلف بالتبليغ إلا لمسافات قصيرة، وتحسبا لعدم اكتشاف هذه العناصر من قبل العدو الفرنسي كان يتم تغييرها من وقت لآخر.

أصبح جيش التحرير الوطني يستعمل الوسائل الحديثة للربط بين مختلف وحداته، وأصبحت الولايات مرتبطة فيما بينها بشبكة جيدة للراديو الذي يستخدم في الغالب بين الوحدات الصغيرة، أما الاتصالات بين القادة فكانت تتم بأجهزة الذبذبات والشفرة، وقد تولى جيش التحرير الوطني عن أجهزة الراديو القديمة الألمانية الصنع التي تعود لسنة 1942م، واستبدلت بأخرى حديثة من صنع أمريكي التي تعمل بواسطة المولدات اليدوية، وقد احتجزت فرنسا ست محطات راديو من هذا النوع في طائرة للخطوط الجوية الفرنسية التي تربط بين المغرب وتونس وتحط في مدينة نيس الفرنسية.⁽²⁾

¹- أبو بكر حفظ الله، هيكله جيش التحرير الوطني في الداخل بعد انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م، مجلة البحوث والدراسات، ع06، الجزائر، جوان 2018م، ص215.

²- نفسه، ص216.

4.6- مصلحة الاستخبارات: تمحورت مهمة هذه المصلحة في الاستعلام عن تحركات العدو الفرنسي وتحديد أهدافه ومحاربة عمليات اختراق جيش التحرير الوطني وتصفية الخونة، كما تهتم هذه المصالح بهوية الجندي فلكل مجاهد بطاقة تعريف خاصة به، كما تقوم بإحصاءات عامة لمجموع الجنود وهناك أرشيف يكتب فيه اسم ولقب وتاريخ ازدياد الجندي وسنة انخراطه في الجيش، ووضعية عائلته واختصاصه في الخدمة العسكرية السابقة إن كان قد أداها في الجيش الفرنسي، وكذا الإصابات التي تعرض لها والوضعية الحالية له والسلاح الذي يحمله ورقم البندقية أو الرشاش كما تدرس هذه المصالح مزاج الجندي وميولاته، ولكل مركز قيادة كتاب عنوانه "سقطوا فداء للوطن"، وهذا السجل يحمل أسماء الشهداء وقوائم أسرى جنود⁽¹⁾ جيش التحرير الوطني لدى الجيش الفرنسي، والجنود الفرنسيين الأسرى لدى جيش التحرير الوطني، وهناك قسم خاص بالعمليات التي تمت على مستوى الفيلق أو الكتيبة أو الوحدة، كما كانت تسجل تواريخ المعارك ومدتها وخسائر العدو والغنائم وكذا خسائر جيش التحرير الوطني.

5.6- مصلحة الاعلام والصحافة: تعمل هذه المصلحة في حدود كل ولاية، يتمثل دورها في توزيع النشريات والجرائد التي تتكلم عن نشاط الثوار، ونشر الأشعار والأناشيد المخدلة لجيش التحرير الوطني وأبطاله، وتشرح سياسة جبهة التحرير الوطني للشعب والجيش وكذا أهداف الحرب، كما كانت تنشر المعلومات الصحيحة عن كل معركة أو كمين لتفويت فرصة المغالطة على العدو الذي يحاول دائما مغالطة الشعب الجزائري والرأي العام الفرنسي والعالمي، وكان لكل فرقة أو كتيبة أو قسم كتابا خاصين يكتبون عن الثورة وبطولات جيش التحرير الوطني، كما يعملون على صياغة التوصيات والتقارير الآتية من القيادة وتكون هذه الكتابات غالبا باللغة الفرنسية في الولاية التاريخية الرابعة، وذلك راجع إلى عدة عوامل تاريخية تتعلق بطبيعة تكوين القادة، والمشرفين على جيش التحرير الوطني.

6.6- المصالح الاجتماعية والقضائية: تهتم هذه المصالح بالحالة الاجتماعية للشعب، وهي مشكلة من مجالس شعبية منتخبة تسهر على إعداد دفاتر خاصة بالشهداء، وعقود الزواج والطلاق، وتكوين المحاكم الشرعية للبت في النزاعات الشخصية تحت لواء العدل والمساواة، وذلك بالاعتماد على فقهاء⁽²⁾ في الدين الإسلامي، وهذا مازاد من التقاف الشعب حول جبهة وجيش التحرير الوطنيين كون أن أحكامهما مستمدة من تعاليم الشريعة الإسلامية، ويمكن للمجلس أن يشكل شرطة سرية من الجزائريين مهمتها مراقبة

¹ - أبو بكر حفظ الله، هيكله جيش التحرير الوطني...، المرجع السابق، ص216.

² - نفسه، ص217.

تحركات الجيش الفرنسي والغرباء عن المناطق جنودا كانوا أو جزائريين، أما فيما يخص المحاكم العسكرية فقد كانت مشكلة من أفراد جيش التحرير الوطني، يقوم حكمها بمقتضى القانون الداخلي للجيش الذي تفرضه ظروف الحرب مع مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية طبعاً.⁽¹⁾

7.6 - مصلحة الذخيرة: تهتم هذه المصلحة بتصليح وصيانة السلاح وصنع القنابل، خاصة تلك التي أخذت من العدو الفرنسي ولم تتفجر، وكانت هذه الشبكة منظمة إذ تكونت من عدة ورشات متنقلة في الجزائر، البليدة، القصبة، باب الوادي، نهج غرناطة، وكانت بناية الشبكة تتألف في الغالب من ثلاث طوابق، الأول خاص بالمادة الأولية، والثاني خاص بالصناعة والتركيب، والثالث للخرن والاستعمال، ويشرف على هذه الورشات مهندسون وطلبة، وقد تمت البرهنة على تطور صناعة هذه القنابل واستعمالها في معركة الجزائر سنة 1957م.⁽²⁾

¹ - أبو بكر حفظ الله، هيكله جيش التحرير الوطني...، ص 217.

² - نفسه، 218.

4/- التنظيم العسكري في الولاية التاريخية الرابعة:

بدأ العمل المسلح في الجزائر بوحدة عسكرية تشكلت أساسا من المناضلين الأوائل الذين ينتمون إلى صفوف المنظمة الخاصة، إلا أن هؤلاء لم تكن لهم الخبرة الكافية بالعمل العسكري ماعدا أولئك الذين أدوا الخدمة العسكرية الإلزامية في الجيش الفرنسي، لأن طبيعة الكفاح في المرحلة التي تسبق تفجير الثورة التحريرية الجزائرية اتسمت باتباع طريق العمل السياسي القائم على الدعوة لتحسين الأوضاع والمساواة في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والفرنسيين والأوروبيين.

كان لابد من تجنيد الشباب الجزائري وتهيئته لخوض غمار الكفاح المسلح في صفوف جيش التحرير الوطني، فمنهم من لم يكونوا منتمين إلى أي جهة سياسية سابقا، ومنهم من كانوا مجندين في صفوف الجيش الفرنسي ثم فروا منه والتحقوا بالثورة الجزائرية، وهم من ساهموا في عمليتي تأطير وتدريب الفئات الشبانية على العمليات العسكرية وحرب الكمان، ولرصد عملية التنظيم العسكري في الولاية التاريخية الرابعة علينا ذكر أهم العناصر العريضة التي تخص الجانب التنظيمي لجيش التحرير الوطني وهي:⁽¹⁾

أ- تنظيم وحدات جيش التحرير الوطني:

1. كوماندو: يوجد الكوماندو على مستوى المنطقة، ويتكون من حوالي 120 إلى 130 مجاهدا، يتم اختيارهم من أحسن العناصر الموجودة في الكتائب والفيالق، تتراوح أعمارهم ما بين 18 و 24 سنة،⁽²⁾ يتم تدريبهم وتكوينهم في الجانب السياسي، العسكري، والديني ليصبحوا إطارات في الولاية من جهة، وليصبحوا ركيزة داعمة للفرق العسكرية الأخرى (الكتائب والفيالق) من جهة ثانية،⁽³⁾ وقد تكونت في الولاية الرابعة التاريخية ثلاث فرق من الكوماندو نردها فيما يلي:

1.1- كوموندو علي خوجة بالمنطقة الأولى: تدعت أفواج وفصائل جيش التحرير الوطني للناحية الأولى من المنطقة الرابعة (المنطقة الأولى من الولاية الرابعة)، بتشكيل نواة وحدة الكوموندو خلال سنة 1955م، وتعود فكرة إنشائه إلى الشهيد مصطفى خوجة،⁽⁴⁾ حيث فر علي خوجة من الجيش الفرنسي يوم 17 أكتوبر 1955م والتحق بالثورة في المنطقة الأولى من الولاية الرابعة، وبعد أن تأكد أوعمران من

¹- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص95.

²- مليكة عالم، المرجع السابق، ص29.

³- مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد ظريف عبد القادر، مدة التسجيل 30 د و 20 ثا.

⁴- تم تعريفه سابقا (أنظر الفصل الأول).

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

قدراته القتالية من خلال العمليات التي شارك فيها، أسند له قيادة فوج من المجاهدين ثم قيادة فصيلة من فصائل الناحية، وكانت فصيلته هذه أول فصيلة وأول كتيبة بالمنطقة مع فصيلة السي لخضر.⁽¹⁾ كونت هذه الفصيلة من عناصر اختيرت من أفواج عمر الشايع، لكبير عبد العزيز، علي الداودي، والسي لونيس واشترط فيهم أن يكونوا قد سبق لهم وأن شاركوا في حرب الهند الصينية، وقد سلح علي خوجة فصيلته من الكمائن والهجومات الناجحة تسليحا جيدا بعد أن كانت تحمل مسدسات وبنادق صيد، كما تمكن من تسليح جنود النواحي الأخرى ومدهم باللباس، حيث ركز في هذه الفترة على ضرورة تزويد الثورة التحريرية بالإمكانات البشرية.

اقترح علي خوجة على قيادة المنطقة تشكيل وحدة الكوموندو رسميا في نهاية شهر جوان من سنة 1956م، ومنحت له الموافقة من قبل قادة المنطقة بعد دراسة طلبه بصفة جيدة، ليشكل لاحقا مدرسة عسكرية هامة لتكوين الإطارات السياسية والعسكرية التي تعززت بها هياكل الثورة الجزائرية، فقد كان هؤلاء المجندون يتوفرون على مستوى معين من التعليم سواء بالعربية أو الفرنسية، حاملين لأسلحة من الطراز الأول أغلبها فرنسية الصنع تم الاستحواذ عليها أثناء العمليات العسكرية، وكانت البازوكا هي السلاح الغالب لدى الكوموندو إضافة إلى الأسلحة النصف ثقيلة كمدافع الهاون والرشاشات،⁽²⁾ وحول هذا الموضوع يقول المجاهد مصطفى البليدي⁽³⁾: "إن السبب الرئيسي لتشكيل كوماندو علي خوجة يعود إلى أن هذا الأخير كان قد رأى الفرق في التكوين العسكري بين جنود الجيش الفرنسي وجنود جيش التحرير الوطني، بحيث تدربت جيوش العدو في أكبر المدارس العسكرية والحربية الفرنسية، بينما تكوين جيش

¹ - عائشة حسيني وآيت مدور محمود، دور علي خوجة خلال الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة التاريخ المتوسطي، مج04، ع03، الجزائر، ديسمبر 2022م، ص79.

² - نفسه، ص80.

³ - مصطفى البليدي: ولد مصطفى البليدي في دوار سيدي الفضيل بأعالي الشريعة، التحق بصفوف الثورة التحريرية وهو في سن الثامنة عشر سنة، بحيث كانت له اتصالات في البداية مع المدعو السي بن يوسف المتواجد في الصومعة، ومحمد السويدي، والطبيب الجغالي، وقدور المعسكري، والسي مصطفى القرواي، وهؤلاء هم بالذات من قاموا بعملية التنظيم والتحضير للثورة في منطقة متيجة، يعتبر مصطفى البليدي أحد مؤسسي كومتدو علي خوجة بمنطقة باليسترو (الأخضرية حاليا)، ارتقى لرتبة ملازم أول، شارك في العديد من المعارك والاشتباكات بالمنطقة ضد الاستعمار الرنسي ضمن فرق الكوماندو، حيث بلغ عددها حوالي 21 مشاركة، بالتقى بأهم قادة الولاية الرابعة التاريخية أمثال أعمار أو عمران الذي كان مقربا كثيرا من العقيد عز الدين ولخضر المقراني، (للمزيد من المعلومات أنظر: وكالة الأنباء الجزائرية، شهادة المجاهد مصطفى البليدي، مدة التسجيل 15 د و15 ثا).

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

التحرير الوطني مقتصر فقط على الخبرة التي اكتسبها في الحرب العالمية الثانية أو في تجنيده أثناء حرب فرنسا مع الهند الصينية، ولذا كان لزاما على الجزائر أن تواجه فرنسا بمدارس لتكوين مختلف الإطارات السياسية والعسكرية، من أجل أن تكون خبيرة في التحضير والتخطيط للكمان والعمليات العسكرية".

استطاع علي خوجة في فترة قصيرة لا تتجاوز العشرة أشهر تشكيل أول وأقوى كوموندو على مستوى الولاية الرابعة، إذ أصبح قوامه في نهاية شهر جوان من سنة 1956م 150 رجلا مسلحا تسليحا جيدا، الأمر الذي جعل قيادة الولاية تمنحه رخصة مرور داخل مختلف مناطقها لتستفيد هذه الأخيرة من خبرته العسكرية.⁽¹⁾

عرف كوموندو علي خوجة في بداية الأمر باسم كوموندو بوزقرة، ثم تغير إلى كوموندو المنطقة الأولى، وبعد استشهاد علي خوجة أضحي يعرف باسمه، كما عرف أيضا بمسمى "كوموندو الموت"، ونظرا لقوته في الميدان فقد أرغم الجيش الفرنسي بالمنطقة على تقصي أخباره وتقفي أثره بهدف الإيقاع به نتيجة شهرته ونجاح عملياته العسكرية ضد العدو الفرنسي.

عين على رأس وحدة الكوموندو القائد السي لخضر بعد استشهاد مصطفى خوجة يوم 11 أكتوبر 1956م، ليتم في اجتماع بوكرام في شهر جانفي من سنة 1957م تعيين الرائد عز الدين قائدا جديدا لوحدة الكوموندو بعد أن نقل السي لخضر إلى مهام أخرى بالولاية، وبعد تعيين الرائد عز الدين قائدا عسكريا في مجلس الولاية الرابعة، عين على رأس وحدة الكوموندو القائد يحيوي العربي المدعو السي عبد النور.⁽²⁾

2.1- كوموندو السي أمحمد بالمنطقة الثانية: شارك هذا الكوموندو رفقة كوموندو علي خوجة في مساعدة الولاية الأولى التي كانت تعاني من مشاكل داخلية، ونتج عن هذه العملية فقدان الكوموندو للعديد من عناصره وإطاراته، ولقد جاء قرار مشاركة الكوموندو في هذه العملية بعد اجتماع قادة الولاية برئاسة السي أمحمد بوقرة، والذي تقرر فيه مساعدة الولايات التي كانت تعاني من مشاكل داخلية، فتولى الرائد عز الدين قيادة كوموندو هذه المنطقة (البلدية، والمدينة) مؤقتا بعدما كلفته قيادة الولاية بذلك على إثر استشهاد قائد هذا الكوموندو والعديد من إطاراته، مما أدى إلى انخفاض معنويات جنوده، أين طلب منه

¹ - عائشة حسيني وآيت مدور محمود، المرجع السابق ، ص80.

² - نفسه، ص ص80، 81.

إعادة تنشيط ورفع معنويات عناصر هذه الوحدة، فانطلق الرائد عز الدين إلى هذه المنطقة وقام بالهجوم على أحد المراكز للحركة الذي كان قريبا جدا من إحدى القواعد العسكرية للجيش الفرنسي، أين نجح في أسر عدد من الخونة واغتنام عدد كبير من الأسلحة على إثر مباغته حراس هذا المركز ومساعدة أحد الحركة الذي تعاون مع المجاهدين وسهل لهم عملية المداخلة، وهو ما أعاد النشاط والحيوية لعناصر هذا الكوموندو بالإضافة إلى عمليات أخرى ناجحة قادها معه الرائد عز الدين.⁽¹⁾

3.1- كوموندو السي جمال بالمنطقة الثالثة: حمل هذا الكوموندو اسم قائده الياس إمام المدعو "السي جمال" الذي ينحدر من ناحية المدينة، استشهد في معركة أبراز بجبال زكار (مليانة) في سبتمبر 1957م، وخلفه أحمد ريس في قيادة الكوموندو والذي ينحدر من جليلة.⁽²⁾

2. الكتيبة: تعتبر الكتيبة وحدة تضم 90 إلى 100 مقاتل، تنقسم إلى ثلاث فرق تضم بدورها 30 مقاتلا، وتنقسم هي الأخرى إلى ثلاثة أفواج تتألف كل واحدة منها من 11 رجلا، بالإضافة إلى خمس إطارات أي مائة وعشرة جنديا يشرف عليها ضابط برتبة ملازم أول ونائبه برتبة مساعد، وتتميز الكتيبة بكونها تعيش في حركية دائمة، وذلك بدافع اليقظة والأمن بالإضافة إلى ذلك تحرص على تواجدتها في مختلف نواحي المنطقة، والمحافظة على التوازن في تنفيذ العمليات العسكرية على امتداد الإقليم الخاص بها ويكون الممون عادة ملحقا بالكتيبة، وكثيرا ما كانت تقسم هذه الكتائب إلى فرق وأفواج من أجل سيرورة النشاط وتطبيق عمليات أكثر، وسهولة التنقل والاختباء،⁽³⁾ وبعد سنة 1956م كونت الولاية الرابعة عدة كتائب موزعة على النحو التالي:

1.2- كتائب المنطقة الأولى:

1.1.2- الكتيبة العمارية: بالناحية الأولى.

2.1.2- الكتيبة الرحمانية بالناحية الثانية: خاضت هذه الكتيبة عدة اشتباكات ومعارك على طول جبال بوزقة ومرتفعات جراح.⁽⁴⁾

¹- عزيز خيثر، المرجع السابق، ص701.

²- نفسه، ص702.

³- نادية نعلمان، كتائب جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية "الكتيبة الحمدانية أنموذجا"، مجلة مدارات تاريخية، مج01، ع03، الجزائر، سبتمبر 2019م، صص 582، 583.

⁴- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص97.

3.1.2- الكتيبة العثمانية بالناحية الثالثة: نشطت هذه الكتيبة ناحية الأخضرية، وخاضت عدة معارك

مع العدو قاومت بكل شجاعة رغم تقاطع الناحية بعدة طرق ملتقة حول الجبال ووعرة المسالك.

4.1.2- الكتيبة السليمانية بالناحية الرابعة (عين بسام): كانت تنشط في مساحات معينة معتمدة على

اختيار الأماكن الاستراتيجية لتموقعها مثل جبل سيدي يحيى، وجبل سيدي سليمان الذان شهدا أكبر المعارك،⁽¹⁾ حيث كانت تحوي المناطق التالية: الهلالة، أولاد سيدي سليمان، بني مسيل، المخاطرية،

الصفحات، أولاد لاحق، الضبابي، قابو، سيدي سالم، المالح، وحمام الفراكسة.⁽²⁾

5.1.2- الكتيبة الخجاوية: كثفت من نشاطها بمحور واسع على حدود الولاية الثالثة إلى حدود الولاية

السادسة جنوبا، وتضم في صفوفها أحسن المقاتلين في استعمال السلاح، والذين يملكون خبرة عسكرية وتجربة حربية اكتسبوها في الميدان، قد تعاقب على قيادتها مجموعة من الضباط وعلى رأسهم الرائد زيراري رابح المدعو السي عز الدين سنة 1957م،⁽³⁾ ورابح مقراني، ثم يحيوي العربي، وقادة بن زروق، الربيع زروقي، بوسيف، محمد سليمان، بلعيد وعلي موصطاش وآخرهم السعيد حزام، كانت هذه الكتيبة تنشط بجبال الأخضرية وسوفلات والزبربر إلى بوزقرة وتابلط وجبال الصباح وسور الغزلان وديرة وضواحي وادي المالح، وكانت تنسق عملياتها العسكرية مع كتائب المنطقة الثانية والخامسة، ولم يقتصر نشاطها فقط على هذه المناطق بل تعداه إلى الولاية الثالثة التاريخية بأمر من الولاية الرابعة سنة 1959م، كما أرسلت هذه الكتيبة أيضا في نفس السنة إلى المنطقة الرابعة من الولاية السادسة لتصفية العناصر المصالية بالمنطقة.

2.2- كتائب المنطقة الثانية:

1.2.2- الكتيبة العمرية بالناحية الثانية.

2.2.2- الكتيبة اليوسفية بالناحية الثالثة.⁽⁴⁾

3.2.2- الكتيبة الحمدانية بالناحية الثالثة: أسست الكتيبة الحمدانية في أوت 1956م بمنطقة جبل

بوحرب ناحية منطقة سيدي سميان نظرا لعلوه وخلوه من السكان، -وسميت بالحمدانية نسبة إلى الشهيد

¹- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية: "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجا-، المرجع السابق، ص98.

²- مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد عليقي سالم، مدة التسجيل 07 د و 17 ثا.

³- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية...، المرجع السابق، ص98.

⁴- نفسه، ص99.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

محمد أحمد بن موسى المدعو السي حمدان-، انطلاقا من مجموعة من الفصائل التالية: فصيلة السي جلول بن ميلود، فصيلة السي الفاسي، فصيلة السي عبد الحق، وبعض من العناصر التابعة لفصيلة السي موسى.⁽¹⁾

مونت الكتيبة الحمدانية بالسلح الذي تم الاستحواذ عليه في كمين تيزي فرانكو يوم 09 جانفي 1957م، ثم تم جمع الثوار من مختلف مناطق الولاية الرابعة التاريخية، أمثال المجاهد رابح عشار المدعو العفروني والذي كان ينشط بناحية تامزغيدة، وأحمد بن علي عبد القادر المدعو القنطوش الذي كان ينشط في قسم قصر البخاري وبوعلام كرسال المدعو السي حاتم والذي كان ينشط ضمن الكتيبة اليوسفية.⁽²⁾

كانت الكتيبة الحمدانية تنشط بالناحية الثالثة من المنطقة الثانية للولاية الرابعة وذلك في الفترة الممتدة ما بين "1956م-1958م" بموزاية، يحدها من الجهة الشرقية طريق شفة ومن الجهة الجنوبية واد تمزقيدة، ونشطت في الفترة الممتدة ما بين "1958م-1959م" بالناحية الثالثة للمنطقة الرابعة، وأسست المنطقة في شهر ماي 1958م بأجزاء من المنطقة الثانية والثالثة، والتي تكونت من ثلاث نواحي: الناحية الثالثة منها ضمت قسمين من الناحية الثالثة بالمنطقة الثانية وحدودها هي: البحر الأبيض المتوسط شمالا، جبل زكار جنوبا، شعبة القطاع شرقا، وواد الداموس غربا.

تقع ضمن حدود الكتيبة الحمدانية مجموعة من المدن وهي: شفة، العفرون، موزاية، مراد، بوريكة، حمر العين، مرانقو (حجوط حاليا)، بومدفع، قوراية، شرشال، تيبازة، القليعة، دواودة، واد العلايق، فوكة، حطاطبة، بواسماعيل، وبيرار (عين تاقورايت حاليا)، وهذا حسب التقسيم الإداري الفرنسي، كما عرفت الكتيبة الحمدانية بحركتها الدائمة فكانت تقريبا تدخل كل أسبوع في اشتباك مع قوات العدو، وفي شهر ماي سنة 1958م انقسمت الكتيبة الحمدانية بقيادة السي زوبير الفاسي، والكتيبة اليوسفية بقيادة السي حاتم، لتحل نهائيا في أواخر سنة 1959م وقسمت إلى أفواج، فأصبحت بعدها تقوم بعمليات فدائية خاطفة دون تسجيل أية خسائر.⁽³⁾

¹ - وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد محمد أورمضان المدعو خير الدين.

² - وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، المرجع السابق. شهادة كل من رابح عشار

المدعو وأحمد بن علي عبد القادر المدعو القنطوش وبوعلام كرسال المدعو السي حاتم

³ - نعلمان نادية، المرجع السابق، ص583.

4.2.2- الكتيبة الزبيرية بالناحية الرابعة: كلف عبد القادر طهراوي المدعو عبد القادر لكحل رفقة جماعة بتكوين الشباب في الدواوير ليصبحوا إطارات في جيش التحرير الوطني، كما حرص على تكوين المسبلين رفقة محمد زيتوني ومحمد رواض ومحمد بودريالة حسب شهادة المجاهد بوكتب بوعلام،⁽¹⁾ بينما انفرد هذا الأخير بالعمل مع المحافظين السياسيين.⁽²⁾

تشكلت الكتيبة الزبيرية في بادئ الأمر من طرف كل من: عبدون العربي،⁽³⁾ أحمد الشفة، مصطفى عندو الله، السي عمار، الطاهر لغواطي، محمد بونعجة وهو ممرض منحدر من منطقة الأغواط، السي علي، السي محفوظ. وغيرهم، وقد أطلق على الكتيبة الزبيرية هذا الاسم نسبة إلى القائد السي الزبير الذي استشهد في كمين بمنطقة حمام ريغة أثناء مهاجمته لإحدى سيارات الجيب الفرنسية.⁽⁴⁾

5.2.2- الكتيبة العزدينية بالناحية الرابعة.

3.2- كتائب المنطقة الثالثة.

¹⁻ **بوكتب بوعلام:** ولد المجاهد بوكتب بوعلام في بلدية جندل، حيث ينحدر من عرش جندل، درس القرآن الكريم سنة 1934م في جامع سيدي محي الدين بالمنطقة، كان أحد أبرز عناصر الكتيبة الزبيرية، واشتغل بها كمحافظ سياسي في الفترة الممتدة ما بين (1958م - 1961م) في القسم الثالث من الناحية الأولى للمنطقة الثانية بالولاية الرابعة التاريخية، ليعين بعدها مسؤولاً عن قسم قصر البخاري منذ سنة 1961م إلى غاية الاستقلال، للمزيد من المعلومات أنظر: منظمة المجاهدين لولاية المدية، **شهادة المجاهد بوكتب بوعلام**، 2002/10/22م، مدة التسجيل 02سا و02د و55ثا).

²⁻ منظمة المجاهدين لولاية المدية، المرجع السابق.

³⁻ **عبدون العربي:** ولد المجاهد عبدون العربي سنة 1934م في منطقة سيدي سميان بضواحي منطقة شرشال، اشتغل كعامل يومي في مزارع الكولون، التحق بالخدمة العسكرية الفرنسية عندما بلغ سن الثامنة عشر سنة، أين قامت السلطات الفرنسية بإرساله إلى الهند الصينية، ليبقى هناك مدة 28 شهرا، عاد إلى الجزائر سنة 1954م وأرسل رفقة أصدقائه إلى منطقة بوغار فمكث فيها سنتين، ليهرب منها في يوم من أيام سنة 1956م على الساعة التاسعة صباحا ويلتحق بالجبل، أين التقى بجنود جيش التحرير الوطني على الساعة السابعة مساء بالناحية الرابعة من المنطقة الثانية للولاية الرابعة (المدية)، فاصطحبه المجاهدون الذين التقى بهم إلى كتيبة السي عبد العزيز بمنطقة أولاد هلال على الساعة العاشرة ليلا، وفي الصباح تواصل مع المسئول المدعو السي عبد العزيز شخصيا بعد أن قدمه له المجاهد يوسف بن خروف، والذي كانت له معرفة مسبقة بالعربي عبدون كونه كان يشتغل برفقته عسكريا ضمن القوات الفرنسية في بوغار ليهرب منها هو أيضا، تحول العربي عبدون لاحقا من المدية إلى بني ميسرة بالبلدية، ليعود لاحقا رفقة يوسف بن خروف والسي عبد العزيز ومجاهدين آخرين إلى المدية حيث كان عددهم 17 مجاهدا، ليتم منحهم مناصب متنوعة اختلفت بين قائد ناحية وقائد منطقة ورئيس فوج، وشكلوا لاحقا الكتيبة الزبيرية، تقلد عبدون العربي رتبة عريف من طرف السي عبد العزيز بعد نجاحه في كمين خميس مليانة، (للمزيد من المعلومات أنظر: مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، **شهادة المجاهد عبدون العربي**، 2008/12/26م، مدة التسجيل 46 دو 57 ثا).

⁴⁻ مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد عبدون العربي، المرجع السابق.

1.3.2- الكتيبة الحسينية بالناحية الأولى.

2.3.2- الكتيبة الحميدية بالناحية الثانية.

3.3.2- الكتيبة القودية بالناحية الثالثة.

4.3.2- الكتيبة الكريمة بالناحية الثالثة.

5.3.2- الكتيبة الحسينية بالناحية الرابعة.⁽¹⁾

4.2- كتائب المنطقة الرابعة:

1.4.2- الكتيبة الحكيمة بالناحية الأولى.

2.4.2- الكتيبة الزبانية بالناحية الثانية.

3.4.2- الكتيبة الولية بالناحية الثالثة.⁽²⁾

3. الفيلق: يتشكل الفيلق من ثلاث كتائب وعشرين إطاراً أي بما يعادل ثلاثمائة وخمسون عسكرياً سواء ضباط، أو ضباط صف، أو جنود، يشرف عليه مسئول الناحية وهو ضابط برتبة ملازم ثاني، ونائبه ضابط برتبة ملازم أول، وفي واقع الأمر لم تتم إقامة بنية الفيلق من الناحية العضوية إلا في السنوات الأخيرة للثورة التحريرية.

4. الكتيبة: تضم الكتيبة ثلاثة فصائل بالإضافة إلى خمس إطارات، بما يعادل مائة وعشرة جندياً يشرف عليها ضابط برتبة ملازم أول ونائبه برتبة مساعد.

5. الفصيلة: تضم الفصيلة خمسة وثلاثون جندياً بالإضافة إلى رئيس الفرقة ونائبه، أي تضم خمسة وثلاثين جندياً يشرف عليها صف ضابط برتبة مساعد ونائبه برتبة عريف أول.

6. الفوج: يتكون الفوج من إحدى عشرة جندياً، وهناك نصف الفوج المتكون من خمسة جنود، ويرأس الفوج صف ضابط برتبة عريف أول أو عريف بمساعدة جنديين أوليين.⁽³⁾

ب- الرتب العسكرية والتسميات:

اعتمد جيش التحرير الوطني على الرتب العسكرية والتسميات التي كانت مستعملة في المنطقة الثالثة (منطقة القبائل)، وهي نفسها التي بقيت معتمدة عبر كامل التراب الوطني بعد مؤتمر الصومام.

¹- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية، "1954م-1962م" -الولاية الرابعة أنموذجاً-، المرجع السابق، ص 99.

²- نفسه، ص 100.

³- أبو بكر حفظ الله: هيكله جيش التحرير...، المرجع السابق، ص 210.

1. الجندي الأول: وشعار رتبته ثمانية بالأرقام الهندية لونها أحمر، ويعلق الشعار على الذراع الأيمن.⁽¹⁾
 2. العريف: وشعار رتبته ثمانيتان بلون أحمر.
 3. العريف الأول: وشعار رتبته ثلاث ثمانيات بلون أحمر.
 4. المساعد: وشعار رتبته سبعة بالرقم الهندي يشقها خيط أبيض.
 5. الملازم الأول: وشعار رتبته نجمة بيضاء.
 6. الملازم الثاني: وشعار رتبته نجمة حمراء.
 7. الضابط الأول: وشعار رتبته نجمتان احدهما حمراء والأخرى بيضاء.
 8. الضابط الثاني: وشعار رتبته نجمتان بلون أحمر.
 9. الصاغ الأول: وشعار رتبته نجمتان بلون أحمر ونجمة بيضاء.
 10. الصاغ الثاني: وشعار رتبته ثلاثة نجوم بلون أحمر.
- ج- أفراد جيش التحرير الوطني:

ينقسم أفراد جيش التحرير الوطني إلى قسمين، القسم النظامي والمتمثل في المجاهدين، والقسم غير النظامي أو ما يسمى بالقوات المساعدة، والمتمثل في الفدائيين والمسبلين ونورد تعريفهم فيما يلي:

1. المجاهدون: وهم جنود جيش التحرير الوطني الذين يرتدون زيا عسكريا موحدا، ويعتبرون القوة الضاربة للجيش، يقاتلون العدو الفرنسي في كل الميادين ويباشرون كل أنواع الحرب، من كمين ومواجهة في كل الأوقات، وقد أقرت بهذا البلاغات الصادرة عن الحكومة الفرنسية، ويعرف المجاهد بأنه كل من حمل السلاح وانخرط في سلك الجندية متخذا⁽²⁾ له أهدافا محددة وهي تحقيق الاستقلال التام، واسترجاع السيادة الوطنية عبر كامل التراب الوطني، مع إجلاء جيوش الاحتلال والوصول بالشعب الجزائري إلى أن يحكم نفسه بنفسه حكما ديمقراطيا سلميا من طرف أبناءه الوطنيين.

يحمل كل جندي منهم على كتفه الأيسر شارة تمثل العلم الجزائري، نقشت عليها عبارة "جيش التحرير الوطني الجزائري"، أو يحمل على صدره علامة عبارة عن "هلال ونجمة"، وتعطى هذه الأخيرة للمتطوع مع السلاح عندما ينضم بصفوف الجيش، ولا ترى إلا أقلية منهم ممن يحافظون على لبس

¹ - أبو بكر حفظ الله، هيكله جيش التحرير...، المرجع السابق، ص210.

² - مزيان سعيدي، جيش التحرير الوطني: تطوره ومعالم من استراتيجيته العسكرية (1954م-1958م)، مجلة مصداقية، (د.د)، (د.ت)، ص173.

"الشملة" فوق رؤوسهم، كما نجد أن كل جندي من جيش التحرير الوطني يتبع وحدة نظامية مرتبة ترتيبا واضحا من الجندي البسيط إلى القائد الأعلى، ومن الواجب على كل جندي أن يتقدم بجميع طلباته الشخصية إلى رئيسه المباشر، وتهتم المنظمة العسكرية كذلك بكل ما يتعلق بعائلات الجنود، هذا من الجانب التنظيمي، أما فيما يخص الجانب الحربي فإن تنقلات وحدات جيش التحرير الوطني وهجماته لا تجري إلا حسب التعليمات الآتية من الأعلى، وفقا لبرنامج يتفق عليه داخل المنطقة أو باتصال مع المناطق الأخرى التي يتألف منها التراب الجزائري، وأما طاعة الأوامر من طرف جندي جيش التحرير الوطني فهي أمر قطعي.⁽¹⁾

2. الفدائيون: هم طاقة الثورة والكفاح المسلح في المدن والقرى، والفدائي هو رجل أو امرأة ويكون شابا في أغلب الأحيان، متطوع أصلا ومنخرطا في جبهة التحرير الوطني، خفيف الحركة وقادر على التخفي وتقمص شخصيات مختلفة لكشف تحركات العدو الفرنسي والمتعاونين معه، وتتكون وحدات الفدائيين من أفواج تضم كل واحدة منها ثلاثة أفراد يرأسها مسئول جبهة التحرير الوطني بالتنسيق مع الجيش، كما يشرف قائد الفوج على ثلاثة خلايا،⁽²⁾ بعد أن يكون الفدائي قد تلقى تعليما عسكريا يتيح له النجاح في المهمة التي أوكلت إليه، كما يخوله هذا التعليم تلقي عناصر التربية والتكوين التي يستلزمها نوع الكفاح الذي يقوم به.⁽³⁾

يكون تنظيم الخلية على مستوى الحي أو عدة أحياء حسب مساحة المدينة وعدد السكان بها، وعلى المسئول بها مراقبة الأفواج وتوجيه نشاطهم ورسم الخطط العملية بحدودها وأهدافها، كما يقوم باختيار المجندين وامتحان شجاعتهم وقدراتهم على العمل الحربي وإرهاب الاستعمار وعملائه، فضلا عن تعبئة الشعب لصالح الثورة التحريرية.

يتركز نظام الفدائي في المدن والقرى وهو يشكل فيها جيشا ثانيا في لباس مدني وأسلحة آلية معززة بالقنابل اليدوية والمتفجرات، ويكون الفدائي إما مدنيا يعيش في سرية وكتمان بين أوساط الشعب داخل

¹ - مزيان سعيدي: جيش التحرير الوطني: تطوره ومعالم من...، المرجع السابق، ص174.

² - نفسه.

³ - جريدة المجاهد، يقدم لكم الفدائي، ع01، 01/06/1956م، ص28.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

المدن والقرى، وإما يكون جنديا تابعا لجيش التحرير الوطني مباشرة غير أنه مكلف بمهام داخل هذه المدن والقرى.⁽¹⁾

استقلت بعض المدن الكبرى كمدينة الجزائر بعملياتها الحربية الفدائية الخاصة بها بالتنسيق مع قيادة جيش التحرير الوطني بالمنطقة أو المناطق المجاورة لها، ولذلك كانت تسمى بالمناطق المستقلة ذاتيا، أما باقي المدن فكانت تخضع عملياتها الفدائية لأوامر جيش التحرير الوطني حسب خطط مرسومة ومدرسة متفق عليها مع قيادة جبهة التحرير الوطني بالمدينة.⁽²⁾

لعب الفدائيون دورا كبيرا في تدمير مراكز شرطة العدو ورجال الدرك والمستودعات ومزارع المستوطنين المعادين للثورة، كما كانوا يقومون بعمليات اغتيال لرجال العدو، الجواسيس ورجال الاستعلامات والعملاء داخل الجزائر وخارجها، وكان هذا بهدف تخفيف ضغط القوات الفرنسية على المجاهدين في الجبال، وكان من مميزات العمل الفدائي أن الفدائي ينقل إلى جهة أخرى عندما يتعرف عليه في الجهة التي كان يعمل بها، وإذا استمرت عملية ملاحقته كان يتم إلحاقه بجيش التحرير الوطني، لتصبح قيادة الثورة توصي الفدائي الأسير بتحملة التعذيب كيف ما كان نوعه، وأن لا يدلي بأي شيء عما يعرفه عن الثورة ورفاقه لمدة 24 حتى 48 ساعة لتستطيع القيادة أن تتخذ جميع احتياطاتها اللازمة في إجلاء الأسلحة والذخيرة الحربية وإبعاد المشبوه فيهم من المناضلين والفدائيين وتهريب أو حرق الوثائق وكل ما يتعلق بالثورة ماديا وبشريا.⁽³⁾

3. المسبلون: يمثل المسبلون القوة الاحتياطية لجيش التحرير الوطني، ينتظر أفرادها دورهم للتجنيد، والمسبل هو مصطلح يطلق على المناضل الدائم في جبهة التحرير الوطني، وهو مصطلح شائع في أوساط الشعب الجزائري، وانتشرت هذه التسمية بعد مؤتمر الصومام، ويصنف المسبل من المساعدين وهو شخص مدني رجل أو امرأة من مناضلي جبهة التحرير الوطني المكلفين بمساعدتهم، وهم أفواج مجندون من الشعب وجدوا منذ أول نوفمبر 1954م، وهم بالنسبة لجبهة التحرير الوطني مثل العيون والآذان والأطراف بالنسبة لكل حي، ويجب عليه أن يتخلى بالأخلاق الإسلامية، وعليه أن يلتزم بالتدريبات العسكرية مرتين على الأقل في الأسبوع سواء مع زملائه المسبلين أو مع جنود جيش التحرير الوطني،

¹ - مزيان سعيدي، جيش التحرير الوطني: تطوره ومعالم من...، المرجع السابق، ص174.

² - نفسه، ص174.

³ - نفسه، ص 175.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

ويتركز تدريبهم على عمليات التطويق، والهجوم على مراكز العدو، تخريب الطرق، نصب الكمائن، تدمير الأسلاك الشائكة والمكهربة والملغمة التي تحيط بالحدود والمحتشدات والمناطق المحرمة، ومن أعماله أيضا: توزيع المؤن على وحدات الجيش المتمركزة في المنطقة واستطلاع ومراقبة العدو، وتزويد القيادة بكل جديد عن هذا الأخير، وبالتالي فالمسبلون هم المكلفون بعملية الحراسة والرقابة والاطلاع والتخزين والتموين، وهم القائمون بتخريب مصالح العدو.⁽¹⁾

حرص جيش التحرير الوطني على الالتزام بمبادئه العشرة وهي:

- * مواصلة الكفاح إلى أن تتحرر البلاد ويتحقق استقلالها التام.
- * مواصلة تحطيم قوات العدو والاستيلاء على المواد والأدوات إلى أقصى حد ممكن.
- * تنمية المقدرة المادية والمعنوية والفنية في وحدات جيش التحرير الوطني.
- * الجنوح بأقصى ما يمكن إلى الحركة والخف، وإلى التفرق ثم الالتئام بعد ذلك والهجوم.
- * تقوية صلة الوصل بين مراكز القيادة ومختلف الوحدات.
- * توسيع شبكة الاستخبارات في وسط العدو ووسط السكان.
- * توسيع الشبكة العاملة على إقرار وتعزيز نفوذ جبهة التحرير الوطني لدى الشعب لتجعل منه سندا آمينا ثابتا.

* تقوية روح الامتثال للأوامر والملازمة للنظام في صفوف جيش التحرير الوطني.

* تقوية روح الأخوة والتضحية والعمل المشترك في نفوس المجاهدين.

* مراعاة المبادئ الإسلامية والقوانين الدولية في تحطيم قوات العدو.⁽²⁾

-د- الرتب العسكرية والشارات:

أقر مؤتمر الصومام الرتب العسكرية التي كان معمول بها في المنطقة الثالثة (بلاد القبائل)، حيث تم تطبيقها عبر كل الولايات الجزائرية، وكان لكل رتبة عسكرية شارتها وشعارها الخاص بها وهي على الشكل التالي:

* الجندي الأول Caporal: شعاره علامة على شكل رقم ثمانية بالأبجدية الهندية لونها أحمر توضع على الذراع الأيمن.

¹ - مزيان سعيدي، جيش التحرير الوطني، تطوره ومعالم من...، المرجع السابق، ص175.

² - جريدة المجاهد، مبادئ جيش التحرير الوطني وهي عشرة، ع1، 1956/06/01م، ص31.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

*العريف Sergeant: شعاره علامتان على شكل رقم ثمانية بالأبجدية الهندية لونها أحمر توضع على الذراع الأيمن.

*العريف الأول Sergeant chef: وشعاره ثلاثة علامات على شكل رقم ثمانية بالأبجدية الهندية لونها أحمر توضع على الذراع الأيمن.

*مساعد Adjutant: وشعاره علامة على شكل رقم ثمانية بالأبجدية الهندية لونها أحمر تحتها خط أبيض.

*ملازم Aspirant: وشعاره نجمة بيضاء.⁽¹⁾

*ملازم ثاني Sous lieutenant: وشعاره نجمة حمراء.

*ضابط أول Lieutenant: وشعاره نجمتين أحدهما حمراء والأخرى بيضاء.

*ضابط ثاني Capitaine: وشعاره نجمتين حمراوتين.

*صاغ أول Commandant: وشعاره نجمتين حمراوتين وواحدة بيضاء.

*صاغ ثاني Colonel: وشعاره ثلاث نجومات حمراء.

*قائد الولاية: يكون حاملا لرتبة صاغ ثاني وأعوانه الثلاثة من رتبة الصاغ الأول.

*قائد المنطقة: يكون حاملا لرتبة الضابط الثاني وأعوانه الثلاثة من رتبة الضابط الأول.

*قائد الناحية: يكون حاملا لرتبة ملازم ثاني وأعوانه الثلاثة من رتبة ملازم أول.⁽²⁾

*قائد القسم: يكون حاملا لرتبة مساعد وأعوانه الثلاثة من رتبة عريف أول، بينما يحمل المحافظون

السياسيون نفس الرتب العسكرية التي يحملها ضابط الهيئة التي يكونون تابعين لها، أما الشعار على

غطاء الرأس فهو نجمة وهلال أحمران، هذا وكان قد سبق للولاية الثالثة أن استعملته، فما كان لهذا النظام

أن يجري نفسه على كل الولايات التاريخية الأخرى عامة والولاية التاريخية الرابعة خاصة.⁽³⁾

¹ - مزيان سعيدي، جيش التحرير الوطني، تطوره ومعالم من...، المرجع السابق، ص175.

² - نفسه، ص176.

³ - نفسه، ص175.

-ه- المرتبات والمنح عند أفراد جيش التحرير الوطني:

خصص مؤتمر الصومام رواتب شهرية لأفراد جيش التحرير الوطني حسب رتبهم العسكرية، حيث أن كل مجاهد يتقاضى مرتبا شهريا بالإضافة إلى المنح التي تمنح لعائلته، وتكون قيمة هذه المنح والمرتبات على النحو التالي:

* الجندي: 1000 فرنك.

* الجندي الأول: 1200 فرنك.

* العريف: 1500 فرنك.

* العريف الأول: 1800 فرنك.

* المساعد: 2000 فرنك.

* الملازم: 2500 فرنك.

* الملازم الثاني: 3000 فرنك.

* الضابط الأول: 3500 فرنك.

* الضابط الثاني: 4000 فرنك.

* الصاغ الأول: 4500 فرنك.

* الصاغ الثاني: 5000 فرنك.

* الممرضون والممرضات أدمجوا في رتبة العريف ويتقاضون 1500 فرنك في الشهر.

* الأطباء المساعدون أدمجوا في رتبة ملازم ويتقاضون 2500 فرنك.⁽¹⁾

* الأطباء أدمجوا في رتبة الضابط الأول ويتقاضون 3500 فرنك.

وضع المؤتمر إلى جانب الرواتب الشهرية قاعدة للمنح العائلية، فكل مجاهد أو مسبل لديه عائلة مطالب بالإنفاق عليها تعطى له منحة شهرية، ولكن هذه الأخيرة تختلف لسكان الأرياف عن سكان المدن، إذ تقدر الأولى بـ 2000 فرنك مع زيادة مبلغ 2000 فرنك لكل شخص في الشهر، في حين تقدر الثانية بـ 5000 فرنك مع زيادة مبلغ 2000 فرنك لكل شخص في الشهر.⁽²⁾

¹ - مزيان سعيدي، جيش التحرير الوطني، تطوره ومعالم من...، المرجع السابق، ص 175.

² - نفسه، ص 177.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية
الرابعة 20 أوت 1956م

اكتسب جيش التحرير الوطني تجارب وخبرات عديدة مكنت القيادات الثورية من إنشاء العديد من الوحدات بمختلف أشكالها من أفواج وفصائل وكتائب، ومنطقة عين الدفلى بصفتها جزءا هاما من الولاية الرابعة التاريخية نشطت على مستوى ترابها العديد من هذه الوحدات أثناء الثورة ونحصرها باختصار فيما يلي:⁽¹⁾

نوع الوحدة	تاريخ تكوينها	مركز نشاطها	عدد المجاهدين	ملاحظات
فوج في كل قسم	ابتداء من 1956م	ينشط على مستوى كل قسم	13/11 مجاهد	/
فصيلة في كل قسم	ابتداء من 1956م	ينشط على مستوى كل قسم	35 إلى 45 مجاهد	/
الكتيبة في كل ناحية	ابتداء من 1957م	تنشط على مستوى الناحية	حوالي 105-130 مجاهد	كتيبة تتكون من عدة فصائل
الكتيبة الحسنية	ابتداء من 1957م	الناحية الرابعة	حوالي 145-160 مجاهد	/
الكتيبة اليوسفية	ابتداء من سنة 1958م	الناحية الرابعة	/	/
فيلق جمال (كوموندو)	ابتداء من سنة 1957م	المنطقة الثالثة	حوالي 110 مجاهد	/
كتيبة الحميدية	ابتداء من 1958م	المنطقة الرابعة	حوالي 145-160 مجاهد	/
كتيبة الكريمة	ابتداء من سنة 1958م	المنطقة الرابعة	حوالي 145-160 مجاهد	/

مراكز جيش التحرير الوطني بالمنطقة الثالثة (عين الدفلى حاليا):⁽²⁾

¹ - مديرية المجاهدين، الدليل التاريخي لولاية عين الدفلى، الجزائر: دار الهدى، 2012م، ص 18.

² - نفسه، ص 20.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

الناحية الرابعة: كانت تشمل هذه المنطقة في جزئها من ولاية عين الدفلى البلديات (التقسيم الإداري

الحالي) الواقعة جنوب وادي الشلف الذي يمر بالولاية.⁽¹⁾

القسم الثاني: منطقة سيدي منصور بالمكان المسمى عين عثمان كان يتواجد بها مركزا لقيادة الناحية ومراكز التمريض، الخياطة، التموين، والاتصالات، بينما ضمت الحواسنية مركزا للتموين، حيث كان مركز الناحية بسيدي أحمد بن بعطوش.

القسم الثالث: ضمت منطقة تغسليا مركز الاتصالات والتموين بغاية سيدي محمد بن ميرة، ومركز الاتصال ومركز للتموين بالمكان المسمى بابا دريس.⁽²⁾

ضمت منطقة جبل عمرونة مركز الصحة (سيدي بختي) ومركز التموين والاتصال (دمالة)، مركز الصيايدة، مركز التمريض، مركز الناحية (سيدي بختي)، مركز التموين والاتصال (حربي)، مركز الاتصال والتموين (بولوحة)، فضلا عن مراكز متنقلة مختلفة المهام، كمراكز الخياطة، مراكز المتفجرات، ومراكز تصليح الأسلحة.

ضمت منطقة جبل المداد مركز التموين والاتصال (الشعبة)، مركز الناحية، مركز إصلاح، ومركز الأسلحة والمتفجرات، فضلا عن مراكز التموين والاتصال العبادين، العوابد وبربارة، وبني فن.⁽³⁾

الناحية الخامسة:

القسم الأول: بمنطقة جبل اللوح ومطماطة، مركز التمريض (بلدية وادي الجمعة) - مركز القسم قرب سد (دردر) - مركز الناحية - مركز القسم - جبل اللوح - جبل مطماطة.

مركز التموين والاتصال: مركز التمريض - مركز الخياطة - تصليح الأسلحة - مركز صناعة المتفجرات - مركز الناحية في أولاد هلال.⁽⁴⁾

مراكز جيش التحرير الوطني بالمنطقة الرابعة:

تشمل هذه المنطقة في جزئها من ولاية عين الدفلى البلديات (التقسيم الإداري الحالي) الواقعة شمال وادي الشلف الذي يمر بالولاية.

¹ - مديرية المجاهدين، الدليل التاريخي لولاية عين الدفلى، المرجع السابق.

² - نفسه، ص 20.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

الناحية الأولى:

القسم الأول:

- مركز القسم والناحية بزركار.
- مركز للتموين والخياطة وصباغة الألبسة العسكرية بالمكان المسمى القارصة.
- مركز التموين والاتصال بمليانة.
- مركز التمريض بزركار.

القسم الثاني:

- مركز تجمع جيش التحرير الوطني بمنطقة عريب بالقرامة.
- مركز قيادة بسيدي بازو للتموين والخياطة والتمريض.
- مركز قيادة غياث برهون بنواحي العامرة، ومركز قيادة الناحية بواد بدى، مركز للتموين بالمكان المسمى لخضر.
- مركز اتصالات بنواحي المخاطرية.
- مركز للتموين والاتصالات بنواحي العامرة بغابة سيدي عبد الله.⁽¹⁾

الناحية الثانية:

القسم الأول:

- مركز القيادة بالقسم الثاني الناحية الثانية بدوار مياحة.
- مركز التمريض بجبل باز.
- مركز التموين بأولاد باسة.
- مركز جيش التحرير الوطني للراحة والتجمع بدوار عدوية.
- مركز التموين بزاوية الحاج بن شرقي في نواحي العطاف.⁽²⁾

هدفت الثورة التحريرية الجزائرية بعد مؤتمر الصومام إلى توجيه العمليات العسكرية إلى المراكز التي تحتوي على الأسلحة والذخيرة والحربية، وذلك بالموازاة مع تخريب المؤسسات والمنشآت الاقتصادية

¹ - مديرية المجاهدين، الدليل التاريخي لولاية عين الدفلى، المرجع السابق، ص20.

² - نفسه، ص20.

الفصل الثاني: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالولاية الرابعة 20 أوت 1956م

الفرنسية بما فيها ضيعات ومنتجات المستوطنين بغية إحداث الفزع والرعب وسط قوات العدو الفرنسي سواء مدنيين كانوا، مسلحين أو عملاء.

عملت قوات جيش التحرير الوطني بعد سنة 1956م على تنظيم وإنشاء الهياكل السياسية والعسكرية وتوسيعها، حريصة بذلك على عزل فرنسا سياسيا في الجزائر والعالم، لتعطي للحركة الثورية طابعا من الانتشار وفقا لما تقتضيه القوانين الدولية، وذلك عن طريق إعطاء شخصية الجيش ونفوذ سياسي جدير بأن يعترف به، كما على فرنسا أن تحترم قوانين الحرب وتصبح المناطق التي حررها جيش التحرير الوطني تدار بطريقة طبيعية، وهذا كله بفضل تعزيز الشعب الجزائري ومساندته باستمرار لقضية الكفاح الوطني بالرغم من كل الجهود التي يبذلها الاستعمار الفرنسي لإبادته،⁽¹⁾ وحول هذا الموضوع يوضح محمد العربي بن مهيدي أهداف الثورة التحريرية قائلا: "ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م التي قامت تحت قيادة جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني هي عبارة عن إرادة شعبية جبارة لتحقيق الحرية والاستقلال، والشعب الجزائري يحمل السلاح مرة أخرى لطرد المحتل الاستعماري، وليتخذ لنفسه حكومة على شكل جمهورية ديمقراطية واجتماعية، ويقيم نظاما يحتوي بوجه خاص على إصلاحات فلاحية عميقة ويضمن السلام في المغرب العربي".⁽²⁾

¹ - مزيان سعيدي، جيش التحرير الوطني: تطوره ومعالم من...، المرجع السابق، ص177.

² - جريدة المجاهد، ثورتنا وأهدافها الأساسية، ع02، 01/07/1956م، ص27.

**الفصل الثاني عمليات جيش التحرير الوطني في
الولاية الرابعة التاريخية (1956م - 1958م)**

1- الكمائن

2- الاشتباكات

3- المعارك

4- الهجومات والتخريبات

عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية التاريخية الرابعة (1956م-1958م):

حققت الثورة الجزائرية انتصارا عسكريا وسياسيا نظرا للاستراتيجية التي اتبعتها طيلة فترة الكفاح المسلح، بحيث ظهرت هذه الأخيرة بوضوح من خلال التنظيم الثوري الذي اتبعته قيادة جبهة وجيش التحرير الوطنيين من خلال النشاط العسكري المكثف الذي لوحظ من خلال العمليات العسكرية الكبرى التي نفذتها وحداته في الميدان، حتى وإن اختلفت وتيرتها من مرحلة لأخرى.

ساهمت قوة القيادة والتخطيط والتنفيذ في الميدان العسكري بالرغم من الإمكانيات البسيطة المتاحة لدى جيش التحرير الوطني في تنامي نجاح الكفاح المسلح، وهذا ما جعل الاستراتيجية العسكرية المتبعة خلال مرحلة الثورة تختلف وتتباين تماشيا مع تطور الأوضاع وتسارع الأحداث الداخلية والخارجية.⁽¹⁾

اعتمد جيش التحرير الوطني على استراتيجية جديدة في المرحلة التي أعقبت مؤتمر الصومام، بعد أن وضع هذا الأخير الهيكل الجديدة لمؤسسات الثورة الجزائرية، وهو الأمر الذي جعله يتبنى أسلوب جديد يتماشى وطبيعة المرحلة الجديدة التي تمر بها الثورة التحريرية، حيث انعكست هذه الاستراتيجية الجديدة على الواقع الميداني لجيش التحرير الوطني من خلال العمليات العسكرية والفدائية التي نفذت خلال هذه المرحلة، بالموازاة مع طبيعة المواجهة بين القوتين، مع أن ميزان القوى خلال هذه الفترة كان لصالح الجيش الفرنسي،⁽²⁾ وبهذا كان لزاما على جيش التحرير الوطني الأخذ بزمام المبادرة فيما يخص اختيار زمان ومكان المواجهة، مع ضرورة الاعتماد على استراتيجية الحرب الخاطفة بواسطة وحدات خفيفة وسريعة الحركة، مع اتباع عامل المفاجئة والمباغته من خلال الاشتباكات⁽³⁾ والكمائن، الشيء الذي فرض على العدو الدخول في مواجهة عسكرية ليست في صالحه كونه ليس من اختار طريقة وكيفية المواجهة،⁽⁴⁾ وهو ما جعله يفقد مجموعة كبيرة من أسلحته وذخيرته الحربية، حيث أرسل الوزير المقيم في

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية...، المرجع السابق، ص 263.

² - موقع الأرشيف السويسري.

³ - الاشتباك: يطلق الاشتباك على نشوب معركة خفيفة غالبا بين المجاهدين والجيش الفرنسي، وهو يشبه الكمين في كثير من الأحيان، إلا أن الاشتباك يفترض مدلوله العام أن العدو يقاوم ويرد على إطلاق النار على نحو أو على آخر، ي حين أن الكمين يفهم منه أن فرقة عسكرية للجيش الفرنسي وقعت في قبضة جيش التحرير الوطني وكلفها خسائر فادحة في عددها وعدتها، وبذلك يعتبر الاشتباك أقل وقعا من الاشتباك الذي يحمل معنى التكافؤ في القتال على نحو ما، (للمزيد من المعلومات أنظر: عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، ط2، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2014م، ص 22).

⁴ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية...، المرجع السابق، ص 270.

الجزائر روبير لاكوست مراسلة مؤرخة في 16 أبريل 1956م إلى الفريق (الجنرال) قائد القوات الفرنسية في الجزائر، قائد الناحية العسكرية العاشرة، يذكره فيها بأنه خلال اجتماع مغلق سابق تقرر فيه أن ترسل كل التقارير المتعلقة بضياح الأسلحة أو المسروقات من الوحدات الفرنسية (غنائم جيش التحرير الوطني)، وكذا التقارير المتعلقة باسترجاع الأسلحة من المواطنين، أو التي يستولي عليها العساكر الفرنسيون في معاركهم ضد جيش التحرير الوطني، فيجب أن ترسل هذه التقارير إلى مصالح الأمن الوطني في الجزائر والتي تقوم بإعداد بطاقات متابعة على مستواها، ثم يلفت الوزير المقيم انتباه الجنرال إلى أن مصالح الحكومة العامة في الجزائر قد بلغت أن قوات الجيش في الجزائر لا يرسلون أي تقارير عن الأسلحة الضائعة أو المسروقة إلى مصالح الأمن الوطني، لذلك فهو يطلب منه أن يرسل الوحدات العسكرية في الجزائر لإرسال التقارير المذكورة.

يضيف الوزير المقيم في مراسلته ملاحظة تتعلق بأهمية إعداد هذه البطاقات التي تسمح بمعرفة مصدر الأسلحة الأجنبية (ويقصد بها تلك الأسلحة التي يتحصل عليها جيش التحرير الوطني من الخارج)، كما يطلب من الجنرال أن يقدم له اقتراحاته فيما يتعلق بمنح مكافآت مالية إلى الأفراد (من القوات الفرنسية أو رجال الأمن الفرنسي) الذين يتمكنون من استرجاع الأسلحة المهربة، أو يأخذونها غنيمة من جيش التحرير الوطني.⁽¹⁾

يستشف من هذه الرسالة أن جيش التحرير الوطني كان يمتلك كميات معتبرة من الأسلحة والذخيرة الحربية، والتي كان مصدرها راجع إلى:

- * الأسلحة التي كان يستولي عليها خلال المعارك والكمائن التي كان يخوضها ضد القوات الفرنسية.
- * الأسلحة التي كان يجلبها معهم الجزائريون الفارون من صفوف الجيش الفرنسي، والذين كانوا يلتحقون بجيش التحرير الوطني.
- * الأسلحة التي كان يسربها المجندون الجزائريون في صفوف الجيش الفرنسي، أو من الجزائريين المتعاملين معه.
- * الأسلحة التي تحصلت عليها الثورة من الخارج ودخلت عن طريق قوافل التسليح من القواعد الشرقية والغربية.⁽²⁾

¹- 1H1544,d1, Notes de bases concernant l'établissement des fiches pour les armes perdus ou volées.

²- Ebid.

* لم تكن القوات الفرنسية ترسل التقارير عن الأسلحة الضائعة منها، لأن الأرقام كانت كبيرة وكارثية جداً، لهذا كانت تتستر عنها وتتعمد عدم إطلاع مصالح الأمن الوطني أو مصالح الحكومة العامة، وهذا كله بغية إخفاء حقيقة انتصارات الثورة الجزائرية عسكرياً عن الرأي العام العالمي.⁽¹⁾

تميزت هذه المرحلة بضعف النظام الثوري الذي أصيب بنوع من الشلل بعد الحصار الشديد الذي فرضته السلطات الاستعمارية الفرنسية على مدينة الجزائر وتحويلها إلى منطقة مستقلة، من حيث القيادة السياسية والعسكرية، وقد ساهمت مجموعة كبيرة من الأحداث في سياسة الثورة واستراتيجيتها، وعلى رأسها الإضراب العام للطلبة الجزائريين في 19 ماي 1956م، والذي أدى من جهة إلى تزايد عدد المنضمين إلى جيش التحرير الوطني من طلبة الثانويات والجامعة أولاً، وحاجة الثورة إلى السلاح ثانياً.⁽²⁾ اتخذت الثورة الجزائرية عدة إجراءات من أجل مواجهة الصعوبات التي تواجهها في هذا المجال وذلك عن طريق: إرسال الدوريات إلى الخارج للحصول على الدعم والمساعدة من الدول الخارجية كمصر وليبيا وتونس والمغرب وسوريا والعراق وحتى دول أوروبا الشرقية ويوغوسلافيا والمجر، فضلاً عن تكثيف العمليات العسكرية التي اتخذت شكل معارك كبرى كان لها صدى كبيراً على المستوى الشعبي والدولي، وذلك بالموازاة مع تزايد وحدات جيش التحرير الوطني وتشكيل الكتائب، كما ساهم إضراب الثمانية أيام في نشر صدى الثورة التحريرية الجزائرية على الصعيد الدولي، كما تم نقل المواجهة والصراع إلى المناطق الريفية السهلية والجبلية خصوصاً بعد خروج لجنة التنسيق والتنفيذ من الجزائر وما تلاها من سلسلة الاعتقالات التي مست مختلف الشرائح الاجتماعية.⁽³⁾

عرفت الولاية الرابعة التاريخية في الفترة الممتدة ما بين (1956م - 1958م) وقوع معارك كبرى مثل معارك وادي الآخرة ومعركة أفتوندة في 22 ماي 1957م، والتي دامت أربعة أيام متتالية، وقد جندت لها السلطات الاستعمارية الفرنسية قوات ضخمة، بالإضافة إلى معركة وادي سوفلات في ماي 1958م، وعمليات تخريبية مست منشآت العدو الحيوية أمثال حرق الأعمدة الهاتفية والمزارع وقطع الطرق وعمليات فدائية استهدفت القضاء على العملاء والشخصيات المضادة للثورة: كعملية اغتيال العميل كركود بن شهرة في جانفي 1958م بمنطقة وادي الفضة، واغتيال الملازم الفرنسي "يوسكي لوري" بمدينة تنس.

¹- 1H1544,d1, Notes de bases concernant l'établissement des fiches pour les armes perdus ou volées, OP-Cit.

²- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية...، المرجع السابق، ص270.

³- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع الثورة التحريرية - الولاية الرابعة-، ج1، التقرير السياسي، من 20 أوت 1956م إلى 31 ديسمبر 1956م، ص ص87، 88.

بلغ عدد العمليات العسكرية في الولاية الرابعة التاريخية في الفترة الممتدة ما بين 20 أوت 1956م و31 ديسمبر 1956م حوالي 691 عملية موزعة على النحو التالي:

* المنطقة الأولى: 195 عملية.

* المنطقة الثانية: 277 عملية.

* المنطقة الثالثة: 206 عملية.⁽¹⁾

بلغ عدد العمليات العسكرية في الولاية الرابعة التاريخية سنة 1957م حوالي 1004 عملية منها 355 عملية في المنطقة الثالثة فقط،⁽²⁾ بينما سجلت التقارير العسكرية عدد العمليات التي نفذت سنة 1958م حوالي 711 عملية بين معارك، اشتباكات، هجومات، كمائن، وعمليات فدائية موزعة على النحو التالي:

* المنطقة الأولى: 185 عملية.

* المنطقة الثانية: 238 عملية.

* المنطقة الثالثة: 244 عملية.

* المنطقة الرابعة: 44 عملية.⁽³⁾

أ- الكمائن:

1- كمين معسكر الكرارش بالمدينة أكتوبر 1956م: قامت عناصر الكتيبة الحمدانية بنصب كمين لقافلة عسكرية فرنسية في معسكر الكرارش (منطقة الحمدانية حاليا بالقرب من مدينة المدية)، وكللت العملية بالنجاح حيث خسر العدو الفرنسي يومها العديد من جنوده وكمية جد معتبرة من الأسلحة والذخيرة.⁽⁴⁾

2- كمين منطقة القاديرية 27 أكتوبر 1956م: نظم المجاهد رابح مقراني المدعو السي لخضر كميناً للإيقاع بفرقة عسكرية تابعة للواء الأول في دوار بني خلفون، شرقي مستوطنة باليسترو ببلدية تيار

¹ المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير العمليات العسكرية، ج2، 20 من أوت 1956م إلى 31 ديسمبر 1956م، ص102.

² نظيرة شتوان، الثورة في الولاية الرابعة...، المرجع السابق، ص271.

³ المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير العمليات العسكرية، ج4، جانفي 1958م - ديسمبر 1958م، ص121.

⁴ بلقاسم المتيجي، مسيرة مجاهد "من الشفة إلى الكتيبة الحمدانية" - الزواوي عبد القادر المدعو السي بن عيشة -، الجزائر: مطبعة ليجوند، 2016م، ص46.

(القاديرية حالياً)، على بعد 05 كلم عن منطقة تابلط بالمدينة، وفعلًا وقع الفوج عن آخره في الكمين وكانت نتيجة العملية لصالح جيش التحرير الوطني.⁽¹⁾

03- كمين خميس مليانة (نوفمبر - ديسمبر) 1956م: يتحدث المجاهد بوعلام بوكتب عن أول كمين شنته الكتيبة الزبيرية ضد الجيش الفرنسي في الفترة الممتدة ما بين أواخر شهر نوفمبر إلى بداية شهر ديسمبر، بجبل اللوح في خميس مليانة، في الوقت الذي لازال يحتكم فيه المجاهد إلى العمل السياسي، حيث كان هذا الكمين تحت قيادة المجاهد المدعو السي عبد العزيز رفقة حوالي 90 جندياً من جنود جيش التحرير الوطني.⁽²⁾

مرت مجموعة من الجنود الفرنسيين رفقة مدنيين وسيارتين عسكريتين من نوع جيب بطريق دراغ نواحي منطقة خميس مليانة، فنصبت لهم الكتيبة الزبيرية هناك كميناً، تمكنت من خلاله أن تستولي على أربعة قطع من سلاح جنود الجيش الفرنسي الذين كانوا يقودون سيارتي الجيب فقط، لأنه كما أسلفنا الذكر فإن العناصر الفرنسية الأخرى كانت مدنية.

عادت عناصر الكتيبة الزبيرية إلى جبل اللوح بمنطقة أولاد هلال، وتحصل المجاهد عبدون العربي على ترقية من جندي أول إلى رتبة عريف حيال نجاحه في هذا الكمين.⁽³⁾

4- كمين منطقة تيزي فرانكو 09 جانفي 1957م: علمت الكتيبة الحمدانية بتوقيت مرور منتظم لقافلة عسكرية تابعة للجيش الفرنسي تأتي من شرشال لتموين معسكر تيزي فرانكو (بني مناصر حالياً)، وحسب شهادة المجاهد عبد القادر زواوي فقد كانت الكتيبة مكونة من فصيلتين أحدهما قادمة من الجهة الشرقية بقيادة علي البرزالي المدعو السي عثمان والأخرى كانت قادمة من موزاية بقيادة عمار الوناس، فتوجهوا إلى الجهة الغربية في أواخر ديسمبر من شهر 1956م بعد أن عبروا طريق لسمط رابح نحو تيراوين ببومدفع، وقضوا الليلة في بيت المناضل عبد القادر الفناوي،⁽⁴⁾ ليواصلوا السير إلى غاية خيام زاهر في منطقة وادي جر بنواحي العفرون، وبعد ليلتين عبروا حمام ريغة باتجاه تقراره، وبعد أن تفقدت عناصر الكتيبة قطع أسلحتها وقامت بتعبئتها امتثالاً لأوامر المجاهد السي حمدان استقروا في منطقة بني بوصالح وسط السكان يوم 06 جانفي 1957م أين تم وضع خطة لمهاجمة الموكب بعد أن انقسم المجاهدون إلى

¹- محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص479.

²- منظمة المجاهدين لولاية المدية، شهادة المجاهد بوكتب بوعلام، 2002/10/22م، المرجع السابق.

³- مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد عبدون العربي، المرجع السابق.

⁴- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص43.

ثلاثة أفواج كل فوج كان يضم عشرة أفراد من المجاهدين، فتوزعوا على سكان المنطقة ليقوموا بإيوائهم وإطعامهم،⁽¹⁾ فيذكر المجاهد يحيى الوزري المدعو سابيلا تفاصيل الرحلة قائلا: "لقد وصلنا إلى موقع الكمين قبل يومين من وقوعه، ووجدنا المنطقة أهلة بالسكان".⁽²⁾

خطط السي حمدان لكل ما يخص حيثيات المعركة، على أن تتم عملية الهجوم عند عودة الموكب الذي -حسب المعلومات المستقاة من ضباط الربط- كان متكونا من سيارة "Jeep" وسيارتين رباعيتي الدفع، ومدرعتين وشاحنتين من نوع G.M.C ترافقهم طائرة من نوع جاغوار، ووضح سبب ذلك أنه حين العودة لن تستطيع الطائرة التدخل أثناء الاشتباك، كما شكل فوجا من ثمانية مسبلين بمجارف ومعاول تحسبا لأي طارئ، أما فيما يخص المناضلين فقد كان يلف كل منهم شريطا حول ذراعه اليسرى كي يتمكنوا من التعرف على بعضهم البعض لحظة الانسحاب، كما عين ثلاثة جنود يحمون ظهورهم في الوادي وهم: يحيى الوزري المدعو سابيلا، أحمد عباس وبن يحيى ضاوية.

انطلقت قافلة الجيش الفرنسي المتكونة من سبع شاحنات من نوع GMC من شرشال متجهة نحو معسكر تيزي فرانكو، وكانت تسير تحت حماية طائرة من نوع "جاغوار"، وكان مناضلوا الكتيبة يتربصون بالقافلة مختبئين أسفل الطريق في المكان المسمى "بورن 40" مترقبين مرورها.⁽³⁾

حفر المسبلون حفرة واسعة في عرض الطريق في ظرف أربعين دقيقة وقت الظهيرة، بعد مرور القافلة بالشكل الذي يعطل سيرها ويوقعها في الفخ، وفي تمام الساعة الثانية والنصف بعد الزوال وصلت المركبات إلى المنعطف، ففوجئ الضابط بوجود فجوة واسعة تمنع تقدم قواته، فترجل بحذر من سيارته من نوع "جيب" وسلاحه في يده متفقدًا الوضع، فقال مستهزئا: "لم يجد هؤلاء الفلاقة ما يفعلونه سوى تعطيلنا ثم نفذوا بجلدهم مثل الأرانب، ياللسخافة!"، وفي هذه الأثناء خرج المجاهد حمدان من وراء شجرة البلوط بعد أن سمع هذه المقولة وصاح وهو يرشق الشاحنات بالرصاص: "الله أكبر، الهجوم، تحيا الجزائر"، فكان الضابط الفرنسي أول من سقط قتيلا، بينما رد بقية العساكر بإطلاق النار لكنهم ظلوا محاصرين وسرعان ما انهاروا دون أن يتجرؤوا وينزلوا من مركباتهم، وسقط في صفوف المناضلين أربعة شهداء هم عمار الوناس وحميدات الثوري من موزاية، أحمد العدوي من عين الدفلى، وأصيب السعيد من وادي

¹ - وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد عبد القادر زواوي.

² - وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد يحيى الوزري المدعو سابيلا.

³ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 44، و أنظر كذلك وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد يحيى الوزري المدعو سابيلا.

العلايق إلا أن جرحه كان خطيرا ، فتوفي على إثره أثناء العودة، ودفن ليلا بمنطقة الجعابيب في المنطقة الرابعة.⁽¹⁾

استغرقت العملية بكل فصولها ربع ساعة، وانسحب المجاهدون فور نهايتها بعد أن أخفوا جثث الشهداء في الغابة، امتثالا لأوامر المجاهد حمدان الذي أخبرهم بأن الطائرة كانت قد أعطت إشارة الإنذار، وعليهم تأجيل عملية دفن إخوانهم في اليوم التالي.

مر المناضلو الكتيبة في طريق عودتهم إلى تمزغيدة بدشرة بني محسن الواقعة أعالي الغفرون، فمكثوا بالغابة كي لا يعرضوا حياة السكان للخطر خصوصا وأنهم كانوا من المساندين للثورة، وفي اليوم الموالي الموافق لـ 11 جانفي 1957م جاء الجيش الفرنسي للبحث عن المسببين ممثلا في شاحنات ومروحيات، فقتلوا عشرة أفراد من السكان الأبرياء وفي مساء نفس اليوم أحرقوا دشرة بني محسن عن بكرة أبيها.

صنف كمين تيزي فرانكو على أنه عملية ناجحة 100٪، كون أن المناضلين كانوا قد غنموا ذخيرة كبيرة، وصلت إلى مايقارب ثمانين سلاحا من شتى العيارات، رشاشة أمريكية من نوع "30"، ومدفعي رشاش من طراز "أف.أم.بار"، وعدة بنادق "غاراند" و"مات49"، ومسدسات وصندوقين من الذخيرة وقنابل يدوية، وكان هناك أيضا مدفع رشاش "12.7"، تمكن حمداني محمد من تفكيكه، لكنه كان ثقيل جدا، فضلا عن عدة ملابس وأحذية.⁽²⁾

توجه السي حمدان رفقة اثنين من مساعديه وهما بولعراس الكاتب وإسماعيل المروكي المكلف بالتدوين إلى بيت المناضل الشيخ المرهون في سيدي عبد القادر بأعالي الغفرون يوم 12 جانفي 1957م، وكان من المقرر أن يلتحق حمدان بمقر قيادة المنطقة الثانية بالولاية الرابعة ليقدم تقريره حول العملية القتالية الناجحة التي كانت قد نفذتها عناصر الكتيبة، إلا أن العدو الفرنسي ترصد طريقه واستشهد رفقة رفيقيه في عملية غير متكافئة الطرفين، كما تم اغتيال ابن الشيخ المرهون مع أربعة من المدنيين، من بينهم الإخوة بن طيبة، أما الشيخ المرهون فقد التحق بالجبل.⁽³⁾

وصلت عناصر الكتيبة طريقها إلى منطقة أهل الواد وهي منطقة لا تبعد كثيرا عن تمزغيدة، فألقى عليهم الطبيب سليمان المدعو السي الزبير خطابا حماسيا ليرفع من معنوياتهم خصوصا بعد استشهاد

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص45، و أنظر كذلك: وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد عبد القادر الزواوي والمجاهد يحيى الوزري المدعو سبيلو.

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص46.

³ - وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد عبد القادر الزواوي.

المجاهد حمدان، حيث أثر هذا الحدث على استمرار الفرحة التي غمرت نفوس المناضلين بعد نجاح عملية كمين تيزي فرانكو.

قام الطبيب سليمان المدعو السي الزويير بالإشراف على تكوين الكتيبة التي اتخذت اسم "الحمدانية" نسبة إلى الشهيد محمد أحمد بن موسى المعروف بالسي حمدان وقام بتوزيع الأسلحة على المجاهدين، وعين علي البرزالي المدعو السي عثمان قائدا للكتيبة الذي تعهد بالاستمرار في الكفاح على نفس المنهج، أما الكتيبة فقد قدر عددها تحديدا يوم 18 جانفي 1957م ب120 مجاهدا.⁽¹⁾

قسمت الكتيبة الحمدانية إلى ثلاثة فصائل، كل فصيلة يقودها على النحو التالي: السي ناصر زادة من بورقيقة، قدور بنومة من زرالدة، ويحيى Le blond (الأشقر) من عين الدفلى والذي كان من خيرة الرجال البواسل والقناصة، ومن أوائل الملتحقين بالكتيبة نذكر: يحيى الوزري المدعو يحيى سبيلو، علي لمتين من تيسمسيلت، يونس بن عودة من العفرون، وعبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة.⁽²⁾

5- كمين منطقة حمام ريغة جانفي 1957م: كان أعضاء كوموندو السي الزويير متمركزين بأعالي منطقة مراد غير البعيدة عن محور مارنغو (حجوط حاليا)، بحمام ريغة في الطريق الذي يربط الجزائر بمليانة مرورا بالبليدة وبوركيكة، مع العلم كان بحوزة الجيش الفرنسي معلومات حول وجودهم في تلك النواحي، لكنه لم يتوصل إلى تحديد مواقعهم بالضبط رغم كل المجهودات التي بذلها كونهم يتحركون بسرعة لا تسمح لقوات العدو الفرنسي بأن يكون في مستوى تتبع تحركاتهم.⁽³⁾

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص49.

² - عبد القادر الزواوي: ولد عبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة يوم 26 ديسمبر 1936م ببلدة واد جر قرب العفرون، ينحدر من أسرة ريفية محافظة ومنتشعبة بالقيم الأخلاقية والوطنية، نشط والده في صفوف الحركة الوطنية منذ انتقال العائلة إلى الشفة في عام 1940م، وغرس في نفوس أبنائه (ولدين وبنيتين) حب الوطن، وكان دائما يردد عليهم مشيرا بسبابته صوب الأرض قائلا: "هذه الأرض أرضنا، وما المستوطنون سوى بالغاصبين، وسيأتي يوم إن شاء الله ويحررها الشعب"، وصل السي بن عيشة في تعليمه إلى المرحلة المتوسطة، ليجد نفسه مضطرا للتوجه إلى الحياة العملية، فانخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري على غرار شقيقه الأكبر علي، انضم الأخوين بعد اندلاع الثورة التحريرية إلى مجموعة الفدائيين في الشفة الذين التحقوا بالثورة في الولاية الرابعة، سقط أخوه علي شهيدا في تمزغيدة، أما السي بن عيشة فعين بعد الاستقلال منسقا للمنظمة الوطنية للمجاهدين في ناحية البليدة حيث كان يتمتع بشعبية واحترام كبيرين، كما تولى في نفس الفترة منصب رئيس لجنة الاعتراف بصف العضوية في جيش وجهة التحرير الوطني والمنظمة المدنية على مستوى الدائرة، توفي سنة 2014م، (للمزيد من المعلومات أنظر بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص162).

³ - محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص233.

تمكنت قوات الكوموندو من لمح القافلة العسكرية الفرنسية تمر من بعيد حوالي الساعة التاسعة صباحاً، والتي كانت تتشكل من خمس شاحنات "جي أم سي" وسيارة من نوع "الجيب"، فتلقى المناضلون الأوامر من المدعو السي الزوبير بالانطلاق والتوجه نحو مكانهم على الطريق لترصد عودة القافلة العسكرية، التي كانت تحميها طائرات العدو بتحليقها فوق المنطقة باستمرار، وهي طائرة جاسوسة من نوع "بيبر كوب" بغية فتح الطريق للقافلة، وكانت تتقدمها على مسافة تتراوح بين الـ 300 إلى 500 متر.

كان الطيار ينزل حتى يقترب من الأرض ليتفحص بدقة لا متناهية كل جوانب الطريق والمساحات المجاورة، ويكشف أي حضور مشبوه أو غير عادي لأشخاص يمكن أن يشكلوا خطراً على زملاءه أو ينصبوا لهم كمينا، ولهذا الغرض كان الطيار يلقي بقنابله على كل الأماكن التي تثير شكوكه، كما كان يغير من اتجاه طائرته ويقوم بدورات كاملة في السماء، فيصعد تارة وينزل بشكل انقضاضي تارة أخرى ثم يعود إلى موقعه الأصلي فوق القافلة العسكرية.⁽¹⁾

كان كوموندو السي الزوبير يضم خمسة وثلاثين مجاهداً موزعين على ثلاثة أفواج، كل فوج يضم أحد عشر مجاهداً، وبعد استشارة المجاهد الزوبير للمجاهد المدعو السي موسى وضع فوجين على جانبي الطريق وحرص على أن لا يكونا متقابلين، وهذا بالطبع حتى لا يطلق النار أحدهم على الآخر أثناء احتدام المعركة، وكان في حوزة كل فوج رشاش من نوع "أف.أم بار"، أما الفوج الثالث فقد تمركز على بعد ثلاثمائة متر فوق جبل صخري مرتفع يقع قبالة الطريق، حيث كان تحت قيادة المجاهد أحمد خلاصي مساعد المجاهد موسى قلواز الذي كان بحوزته رشاش من عيار 30 فقد كانت هذه القطعة ثمينة ورهيبة في آن واحد.⁽²⁾

تم اختيار مكان مرتفع لهذا الفوج لأنه المكان الأفضل للاستفادة من مثل هذا السلاح حتى يتمكن مستعمله من السيطرة على أرضية المعركة ويشل عمل طائرات العدو، وهو ما يسمح للمجاهدين بالانسحاب في أحسن الظروف.

يصف محمد الشريف ولد الحسين خطة تمركزهم كما يلي: "كان الطريق يقطع التلال الصغيرة المجاورة بشكل ملتو، وكنا متمركزين في مواقعنا لا يبعد أحدنا عن الآخر إلا بمسافة متر واحد، وكان الرماة المدعّمين برشاشات "أف أم بار" يتوسطون كل فوج، فقد حرص السي الزوبير على توزيعنا بطريقة

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص 234.

² - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في...، المرجع السابق، ص 278.

تضع القافلة في قلب الكمين وتحصرها من كل الجوانب، وكان علينا أن نحرس على أن تكون طلقاتنا متزامنة، وتغطي كل المساحة التي تحتلها الشاحنات المتتابعة، فإذا قمنا بعملية حسابية وجمعنا طول الشاحنات والسيارة "الجيب"، ثم أضفنا المسافة المتروكة بين كل الشاحنات، فإننا نستطيع أن نقدر دون أدنى خطأ بأن الطول الإجمالي للقافلة يكون بين 30 و 40 مترا وإذا وضعنا في اعتبارنا بأن الطريق كله منعرجات، وأنها تموقعنا بمكان يعلو الطريق بحوالي متر واحد، وأن عرض الطريق لا يتعدى الثلاثة أو الأربعة أمتار، فإن مكان الكمين يبدو مثل بهو يمتد على خط مستقيم".

توسط المجاهد الزبير الفوج المتمركز بالمنحدر على يسار الطريق، بينما ترأس المجاهد موسى قلوaz الفوج الثاني الذي كان محمد الشريف ولد الحسين ضمن عناصره، وكان كامنا على الجهة اليمنى، ومن موقعه المتقدم بالمنحدر كان المجاهد الزبير يتابع بمنظاره تحركات القافلة التي توقفت أثناء مسيرتها بدوار صغير، وأخذ يراقب تصرفاتهم الشنيعة مع المدنيين، فكانوا يحرقون ماشيتهم ويطلقون النار عشوائيا ليرعبوا الشعب، ثم أمر جنوده بالاستعداد عندما لمح القافلة العسكرية تتقدم نحوهم.⁽¹⁾

تقدمت القافلة العسكرية بمفردها حيث الطائرة الجاسوسة "ببير كوب" لم ترافقها عند عودتها، فأمر المجاهد الزبير موسى قلوaz بالقضاء على سيارة الجيب، إلا أن سائق هذه الأخيرة قد ضاعف من سرعته وابتعد عن بقية القافلة، وهو الأمر الذي منع موسى من مهاجمته.

إن الضباط الفرنسيين الذين كانوا على متن سيارة الجيب قد شعروا بالخطر وتقدموا لتفتيش الطريق من باب أخذ الحيطة والحذر، خصوصا وأن المنعرج الذي هم بصدد المرور به منعرج خطير جدا يصلح لهذا النوع من الكمائن، إلا أن سائق السيارة تقطن لوجود كمين مباغت فتوقف فجأة وبدأ في إطلاق النار صاحبا بأعلى صوته: "أطلقوا النار، هيا بسرعة، إنهم الفلاقة".⁽²⁾

أمر المجاهد موسى قلوaz جنوده بالانسحاب لأن الفرنسيين أخذوا في إطلاق النار بصفة عشوائية وكادوا أن يحاصروا قوات الكوموندو من الخلف، فاستجاب هؤلاء الآخرين للأوامر وأخذوا في تسلق مرتفع وعر، وما إن وصلوا إليه حتى وجدوا سيارة الجيب مقلوبة على جانب الطريق في الأسفل وقد تحولت إلى حطام ملطخ بالدماء بعد الطلقات التي تعرضت لها من الرشاش 30، فقد قام الفوج الثالث بالقضاء على كل من كان على متن السيارة من ضباط مزخرفين بالأوسمة والبالغ عددهم أربعة ضباط رفقة السائق، أما

¹ محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص235.

² نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في...، المرجع السابق، ص278.

جنود القافلة فقد احتموا تحت الشاحنات وواصلوا إطلاق النار في الفراغ لكنهم لم يجرؤوا على الاقتراب من الدخان المتصاعد من سيارة الجيب، وكانوا في انتظار المدد الجوي الذي لم يصل إلا بعد أن كان المجاهدون قد ابتعدوا كثيرا عن مسرح العملية.⁽¹⁾

تبين سبب فشل الكمين حين كان المجاهد الزبير يعد تقريره المفصل عن العملية، وهو أن كاتبه المدعو السي خالد المنحدر من القليعة والذي كان متمركزا على يسار الطريق قبالة الفوج الذي يترأسه المدعو السي موسى، وبينما كان يهيم بأخذ موقعه بين المجاهدين غفل فانفلت مسدسه من يده وتدرج نحو الأسفل بحوالي متر واحد وسقط على الطريق، عندها سارع لالتقاطه وحرص على العودة كي يأخذ موقعه، ولكن سيارة الجيب أطلت في نفس الوقت على المنعرج، فتمكن مقدم القافلة العسكرية من رؤية حذائه الذي لم يكن له الوقت الكافي كي يختفي عن أنظار ركاب الجيب، فشرعوا لتوهم في إطلاق النار.⁽²⁾

6- كمين منطقة دوبليكس⁽³⁾ (الداموس حاليا) 28 فيفري 1957م: بدأ التفكير والتخطيط للقيام بعمليات جريئة تستهدف مواقع الجيش الفرنسي الحساسة، إثر تكوين أول كتيبة كوموندوس مسلحة تتألف من مائة وخمسين مجاهدا على مستوى الولاية الرابعة التاريخية شهر جانفي 1957م، وكانت أولى العمليات المسلحة الظافرة التي نتجت عن تشكيل هذه الكتيبة ما قامت به فصيلة الكوموندوس بالقسم الثالث من الناحية الثانية، والمتمثلة في تنفيذ كمين جبل الناظور،⁽⁴⁾ وكان ذلك بعد دراسات مطولة شملت كل العوامل الطبيعية والنفسية التي تسود الناحية من قبل قائد الكوموندوس السي سليمان والسي عبد الحق، الذان قررا نصب الكمين على بعد 06 كلم من الداموس، وهذا قصد قطع الطريق على وحدات الجيش الفرنسي ومنعها من الوصول في الوقت المناسب، ومن جهة ثانية فإن الطريق في هذا المكان يكاد يكون مستقيما، وهو على امتداد كيلومتر ونصف، وهي مسافة كافية لدخول القافلة بأكملها بحيث لا يمكن للعدو أن يختفي في المنعطفات المجاورة، وهذا ما سيجعل فرقة المجاهدين تتسحب بعد تنفيذ العملية بكل سهولة.

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في...، المرجع السابق، ص 278.

² - محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص 238.

³ - يعرف كذلك بكمين جبل الناظور.

⁴ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 139.

التحق الكوموندوس بالقسم الثالث في الداموس تحت قيادة المجاهد المدعو السي سليمان ونائبه المدعو السي عبد الحق، وكان هذا بيوم سابق لنصب الكمين، وتتبع فصيلة الكوموندوس أخبار خروج القافلة صبيحة الأربعاء السابع والعشرين من فبراير عام 1957م كعادتها من كل أسبوع، لكنها لم تمر وتأخرت لصبيحة يوم الغد الخميس، ومع هذا قرر المناضلون ضرب القافلة وهي راجعة من المركز، حيث كان العدو الفرنسي مطمئنا كل الاطمئنان إلى سلامة الطريق حين العودة، وفي الوقت نفسه كان المجاهدون على استعداد وراء قمة الجبل ومعها البغال التي تحمل الغنائم المختلفة من الأسلحة، فضلا على تحسبهم من جهة أخرى لاسعاف الجرحى من المناضلين.

وجه الكوموندوس نيران رشاشاتهم إلى القافلة بمجرد دخولها منطقة الكمين، فأصابته إحدى الطائرات الاستكشافية التي كانت ترافق القافلة العسكرية، فصارت الشاحنات تتساقط في الوادي بجميع الجهات بما فيها من تجهيزات، وقضي على القافلة بأكملها ما عدا سيارة الجيب التي كانت تتقدمها فقد نجحت في اللوذ بالفرار، فنجت بمن فيها، وقد دام هذا الكمين مدة ربع ساعة فقط استطاع من خلالها تحقيق نتائج مبهرة لصالح قوات جيش التحرير الوطني.⁽¹⁾

سقطت القافلة العسكرية الفرنسية يوم 28 فيفري 1957م بمنطقة دوبليكس (الداموس حاليا)، والتي كانت تتشكل من عشرات الشاحنات ومدرعة من نوع "هالف تراك"، حيث أطلق النار أحد المجاهدين على طائرة جاسوسة من نوع "بيبر كوب" كانت ترافق القافلة العسكرية أثناء محاولة الطيار إبلاغها بأمر الكمين الذي أعده جيش التحرير الوطني حين اكتشافه له فأسقطها برشاشته،⁽²⁾ وبالمقابل خسرت قوات جيش التحرير الوطني المناضل أحمد النوفي المدعو السي عبد الحق أثناء محاولته استرجاع رشاش من مدرعة "هالف تراك"، فكان الرشاش مشدودا وملحما على مستوى المدرعة، فتلقى السي عبد الحق طلقات من رشاش عيار 12/7 واستشهد على إثر إصابته.⁽³⁾

ضاعفت قوات الجيش الفرنسي من تحركاتها ومراقبتها لمختلف الأماكن المجاورة لقمة جبل الناظور، مسلطة بطشها على سكان الدواوير المجاورة ابتداء من يوم الجمعة الموالي، وبقيت الناحية محاصرة من

¹ المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 140.

² محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص 238.

³ محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، تق، الحاج بن علا، الجزائر: دار القصة، 2010م، ص 52.

طرفهم، فاستمرت عمليات التمشيط مدة ثلاثة أسابيع كاملة، تعرضت فيها الغابات والمداشر للحرق، كما تم فيها قتل ما يقارب ثلاثة آلاف مدني ومناضل انتقاما منهم للعملية الناجحة التي قام بها الثوار في قمة جبل الناظور.⁽¹⁾

غنم المجاهدون خمسة وسبعين قطعة سلاح منها ثلاثين رشاشة ثقيلة، رشاشان من نوع قامبار، فارا، كرايين، ماط (ترانت)، زيادة عن ذخائر الطائرة المحطمة، فضلا على غنم جهاز لا سلكي مع مختلف الوثائق الخاصة بالجنود الفرنسيين.⁽²⁾

7- كمين الأربعاء 26 جوان 1957م: نصب فريق من جبهة التحرير الوطني كميناً للجيش الفرنسي بمنطقة الأربعاء يوم 26 جوان من عام 1957م، فقتل منه خمسة وأربعين جندياً فرنسياً، وجرح عدد كبير منهم، كما حجزت خمسة رشاشات خفيفة من نوع ماط 49 وأربعة بنادق حربية، وكثير من القنابل اليدوية والذخيرة، وبالمقابل استشهد مجاهد واحد من مجاهدي جيش التحرير الوطني.⁽³⁾

8- كمين عين الحمى⁽⁴⁾ 28 جوان 1957م: كلفت كتيبة الناحية الأولى من المنطقة الثالثة بقيادة أمعمري أمعمري المدعو السي أمعمري بمراقبة الناحية، وتنظيم العمليات العسكرية ومساعدة سكان المداشر مثل دشرة سعدية ولعريشة وباب البكوش على جمع الغلال وغنم مواشي المستوطنين وتوزيعها عليهم، ليتكفل هؤلاء بإعداد الطعام للمجاهدين.

لاحظ المجاهدون دورية من العسكر الفرنسي تجوب المنطقة صباح يوم 28 جوان 1957م، ليتبين لهم لاحقاً أنها لم تكن تستهدف الكتيبة وبالتالي فقات الجيش الفرنسي لم يكونوا على علم بتمركز هذه الأخيرة بالمنطقة، ولذلك قررت إيقاع العدو في كمين بالمكان المسمى "عين الحمى" أثناء عودة دورية العدو.

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 140.

² - شريط وثائقي، معركة أهل الوادي بسيدي المدني بشقة 15 أفريل 1957م، مدة الشريط 09 د و 57 ثا.

³ - جريدة المجاهد، يوميات الكفاح الجزائري، ع 08، 15/08/1957م، ص 04.

⁴ - عين الحمى: تقع عين الحمى قرب قرية زلاطو بين الشلف وغيليزان، يحدها من الجهة الشرقية أولاد علال ومن الناحية الغربية العيادية، ومن الجهة الشمالية بقعة أولاد سيدي خليفة ومن الناحية الجنوبية أولاد علال، وكان هذا المكان خلال الثورة يتبع القسم الثاني من الناحية الأولى للمنطقة الثالثة بالولاية الرابعة، وهو تابع لبلدية بوقادير بولاية الشلف، ويبعد عن مقر البلدية بنحو 06 كلم، (للمزيد من المعلومات أنظر: علي العياشي، كمين علي الحمى، مجلة أول نوفمبر، العددان 124، 125، جانفي - فبراير 1991م، ص 31).

تموقت عناصر كتيبة السي أمعر بالقرب من شعبة صغيرة محاذية للطريق، وتم توزيع العناصر التي تحمل سلاح حربي جماعي على جانبي الطريق بشكل محكم، وفي حوالي الساعة العاشرة صباحا عادت دورية الجيش الفرنسي، فباغتتها وحدات جيش التحرير الوطني بطلقات من الرصاص انجرت عنها انقلاب سيارة الجيب وتوقفت وراءها شاحنة لافتراك، التي أخذ جيش التحرير الوطني يحتمي بها، بينما لاذ قائداهم برتبة ملازم بالفرار عبر أحد الحقول، إلا أنه أصيب بطلقة قاتلة، كما قتل كل أفراد الدورية.⁽¹⁾

انتهى الكمين بمقتل خمسة وعشرين جنديا فرنسيا، بالإضافة إلى حرق سيارة الجيب وشاحنة من نوع لافتراك، بينما خسر جيش التحرير الوطني ثلاثة مجاهدين، مع أنهم غنموا أسلحة دورية بما فيها رشاشة جماعية من عيار 7/12 كانت مثبتة في سيارة الجيب، وكعادتها السلطات الاستعمارية الفرنسية كان ردها عنيفا حيال وقوعها في الكمين الذي نصبته لها وحدة من وحدات جيش التحرير الوطني، فشنت عملية تمشيط واسعة لقرى هذه المنطقة، فأحرقت حوالي مائة وثمانين مسكنا بعد الاستيلاء ومصادرة مؤنهم وحيواناتهم.⁽²⁾

9- كمين منطقة بوعظم صيف 1957م: قامت الكتيبة الكريمة بنصب كمين لقوات الجيش الفرنسي في منطقة بوعظم صيف 1957م على الساعة الحادية عشر صباحا، عندما كان العسكر الفرنسي في طريقه عبر بوعظم من جهة الحمام نحو منطقة عبد القادر بلحسين، فقتل حوالي سبعة عشر جنديا فرنسيا، وجرح منهم عدد كبير من العساكر، كما تم إحراق شاحناتهم العسكرية، ومن شدة فرح سكان المنطقة بهذا النصر، أخذوا يغنون الأغنية التالية: "على الثناش تع النهار، بعلاش خلفت الثار".⁽³⁾

10- كمين منطقة وادي الفضة جانفي 1958م: قامت مفرزة من منطقة وادي الفضة بنصب كمين لكتيبة من الجيش الفرنسي في ناحية وادي الفضة شهر جانفي من عام 1958م، ليتكبد الجيش الفرنسي من خلاله حصيلة ثقيلة تقدر بثمانين قتيلًا، واثنين وعشرين أسيرا، بالإضافة إلى قرابة ثمانين قطعة من السلاح تم أخذها من العدو الفرنسي منها العديد من قطع 24-FM-29، وصناديق ذخيرة كان يحملها الأسرى، الذين كان من بينهم 12 قوميًا، تم إعدامهم جميعًا، كما وجد متطوع واحد من العشرة أوروبيين المساعدين لم يتوقف عن نعت المجاهدين بكافة الأوصاف البذيئة، فبالنسبة له لم يكونوا سوى مجموعة من قطاع طرق أشرار ورجال عصابات، تم إعدامه هو أيضا، أما فيما يخص التسعة الآخرين فقد كانوا

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص 288.

² - علي العياشي، المرجع السابق، ص 32.

³ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 21.

شبابا مجندين، بدو وكأنهم من الضائعين وسط المزيج المسمى زيفا "إحلال السلام"، فقد كانوا يجهلون كل شيء عن الجزائر وعن الأسباب التي يتواجدون من أجلها في هذه البلاد، بعيدا عن أريافهم الفرنسية ليتفاجئوا بوجودهم وسط شباب جيش التحرير الوطني المقاتلين، حيث يتحدث البعض الفرنسية بطلاقة أكثر منهم، فشاركوا المناضلين وجباتهم ولم يتعرضوا لأي تعنيف أو إهانة، وهذا مامكنهم من تحسيسهم بأهداف كفاحهم، وحضروا معهم لأيام عديدة العمليات الانتقامية من الجيش الفرنسي التي تسببت في إحراق الدواوير وهروب المدنيين العزل والقصف الأعمى ضد الأبرياء، ثم أخذوا بعد ذلك إلى المغرب حيث كان البعض منهم محل مبادلة أو إطلاق سراح من طرف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية،⁽¹⁾ وقد اعتبرت هذه الحادثة عملية دعائية جيدة لإيقاظ الرأي العام الدولي، خدمت القضية الجزائرية كثيرا خاصة وأن الرسالة قد مررت، كونهم وجدوا أنفسهم رغما عنهم في الجزائر فقط من أجل الدفاع عن وضعية المستعمر، وعن امتيازات المستوطنين الذين بالرغم من ذلك كله لم يكونوا يتحرجوا من احتقارهم.⁽²⁾

11- كمين سيدي مروان 09 جانفي 1958م: وصلت معلومات من مصالح استعلامات الناحية إلى قائد الكتيبة أحمد شفة والمسؤول العسكري للقسم المدعو السي أحمد البليدي، مفادها أن فرقة تابعة للجيش الفرنسي تقوم بتحركات يومية تقوم بها بين ميناء تنس الذي يشكل جزءا منه الميناء الحربي وبين المركز العسكري الواقع في منطقة سيدي مروان،⁽³⁾ فقررت قوات جيش التحرير الوطني نصب كمين لهذه الفرقة، فشرعت في إعداد خطة للعملية حيث تم تكليف ثلاثة مجاهدين للتنقل إلى المكان المستهدف لمعاينته عن كثبه، وهم: عبد الله جريدي المدعو السي صالح، مختار صالح، وجلول مختاري، وللتأكد ميدانيا من صلاحية المكان المقترح تنقل قائد الكتيبة المدعو السي أحمد شفة شخصيا يوم 09 جانفي 1957م بغية دراسة خطة الكمين.

¹ - مصطفى تونسي، المرجع السابق، ص48.

² - نفسه، ص49.

³ - سيدي مروان: تقع منطقة سيدي مروان بمحاذاة البحر في الجزء الشرقي لمدينة تنس بولاية الشلف حاليا، وتبعد عنها بحوالي 05 كلم، وحسب التنظيم الإداري للثورة، فقد كانت ضمن القسم الثاني من الناحية الثانية للمنطقة الرابعة في الولاية الرابعة التاريخية، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص 290).

تموقت عناصر الكتيبة المكونة من ثلاثة فصائل بقيادة المجاهد السي أحمد الشفة، وبمساعدة قادة فصائل هم: لحسن جحلاط، السي جلول الشرشالي، والثالث غير معروف، في اليوم الموالي على النحو التالي:

- * انتشرت فصيلتان على طول الطريق حيث تحصن أفرادها وراء الصخور والأشجار الكثيفة.
- * أقيمت فصيلة الدعم والإسناد خارج دائرة القتال على مشارف المنطقة تحسبا لأي طارئ.

وصلت قافلة العدو الفرنسي محملة بالجنود وعربة مزنجرة من نوع هالف تراك تتقدم القافلة في حدود الساعة الرابعة مساء، فتركت العربة حتى بلغت المنعرج حينها انهال عليها المجاهدون بطلقات من الرصاص، مستغلين في ذلك عنصر المباغتة وعدم ترك الفرصة للجيش الفرنسي من أجل إعادة تنظيم صفوفه والانتشار الواسع في المنطقة، الأمر الذي مكن المجاهدين من تدمير القوة المعادية ماعدا جنديين لذا بالفرار، ليخلف هذا الكمين مقتل معظم الجنود الفرنسيين الذين كانوا على متن الشاحنة، وعطب في الشاحنة، في حين غنم جيش التحرير الوطني 11 بندقية فردية متنوعة مع إصابة مجاهدين من قوات جيش التحرير الوطني.⁽¹⁾

12- كمين وادي الأكحل جانفي 1958م: لاحظ المسؤولون السياسيون في الناحية الرابعة من المنطقة الخامسة في الولاية الرابعة بعد المراقبة المستمرة أن قافلة عسكرية فرنسية مكونة من عدة شاحنات كانت تتجه إلى مدينة سور الغزلان كل مساء، فاتصلوا بقائد كوموندوس علي خوجة الرائد عز الدين لتحضير خطة محكمة لنصب كمين لهذه القافلة.

غادرت وحدة جيش التحرير الوطني المكونة من قائد الكوموندوس الرائد عز الدين ونائبه المدعو السي عبد النور، قادة الفصائل كلا من الحاج بلقائد والربيع وقادة بن زروق، مع العلم أنهم كانوا مسلحين بقطع جماعية من نوع ترانت، فامبار، بازوكا، وقطع فردية من نوع ماط48، قارة، مونير، ماص، وطومسون، في أحد أيام شهر جانفي 1958م على الساعة الثالثة مساء مغادرين قرية أولاد خلفون

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص290.

متجهين نحو وادي الأكل،⁽¹⁾ وقام الرائد عز الدين بتقسيم قواته إلى ثلاث مجموعات: حيث جعل المجموعة الأولى تستقر عند بداية المنعرج، في حين جعل المجموعة الثانية تستقر في نهايته، وأمر المجموعة الثالثة بالاستقرار وسط المجموعتين السالفتي الذكر.⁽²⁾

وصلت القافلة المقلّة لجنود العدو الفرنسي إلى المكان المقصود على الساعة الخامسة مساءً، لتدخل في الكمين مباشرة بعد أن أعطى قائد الكتيبة أمراً ببداية إطلاق النار بشكل مكثف، فأصابوا مصفحة ودبابة كانتا تتقدمان القافلة، فاحترقتا وانقلبتا بالوادي، ثم تلا ذلك إصابة باقي الشاحنات، في الوقت نفسه الذي تمكنت فيه دبابة كانت متمركزة بالخلف من أخذ مكانها وصوبت قذائفها نحو مواقع المجاهدين، وذلك لكون الوادي عميق جداً ولأن الدبابة كانت لهم بالمرصاد، ولأن النجدة تحركت من مدينة سور الغزلان. فقد الجيش الفرنسي خلال هذا الكمين مصفحتين ودبابة وعدداً من الشاحنات التي تحطمت عن آخرها بسبب الحريق الذي شب بها وترك حوالي ثمانين قتيلاً من جنوده، أما فيما يخص جيش التحرير الوطني فلم يصب أي مجاهد بأذى لأن خطة الكمين كانت محكمة، إلا أنهم لم يغنموا أية قطعة سلاح أو ذخيرة بسبب استجداد القوات الفرنسية بقوات الطيران الحربي.

بث الكمين الرعب والفرع في صفوف الفرنسيين، بعد أن فقد الرعايا الفرنسيين الثقة في قدرة جيشهم على حمايتهم، لأن الكمين كان بجوار ثكنات الجيش الفرنسي وبين أبراج المراقبة المنتشرة عبر المنطقة والمراكز الدفاعية المجهزة بأحدث وسائل الفتك والدمار هذا من جهة، ومن جهة أخرى زادت ثقة الجزائريين بثورتهم، بعد أن برهنت لهم قوات جيش التحرير الوطني على قدرتها في مواجهة جيش فرنسا الاستعمارية.⁽³⁾

13- كمين منطقة سيدي عبد الواحد 06 ماي 1958م: كان جيش التحرير الوطني مجبراً في هذه الفترة على مضاعفة الكمائن ضد الجيش الفرنسي نظراً لنقص الأسلحة والذخيرة التي كانت من المفترض

¹ - وادي الأكل: يقع وادي الأكل ببلدية سور الغزلان ويبعد عنها بحوالي 03 كلم، يحده شمالاً القلعة الزرقاء، وشرقاً منجم سور الغزلان، وغرباً دوار أولاد خلوف، أما فيما يخص التنظيم الثوري كان تابعاً للناحية الرابعة بالمنطقة الخامسة بالولاية الرابعة التاريخية، أما موقع الكمين فقد كان عبارة عن منعرج بالطريق الرابط ما بين تابلاط وسور الغزلان يفصله وادي عميق يمر فوقه جسر كبير تحيط به الصخور من جهاته الثلاثة باستثناء الناحية الشرقية، فهي عبارة عن بقعة زرقاء، (المزيد من المعلومات أنظر: عبد القادر ماجن، **كمين وادي الأكل، مجلة أول نوفمبر**، العددان 93، 94، ماي، جوان 1988م، ص 82).

² - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص 292.

³ - نفسه، ص 293.

أن تأتيهم عبر الحدود، لهذا قررت وحدات الكتيبة الحمدانية نصب كمين ضد وحدة عسكرية فرنسية بمنطقة مراد (نواحي حبوط) تحت قيادة المجاهد السي أمعر،⁽¹⁾ بعد أن تلقى القائد العسكري للناحية الثالثة المجاهد المدعو السي مصطفى عز الله (المنحدر من منطقة مفتاح) لما كان في تاقرة معلومات ثمينة من المجاهد المدعو السي علوان -وهو مسئول الاستعلامات والاتصالات في حبوط- عن مرور موكب العدو الفرنسي في تلك الصبيحة، ولهذا لم ترد الكتيبة تقويت الفرصة.

تشاور مصطفى عز الله مع السي أمعر وقررا تنفيذ الخطة في صبيحة اليوم التالي التي غادروا فيها مركز القرارة في منطقة دادة ميمون عند الشيخ جدي باتجاه موقع الكمين، حيث كانت الفصيلة الأولى تحت قيادة عبد القادر مختيش المدعو السي الفاسي من موزاية، والثانية تحت قيادة السي بعزير عمراني من بني بوعيش، والثالثة تحت قيادة السي الساجي من شرشال.

قام أحد الخونة بوشاية الشيخ جدي، فقتل هو وزوجته على يد الحركى بعد أن تم إضرام النار في مركزه بعد بضعة دقائق من مغادرة المناضلين المكان.⁽²⁾

أخذ المجاهدون مواقعهم في سيدي عبد الواحد مع طلوع الفجر، وكانت آليات الوحدات العسكرية متواجدة هناك، ليصل الجنود الفرنسيون على الساعة الثامنة صباحا، يتقدمهم أربعة من الحركى لاستكشاف المكان، فاندلع الكمين على الفور، وتمكنت عناصر الكتيبة من القضاء على الحركى وعلى عدد من الجنود الفرنسيين، كما استطاعوا غنم عدة أسلحة منها أربع رشاشات من نوع "مات"، وخمسة بنادق حربية، وبندقية "غارانت" الأمريكية الصنع، فضلا عن بنادق صيد.

تحول الكمين بسرعة إلى اشتباك حقيقي لأن الجنود الفرنسيين تمكنوا من النزول من شاحناتهم للرد على نيران جنود جيش التحرير الوطني، لتبدأ معركة عنيفة استمرت حوالي أربعين دقيقة، كلفت

¹- معمر أمعري: انضم لصفوف الثورة الجزائرية في شهر أوت 1956م، فطلب منه مسؤول المنطقة السي الزويير بتنفيذ عملية فدائية في مزرعة فوتري بالعفرون، وبما أنه كان يعمل سائق جرار في نفس المزرعة لم يكن الأمر صعبا عليه، واستطاع بواسطة السلاح الذي أعطاه إياه مسؤول المنطقة قتل المسير السيد بونيلو، وهو أوروبي معروف بعدائه الشديد للجزائريين، ليلتحق بعدها بفصيلة السي الزويير التي أصبحت كتيبة فيما بعد، وارتقى من جندي بسيط في جيش التحرير الوطني ليصبح قائد فصيلة، وبعدها قائدا للكتيبة الحمدانية، وفي وقت لاحق عينته قيادة الولاية الرابعة التاريخية قائدا على كوموندو الناحية الثانية، ونظرا لتقلاته الكثيرة في هذه الأخيرة كان متابعا من طرف المكتب الثاني في كحاحلة قرب موزاية المناجم (تمزغيدة حاليا)، فلم الجيش الفرنسي بمكان تواجده في شهر نوفمبر 1958م فحوصر واستشهد في معركة ضارية ضد وحدة عسكرية من القوات الفرنسية التي كانت أفضل تسليحا ومدعومة من الطيران، (للمزيد من المعلومات أنظر: بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 61).

²- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 64.

المناضلين سقوط ثلاثة شهداء هم: إسعد محمد المدعو السي الحسناوي قائد الفصيلة وأصله من موزاية، وبزاز محمد المدعو موحا البولونجي من حمام ريغة والسي يخلف بوعمرة ممرض الكتيبة، بالإضافة إلى إصابة مجاهدين بجروح هما عبد القادر لمتين المنحدر من مطماطة (الونشريس)، والسي ساعد مسعود من حمام ملوان.

استتجد العدو الفرنسي بالقوات الجوية، وسرعان ما وصلت إلى المكان وقصفت جميع مواقع المنطقة لمدة تقارب النصف ساعة، لكن دون أن تحدث خسائر جديدة في صفوف جيش التحرير الوطني، بعد أن كانوا قد تراجعوا إلى مركز القرارة رفقة جرحاهم.⁽¹⁾

14- كمين منطقة لاكلريطة للو 1958م: نصبت الكتيبة الكريمة بقيادة المناضل الطاهر لغواطي كميناً للجيش الفرنسي في مكان اسمه تامزلايت عرش بني خنوس تسمى "لاكليطة للو" المعروفة بالزرايق قرب الأزهرية في الوقت الذي كانت فيه القوات الفرنسية تقوم فيه بعملية تمشيط واسعة بالمنطقة، ومن بين المجاهدين المأطرين لهذا الكمين نذكر: القادة الصادق بطل وعمر رمضان قائد كوماندو السي جمال والسي حمدان وعبد الكريم عدار ومحمد بن شنوف مسئول فصيلة المسبيلين، وبمجرد وصول الجيش الفرنسي إلى المكان نشبت معركة ضارية بين الطرفين نتج عنها استشهاد مجاهد وجرح أربعة آخرين أحدهم تابع لكوماندو السي جمال، أما فيما يخص الجيش الفرنسي فقد قتل منهم حوالي ستة جنود فضلاً عن عدد كبير من الجرحى الذين قدموا من منطقة بوقايد لتدعيم عسكر فرنسا في منطقة للو.⁽²⁾

15- كمين منطقة سيدي صالح ماي 1958م: اتصل المسؤول السياسي والعسكري لقسم منطقة الأرهاط السي أحمد حوة المدعو "براردي" من مفتاح، بالمجاهد المدعو السي بعزیز من منطقة بني بري وأخبره بأن شاحنات عسكرية تقل يومياً سجناء جزائريين للاحتطاب في غابة قوراية، وبهذا ستكون فرصة مواتية لنصب كمين لهم في المنطقة، واستفسر المدعو السي بعزیز عن تشكيلة الموكب العسكري وتوقيت مرورها المعتاد، فوضح له أحمد براردي أنهم ثلاث شاحنات "ريغو" وحوالي عشرين جندياً وثلاثين سجيناً، يمرون صباحاً بين الساعة السابعة والثامنة.⁽³⁾

عين فوجان من الكتيبة لتنفيذ العملية، فتقدم أعضاء الكتيبة من حيونة إلى سيدي صالح مروراً بوادي إكلان وبني علي وواركشان، ليلتحقوا بمواقعهم على أطراف الطريق المؤدي إلى قوراية متربصين ومتخفين

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 65.

² - محمد نمار، المرجع السابق، ص 33.

³ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 67.

جيدا تحت الأغصان، شارك في العملية السي بعزير نائب الكتيبة إلى جانب عبد القادر لمتين، وأمعمر الصغير ومجيد، ونور الدين بوسبع الذي ظل يداعب رشاشته من نوع 24/29، وهو ينتظر بدء الهجوم. أصدر المجاهد المدعو السي بعزير تعليماته بخصوص تجنب إصابة السجناء الجزائريين والتركيز على العساكر الفرنسيين فقط، وعندما تقدمت الشاحنات وبدأت تتباطئ في المنعرج، أخذ المجاهدون في إطلاق النار، الأمر الذي أحدث ذعرا في نفوس جنود العدو الفرنسي، فراحوا يقفزون من الشاحنات ويطلقون الرصاص بطريقة عشوائية ويستغيثون، كما قفز عدد من السجناء الجزائريين وفروا إلى الغابة.⁽¹⁾ استمر إطلاق النار مدة خمسة دقائق لا أكثر وكانت كافية لتقضي على أكبر عدد من الجنود الفرنسيين، حيث تم القضاء على حوالي خمسة عشر جنديا، وأسر جندي تم تسليمه إلى مركز القيادة وهو سائق كان مختبئا تحت مقود مركبته لحماية نفسه من المجاهدين، وبالمقابل استشهد أحمد براردي في ذلك اليوم رفقة بعض السجناء الجزائريين، وانضم إلى الكتيبة السجين بلعيد الحاج وصار عضوا فيها، بينما تفرق بقية السجناء في الغابة، أما الجيش الفرنسي فقد انتقم كعادته من المدنيين العزل، فقتل بوحشية العديد من الأبرياء في المنطقة.

دبر العدو الفرنسي مكيدة كادت أن تؤدي بالكتيبة الحمدانية عن آخرها، حيث دعا مسئولان محليان عناصر الكتيبة لتناول أرغفة من الكسرة شديدة الملوحة مؤكدان لهم أن المكان جد آمن وباستطاعتهم قضاء الليلة هناك.

تناول المجاهدون كل الأرغفة تقريبا من شدة الجوع، ليتبين لاحقا لهم أنه لا يوجد ماء فاضطروا لمغادرة الدوار مع بزوغ الفجر،⁽²⁾ فحاول القادة مقابلة المسؤولين الذين وجهوهم، إلا أن الكتيبة بأكملها كانت قد تاهت في البراري، وفي اليوم التالي شن الجيش الفرنسي عملية مباغته وحوصرت الكتيبة عن آخرها في يوم شديد الحرارة، ليتبين لاحقا أن المسؤولين المحليين كانا على اتصال وثيق بالنقيب الفرنسي "دراردي" بواسطة أحد المدنيين، فدبروا الخطة للإيقاع بالكتيبة الحمدانية عن طريق تعطيشهم إلى أقصى درجة ومحاصرتهم في مكان مدرّوس، من خلال إرهابهم وإضعافهم بدنيا حيث راهنوا على الإمساك بهم أحياء، غير أن قوات جيش التحرير الوطني قاتلت بكل ما أوتيت من قوة، وتمكنت في الأخير من الإفلات من قبضة العساكر الفرنسيين تاركين وراءهم خمسة شهداء.⁽³⁾

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 68.

² - نفسه، ص 69.

³ - نفسه، ص 70.

انكشف أمر الخونة لاحقا فتمت عملية إعدامهم، فقد حدث ذلك أيام عملية "لابلوويت"⁽¹⁾ أين دست عناصر منشقة في صفوف جيش التحرير الوطني، فظلوا يزودونهم بمعلومات ثمينة عن المسؤولين والكتائب، ولاحقا أعد قائد الكتيبة تقريرا مفصلا عن هذه الحادثة التاريخية التي كادت أن تنهي الكتيبة الحمدانية عن بكرة أبيها.⁽²⁾

¹ - عملية لابلويت: اعتبر المؤرخون أن مؤامرة لابلويت هي أسلوب حربي غير عسكري يدرج ضمن أساليب الحرب النفسية والبيكولوجية، والتي أصبحت ملاذالكثير من الدول الاستعمارية خلال الحروب والنزاعات المسلحة، فقد أكد الدارسون لهذه المؤامرة بأنها تعتمد بصورة كبيرة على نشر الإشاعة والتمكين للدعاية التضليلية في الأوساط الحربية للعدو أو الطرف العسكري المناوئ، بينما وصفها بعض المؤرخين الجزائريين بأنها إعادة إحياء للتجربة الاستعمارية الاستخباراتية الفاشلة المعروفة بـ "مؤامرة العصفور الأزرق"، وقد اتخذت مؤامرة لابلويت العديد من الأشكال والأنماط المختلفة والمتباينة من أجل تحقيق هدفها والوصول إلى اختراق صفوف الثورة الجزائرية وتفتيتها من الداخل، ومن بين هذه الأساليب نذكر: لجوء العقيد الفرنسي غودار الخبير في فن الجوسسة إلى تسيير خطة لخلق إشاعة اختراق الثورة الجزائرية من قبل بعض العناصر المحسوبة على فئة المتقنين المنضيين تحت لواء الثورة بعد إضراب التلاميذ والطلبة في ماي 1956م، والدليل على ذلك هو بروز بعض المظاهر والصور الغربية والجديدة في صفوف الثورة الجزائرية، وعلى رأسها تسرب أسرار المجاهدين الجزائريين، مما أدى إلى تصاعد عمليات التمشيط الفرنسية التي استهدفت بصفة مباشرة المراكز الخاصة بجيش التحرير الوطني في الولاية لتاريخية الثالثة، كما عملت السلطات الاستعمارية على تشويه صورة المرأة الجزائرية بالموازاة مع عملية اختراق صفوف الثورة التحريرية، عن طريق توظيفها من بل المصالح الاستخباراتية الفرنسية لتسهيل هذه العملية، والدليل على ذلك هو ما عرف تاريخيا بقضية الفتاة الممرضة "تاجر زهرة" المكناة باسم "روزة بلويت" والتي تم وسم هذه المؤامرة بناء عليها، فقد عملت الاستخبارات الفرنسية على توظيفها من أجل نقل وتسريب حقائق ومستجدات العمل العسكري للثورة الجزائرية لصالح السلطات الفرنسية، بينما نجد تقنيًا كبيرًا من قبل العديد من المصادر التاريخية لهذه القضية، بعد أن أشاروا إلى أن الفتاة كانت تعمل كمناضلة لصالح الثورة الجزائرية، وقد تظاهرت بالعمل لصالح الفرنسيين تنفيذًا لأمر قيادة جبهة التحرير الوطني، لتكون عينًا لهم على المخططات الاستعمارية الفرنسية وجميع مشاريعه العسكرية ضد الثورة التحريرية، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد محمدي، الحرب النفسية الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على الثورة الجزائرية "مؤامرة لابلويت بالولاية الثالثة التاريخية 1958م - 1959م أنموذجًا، مجلة العلوم الإنسانية، مج 10، ع 02، الجزائر، 2021م، ص - ص 55، 57).

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 70.

ب- الاشتباكات:

اصطدمت الولاية الرابعة في الفترة الممتدة مابين (1956م - 1958م) بالجيش الفرنسي عن طريق المواجهة وجها لوجه في العديد من الاشتباكات، حيث لم تكتف بالكائن فقط لإبراز وجودها في ميدان الكفاح المسلح، وهذا عبر مناطقها المختلفة، وعلى سبيل المثال لا للحصر نذكر أهم الاشتباكات التي شنها جيش التحرير الوطني خلال هذه الفترة بالمنطقة:

1- اشتباك منطقة الزبربر 21 أوت 1956م: أنزلت طائرة الهليكوبتر العملاقة فوجا تابعا للواء الأول في نواحي الزبربر يوم 21 أوت 1956م، فاعترض طريقهم المجاهد رابح مقراني المدعو السي لخضر وجنوده، ليقضو بذلك على حوالي سبعة عشر جنديا منهم.⁽¹⁾

2- اشتباك منطقة مراد نوفمبر 1956م: كشف العدو الفرنسي مكان تواجد فصيلة المجاهد المدعو السي السوفي⁽²⁾ فأسرع لمحاصرتها في منطقة مراد بضواحي مارنغو (حجوط حاليا)، وفي حدود الساعة الثالثة زوالا تم تطويق كل القطاع من قبل القوات البرية والمحمولة عبر المروحيات، فنشبت معركة غير متكافئة بين الطرفين، وحسب شهادات الجنود الناجين من المعركة فإن جيش التحرير الوطني قد خسر أربعة من عناصره وهم علي الزواوي الذي كان مسلحا ببندقية "شتاين" الانجليزية التي تعود إلى الحرب العالمية الثانية، وأحمد عيسى، بوعلباني، ولكحل، أما المناضل خالد البدوي فقد وقع أسيرا بين أيديهم، فاستجوب وعذب في نفس المكان الذي أسر فيه، وبعد أن طلب منه النقيب الفرنسي أن يمد به بأسماء بقية مناضلي جيش التحرير في المنطقة أجابه وهو يهزأ منه قائلا: "أنتم ترععون المدنيين في النهار، ونحن في الليل نجبرهم على إطعامنا، المدنيون يعيشون حقا بين نارين"، فثارت ثائرة الضابط الفرنسي من هذا الجواب فعصب له عينيه وقتله، في حين خسر الفرنسيون ثمانية عناصر من جنودهم في هذه المعركة. رش جنود العدو جثامين الشهداء بالبنزين وأحرقوها ليدفنهم السكان ليلا في مقبرة جماعية.⁽³⁾

¹- محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص479.

²- السي السوفي: هو أحد الفارين من الجيش الفرنسي وينحدر من وادي سوف وهو من الضباط المتمرسين في ميادين القتال، فقد زعزعت فصيلته أركان الجيش الفرنسي في منطقة شفة وفي جبال مراد بحجوط وحمام ريغة وبومدفع وتمزغيدة، من خلال أسلوب العمليات الخاطفة التي كان يطبقها وهي خاصة بحرب العصابات، متجنباً بذلك الاشتباكات، وكان تنقل فصيلة السي السوفي سهلا نسبيا لأن المعسكرات في الجبال لم تكن موجودة آنذاك، (للمزيد من المعلومات أنظر، بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص33).

³- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص34.

3- اشتباك منطقة زاتيمّا 29 جانفي 1957م: اشتبكت قوات جيش التحرير الوطني يوم 29 جانفي 1957م مع قوات الجيش الفرنسي المدعمة بالطائرات في جبل زاتيمّا، والذي يبعد عن جبل الناظور موطن الكمين السالف الذكر بخمسة عشر كيلومترا، فاستشهد على إثره اثنا عشر مجاهدا من فرق الكوموندوس.

قام الجيش الفرنسي بعمليات تشويه جثث الشهداء، فقاموا برمي الشهداء الأولين في قنطرة وادي الداموس، وفي الوقت نفسه قام بالتشهير بالجثتين الأخريتين خارج من ناحية الداموس، وتفننوا في طرق التشويه كنزع الأذان وإخراج الأحشاء الباطنية لإيضاح مدى الوحشية التي تتحلّى بها سلطات الجيش الفرنسي في مثل مواقفها الانهزامية، وكدليل على ذلك ارتفاع الخسائر البشرية من المدنيين والسكان العزل.⁽¹⁾

4- اشتباك منطقة حربيل مارس 1957م: تم تحويل المجاهد المدعو السي عثمان إلى الحميدية في نواحي تنس شهر فيفري 1957م، فعين محله المجاهد المدعو السي يوسف على رأس الكتيبة لمدة ستة أشهر ثم خلفه المجاهد المدعو السي موسى كلواز،⁽²⁾ وفي حدود الساعة الرابعة مساء من أحد أيام شهر مارس 1957م بمنطقة حربيل وقع اشتباك بين عناصر الكتيبة والجيش الفرنسي، فتدخل الطيران الحربي بنفائاته B52، و T6، وحسب شهادة عبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة فقد سجلت خسار فادحة في صفوف جيش التحرير الوطني راح ضحيتها ستة شهداء.

6- اشتباك منطقة حناشة مارس 1957م: تم هذا الاشتباك بعد أيام قلائل من اشتباك حربيل في منطقة حناشة مع وحدات وامري (Boély la Sapie)، لكن هذه العملية كانت عكس الأولى من حيث النتائج إذ تم تنفيذها بنجاح، حيث تم القضاء فيها على العديد من الجنود الفرنسيين وغنم ما يقارب عشرة قطع من الأسلحة وكمية لا بأس بها من الذخيرة، إلا أنه تم فيها إصابة عبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة رفقة عبد القادر موايسي ومجاهد آخر، لينقلوا إلى منطقة قلابة في مركز بمنطقة دلاع لتلقي العلاج، -وكان من بين الممرضين الموجودين في المركز عبد القادر البليدي ومحفوظ شخماجي-، وقد غادروا العيادة بعد مرور عشرة أيام ليلتحقوا مجددا بالكتيبة.⁽³⁾

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 141.

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 50.

³ - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة عبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة حول معركة جيش التحرير ضد المستعمر الفرنسي في منطقة المعايزة بحناشة ضواحي المدينة، مدة التسجيل 03 د 9 ثا.

6- اشتباك المدينة 12 مارس 1957م: تمركز عناصر كوموندو السي الزوبرير بالمنطقة الثالثة في شرشال قريبا من قرية "دوبليكس" (الداموس حاليا)، رفقة فرع الشهيد السي عبد الحق النوفي ينتظرون المشاركة في كمين كان مقررا أن ينصب لقافلة عسكرية فرنسية على مستوى عال من الأهمية، فتلقى المدعو السي الزوبرير رسالة من ضابط الربط وصلته من قيادة الولاية الرابعة مفادها أن يتوجه إلى البليدة بأقصى سرعة رفقة رجاله، فاستجاب هذا الأخير لأمره والتحق بالبليدة بمفرده لتسهيل عملية التحرك، وفي الوقت نفسه كان قد أمر المجاهد المدعو السي موسى قلواز باللاحاق به رفقة الجنود لاحقا.⁽¹⁾

كلف قيادة الولاية الرابعة التاريخية المجاهد المدعو السي الزوبرير بالتوجه إلى دوار السباغنية في الصباح الباكر، أين كان في انتظاره أكثر من أربعمئة فرد من الطلبة والثانويين رجالا ونساء، فروا من المدن بعد أن شنوا الإضراب العام للطلبة الجزائريين يوم 22 فيفري 1957م، فبدأ هذا الأخير في انتقاء بعض الطلبة ليصبحوا كتابا، وآخرين ليكونوا محافظين سياسيين، ورجال استخبارات أو معتمدين عسكريين، أما البقية فكان يجب أن يتم إرسالهم إلى تونس أو المغرب لمواصلة دراستهم، إلا أن الأعداد الكبيرة للطلبة بالدوار وإقامتهم الطويلة به سمحت لأحد الجواسيس بالتبليغ عنهم لدى السلطات الفرنسية.

وجد المجاهد المدعو السي زوبرير نفسه رفقة الطلبة مطوقين بخمس عشرة طائرة مروحية من نوع "سيكورسي" على الساعة الثالثة بعد الزوال، فأمر المجاهد السي الزوبرير الطلبة بالانسحاب صعودا مع الوادي، بينما بقي لوحده يطلق النار على طائرات الجيش الفرنسي قصد منعها من الهبوط وإنزال الجنود، فبدأ هؤلاء الأخيرين يطلقون النار عليه من الطائرات وهو يرد عليهم بوابل من الرصاص، فجاءت رصاصة 12/7 لتستقر في عنقه وكانت كافية لقتله، واستشهد معه سبعة وعشرون فردا من الطلبة بينهم طالبة ثانوية، بينما نجا الآخرون من هذه العملية المحمولة جوا.⁽²⁾

أقام أحد أفواج كوموندو السي الزوبرير ببيت مهجور في دوار بجبال تامزغيدة الشامخة وتحديدا قرب منطقة تادينارت الكراش (معسكر أشجار البلوط عناصر القردة سابقا)، حث يقع هذا البيت على حافة هضبة مرتفعة، يحوي على غرفة واحدة من ستة أمتار على أربعة، وبه نافذة واحدة تطل على الوادي الكبير، كان سكان الدوار يتخذونه ملتقى للاجتماعات.

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبرير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص53.

²- مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد العربي عبدون، المرجع السابق.

لمح المناضلون رجالا ببذلات عسكرية يتحركون ويجرون في كل الاتجاهات، واضعين رشاشاتهم على ركائز، ولأن الاشتباك مع العدو في معركة لن يكون في صالح المناضلين فقفزوا الواحد تلو الآخر من النافذة وتدرجوا إلى الوادي بسرعة دون أي ضرر، ولم يتفطن الجيش الفرنسي للأمر إلا بعد أن كانوا قد عبروا الوادي، ثم سارعوا إلى التمرکز في موقع لمباغطة الجنود الفرنسيين في أثناء مرورهم أمامهم، أما الفوجان الآخران للكوموندو فقد تفوقا على جنود العدو الفرنسي إثر اشتباك وقع بينهما.⁽¹⁾

أجبر الجنود الفرنسيين الذين طاردتهم قوات كوموندو السي الزوبير على سلك ممر مواز للذي تربصوهم به والذي لا يبعد عنه إلا مسافة مائة متر، وهو ما يسمح للمناضلين بأخذهم من الخلف وتطويقهم بنيرانهم ليجد الجيش الفرنسي نفسه بين نارين، نيران عناصر فوجي الكوموندو، ونيران الفوج الآخر الفار من البيت المهجور، ولقد كبد جيش التحرير الوطني الحامل لرشاشات "قاران" العدو الفرنسي خسائر معتبرة في الأرواح، ليتوقف القتال مع حلول الظلام، لأن الجنود الفرنسيين كانوا قد فروا نحو مكان تجمعهم لتعزيز صفوفهم، ولم يرد المجاهدون المجازفة تحسبا لأي طلقة عشوائية قد تؤدي بحياة واحد من المناضلين كونهم كانوا مشنتين، فقد كان الفوجان الأولان في جانب، بينما كان الفوج الآخر في جانب معاكس لهما تماما.⁽²⁾

7- اشتباك تمزغيدة (المدية) 22 مارس 1957م: كان كوموندو السي الزوبير متواجدا بناحية لودي داميات غير البعيدة عن مدينة المدية، وفي منتصف النهار جاء ضابط الربط بمعلومات مفادها أن الجنود الفرنسيين موجودين بدوار مشماش، وكان ينبغي للمناضلين أن ينتقلوا إلى المنطقة التي تفصلهم عنها مسافة تنقل تستمر لحوالي ست إلى سبع ساعات حتى يتمكنون من الوصول إلى مواقع العدو، فانطلقوا في اللحظة ذاتها التي وصلتهم فيها المعلومة، متقللين بخفة وحذر شديدين، علما أن الطائرات العسكرية كانت تحلق فوق المنطقة دون انقطاع، فضلا على أن الجيش الفرنسي كان قد أقام مركزا عسكريا بالمكان المسمى "حوش الياسورات" (دير الراهبات)، وكان يمكن للجنود الفرنسيين من هناك أن يكتشفوا تحركات المجاهدين بمناظيرهم، لذلك اضطروا للزحف طويلا حتى يعبروا المساحات غير الغابية، وهو ما كان بالنسبة لهم عملا شاقا للغاية.

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص 58.

²- نفسه، ص 59.

تموّعت فرق الكوموندو على مقربة من دوار مشماش في حدود الساعة الخامسة زوالاً، إلا أنهم وجدوا قوات المظليين الفرنسيين قد انصرفت بعد أن قامت بإحراق منازل سكان الدوار وزرعت الرعب في نفوسهم، وخربت كل ما وجدت في طريقها.⁽¹⁾

سمع مناضلوا كوموندو السي الزوبير نداءات وصيحات السكان في الصباح الباكر من اليوم التالي وهم ينادون: "العسكر، العسكر"، فجمع المجاهد موسى قلواز الجنود بسرعة وأعطاهم التعليمات بشأن الاستراتيجيات والاحتياطات التي يجب احترامها بدقة، وأوصاهم بضرورة الاحتفاظ بمسافة 100 متر بين الفوج والآخر، وأخذ الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي يسلكه المدنيون عند فرارهم، وتحددت نقطة اللقاء في قمة جبل تمزغيدة.⁽²⁾

كان موسى قلواز قائماً بأعلى قمة في الجبل يحاول الكشف عن الجنود بمنظاره، ولقد تمكن من كشفهم في الغابة وهم يسيرون في أفواج صغيرة يتكون كل منها من خمسة إلى ستة جنود يلبسون "القشابييات"، حيث التقى الفوجان الذان كانا رفقة السي موسى في الموعد، أما الفوج الثالث فلم يكن قد وصل بعد، فأعطى أوامره لجنوده أن الفوج الذي يلمح الفرنسيين الأول ينطلق في الهجوم.

ظل موسى قلواز يتابع تحركات المظليين، ولمح في أثناء ذلك أن الفوج الثالث بقيادة المجاهد أحمد خلاصي هو الذي يتأهب لمهاجمتهم، يتراجع حينما سمع نداءات المدنيين، فانتهاز المظليون فرصة تردد فرق الكوموندو ولادوا بالفرار حاملين جرحاهم ليختبئوا بقبة الوالي الصالح سيدي المدني.⁽³⁾

فشل الكمين وبدأ الاشتباك فوراً بين فرقتي كوموندو السي الزوبير والكوموندو الأسود⁽⁴⁾، ولأن المعركة كانت عنيفة فقد استنجد المظليون -المجهزون براديو اتصال- بالطيران حتى يدعمهم، غير أن ضباباً كثيفاً كان قد أحاط بالمنطقة، فلم يعد يسمح للطيارين بإطلاق النار.

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص 63.

²- نفسه، ص 64.

³- نفسه، ص 65.

⁴- الكوموندو الأسود: تعود فكرة إنشاء الكوموندو الأسود إلى النموذج الذي طوره الجنرال باري دو بولاردير مع مساعده العقيد روجي باربرو ضمن نصف الفرقة 117 التي تحكم في النطاق العملياتي الممتد بين جبال تمزغيدة وجبال الزبير، وبين مدينة البلدة إلى خميس الخشنة وأولاد موسى مروراً برافيقو (بوقة حالياً) والأربعاء، ومفتاح (ريفي) على سهل متيجة، لقد تشكلت الوحدات الأولى للكوموندو الأسود ضمن مشروع كبير كان وراءه الجنرال باري دو بولاردير والحكومة العامة التي استهدفت عزل الثورة عن الشعب، بتغيير سلوك الجيش الفرنسي، الذي كان بقمعه للشعب يساعد على التجنيد لفائدة جيش التحرير الوطني، وهكذا أصبح الكوموندو يشارك في التعليم ويشق الطرق ويغير أسلوب التعامل مع السكان من القمع

التحق فرع بقيادة المجاهد ناصر من أحمر العين ليشاركوا القتال جنبا إلى جنب رفقة فوج كوموندو السي الزويبر، فطلب موسى قلواز من المجاهد ناصر أن يتموقع بفرعه على بعد مائة متر، وأوصاه بأن لا يترك أي ممر للجيش الفرنسي، كونه كان عازما على التخلص نهائيا من المظليين، فأمر جنوده بتكثيف عمليات إطلاق النار ورمي قنابلهم اليدوية، ثم القيام بالهجوم دفعة واحدة على العدو الفرنسي.⁽¹⁾ اقتحم فوج كوموندو السي الزويبر قبة الولي، فوجدوا جثث المظليين ملقاة على الأرض، من بينهم جثة ملازم أول وجثتين أخريتين لخائنين، فقد قام المظليون بذبح الخائنين ووضع رأسيهما على وتد في لحظة يأس لهم، لما جرى لهم بعدما تيقنوا كل اليقين أنهم محاصرين.

دام الاشتباك يوما كاملا، وألقى جيش التحرير الوطني القبض على جندي من جنسية مارتينيكية برتبة رقيب أول، كان يحمل معه بندقية أمريكية الصنع ، 120 رصاصة و 12 قنبلة يدوية، ومن شدة خوفه أخذ يخاطب موسى قلواز قائلا: "موسى، موسى، أنا إنسان طيب، أعطيت الحلوى لأطفال البلدة، أنا متساهل مع المدنيين".

يروي محمد الشريف ولد الحسين تفاصيل الحادثة قائلا: "أمر السي موسى السجين بخلع ثيابه، وبدأنا التحقيق معه فأفادنا بمعلومات وأخبار عسكرية جد هامة، وبعدما انتهينا من استنطاقه، نظر إلي السي موسى قائلا: "السي الشريف، هيء نفسك، أنت تعرف ما يجب فعله"، مزقت ورقة من دفتر المذكرات وكتبت ما يلي: "السي الزويبر لم يمت، هو دائما معنا"، فتلقى مجاهد آخر أمرا من السي موسى بتعبئة بندقيته وإطلاق النار عن كثر على المظلي المارتينيكي، وبعد رميه بالرصاص وضعت الورقة بين أسنانه".⁽²⁾

طلب العقيد بيجار متطوعين لقضاء ليلة بالجبال بعد العمليات التي قام بها كوموندو المظليين الأسود تحت قيادة الملازم "قيوم" بدوار مشماش يوم 21 مارس 1957م، مقابل ترقية رتبهم ومكافآت معتبرة، فتطوع 58 مظليا للقيام بذلك، حيث هدفت هذه الخطة العملياتية إلى إقناع وفد من الشيوخ

إلى الاحتواء، وقد لقيت تجربة الكوموندو الأسود دعم هيئة أركان الجيش الفرنسي والجنرال "مونصيو دينيو"، كما تشكلت الوحدات الأولى للكوموندو الأسود من التطوعين، وكان عنصر الدافعية عندهم يجتمع مع الملل من روتين المراكز العسكرية، (للمزيد من المعلومات أنظر: دحمان تواتي، استيراتيجية الجيش الفرنسي في مواجهة حرب الكمان "الكوموندو الأسود أنموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج2، ع04، الجزائر، جويلية 2020م، ص-ص 227، 228).

¹⁻ محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويبر وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص 66.

²⁻ نفسه، ص 67.

الأمريكيين والفرنسيين أثناء مرورهم بالبلدية بأنه لا يوجد أي نوع أو صنف من المقاتلين الجزائريين، ماعدا بعض الجماعات غير المنظمة المتكونة من متمردين شيوعيين، وبالموازاة مع ذلك أرادت السلطات الاستعمارية والجيش الفرنسي أن يبرهنوا للجزائريين أن فرنسا هي المتحكمة في الجبال، المدن، والقرى، مع العلم أن الكوموندو الأسود للعقيد بيجار كان مكونا من عناصر النخبة المتخرجة من المدارس العسكرية الأكثر شهرة، وهي عناصر ذات خبرة في حرب العصابات، والتي كانت قد أثبتت قدراتها وإمكاناتها في حرب الهند الصينية.⁽¹⁾

لم ينتبه سكان دوار مشماش لوجود المظليين لأنهم كانوا مموهين، فقد تجرؤوا لقضاء ليلة بالجبل غير بعيد عن الدوار، وتمكنوا من مخادعة يقظة المسبلين والسكان الذين كانوا يعتقدون واثقين بأن المظليين عادوا إلى ثكنتهم بالبلدية.

عمت البهجة في نفوس سكان مناطق تمزقيدة، كحاحلة، موزاية، بعد انتصار كوموندو السي الزوبر على المظليين، وخاصة سكان دوار مشماش الذين تأسفوا للاستقبال البارد الذي اختصوهم به، بعدما برهنت لهم قوات الكوموندو بأنهم غير خائفين من الجنود الفرنسيين.

ظلت عناصر كوموندو السي الزوبر تتلقى تشجيعات السكان، وظل الرجال: يرددون: "الله ينصركم ياالمجاهدين"، وكانت النساء توازرهن بزغاريدهن، والأطفال يرددون نشيد "من جبالنا"، وعلامات الفرحة بادية على وجوههم، أما الجالية الفرنسية بالبلدية والمدن المجاورة، لاسيما كبار المستوطنين والعسكريين، فقد كانوا جميعا في حداد على كوموندو المظليين الذي ذهب دون رجعة.⁽²⁾

يتحدث محمد الشريف ولد الحسين عن تفاصيل العملية قائلا: "أما نحن المجاهدين، فقد كنا جد مرتاحين وراضين لأننا أخذنا بثأر شهيدنا البطل السي الزوبر والطلبة السبعة والعشرين الذي لقو حتفهم بصحبته على يد كوموندو المظليين الأسود الذي زرع الرعب بمناطق البلدة، المدينة، موزاية، الشفة، والعفرون، ضف إلى ذلك أن السكان الجزائريين ازدادوا فخرا وارتياحا عندما علموا أننا كنا السبب المباشر في تصفية الخائنين الدمويين "كيواز" "وبن قلال" الذان قتل كثيرا من المدنيين المسلمين".

استطاع جيش التحرير الوطني أن يبرهن للسلطات الاستعمارية الفرنسية بأن عناصر كوموندو السي الزوبر موجودة فعلا من أجل الدفاع عن قضيتها الوطنية، خاصة بعدما لقي كثير من الضباط وضباط

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبر وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص-ص 67، 68.

²- نفسه، ص 68.

الصف الفرنسيين مصرعهم، نذكر منهم على سبيل المثال الملازم الأول "قيوم" المندوب السامي السابق بالمغرب، وتمكنت عناصر جيش التحرير الوطني من استرجاع جهاز راديو للإرسال 303، صناديق ذخيرة، وبندقيات من صنع أمريكي.

خسر كوموندو السي الزوبرير الشاب محمد بوراس من العفرون ابن السبعة عشر عاما، إضافة إلى ثلاثة جرحى وهم: سليمان تكارلي، المجاهد محفوظ المنحدر من خميس الخشنة وعبد القادر شاموني من عين الدفلى، وكلهم نقلوا إلى العيادة الجهوية.⁽¹⁾

08- اشتباك طريق تيزي فرانكو - زكار مارس 1957م: سلك كوموندو السي الزوبرير الطريق المؤدي إلى مارنقو (حجوط حاليا) وشرشال، بعد الانتصار الذي حققه في الاشتباك الذي شنه على الكوموندو الأسود لمظليي العقيد بيجار بناحية تمزغيدة (المدية) في 22 مارس 1957م،⁽²⁾ وفي طريقهم إلى وجهتهم المقصودة وجدوا أنفسهم يسيرون داخل المعسكر الفرنسي، وفجأة لمحهم العسكر وبدؤوا ينادون عليهم بإشارات وهم يعتقدون بأنهم من رفاقهم، فواصلت عناصر الكوموندو التقدم نحو ربوة معينة محاولين الوصول إلى طريق تيزي فرانكو، سارعت إليهم كتيبة تابعة إلى جيش العدو، لتحديث بينهما المواجهة التي لا يمكن تجنبها نظرا لطبيعة الوضع، فقد كانت المسافة التي تفصل بين الطرفين لا تتعدى ال 40 مترا. أمر موسى قلاوا جنوده في تلك اللحظة بإطلاق النار دون تردد، فأمطروهم بوابل من الرصاص، ونتيجة لردة الفعل هذه تعرف عليهم الجنود الفرنسيون، فبدؤوا يصرخون بأعلى صوتهم : "الفلاقة، الفلاقة"، وقبل أن يثوبوا إلى رشدهم ويفيقوا من صدمة المباغته أمام منظر الدماء التي غرق فيها القتلى والجرحى في صفوف الجيش الفرنسي، وقبل أن يتمكنوا حتى من مجرد التمتع لإطلاق النار على عساكر الكوموندو، كانت قوات جيش التحرير الوطني قد عبرت الطريق كي تتسحب نحو منطقة مليانة.⁽³⁾

9- اشتباك منطقة مارسو (بني مناصر حاليا) أبريل 1957م: أقامت عناصر الكتيبة الحمدانية معسكرها في مارسو (مناصر حاليا) مطلع شهر أبريل 1957م، فتعرضت فصيلة يحيى القبائلي لحصار مع الجيش الفرنسي الذي شن عملية تمشيط واسعة ومفاجئة على المنطقة، وكون أن الاشتباك كان غير

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبرير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص 69.

²- نفسه، ص 71.

³- نفسه، ص 74.

متكافئ بين الطرفين كلف المجاهدين حياة سبعة من عناصرهم، إذ لم تتمكن الفصائل الأخرى التابعة للكتيبة من التدخل كونها كانت بعيدة عن موقع العملية، وقام متطوعون من سكان الدوار القريب بدفن الشهداء السبعة.⁽¹⁾

10- اشتباك سيدي أمحمد أفلوش (شرشال) 26 أبريل 1957م: جرت هذه العملية ضد الجيش الفرنسي بدوار سيدي أمحمد أكلوش في شرشال، الناحية الثالثة من المنطقة الثانية بالولاية الرابعة التاريخية يوم 26 أبريل 1957م وتحديدًا في شهر رمضان المبارك وفي ليلة القدر المباركة، وقد كانت عناصر كوموندو السي الزوبري على طريق شرشال الذي يصعد جنوبًا نحو جبال زكار يوم الأربعاء 24 أبريل 1957م، ولم يلاحظ المناضلون أي تحرك للعدو باستثناء بعض طائرات التجسس التي كانت تحلق فوق المنطقة بين حين وآخر، وهذا كان أمرًا طبيعيًا تقتضيه طبيعة الوضع التاريخي بالمنطقة خاصة وبالجزائر عموماً، وبعد الظهر كانوا قد التحقوا بمخابئهم بدوار حيونة في شرشال.

جاء ضابط الربط ليسلم رسالة من النقيب السي سليمان -المسئول العسكري عن المنطقة التي ينشط بها كوموندو السي الزوبري إلى موسى قلاو-، حيث جاء في هذه الأخيرة أخبارًا مفادها أن المظليين الفرنسيين يقومون بتوغلات متواصلة بدوار سيدي أمحمد أفلوش، وقد تعرض السكان على إثرها إلى أبشع وأساء المعاملات من تعذيب وتطويق وابتزاز، لذلك أمر السي سليمان بالسير نحو الدوار بغية مهاجمة عساكر العدو الفرنسي، ووضع حد لتصرفاته المشينة ضد السكان المدنيين.⁽²⁾

انطلقت وحدات الكوموندو من دوار حيونة متجهة نحو دوار سيدي أمحمد أفلوش، وبعد سبع ساعات من المشي على الأقدام وصلوا إلى المكان المنشود على تمام الساعة الثالثة صباحًا، حيث كانت المنطقة تشهد عاصفة من الرياح الباردة، وكان موسى قلاو قد اختار مكانًا لائقًا لنصب كمين محتمل، إلا أن الجيش الفرنسي لم يحضر في ذلك اليوم، فغادر المناضلون الغابة في حدود الساعة الرابعة مساءً متوجهين إلى الدوار المجاور، فاستقبلهم السكان استقبالا حارًا وسارعوا إلى تهيئة المخابئ المجهزة خصيصًا لهم ليأخذوا قسطًا من الراحة، وكان ذلك يوم الخميس 25 أبريل 1957م الموافق لليلة السابع والعشرين من رمضان وهي ليلة القدر المباركة.⁽³⁾

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

² - محمد الشريف ولد الحسين ، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص 251.

³ - نفسه.

غادر المناضلون مخابئهم على الساعة الثانية صباحا في اليوم الموالي، وتوجهوا إلى مواقعهم التي تخيرها لهم القائد موسى قلاوز، وهي على بعد مئات الأمتار من دوار سيدي أمحمد أفلوش، حيث تقع هذه المنطقة على الطريق الوطني الذي يربط شرشال بقوراية، وهو مكان منعزل يفصله عن الدوار غابة وحقل قمح.

سمع المناضلون أزيز محركات الشاحنات العسكرية على الساعة السادسة صباحا، وبعد فترة زمنية وجيزة تمكنوا من رؤية الجنود الفرنسيين الذين طوق بعضهم الدوار، وأخذ وضعية القتال بعضهم الآخر متقدمين نحو مناضلي الكوموندو، فأدرك المجاهدون بأن أحد الخونة قد فعل فعلته وقام بالتبليغ عنهم، حيث يقول محمد الشريف ولد الحسين في هذا الصدد: "...ولم يكن هذا بجديد إطلاقا، فقد تأخرنا بالمنطقة وكان من عاداتنا أن لا نستقر أكثر من يوم واحد في نفس المكان"، ولهذا السبب كانت أوامر السي موسى تقتضي التراجع والانسحاب نظرا لخطورة المواجهة في مثل هذه الظروف من جهة، ولربح الوقت من أجل الحصول على موقع استراتيجي جديد يكون أكثر نجاعة وفعالية وفق ما تقتضيه الظروف من جهة أخرى.⁽¹⁾

رصدت قوات الجيش الفرنسي تحرك وحدات الكوموندو من دون التوصل إلى تحديد موقعهم بدقة، وكان العدو يتقدم في شكل أرتال متتابعة باتجاه المناضلين، فكان الرتل الأول الذي وصل إلى يمينهم يتكون من السينيغاليين والمارتينيكيين، ويصف السي بن عيشة تقدمهم قائلا: "وراحوا يصرخون بجنون بغية تخويفنا بلا شك وزرع الذعر في نفوسنا، لكنهم كانوا مخطئين في حساباتهم".⁽²⁾

كانت المسافة التي تفصل بين الجيشين تتراوح بين الـ 80 و 100 متر، وكان المناضلون يلاحظون تقدم الجنود الفرنسيون نحوهم، فيصف محمد الشريف ولد الحسين الحادثة قائلا: "وكنا نرى قائدهم ونسمعه وهو يصرخ فيهم بصوت مرتفع: تقدموا، تقدموا، أطلقوا النار بلا هوادة، وعندما بدأ العساكر يطلقون النار علينا أحسنا ببعض اليأس، لأننا لم نكن قد تلقينا أي أمر بالرد على طلقاتهم".⁽³⁾

أطلق المجاهد المدعو السي محمود النمري المنحدر من حمام ملوان عددا من الطلقات من رشاشه الأمريكي الصنع من نوع "طومسن" حتى يحد من تقدمهم الخطير، لأنه كان لزاما عليهم أن يستولوا على

¹- محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص 252.

²- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 52.

³- نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص 280.

قمة الجبل المرتفعة أثناء عملية الانسحاب، إلا أن هذا الأمر كان صعبا جدا، فيصف محمد الشريف ولد الحسين الحادثة قائلا: "ولكن الصعود إليها لم يكن بالأمر الهين، لأنه كان يفترض علينا عبور أرضية من عشرات الأمتار على المكشوف، وكان العدو قد وضع رشاشا وصوبه نحونا بغية منعنا من الوصول إلى تلك النقطة الاستراتيجية التي كان يحرص هو الآخر على الاستيلاء عليها".⁽¹⁾

تموقع موسى قلواز خلف صخرة لتوفير تغطية ملائمة لتحرك المناضلين، وبدأ بإطلاق النار نحو الرشاش ليدمره وهو يأمرهم بالإسراع إلى القمة، وفي هذا الصدد يقول ولد الحسين: "على يميننا كنا نرى المظليين يسارعون إلى بلوغ قمة الجبل، لكن المجاهد السي الطاهر وصل قبلهم، وأمطرهم بوابل من الرصاص لإيقاف صعودهم صارخا بأعلى صوت "الله أكبر" وهو يشجعنا على الاستمرار في التقدم واللاحق به قائلا: هيا يا إخوان تقدموا".

وصل المجاهدون إلى قمة الجبل من دون تسجيل أي خسارة في صفوفهم، مع العلم أن هذا الجبل يحتوي على ثلاثة رؤوس صخرية، وكل رأس يبعد عن الآخر ببعض العشرات من الأمتار، وبما أن الكتيبة كانت موزعة على ثلاثة أفواج كل فوج يضم أحد عشر مقاتلا، فقد قام موسى قلواز بوضع كل فوج على رأس من رؤوس القمة.⁽²⁾

تلقى الجنود الفرنسيون الذين تموقعوا على يمين المجاهدين أوامر تخص التقدم نحو هؤلاء الأخيرين ومهاجمتهم، وردا على مبادرة العدو توجه موسى قلواز إلى قائد الفوج المدعو السي العربي والمنحدر من العطف، وأمره بالنزول للتموقع بالمنحدر الواقع على عشرة أمتار من مكان تمركزهم، حيث أكد موسى قلواز على ضرورة ترك العدو ليقرب أكثر من المجاهدين كي يباغته ويطلقوا عليه النار، على أن لا يبادروا إلى أي هجوم، فقد كان على فوج السي العربي أن ينسحب فورا إلى موقعه الأصلي، بعد أن يضرب طليعة العسكر الفرنسي المكونة من جنود ذوي أصول مارتينيكية وسينيغالية، وحسب شهادة ولد الحسين فإن الجنود المارتينيكيين والسينيغاليين كانوا طعما محببا للفرنسيين يقدموه إلى الأمام.

غير فوج المجاهد العربي موقعه بعد أن انفلت من عساكر العدو الذين كانوا يواصلون تقدمهم حتى فاجأتهم النيران، فسقط العشرات من الجنود قتلى، أما الجرحى فكانوا يئنون من شدة الألم، وراح رفقاؤهم

¹ محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص252.

² نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في...، المرجع السابق، ص280.

يسحبونهم على الأرض من أقدامهم وأيديهم، أو يجذبونهم من ملابسهم، وأمام هذا الهجوم المباغت أصيب جندي مارتينيكي جريح بالذعر، فراح يطلق النار من بندقيته الرشاشة.⁽¹⁾

اضطر العدو إلى تغيير خطته العسكرية، حيث لمح المجاهدون عشرات الجنود يشيرون إليهم ويصرخون: "نحن جنود جزائريون مسلمون، نريد الالتحاق بكم لنقاتل العساكر الفرنسيين إلى جانبكم"، فقد كان هؤلاء هم "الحركة" الذين رد عليهم موسى قلواز قائلاً: "تقدموا إذن إذا كانت نواياكم حسنة، وتريدون الالتحاق بنا فعلاً، فلن نطلق النار عليكم".

كان موسى قلواز متقن لمكيدة "الحركة"، فأمر مناضليه بإطلاق النار على هؤلاء الخونة دفعة واحدة دون استخدام الأسلحة الثقيلة (الرشاشات)، حتى لا يكتشف العدو خفايا قدراتهم الحقيقية، فكانت هذه الطلقات الموجهة من الأفواج الثلاثة فورية وفجائية، لم تستغرق سوى بضع دقائق، فسقط الكثير من الحركة، دون أن يعوا حقيقة ما حدث لهم، بينما فر الناجون مخلفين القتلى والجرحى وراءهم.⁽²⁾

كانت المحاولة الثانية للقتال قام بها جنود العدو من أجل إزاحة رجال الكوموندو عن الجبل قد باءت بالفشل، فالجنود ذوي الأصول المارتينيكية والسينيغالية الموجودين على يمين الكوموندو قد تم دحرهم من طرف فوج السي العربي، أما عناصر "الحركة" الذين كانوا يطمحون للنيل بالمناضلين فقد تم القضاء عليهم بوابل من الرصاص، لأن كراهيتهم في نفوس المناضلين كانت بقدر خيانتهم، الأمر الذي جعل عملية التخلص منهم تكون بمنتهى السهولة، ولم يكن احتمال الشفقة عليهم وارداً ولو بنسبة ضئيلة، وحول هذه النقطة يقول ولد الحسين: "وأطرناهم بوابل من الرصاص دون رحمة ولا شفقة، كانت كل طلقاتنا عليهم مسددة بدقة عجيبة، وما زالت صورهم راسخة في ذهني حتى وكأنني أراهم الآن وهم ينتفضون تحت وقع الرصاص، أراهم وهم يرتفعون في الهواء ويسقطون على الأرض مثل الدمى التي تمزقت أشلاؤها وأرواحهم تنسل من جثثهم، والحق يقال: إن الموت الفظيع الذي ذاقه هؤلاء الخونة، لم يحرك أدنى شعرة في رؤوسنا".⁽³⁾

تصدى فوج المجاهد العربي للقوات الفرنسية بإطلاق نار كثيف، ثم تدخل عدد من الحركى حسب شهادة المدعو بن عيشة وراحوا يهجمون على المناضلين بتهور شديد، فقبولوا بوابل من الرصاص أسقطهم

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في...، المرجع السابق، ص253.

² - محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص253.

³ - نفسه، ص254.

الواحد تلو الآخر، أما الضباط الفرنسيون فقد أقاموا معسكرهم فوق تلة عارية واستنجدوا بالطيران عن طريق الراديو، لتحلق في البداية مروحيتان من نوع B26 على المنطقة، لكنهما لم تتمكنا من إلقاء قنابلهما خوفا من إصابة الجنود الفرنسيين المتوقعين بقرب المناضلين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن بإمكان الطائرتين التحليق على علو منخفض، بسبب سوء الرؤية، وخوفا من اصطدام محتمل بالجبل، وخشية أن يتم إسقاطهما بطلقات رجال الكوموندو، فتلتهما بعد برهة وجيزة طائرتان أخريتان من طراز T6 موران من نوع (جاغوار) وشرعتا في قصف سفوح الجبال بطريقة عشوائية بعد أن تبين لهما ضعف المروحيتان السالفتي الذكر.⁽¹⁾

أمر موسى قلواز رماة الرشاش باستهداف الطائرتين، وكان لدى المدعو أمعر والمدعو بن عيشة بنادق رشاشة من نوع "أف.أم.بار"، والمدعو الطيب رشاش من نوع "30" الأمريكية الصنع، أما الطائرتين فقد ألقتا بقذائفهما، في حين كان مناضلي الكوموندو مختبئين وراء الصخور، الأمر الذي جعلت القذائف تنفجر في مكان بعيد عنهم، ويروي بن عيشة الحادثة قائلا: "ثم قام الطيران بدورة كبيرة استعدادا لمهاجمتنا مجددا، فإذا بالسي موسى يأمر بأعلى صوته: "لكم! أطلقوا! أطلقوا!"، فحتى الأسلحة الخفيفة شاركت في استهداف الطائرتين، وكان ولد الحسين يصيح: "انجيهم إن شاء الله!"، فاشتعلت النيران في الطائرتين!، لم نصدق أعيننا!، الأولى سقطت في البحر والثانية تحطمت على الأرض في مكان بعيد، مع العلم أن هذا المشهد تابعه سكان الدواوير المجاورة على المباشر".⁽²⁾

كان تحطيم الطائرتين عملا بطوليا وإنجازا ضخما بالنسبة لوحدات الكوموندو، كون أنه تم مع العدو الفرنسي الذي يفوقهم عددا وعدة، ويصف ولد الحسين شعورهم بالنصر قائلا: "سعدنا كثيرا بالنصر الذي حققناه، فتحطيم طائرتين دفعة واحدة يمثل بالنسبة لنا عملا باهرا ذا أهمية قصوى نعتز به ونفتخر، فقد كنا محاصرين وعرضنا حياتنا للخطر حين أطلقنا النار على طائرتي العدو، وبفضل الله لم تصبنا القذائف التي ألقت بها الطائرتان، كان مشهدا خارقا للعادة، وسكان الدواوير المجاورة الذين كانوا يتابعون أطوار

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 52.

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص - ص 52، 53، وأنظر كذلك: محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص 254.

الأعمال الحربية لم يصدقوا أعينهم، فلم يسبق لهم أن رأوا مثل هذا المشهد، وحظينا بتشجيعات سكان الدوار وزغاريد النساء "الله ينصركم يا المجاهدين"، هتافات كنا نسمعها من كل مكان".⁽¹⁾

طلب ضباط الأركان إرسال تعزيزات جديدة من قاعدة بوفاريك، والمتمثلة في أربعة طائرات جديدة من نوع "جاغوار"، كانت تحلق في السماء على شكل دائرة كبيرة تحدث ضجيجا كبيرا وتلقي بقذائفها الواحدة تلو الأخرى، كما كانت تقيم زوايا يتقن فيها طيارو العدو، حيث كان هذا شكل من أشكال التعذيب النفسي، إلا أنها لم تتعرض لوحداث الكوموندو، وبعد منتصف النهار لف ضباب كثيف بالجبل، فلم تعد الطائرات قادرة على الهجوم، فأمر موسى قلواز جنوده بالانسحاب بسرعة نحو سفح الجبل وتتبع الطريق إلى غاية الوادي.⁽²⁾

ظل الجنود الفرنسيون يطاردون المجاهدين عن بعد عن طريق إطلاق النار بطريقة عشوائية، وبالمقابل كان هؤلاء الآخرين يردون على ضرباتهم وفجأة سقط المجاهد الطيب بن ميرة المدعو السي الاستقلال إثر إصابته بقذيفة على مستوى البطن،⁽³⁾ فقال لرفقائه وهو في وعي تام: "ألم أقل لكم البارحة بأنني سأفارقكم اليوم لأسبقكم إلى جنة الفردوس، خذوا سلاحي ولا تتركوا فافا تأخذ القارا،"⁽⁴⁾ بلغوا سلامي لكل رفقاتنا، آه شيء آخر، إذا مررتم بدوار "اليراع" بثنية الحد بلغوا سلامي إلى أفراد أسرتي، وخذوا قبلة مني إلى ابنتي الصغيرة، والآن انصرفوا فوراً واتركوني أموت، هيا أسرعوا، لقد حان وقت الهروب، بسرعة، بسرعة، انصرفوا يا إخوان، وداعاً، ولا تتشغلوا بما سيحدث، ألم أقل لكم أنني سأسبقكم إلى الشهادة والفوز بالجنة".⁽⁵⁾

اختفت الطائرات العسكرية وترك الجنود الفرنسيون ساحة القتال بحلول الظلام، كون أن خوض معركة عشوائية في جنح الليل تعد مخاطرة كبيرة جداً عليهم، واستمر انسحابهم لمدة ساعة تقريباً، حيث استقبلهم سكان الدوار القريب من موقع المعركة استقبالا حاراً، وفي المساء أرسل موسى قلواز ثلاثة جنود

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص254.

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص53 و54، أنظر كذلك: محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص255.

³ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص54.

⁴ - القارا هي بندقية قارن الأمريكية الصنع، وفافا هي فرنسا.

⁵ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص281.

لنقل جثمان الطيب بن ميرة، إلا أنهم تلقوا خبرا من بعض المدنيين أنه تمت عملية دفنه في مقبرة الدوار بعد أن قام ضابط فرنسي برتبة ملازم أول بإجهازه بطلقة نارية.⁽¹⁾

كان اشتباك سيدي أمحمد أفلوش عملية عسكرية ناجحة 100٪ لصالح وحدات كوموندو السي الزوبير، فقد تمكنوا من الانتصار على عدد هائل من الجنود الفرنسيين من خلال صدهم لهجومين قويين، وكبدوا الجيش الفرنسي خسائر كبيرة ممزوجة بين قتلى وجرحى تخص الجنود الفرنسيين وأتباعهم من الحركة، القومية، وقناصة آخرين من جنسيات متباينة، جزائرية، سينيغالية، ومارتينيكية، فضلا عن خسائر أخرى متمثلة في تحطيم طائرتين مطاردين T6 من نوع جاغوار، وبالمقابل لم يسجلوا من جهتهم غير شهيد واحد وهو الطيب بن ميرة المدعو السي الاستقلال وجريحين اثنين، وكانت الأسلحة الثقيلة الأوتوماتيكية التي استعملها كوموندو السي الزوبير في هذا الاشتباك، ماهي إلا تلك القطع التي غنمها في الكمين الذي نصب يوم 09 جانفي 1957م بتيزي فرانكو (بني مناصر حاليا)، واشتملت هذه الأسلحة على ما يلي:⁽²⁾

- 01 رشاش 12/7 أمريكي الصنع.
- 01 رشاش 30 أمريكي الصنع.
- 02 رشاشين من نوع "أف أم بار".
- بنادق كثيرة من نوع قاران.
- أسلحة أخرى متنوعة: (كربينات أمريكية، رشاشات صغيرة مات 49، مسدسات)، صناديق ذخيرة، وقنابل يدوية.⁽³⁾

11- اشتباك سيدي إدريس بقوراية 29 أفريل 1957م: كان فرع الكوموندو الذي يقوده موسى قلاوا متواجدا بمنطقة شرشال بضواحي قوراية بعد معركة سيدي أمحمد أفلوش، وبالمقابل كانت الكتيبة ال 29 التي يقودها القائد "قودوان" مستقرة بفونتين دي جيني (حجرة النص حاليا)، حيث أن الجيش الفرنسي كان على علم بتواجد عناصر الكوموندو بالناحية التي يحدها البحر شمالا، والجبال الكثيفة الأشجار جنوبا إلى غاية زكار.

¹- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص55.

²- Mohamed Cherif Ould El Hocine : *Au cœur du combat –Récits authentiques des batailles du commando Si Zoubir et de la Katiba El Hamdania A.L.N wilaya 04-*, préface de Hadj BENALLA, Editions CASBAH, Alger, Algérie, 2007,p 97, 98.

³:- Ebid.

يقع جبل سيدي إدريس على الخط الذي تموقع به جنود الكوموندو، وفي صبيحة الـ 29 أبريل 1957م جاء ضابط من مصلحة الاستعلامات والربط يخبر موسى قلواز بأن قوات العدو في طريقها إلى هذا الجبل، والملاحظ من هذا النبأ أن تحركات العدو الفرنسي كانت محل متابعة من قبل مصلحة الاتصالات والاستعلامات التابعة لجيش التحرير الوطني الذي يخضع لنظام اتصال بالغ الفعالية.

تلقى عنصر الكوموندو الأوامر بالصعود فوراً نحو قمة الجبل للتستر والاستقرار بها، كما كان الفرع الذي يقوده المجاهد جلول بن ميلود بهذه النواحي، فتحرك بدوره نحو قمة سيدي إدريس بمجرد تبليغه بالمعلومة، وفي حدود الساعة العاشرة صباحاً وصل الجيش الفرنسي إلى الموقع ونشر قواته باتجاه القمة ليستولي عليها، فوجد في استقباله وإبلا من الرصاص كلفه عدداً كبيراً من القتلى والجرحى.⁽¹⁾

دام هذا الاشتباك مدة ربع ساعة، ليتراجع بعدها فرع كوموندو السي الزوير وفرع السي ميلود بسرعة، تجنباً لاستتجاد العدو الفرنسي بسلاح الطيران وبطلب المدد، وبالموازاة مع ذلك فإن البوارج البحرية التي كانت تجوب شواطئ البحر لم تكن لتتأخر في إطلاق طوفان نيرانها على موقع قوات جيش التحرير الوطني، فكان الانسحاب نحو جبل زكار إلى مخابئهم هو الحل الأمثل آنذاك، وكانوا قد فقدوا في اشتباكهم هذا المناضل بوحاميدي، ابن المجاهد بوحاميدي عبد الرحمن مسؤول بجبهة التحرير الوطني بمنطقة وادي العلايق ضاحي القليعة.⁽²⁾

12- اشتباك سيدي حمو قرب بومدفع ربيع 1957م: جاءت فصيلة من الجنود الفرنسيين بقيادة الملازم "قيوم" وهم يرتدون قشابات إلى قبة سيدي حمو لقضاء الليلة هناك استعداداً لنصب كمين لجنود جيش التحرير في اليوم التالي، وكان يرافقهم عميلان يدلانهم على الطريق الأول يدعى بن قلاب والثاني معروف باسم قيواس.

اعتقد العدو الفرنسي أنه بإمكانهم خداع المناضلين وحسبوا أنهم سيعدهم من المجاهدين الجزائريين كونهم تخفوا بزيهم، إلا أن أعضاء الكوموندو كانوا قد تقطنوا لحيلتهم فباغتوهم بوابل من الرصاص، وكانت نتيجة العملية العسكرية التي دامت 15 دقيقة فقط العديد من القتلى الفرنسيين من ضمنهم الملازم "قيوم" وجنديان سينيغاليان، وتمت مطاردة العاملين في اتجاه الوادي حتى تمكن المجاهدون من القضاء عليهما، ومن بين المناضلين الذي شاركوا في هذه العملية نذكر: يحيى الوزري المدعو "يحيى سبيلو"،

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص 99.

²- نفسه، ص 100.

عبد القادر بوراس، ومحمد الشريف ولد الحسين، وبالمقابل فقدت عناصر جيش التحرير الوطني المجاهد عبد القادر بوراس.⁽¹⁾

13- اشتباك جبل زكار 04 ماي 1957م: أقام الفيلق الـ 29 للقنصة الجزائريين الخونة معسكره بفونتين ديجيني (حجرة النص حاليا) قرب شرشال، وهو يتشكل من 850 جنديا فرنسيا، حيث حاول هذا الفيلق مباغته كوموندو السي الزوبر في هذه الناحية، وذلك من خلال الدوران حول سلسلة جبال الظهرة عن طريق زكار بمليانة بدلا من أن يأتي كالمعتاد على الساحل عبر طريق سيدي سميان، أو عبر الطريقين الآخرين الذان يمتدان على طول وادي مسلمون ووادي السبت بشرشال، وهذا كان بهدف عدم اكتشاف الجنود الرقباء والضباط المكلفون بالاستعلامات من بين السكان المدنيين الجزائريين الذين لم يكونوا ليتأخروا عن تنبيه المناضلين.

تلقت عناصر كوموندو السي الزوبر معلومات من السكان مفادها أن الفيلق الـ 29 للقنصة الجزائريين الخونة قادمين من مدينة مليانة، فأمر موسى قلواز عناصره بالخروج لملاقاة الخصم، ممثلين الحيلة والحذر حتى لا تكشفهم طائرات الجيش الفرنسي الجاسوسة التي كانت تحوم فوق المنطقة باستمرار.⁽²⁾

اعتقدت عناصر الكوموندو بأنها أول من سيصل إلى قمة الجبل وأن العدو سيأتي من الجهة الأخرى، إلا أنه في الوقت الذي كان فيه الفوج الأول يهيم بالتموقع⁽³⁾ على قمة الجبل حتى فاجأته طلقات نارية صوبها العدو نحوه، بعد أن كان الجنود المشاة قد استولوا على القمة، مما جعل عناصر الفوج الأول يتراجعون للخلف، خافضين رؤوسهم وهم يسحبون جثتي المدعوين السي سليمان والسي محفوظ، والذان كانا أول من تلقى دفعة من رصاص العدو الفرنسي.

تمكن موسى قلواز من تقدير عدد العساكر من خلال الطلقات، فأمر فوجا من المجاهدين أن يسيروا على طول منحدر القمة الأيمن، بينما يسيّر الفوج الآخر على اليسار بطريقة تسمح للمناضلين بأخذ المشاة من الخلف، ولم تكن إلا بضع دقائق حتى تمكن المناضلين من الاستيلاء على القمة بالقوة، فقد كانت هذه الأخيرة تمتد على مئات الأمتار وعرضها يتراوح من ثلاثة إلى أربعة أمتار، وأجبروا الجنود

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 55، 56.

² - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبر وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص 101.

³ - نفسه.

المشاة للفيلق الـ 29 للقناصة على التراجع إلى الجهة التي كانت تتصاعد منها أصوات الجنود الفرنسيين الآخرين.

بدأ موسى قلاوز في توزيع أفواج الكوموندو الثلاث، فعين فوج المجاهد رزقي بأعلى القمة على أرضية متقدمة، أما فوج المجاهد يوسف الذي بحوزته رشاش "أف أم بار" فقد تموقع على يسار فوج القائد رزقي، بينما تموقع فوج القائد العربي الذي بحوزته رشاش بالمنحدر على يمين فوج القائد رزقي.⁽¹⁾

أمر موسى قلاوز جنوده بأن يتركوا الجيش الفرنسي يقترب أكثر فأكثر حوالي الساعة الرابعة مساءً، كما حذرهم من إطلاق النار إلا إذا كانوا قد تلقوا الإشارة منه، ومن حسن حظ المناضلين الجزائريين أن الرائد "قودوان" قائد الفيلق لم يستنجد بالطيران، فقد كان يريد أن يثأر لنفسه بنفسه من الهزيمة التي مني بها في معركة سيدي أمحمد أفلوش.

تلقت عناصر الكوموندو إشارة موسى قلاوز بإطلاق النار تحت مسمى "الله أكبر"، فشرعوا في إطلاق النار بنفس القوة، وعلى إثر ذلك فقد أحدثت رشاشاتهم أضراراً بليغة في صفوف الجيش الفرنسي، وظل جنود الفيلق الـ 29 في وضعية القتال.⁽²⁾

يقول محمد الشريف ولد الحسين واصفاً حالة العدو: "كان العدو يواصل تقدمه نحونا، وكنت في مقدمة السي رزقي أطلق النار برشاشي، وألثقت بين الفينة والأخرى إلى الوراء لأتابع ما يفعل السي معمر والسي بن عيشة صاحباً الرشاش "أف أم بار"، هذان المجاهدان كانا في بعض المرات يخرجان من مكانهما ويطلقان النار وقوفاً، كان فوجنا يتمتع بموقع ممتاز، ولقد كنا مسرورين بأن نقاتل جنباً إلى جنب هؤلاء الجنود أنفسهم الذين كانوا سبباً في حزننا بفقدان أخوين مجاهدين غاليين في قلوبنا -الله أكبر-".⁽³⁾

أمر القائد رزقي عناصر فوجه باللقاء بعض القنابل اليدوية أملاً في توقيف زحف الحشد الصارخ من الجنود الفرنسيين وتعطيل تقدمهم بعد مرور ثلاث ساعات من القتال، أين بدأ الليل يلقي بأستاره على الأفق، وبينما القنابل تتفجر بين جنود العدو فقتلت بعضهم وجرحت البعض الآخر، فهي لم تتمكن من وقف تقدم العسكر الفرنسي بالرغم من القلق والتوتر الكبير الذي أحدثته في صفوفهم.⁽⁴⁾

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة...، المرجع السابق، ص 102.

² - نفسه، ص 103.

³ - نفسه، ص 104.

⁴ - نفسه، ص 105.

تمكن الجيش الفرنسي من الوصول إلى قمة الجبل، إلا أن لحظة وصوله تزامنت مع ابتعاد المجاهدين عن المنطقة، خصوصا وأن ظلام الليل كان قد غلف هذه الأخيرة بالسواد، فانطلق العساكر الفرنسيون في إطلاق الشهب المضئية في محاولة منهم لاكتشاف المناضلين، إلا أنهم كانوا قد ابتعدوا عنهم بحوالي 700 أو 800 متر، دافعين السجين الفرنسي الذي كان قد أسره موسى قلوaz أمامهم، والذي تبينت هويته لا حقا بأنه ينحدر من الأقدام السوداء في وهران، وكان يشتغل مترجما للعربية لدى الفيلق الـ 29 للقنصاة الجزائريين الخونة.⁽¹⁾

جاءت مجموعة من المروحيات من نوع "ليبلول"، "سيكورسكي"، و"بنان" في حدود الساعة الثامنة والتاسعة صباحا من اليوم الموالي لنقل القتلى والجرحى الذين سقطوا بالمعركة إلى كل من مستشفيات البليلة ومليانة، أما طائرات "جاغوار ت6" وموران الصفراء فقد كانت تحلق بالمنطقة وتلقي بقذائفها القاتلة على الجبال المجاورة والغابات، بينما عملت الطائرات الجاسوسة من نوع "بيبر كوب" على البحث عن المتمردين -على حد قول العسكر الفرنسي-، إلا أنها لم توفق في مسعاها، فبعد أن خرجت قوات الجيش الفرنسي عائدة إلى قواعدها في المساء، كان المناضلون قد توجهوا نحو دوار قريب من المنطقة أين لقوا الاستقبال الحار من السكان.⁽²⁾

تمكن السكان من التعرف على السجين، فحسب ما جاء على ألسنتهم فهو رجل وغد وفاسق لا يترك مناسبة يمر فيها رفقة الفيلق الـ 29 للقنصاة الجزائريين الخونة، إلا وزرع الرعب في نفوس السكان، بيد أنه كان يتسلط على النساء بصفة خاصة، فيقوم بتجريدهن من مجوهراتهن بعد أن يسيء معاملتهن، فقام الكوموندو بتسليم الأسير إلى النساء كي ينتقم لكرامتهن من تصرفاته البذيئة اتجاههن مشترطا عليهن أن لا يقمن بقتله لأنهم كانوا في حاجة إلى استنطاقه.

كان السجين متهما بجرائم وابتزازات خطيرة ضد مدنيين عزل، فقد تعرف عليه السكان باعتباره واحدا من الجنود الذين حاولوا مرات عديدة المساس بشرفهم وكرامتهم، وبما أنه كان يحسن اللغة العربية فقد كلف باستجواب السكان حول أماكن إختباء مجاهدي جيش التحرير الوطني، وحينما لم يكن يحصل على المعلومات المرجوة، كان دائما ينتقم بإحراق بيوت سكان الدوار كما جرى في معركة سيدي سميان.

شرع موسى قلوaz في استنطاق السجين دون اللجوء إلى التعذيب، لأن مجاهدي جيش التحرير الوطني كانوا يحترمون حقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية، أما فيما يخص هذا الجندي فكانت عقوبته

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة...، المرجع السابق، ص 106.

² - نفسه، ص 103، ص 107.

ستكون الحكم بالإعدام، ليس بصفته جندياً أسراً في حالة حرب، وإنما عقاباً له على الجرائم التي ارتكبتها ضد السكان المدنيين العزل.⁽¹⁾

كان السجين يجيب على الأسئلة الدقيقة التي يطرحها موسى قلاو، وكان محمد الشريف ولد الحسين يسجل في دفتر صغير المعلومات المتنوعة والخاصة التي كان يدلي بها هذا الأخير بخصوص الفيلق الـ 29 للقناصة الجزائريين الخونة، كما أبلغهم أيضاً ببعض أسماء المخبرين والخونة الذين كانوا يتعاملون مع الفيلق، ثم بعدها عين موسى قلاو ثلاثة مجاهدين من بينهم المدعو السي إبراهيم البراكني لتنفيذ حكم الإعدام دون اللجوء إلى أية قسوة.

قام موسى قلاو بتسليم بندقية السجين من نوع "ماس56" إلى مجاهد جديد انضم إلى الفرع كي يستكمله بعد تنفيذ الحكم على السجين، خصوصاً بعد استشهاد سليمان تاكارلي والمجاهد محفوظ الذان ينحدران من مدينة فندق بخميس الخشنة والذان كانا قد التحقا بصفوف الثورة التحريرية سوية وفي نفس اليوم، وهما حاملان لنفس السن.⁽²⁾

أصاب كوموندو السي الزوير بقيادة موسى قلاو البوراشدي أزيد من مائة قتيل ومائتي جريح خلال الساعتين الأولى من القتال، كما تم استرجاع بندقية واحدة من نوع ماس56.⁽³⁾

15- اشتباك زكار (عين الدفلى) 09 جوان 1957م: كان كوموندو السي الزوير الذي يقوده موسى قلاو مقيماً معسكره بناحية زكار في بداية جوان 1958م، وفي الصباح الباكر من يوم التاسع من شهر جوان عام 1957م أقام الكوموندو معسكره بقمة من قمم جبال "أبراز" لنصب كمين للجنود الفرنسيين الذين أقاموا معسكرهم هم الآخرون وسط السكان بدوار "بومعد".

كان موسى قلاو يتابع بمنظاره تقدم الجنود الفرنسيين،⁽⁴⁾ وفجأة لمح رجالاً يتقدمون على يسار الموقع الذي تمركز به الكوموندو، فتبين لهم بأنهم مجاهدوا الكتيبة التابعة للولاية الثالثة التي يقودها السعيد إيموزر، فقد أجبرت كتيبته على الانسحاب باتجاه كوموندو السي الزوير لتتجنب الجيش الفرنسي القادم من الجهة الأخرى للطريق المؤدي من أعريب إلى زكار.

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة...، المرجع السابق، ص 108.

²- نفسه، ص - ص 103، 109.

³- نفسه، ص - ص 110، 111.

⁴- نفسه، ص 137.

قدر موسى قلواز بسرعة الوضعية الجديدة التي أحدثها ظهور هذه الكتيبة القادمة من منطقة القبائل ومتوجهة إلى المغرب، فالكتيبة أساسا مكونة من الطلبة الذين تم توجيههم إلى المغرب الأقصى لمواصلة دراستهم وتكوينهم، أو العودة بالأسلحة قبل الرجوع إلى الجبال، وبما أن الأغلبية من المجاهدين الذين يقودهم السعيد إيموزر كانوا مجردين من السلاح، أمر موسى قلواز جنوده بالانسحاب نحو وادي الشلف.

بدأ المجاهد المدعو حمدان المنحدر من منطقة سيدي سميان والمسلح ببندقية "قاران" بإطلاق النار على مجموعة من "الحركة" الذين كانوا في المقدمة من أجل إيقاف تقدم الجيش الفرنسي، وبالمقابل رد هذا الأخير بإطلاق النار فبدأت المناوشات بين الطرفين، وفي أثناء الانسحاب كان ينبغي على المناضلين الالتحاق بالواجهة الجنوبية لزكار، وباعتبار المسار على طوله كان مليئا بعدة مراكز ثابتة للقوات العسكرية الفرنسية، فقد تميز عبورهم بكثير من الاشتباكات والمناوشات رغم كل الاحتياطات التي اتخذها موسى قلواز قائد الكوموندو لتجنب ذلك، إلى أن وصلوا إلى الجهة الجنوبية لزكار أين كانوا جد قريبين من دوار بني غمريان (بلدية المختارية حاليا)، وفي الصباح الباكر من اليوم الموالي المصادف للعاشر من جوان 1957م وصلوا لحدود مدينة "دوبيري" (عين الدفلى حاليا) أين تمركزوا في قمة جبل "دوي".⁽¹⁾

16- اشتباك زكار (مليانة) 25 جوان 1957م: وقع اشتباك عنيف بين وحدة من وحدات المظليين الفرنسيين وجنود جيش التحرير الوطني قرب منجم زكار ناحية مليانة، فقتل من جرائه خمسة وعشرين فردا من جنود المظلات وجرح خمسة عشر جنديا آخرا، في حين استشهد مجاهدان اثنان في ميدان المعركة، وتم في هذا الاشتباك حجز ثلاث رشاشات من نوع ماط 49 و 04 بنادق حربية وعشرة قنابل يدوية رفقة عدد كبير من الذخيرة الحربية.⁽²⁾

17- اشتباك باب العسة ناحية الأربعاء بمنطقة البلدية 26 جوان 1957م: اشتبكت وحدة من وحدات جيش التحرير الوطني مع فرقة معادية للثورة التحريرية، فقتل ستة من جنود العدو وجرح الكثير منهم يوم 26 جوان 1957م، وفي ناحية غير بعيدة عن المنطقة والتي تسمى "بني ونيف" هوجم مركزان عسكريان فرنسيان، فقتل وجرح العديد من جنود الجيش الفرنسي.⁽³⁾

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة -سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويبر والكتيبة الحمدانية- "جيش التحرير الوطني -الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص-ص 138، 140.

²- جريدة المجاهد، يوميات الكفاح الجزائري، ع08، 15/08/1957م، ص04.

³- نفسه.

18- اشتباك بدوار بني راشد مع قومية مدينة قوراية 16 جويلية 1957م: كان عناصر كوموندو المنطقة الثانية وكتيبة الحمدانية متمركزين بدوار حيونة يوم 16 جويلية 1957م، وفي الصباح الباكر انفصلوا بعد إجراء بعض التعديلات على كل الوحدات، فقد كان هناك مجاهدين من كتيبة الحمدانية عبروا عن رغبتهم في التنقل إلى كوموندو المنطقة الذي يغطي كل نواحي المنطقة الثانية بالولاية الرابعة. توجه كوموندو المنطقة نحو البلدة بعد إجراء التعديلات، أما كتيبة الحمدانية فسارت نحو قوراية، وقبل وصولها ببضع دقائق إلى دوار بني راشد سمع المجاهدون طلقات نارية صادرة من بنادق القومية وبعض الجنود الفرنسيين الذين يؤطرونهم، فأمر موسى قلواز جنوده بالاستعداد لمواجهة الخصم مع الحرص على عدم توجيه طلقاتهم نحو منازل دوار بني راشد خوفا من إصابة السكان المدنيين.⁽¹⁾ أصيب القومية بالذعر حين أطلقت عليهم وحدات الكوموندو وابلا من الرصاص بعد أن جاءهم الأمر من عند موسى قلواز لمواجهةهم، وقد حققوا انتصارا كبيرا في هذه العملية السريعة الخاطفة التي واجهتهم، والتي توجت بقتل العشرات من القومية والقبض على اثنين منهم، واللذان تم تسليمهما إلى سكان الدوار للنظر في مصيرهما، كون أن القومية كانوا يعاملونهم دائما بوحشية، من خلال ضربهم واغتصاب نساءهم.⁽²⁾

لاذ الملازم الأول والرفيق الأول الفرنسيين الزان كانا يؤطران القومية بالفرار بعد أن تأكدا من خسارتهما للمعركة، بينما استرجع المجاهدون العديد من قطع الأسلحة من بينها بنادق صيد سلموها لسكان الدوار، وطلبوا منهم تنظيم أنفسهم كمسبلين حتى يتمكنوا من الدفاع على أنفسهم على الأقل. كان للاشتباك الذي جرى بدوار بني راشد تأثير بسيكولوجي جيد على معنويات سكان الأرياف، كونهم تأكدوا بأن لديهم جيش يدافع عنهم ويسهر على حمايتهم، وبالمقابل صرح النقيب التابع لمصلحة "لاصاص" أمام سكان دوار بني راشد أن "الفلاحة" تركوهم لمواجهة مصيرهم وحدهم، في محاولة منهم لإيهام الناس بأن المجاهدين ليسوا سوى فئة أجنبية أنانية، تترك الناس لشأنهم غير مبالية بمصيرهم، مستغلين وجودهم في تقديم الإعانات وإمدادهم بالمؤونة واللباس، وتوفير مخابئ سرية يضمنون فيها راحتهم بعد العمليات العسكرية التي تكون قد جمعتهم بالجيش الفرنسي.⁽³⁾

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويير وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص-ص 103، 143.

²- نفسه، ص ص 144، 145.

³- نفسه، ص 145.

19- اشتباك منطقة وادي الفضة صيف 1957م: كانت قوات الجيش الفرنسي تتمركز بالمئات بالمكان الذي يسمى "طعم السماء" قرب سد وادي الفضة، فنظرا لطبيعة التضاريس الوعرة وخطورة المنطقة على وجودها استغلتها في ممارسة تدريباتها اليومية، وصادف هذا أن كانت الكتيبة الكريمة تعمل على محاور الناحية الأولى بطريق الونشريس، والناحية الثالثة حتى تيسمسيلت نحو طريق بطحية.⁽¹⁾

خرجت القوات العسكرية الفرنسية في أحد أيام صيف سنة 1957م من جهة بوقايد بتعداد فيلق كامل، فقامت الكتيبة الكريمة باعتراض طريقها على الساعة الثانية زوالا، فحدث اشتباك بين الطرفين انتهى بتراجع الجيش الفرنسي وعودته إلى نقطة الانطلاق، بينما انسحب جنود جيش التحرير الوطني بسلام، وما هي إلا أيام قليلة حتى أعدوا لهم اشتباكا أسفر عن إسقاط طائرة الهليكوبتر في منطقة الكسكاس من جهة منطقة سبت بني شعيب.⁽²⁾

20- اشتباك منطقة سيدي راج 22 فيفري 1958م: كانت الكتيبة الحمدانية خلال هذه الفترة قد أقامت معسكرها في منطقتي فركوسة وبوزعرور، على بعد بضعة كيلومترات جنوب غرب العفرون قبالة مدينة بومدفع، حيث كانت الكتيبة تحت قيادة معمر أمعر، الفصيلة الأولى يقودها المدعو السي رزقي والفصيلة الثانية يقودها عبد القادر لمتين، والفصيلة الثالثة يقودها مختيش عبد القادر المدعو "السي الفاسي".⁽³⁾

كانت قوات الجيش الفرنسي القادمة من مزرعة فوتري⁽⁴⁾ تحت إمرة ضابط سفاح برتبة نقيب يلقب "بيوسبسي"، -لأنه كان دائما يدخل الغليون- متقدمة نحو مناصلي جيش التحرير في الصباح الباكر، إلا أن هؤلاء الأخيرين كانوا متيقظين، فبادرت فصيلة المدعو السي رزقي بالقتال لتليها فصيلتي عبد القادر لمتين والمدعو السي الفاسي منادين على الجنود بشعارات: "الله أكبر!، تحيا الجزائر!".⁽⁵⁾

¹- محمد نمار، المرجع السابق، ص22.

²- نفسه.

³- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص56.

⁴- مزرعة فوتري: تقع مزرعة فوتري بين وادي جر والعفرون، وقد كانت مكانا للاستتطاق والتعذيب عن طريق زج

المناضلين والمدنيين الأبرياء في أقبية النبيذ، كي يموتوا باخلها اختناء جراء انبعاث الغاز.

⁵- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص57.

انطلقت النيران في وقت واحد وأسقطت الرشاشات 24/29 جنود الجيش الفرنسي المتقدمين نحو وحدات الكوموندو على شكل أرتال، الأمر الذي جعل الفرنسيين يرتبكون فتراجعوا شمالا، وكأن هذا التصرف كان تصرفا تكتيكيا لكنه يعبر عن فوضى عارمة في نفسية العدو الفرنسي.⁽¹⁾

استنجد الضباط الفرنسيون بتعزيزات من قائد الوحدة المتمركزة في مزرعة فوتري، وجاء القبطان المدعو بوسبسي على مروحية لتنسيق عمليات العساكر على الميدان، فحلق على ساعة القتال مدة ربع ساعة تقريبا ثم أخط فوق تلة ظنا منه أنها آمنة، ليجد نفسه محاصرا من قبل قوات السي الفاسي، حاول الدفاع عن نفسه إلا أنه لقي حتفه هو والطيار، فتقدم إليهما المجاهد المدعو السي أمعر وأخذ المسدس وساعة القبطان، وقد أعرب قائد الكتيبة الحمدانية عن رغبته في تقديم الساعة هدية للعقيد السي أحمد، أما فيما يخص المروحية فقد تم إحراقها.

يصف عبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة الحادثة قائلا: "على الأرض جثث متناثرة، جرحى يبذلون جهدا للهروب...، استمر الاشتباك ساعة، وقد ظل الجيش الفرنسي يحاول الاقتراب منا لكن عبثا فعل، وخسر في ذلك اليوم ثلاثين عسكريا، من ضمنهم عددا من الضباط وضباط الصف، أما الجرحى فقد تجاوز عددهم المائتين".

اندفع القائد المدعو السي رزقي وجنوده نحو العساكر الواقعين على الأرض لاغتنام الأسلحة والذخيرة وكذا الملابس، أما الطيران الفرنسي فقد تدخل بقصف كثيف على المنطقة في البداية بطائرات T6 وجاغوار، ثم بقذائف وقنابل 7/12، لتظهر بعدها طائرات من نوع B26 و B29 وميستار.⁽²⁾

انصبت قنابل النابالم على التلال مشكلة ألسنة لهب مهولة، وكانت قوات جيش التحرير الوطني تقصف الطائرات ببنادقها الرشاشة من نوع "FM"، إلا أنها لم تتمكن من إسقاط أي طائرة، كما أنها سجلت سقوط الشهيد حميدات من موزاية وإصابة جنديين اثنين هما عباس أحمد من الشفة الذي تلقى العلاج في المصلحة الصحية التابعة للناحية الثالثة، ومحمد خميسي من شلغوم العيد، حيث فر هذا الأخير من الجيش الفرنسي ومعه سلاحه، والمتمثلة في بندقية أمريكية من نوع "غارانت" أثناء أدائه الخدمة العسكرية في مدينة الداموس.⁽³⁾

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 57.

² - نفسه، ص 58.

³ - نفسه، ص 59.

تراجع المناضلون الجزائريون في حدود منتصف النهار، تاركين العساكر الفرنسيين يواصلون إطلاق النار في الفراغ، بعد أن قاموا بغنم أسلحة عديدة من مجموعة من السينيغاليين، ومن بين القطع المغنومة نذكر: رشاشة من نوع "ماس 36".

انسحبت عناصر الكتيبة الحمدانية باتجاه جبال الكاحلة بالقرب من موزاية المناجم (تمزغيدة حالياً) ليكونوا في مأمن من الجنود الفرنسيين، وفي نفس اللحظة جاءت مقاتلات فرنسية وبدأت بقصف المنطقة، بعد أن رصدت فوجاً من أربعة عشر مجاهداً أغلبيتهم مجندين جدد من غير أسلحة بقيادة المدعو السي المرسلي من نواحي شرشال، كانوا مارين من هناك في طريقهم باتجاه الحدود الشرقية لجلب الأسلحة من تونس، وأعضاء الكتيبة أنفسهم لا يعرفونهم، فتم قتلهم جميعاً حرقاً بالنابالم،⁽¹⁾ ماعدا المدعو السي المرسلي الذي نجا من العملية.⁽²⁾

¹ - النابالم: هو سلاح كيمياوي محظور دولياً، استعملته فرنسا بحدّة كبيرة في حربها ضد الجزائر في الفترة الممتدة ما بين (1957م-1962م)، بهدف إبادة المجاهدين وحتى السكان العزل في المداشر والقرى من خلال عملية القصف العشوائي، وضحايا النابالم يكون مصيرهم إما الموت أو العيش بحروق وتشوهات مدى الحياة، (للمزيد من المعلومات أنظر: بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 60).

² - نفسه.

-ج- المعارك:

1- معركة سيدي مهني بمنطقة بطيحة⁽¹⁾ 16 سبتمبر 1956م: خرجت فرقة من الجيش الفرنسي بقيادة النقيب صامبلان في المنطقة المعروفة بسيدي مهني قصد معاينة مركز منطقة بوعظم القريب من منطقة سيدي مهني، حيث كان في الوقت نفسه فوج جيش التحرير الوطني مقيما بالمنطقة، فالتقى الطرفان في معركة نشبت بعين المكان قتل على إثرها النقيب "صابلان" على يد المدعو السي العيد مسؤول الفوج.

قامت القوات العسكرية الفرنسية بالبحث عن السيد "كاشر بغالم" مباشرة بعد انتهاء المعركة، وذلك لكون هذا الأخير كان قد ساعد المجاهدين في الانتشار بالمنطقة، لتلقي عليه القبض وقتلته رميا بالرصاص يوم 17 سبتمبر 1956م بالمكان المسمى "مرجة أحمد بن موسى"، ليكون بذلك أول شهيد على مستوى منطقة بطيحة.⁽²⁾

2- معركة منطقة لغمونة البحري⁽³⁾ 12 نوفمبر 1956م: عقد اجتماع في المكان المسمى "دوار الماين" جمع مسؤولين عسكريين من المنطقة الرابعة بغية دراسة الوضع العام للثورة، حيث حضرته مجموعة من العناصر البارزة في جيش التحرير الوطني ونذكر منهم: قائد المنطقة المدعو السي بلحسن، وعلي التبلاطي، فقرر خلاله الالتقاء مرة أخرى بشرط أن يكون هذا الأخير على نطاق واسع في القرية المسماة "لغمونة البحري" ليلة 12 نوفمبر 1956م، حيث اتخذت جميع الاحتياطات الأمنية والإجراءات الوقائية لحماية المجتمعين والعمل على حسن سير مجريات هذا اللقاء، وقد جندت لهذا الغرض حوالي خمسة أفواج عسكرية خصصت لحراسة ومراقبة المكان مخافة اكتشاف أمرهم.

¹- بطيحة: تقع بلدية بطيحة في أعالي جبال الوئشريس، وهي واحدة من مناطق عين الدفلى، يحدها شرقا بلدية ثنية الحد، وغربا بلدية بني بوعتاب التابعة للشلف وبوقادير بتيسمسيلت، بينما تعتبر بلدية الحسنية، وهذا حسب التنظيم الثوري فقد كانت تابعة للمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، الثورة الجزائرية...، المرجع السابق، ص273).

²- نفسه.

³- لغمونة البحري: وتعني الجهة المقابلة للبحر، تقع هذه المنطقة في قلب جبل ببسة الذي يمتاز بحصانته، ولأجل ذلك استقر بها جيش التحرير الوطني منذ بداية الثورة التحريرية، تنتشر عبر سفوحه بعض القرى كقرتي الخدام ورحماني، وتقع المنطقة حسب التقسيم الإداري الحالي ضمن تراب بلدية وا قوسين جنوبا، وتبعد عن دائر تنس بحوالي اثنا عشر كيلومترا، أما فيما يخص التقسيم الإداري للثورة الجزائرية فهي تقع ضمن القسم الثاني من الناحية الثانية بالمنطقة الرابعة في الولاية الرابعة التاريخية، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك المجد في أرض الجزائر، منشورات مجلة أول نوفمبر، وزارة المجاهدين، ص77).

كانت القوات الفرنسية تحوم حول المنطقة في ذلك الوقت،⁽¹⁾ وقد كانت مكونة من عدة كتائب نقلت إلى الميدان بواسطة ثمانية طائرات عمودية من نوع "بنان"، حيث كانت تحت الحماية الجوية المكثفة والتي أمنتها لها الطائرات المقاتلة والمطاردة من نوع س. ب 26، وجاغوار، لتحط فجأة فوق جبل بيصة الذي يشرف على قرية لغمونة البحرية، فبدأت المواجهة بين قوات الجيش الفرنسي وقوات جيش التحرير الوطني المكونة من فوجي كوماندو والتي يبلغ عددها حوالي 25 مجاهداً، كما رافقت هذه الوحدة قطعة رشاش جماعية من نوع 24/29، فضلاً عن مجموعة من الأسلحة الفردية الآلية والنصف آلية من نوع: ستان، واستاتي، بيريطة، ماط 49، أس 17، وعدد قليل من بنادق الصيد بالإضافة إلى القنابل اليدوية.⁽²⁾ اتسعت المواجهة بين الطرفين لتشمل كل القرية بعد أن دعمت الوحدات الفرنسية بطيرانها الحربي الذي كثف غاراته على موقع تمركز المجاهدين، فقرر جيش التحرير الوطني التغيير من استراتيجيته لينطلق من أسلوب المواجهة المباشرة إلى تبني أسلوب الانتشار الواسع لوحده من أجل توسيع رقعة المعركة من جهة، ومن جهة ثانية يهدف تشتيت قواته للتقليل من نسبة الخسائر المحتملة، فاستمرت المعركة إلى غاية حلول الظلام أين استطاعت وحدات جيش التحرير الوطني الانسحاب باتجاه وادي بيصة، بعد أن فقدت سبعة شهداء، وسلاح رشاش جماعي من نوع 29/24، في حين خسر الجيش الفرنسي 75 جندياً وعدداً من الجرحى.

انقم الجيش الفرنسي كعادته من سكان المنطقة العزل من خلال تدميره لبيوتهم وتسليط عليهم أشد أنواع العذاب، فقتل منهم 18 مدنياً من السكان محملاً إياهم مسؤولية المعركة التي جرت بينه وبين وحدات جيش التحرير الوطني.⁽³⁾

¹ - هناك روايتان متداولتان حول كشف أمر الاجتماع الذي كان بسبب وشاية قام بها أحد العملاء، ولكن الاختلاف يكمن فيمن قام بهذه الوشاية، فتفيد الرواية الأولى أن عملية الوشاية تمت عن طريق أحد مواطني المنطقة والذي كان قد كلف بعملية تزويد جيش التحرير الوطني بكل ما يحتاجه من مؤن وأغذية، وبحسن نية أخبر أحدهم وهو في طريقه لشراء ما يحتاجه الجيش، لكن لسوء الحظ كان متلقي الخبر عميلاً من عملاء الاستعمار الفرنسي، فأخبر هذا الأخير بأمر تواجد جيش التحرير الوطني بالمنطقة، لتقوم السلطات الاستعمارية باقتفاء أثر الشخص المكلف بعملية التموين، فاخطفوه وسلطوا عليه أشد أنواع العذاب للإقرار بأماكن تواجد المجاهدين، أما الرواية الثانية فتقول أن عملية الوشاية تمت عن طريق أحد ضباط الصف من المتطوعين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، والذي كان يترصد كل تحركات وحدات جيش التحرير الوطني بالجهة منذ مدة، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك المجد...، المرجع السابق، ص - ص 78، 80).

² - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك المجد...، المرجع السابق، ص 77.

³ - نفسه، ص - ص 78، 80.

3- معركة سيدي المداني⁽¹⁾ 15 أبريل 1957م: انسحبت كتيبة الكوموندو التي نفذت كمين "لالا عودة" بالداموس يوم 28 جانفي 1957م، والتي تألفت من ست مجموعات إلى فئتين، ثلاثة مجموعات توجهت نحو جبل الشريعة المقابل لجبل تامزغيدة والثلاثة الأخرى توجهت نحو منطقة سيدي المداني الواقعة بجبل تامزغيدة، وقد استقرت هذه المجموعات الثلاثة التي تتألف من حوالي أربعين مجاهدا ببقعة شعواو، والتي كنت تعرف باسم "دار أولاد المداني" التي تتوسط منطقة سيدي المداني وتقع في في الأسفل عند مجرى الوادي من أجل التخطيط لكمين آخر.⁽²⁾

أفاد كل من خيرابي عبد القادر وعلي خالد في شهادة لهما سجلت في مجلة أول نوفمبر عام 1979م بمعلومات عن بداية المعركة، مفادها أن الجيش الفرنسي لم يستطع اكتشاف المجاهدين بالرغم من الحصار الكبير الذي قام به عن طريق استخدامه لطائرات الهليكوبتر في استكشافه عن المجاهدين وإرساله للمظليين الذين كانوا يجوبون المنطقة، إلا بعد بيعة ووشاية من طرف أحد الخونة الذي أخبر الجيش الفرنسي بمكان تواجد المجاهدين ببقعة شعواو، والتي تقع حولها العديد من بيوت سكان اهل المداني، البالغ عددهم آنذاك حوالي ثلاثة مائة ساكن، والمتبعثرة على جانبي الهضبتين.

أخذ الجيش الفرنسي في تشديد الحصار على منطقة سيدي المداني بعد تعرفه على مكان تواجدهم أثناء عملية الحصار، وفي هذه الآونة أخبر بعض سكان أهل الوادي رجال الحراسة المناضلين بنبأ اكتشافهم من طرف العدو الفرنسي، لكنهم لم يتداركوا الأمر بسرعة مما فوت عليهم فرصة التسلل من

¹- **سيدي المداني:** تقع منطقة سيدي المداني بمنطقة الشفة على أحد سفوح جبل تيمزغيدة المحاذي لجبل الشريعة وتنقسم إلى هضبتين متقابلتين يمر بينهما وادي ساعد على نمو بعض الأشجار المثمرة، وتكسو هذه المنطقة الوعرة المسالك أشجارا متشعبة وكثيفة أعطت لها خاصية استيراثية هامة في التمويه والتحصن، وتقع منطقة سيدي المداني في بداية الجبل وتشتمل على عدد من البقاع تحمل اسم العشائر التي كانت تسكنها سابقا ومن بينهما بقعة وانفوف، وومرازقية، وتاغيلاس، وتاجنانت، وتوجد قبة الوالي سيدي المداني الذي أطلق اسمه على هذه المنطقة على بعد حوالي 700 متر من مدخلها، وتتميز المنطقة بخصائص استيراثية هامة تتمثل في وعورة مسالكها ووثاياها المتعرجة وأشجارها المتداخلة والمتشابكة بحيث لم تبد إلا مساحة أو مساحتين صغيرتين خالية من الأشجار ومستوية نوعا ما سميت احداهما وطية بوروح وأخرى تسمى تالا غروس، كانت طائرات الهليكوبتر تنزل على هذه المساحة لتفرغ المؤونة والأسلحة والامداد للعدو أو لتنتقل جرحاهم وقتلاهم، وبالقرب من ضريح الوالي توجد في الأسفل عند مجرى الوادي بقعة شعواو أين كان المجاهدون متواجدين قبيل المعركة، وحاليا يوجد بالمنطقة نصبا تذكاريًا يحمل أسماء الشهداء الذين استشهدوا في المعركة ومن بينهم: السي يحيى قائد الكتيبة، السي عبد القهار نائب قائد الكتيبة، سليمان علي، مختيش علي، بن صالح إبراهيم، بوديسة عمر، الحاج يخلف محمد، حفصة مصطفى، والبستاني محمد، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص ص 149، 150).

²- نفسه، ص 150.

الحصار، وهكذا وفي ليلة 15 أبريل 1957م التي كانت تصادف شهر رمضان أخذ العدو الفرنسي يضاعف من تركيز قواته على المنطقة مستخدماً حوالي خمسة آلاف جندي تمركزوا حول مختلف نقاط المنطقة وعلى طول محيطها البالغ حوالي عشرين كيلومتراً بحيث لم يتركوا أي منفذ يستطيع منه المجاهدون التسلل الذين كانوا أسفل المنطقة وفي وضعية سيئة وحصار شديدين، بينما استقادت قوات الجيش الفرنسي من طبيعة المنطقة.

اتجه المجاهدون نحو بقعة "تامرزيث" الواقعة على بعد حوالي ستة كيلومترات، من جهة الجنوب على بقعة شعواو وذلك لوجود أماكن حصينة ووقوعها في مكان مرتفع يساعد على التسلل والخروج من الحصار، وقد استخدم العدو حوالي عشرة طائرات هليكوبتر وطائرتين من نوع جاغوار لمراقبة تحركات المناضلين وتقديم الامدادات الحربية لجنوده.

بدأ الجيش الفرنسي في تصويب نيران أسلحته نحو المناضلين في بقعة "تامرزيث" مع مطلع فجر يوم الاثنين 15 أبريل 1957م، والمواقع القريبة منها، وقام المجاهدون بدورهم بتوجيه نيران أسلحتهم نحو العدو وإرغامهم على عدم الاقتراب من البقعة، كما عمل العدو الفرنسي بالموازة عند وقوع الاشتباك منذ بداية المعركة على تقنيش بيوت السكان ونهبها وتخريبها وتجميع أفرادها من شيوخ وعجزة وأطفال ما عدا النساء، فقامت باعتقالهم كخطة لتقادي ضربات المجاهدين اعتقاداً منهم بأنهم سيضعون المجاهدين محل مساومة بينهم وبين ذويهم.⁽¹⁾

ضاعف العدو الفرنسي عدد جنوده وأسلحته مستعملاً في ذلك الأسلحة الرشاشة على الساعة العاشرة صباحاً، كما قامت طائرات الهليكوبتر بالتحليق فوق المنطقة لمراقبة تحركات المجاهدين،⁽²⁾ وفي منتصف النهار استخدم الجيش الفرنسي فرقة خاصة للكوموندو والمظليين لمهاجمة بقعة "تامرزيث"، وهكذا دخلت هذه الفرقة ومن ورائها أعداداً ضخمة للعدو الفرنسي في قتال عنيف مع ما بقي من المجاهدين الذين صمدوا خلاله حتى حوالي الساعة السابعة مساءً أين تم استشهاد آخر مجاهد.

أطلق الجيش الفرنسي أفراد السكان المعتقلين بعد أن انتهت المعركة، ولكنه بقي ملازماً لعملية الحصار بعد أن قام بأبشع أنواع التنكيل بجثث الشهداء، وفي صبيحة يوم 16 أبريل 1957م استقدم العدو الفرنسي رجال الصحافة وعدداً من الضباط الكبار، وقام بتسجيل بصمات الشهداء وسماتهم، ثم⁽³⁾

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 151.

² - نفسه.

³ - شريط وثائقي، معركة أهل الواد بسبيدي المدني 15 أبريل 1957م، مدة التسجيل، 09 د و 57 ثا.

رخص بعدها لسكان المنطقة بدفنهم، كما قام الجيش الفرنسي في هذه الآونة بنقل جرحاه وقتلاه البالغين حوالي مائة وخمسين جنديا عن طريق طائرات الهليكوبتر وعلى ظهر جنوده.

فقد جيش التحرير الوطني خلال هذه المعركة 37 مجاهدا نذكر على رأسهم: السي يحيى قائد الكوموندوس، السي عبد القهار قائد الفصيلة، بن عمر محمود المدعو مراد، عين تميم، رابح المصراوي عمر بوديسة، سليمان علي، مختيش علي، عيسى مصطفى، محي الدين رابح، حاجي محمد، ... وغيرهم، في حين خسر الجيش الفرنسي أزيد من 155 جنديا.⁽¹⁾

أجبرت القوات الفرنسية سكان المنطقة على مغادرتها خوفا من غضبهم بعد شهرين من وقوع المعركة، وتحسبا لوقوع كمائن أخرى فرض عليهم بناء بيوتهم من جديد في بقعة الحمادة التي أصبحت فيما بعد تسمى باسم "قرية سيدي المداني"،⁽²⁾ وبقيت منطقة سيدي المداني بعد ذلك خالية من الحياة إلا من رفاة الشهداء الذين خاضوا المعركة.⁽³⁾

4- معركة سيدي سميان - شرشال - 2 ماي 1957م: تقع منطقة سيدي سميان على منتصف الطريق المؤدي إلى جبال زكار والبحر المتوسط، كما يتوسط عددا كبيرا من الدواوير، وهو جزء من الناحية الثالثة بالمنطقة الثانية التابعة للولاية الرابعة، يربطه بوادي الشلف الطريق المؤدي نحو شرشال مروراً بجبال من زكار.

بقيت وحدات كوموندو السي الزوبري - بعد عملية سيدي أمحمد أفلوش يوم 26 أبريل 1957م والتي انتصر فيها كوموندو السي الزوبري في اشتباك جمعه مع الفيلق ال 29 للقناصة الجزائريين الخونة الذي كانت قاعدته "بفونتين ديجيني" (حجرة النص حاليا) - بالمنطقة تترصد فرصا أخرى لخوض معارك جديدة ضد جيش الاستعمار الفرنسي.

¹ - شريط وثائقي، معركة أهل الواد بسيدي المدني 15 أبريل 1957م، المرجع السابق.

² - قرية سيدي المداني: كانت هذه المنطقة تسمى "الحمادة" وبعد أن أجبر العدو الفرنسي سكان المنطقة سيدي المداني على مغادرتها وفرض عليهم بناء بيوتهم في منطقة الحمادة، أصبحت تسمى "قرية سيدي المداني"، ويبلغ عدد سكانها آنذاك حوالي 300 ساكن، أما المنطقة التي حدثت فيها المعركة فقد أطلقت عليها تسمية قبة سيدي المداني، وقد بنيت هذه القبة فوق جزء من مقبرة قديمة يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثمائة سنة، ويوجد ضريح الوالي سيدي المداني بتلك القبة، ويعود وفاته إلى حوالي ثلاثمائة سنة، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص153).

³ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص152.

كانت كتيبة الحمدانية في هذه الفترة متمركزة في دوار حيونة بنواحي منقة قورايا، فجاءهم ضابط ربط يسلمهم رسالة من النقيب المجاهد المدعو السي سليمان مفادها أن الجنود الفرنسيين اعتادوا على إجراء توغلات كثيرة ومتكررة بدوار نواري قرب سيدي سميان، حيث يقومون بعمليات الاعتداء على السكان وإهانتهم، ولأجل ذلك كان ينبغي عليهم التنقل إلى عين المكان لوضع حد للتصرفات المهينة التي دأب على ممارستها العسكر الفرنسي، حيث اقتضى ذلك مسيرة مدة ثلاث ساعات للوصول إلى سيدي سميان. انطلقت الكتيبة الحمدانية من دوار حيونة على الساعة الحادية عشر ليلا لتصل إلى سيدي سميان على الساعة الثالثة صباحا، واستنادا لخطة الهجوم التي سطرها المدعو السي يوسف، والمدعو السي علي وموسى قلاوز شرع فرع السي قدور في التمرکز قبالة سيدي سميان بمقربة من جبل لمري، أما الفرعان الآخران فقد كمنّا في جانب الطريق على طرف غابة تقع خلف دوار نواري.⁽¹⁾

تم سماع أزيز محركات شاحنات الجيش الفرنسي حوالي الساعة الرابعة صباحا، فأخذ موسى قلاوز يتنقل من فوج لآخر لحثهم على التستر جيدا والتحلي بالحذر.

علم أعضاء الكتيبة من جنودهم الرقباء أن قافلتين عسكريتين هامتين تسيران باتجاههم قادمتان من الساحل، وكانت القافلة الأولى منهما قادمة من جهة وادي مسلمون، أما الثانية فأقبلت عبر وادي السبت. كانت هذه الحشود العسكرية الفرنسية تصل من شرشال، نوفي، فونتين ديجيني، قورايا، ودوبليكس، حيث قام الجيش الفرنسي بحشد قواته لإجراء عملية تمشيط واسعة النطاق، وبالتالي لم يكن في استطاعة الكتيبة الحمدانية أن تغادر مواقعها دون أن يكتشفها العدو، وكانت مجبرة على مواجهته رغم الفارق الواضح في العدد بين القوات التي نشرها الجيش لفرنسي ورجال الكتيبة المتكونة من 105 عنصرا من المجاهدين.⁽²⁾

تمكنت الكتيبة مع طلوع الشمس من رؤية سيل من الجنود يسد جبل لمري، وهم يسارعون لأخذ مواقعهم قبالة فرع السي قدور.

لم يتقطن الجنود الفرنسيون القادمون من مليانة، الخميس، عين الدفلى، ومراكز عسكرية مجاورة لوجود فرع السي قدور الذي كان خلفهم ويتهددهم بالهجوم، أما العساكر القادمون من ناحية وادي الشلف خلف زكار فقد أسرعوا في الهبوط نحو المواقع التي تركز بها فوجا كتيبة الحمدانية الآخران.

¹- Nordine CHABANE : Colonel AMIROUCHE –L'Aigle de Djurdjura, ENAG édition, Alger, Algérie, 2006, p173.

²– Op–Cit, p174.

اندهش أعضاء الكتيبة كثيرا لرؤية جهاز التطويق وهو يضيق الخناق عليهم، فقد تبين لهم أنهم كانوا مرة أخرى ضحايا خيانة مثلما سبق لهم يوم 26 أبريل 1957م بسيدي أمحمد أفلوش، فقد كان العدو يعرف مواقعهم بصفة دقيقة، ووجدوا أنفسهم في شباك فخ محكم نتيجة خيانة عميل مزدوج، استطاع مخادعة يقظة الشبكات الخاصة المضادة للجوسسة التابعة لجهة وجيش التحرير الوطنيين.

بدأ عدد كبير من الطائرات تجوب الآفاق وتميل على الأجحة تارة، أو تنقض عموديا ثم تصعد كي تواصل تحليقها على سيدي سميان ملقية بقنابلها على المنطقة، وفي نفس الوقت كانت ترسل معلومات دقيقة عن أماكن تموقع المجاهدين إلى مركز المراقبة والعمليات، وكان المناضلون على مسمع من الحركة قرب الدوار وهم يرددون: "سقطتم في الفخ الذي نصبناه لكم، سلموا أنفسكم أيها الشيوعيون القذرون".⁽¹⁾

كان المناضلون محاصرون من كل الجهات، فعلى يمينهم كان الجيش الفرنسي قد وضع العديد من الرشاشات على طول الطريق، ونشر الآلاف من الجنود في وضعية القتال، فضلا على أن الخروج من هذه الجهة يستوجب عبور الوادي وهو ما سيتطلب وقتا طويلا بحكم عمق الوادي وعرضه، وبالموازاة مع ذلك سيكونون مكشوفين لطيران العدو، أما على المنحدر الآخر من الجبل فقد كانت الطائرات العمودية من طراز "بانان" تقوم بإنزال فرق العساكر، في حين كان آلاف الجنود قد احتلوا كل الأرضية المسطحة المكشوفة من جهة اليسار، بينما تجمعت أكبر حشود العدو الفرنسي من الجهة الأمامية، وعليه فإن الخروج منها سيعرض سكان دوار نواري للخطر، وهذا الأمر لم يكن واردا البتة في قوانين المجاهد الجزائري في سبيل قضيته الوطنية، دون أن ننسى الجهة الخلفية التي كانت مغلقة بحكم أن الطريق تتوقف عند الصخرة التي اختفى وراءها المجاهدون.⁽²⁾

يروى محمد الشريف ولد الحسين تفاصيل الحادثة قائلا: "لم يتغير شيء في الوضع الذي كنا عليه، فجأة سمعنا صوتا يصدر من مكبر الصوت يقول: قلوا موسى، أنا القائد قودوان، هل تتذكرني، طبعاً هيا تذكر، لقد حاربنا جنبا إلى جنب في الهند الصينية، وكنا أصدقاء متميزين وكسرنا سويا الفيات مينة، إذن أطلب منك الآن أن تسلم نفسك أنت والفلاحة، وأعاهدك بشرفي، شرف الضابط أنني سأعمل كل ما بوسعي لمساعدتك، تقاجأنا عند سماع هذا الكلام، ولم يكن موسى قلواز أقل دهشة منا، وأخبرنا بأنه شارك في حرب الهند الصينية برتبة رقيب أول، بينما لم يكن قودوان حينذاك إلا في رتبة ملازم أول".

¹- Nordine CHABANE : Op-Cit, p174.

²- Ibid.

واصل القائد قودوان في مسعاه البسيكولوجي من أجل جر السي موسى ورفقائه نحو دائرة الاستسلام إلا أن محاولاته باءت بالفشل.⁽¹⁾

كان الجيش الفرنسي يهاجم المناضلين بواسطة مدافع عيار 105، ومدافع هاون عيار 75 على طول ساعة كاملة، بمساعدة الطيران المعزز بالمقنبلات ب29 وت6 موران التي أفرغت حمولتها من القذائف والقنابل المحرقة حولهم، أما العساكر فكانوا لا يكتنفون عن التوقف في صب نيران رشاشاتهم وبنادقهم الرشاشة.⁽²⁾

حاول فوج السي إبراهيم خوجة اختراق التطويق من جهة اليسار، فدام الاشتباك بين الطرفين مدة 15 دقيقة راح ضحيته المجاهد جلول بن ميلود الذي قام بمحاولة خروج يائسة فاستشهد وسلاحه بيده.⁽³⁾

توصل القائد قودوان إلى استنتاج سطحي وهو أن كل المجاهدين كانوا قد هلكوا حرقاً أو اختناقاً في قلب الغابة التي تحولت إلى سكير حقيقي، تحت القصف المزدوج للمدفعية والطيران، فهو كان جاهلاً بأن مناضلي كوموندو السي الزوبير لازالوا مختبئين في الغابة خلف كتلة صخرية ضخمة يبلغ ارتفاعها حوالي أربعين متراً، تبدو كالهلال لمن ينظر إليها من الأمام، وعلى قاعدة هذا السور المتراص كان هناك خندق يبلغ عمقه حوالي أربعين سنتيمتراً وهو ما سمح للمناضلين بالتمدد أرضاً دون الخوف من أن تمسهم السنة النار الملتهبة، ولذا أمر القائد قودوان قائد الفيلق الـ 29 للقناصة بإحراق كل ما يجده أمامه أثناء المغادرة.⁽⁴⁾

غادر الجيش الفرنسي المكان تاركاً الدوار وراءه عبارة عن كتلة من الدخان والنار، فضلاً عن استشهاد كل من محمد شرفاوي الذي ينحدر من شرشال والذي كان من بين فوج السجناء لجبهة التحرير الوطني وتمكن من الهروب من سجن شرشال في 16 أبريل 1956م، وأحمد عباس ضابط ربط من موزاية، فقد أصيب الشهيدان بالقذائف لكن الغريب في الأمر أنهم وجدا مذبوحين، كما جرح إبراهيم خوجة قائد الفوج السادس وهو ينحدر من منطقة البلدية.⁽⁵⁾

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة - سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبير والكتيبة الحمدانية - "جيش التحرير الوطني - الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص 119.

² - نفسه، ص 120.

³ - نفسه، ص 121.

⁴ - نفسه، ص 126.

⁵ - نفسه، ص 127.

تبين لاحقا أن الجريح إبراهيم خوجة قد وقع في قبضة الجيش الفرنسي رفقة عدد من المقاتلين المجروحين الذين كانوا يتلقون العلاج في عيادة سرية بجبال زكار غير بعيد عن الأماكن المسماة "مسكر" و"لهوارة"، وعلى رأسهم الدكتور محمد سويلاماس ويوسف خوجة وهما الاثنان ينحدران من مدينة شرشال، فقد تم الهجوم على العيادة بعد أن تلقى العدو معلومات بشأنهما من طرف أحد الخونة، فحشد لها عددا كبيرا من الجنود الفرنسيين، السينيغاليين، والمارتينيكيين التابعين لمركز "عريب"، وقد استشهد في هذه المداهمة عبد القادر بلكبير المدعو السي بلحسن كوزا والذي ينحدر من مدينة من خميس مليانة بعد أن تمسك برشاشته وقاوم حتى استشهد.⁽¹⁾

5- معركة وادي الآخرة (أقنودة)⁽²⁾ 22 ماي 1957م: نتج عن الإضراب الأسبوعي الذي شهدته بداية سنة 1957م تفكيك نظام جبهة التحرير الوطني بالعاصمة، الأمر الذي أدى إلى التحاق جماعات كثيرة من مناضلي العاصمة بالمناطق المجاورة من الولاية الرابعة التاريخية، كما أدى القمع الذي نتج عن الإضراب إلى خروج لجنة التنسيق والتنفيذ من مدينة الجزائر، الأمر الذي شجع وحدات الجيش الفرنسي وعلى رأسها الجنرال بيجار على القيام بعدة عمليات تمشيطية خلال شهري أفريل وماي من نفس السنة في أعالي جبال البليدة لتتبع هؤلاء، فسميت هذه العمليات بالأسماء التالية: أطلس 1، أطلس 2، أطلس 3، أطلس 4، وجيرار 1.

جرت العمليات التمشيطية بناء على معلومات صحيحة لدى الجنرال بيجار حول فرار لجنة التنسيق والتنفيذ إلى هذه النواحي، بعد أن انتقل كريم بلقاسم وبن يوسف بن خدة إلى المنطقة بجبل تبرقنت في أفريل 1957م، وهناك عقدت لجنة التنسيق والتنفيذ آخر اجتماع لها بالجزائر قبل خروجها في ماي من نفس السنة، لتؤكد من أنه من الصعب مواصلة الثورة انطلاقا من الجبل.⁽³⁾

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة -سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويير والكتيبة الحمدانية- "جيش التحرير الوطني -الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص ص 128، 129.

²- **معركة وادي الآخرة (قنودة):** جرت أحداث هذه المعركة بجبل بولبان جنوب بوقرة، حيث يحتل هذا المكان موقعا استراتيجيا هاما لكونه يعد همزة وصل بين نواحي المتيجة والجبال المجاورة، كما يتمتع بغطاء نباتي كثيف ومنحدرات صخرية وعرة ممتدة على مساحة واسعة وجبال عالية، وقد جعلت هذه المميزات الاستراتيجية من هذه الجبال من بين أهم مراكز الولاية الرابعة التاريخية، أما وادي الآخرة فهو أحد فروع وادي الحراش، ويقع جنوب غرب حمام ملوان، كما يقع وادي بولبان في الجنوب الشرقي من حمام ملوان والذي يتصل هو الآخر بوادي الآخرة، وإلى الشمال من هذا الأخير يقع دوار دوار أقنودة الذي حملت هذه المعركة اسمه في أغلب الكتب الفرنسية، كما كانت هذه المنطقة خلال الثورة تابعة للناحية الثالثة من المنطقة الأولى، (للمزيد من المعلومات أنظر: عائشة حسيني، المرجع السابق، ص 78).

³- نفسه.

نتج عن العمليات التمشيطية التي قامت بها السلطات الاستعمارية في المنطقة اصطدامها بجيش التحرير الوطني في عدة أماكن، وبالأخص في المثلث الواقع بين الأخضرية وتابلاط والزبربر التي شهدت العديد من المعارك الضارية بين الطرفين، في الوقت نفسه الذي كان يقوم فيه الجنرال هايت بمجموعة من عمليات التمشيط للقضاء على كوموندو علي خوجة بهذه الجبال.⁽¹⁾

استقرت وحدة للصبايحية رفقة وحدة للرماة بمنطقة وادي المالح من أجل انتهاك حرمت السكان وهذا بالضبط ماكانت ترمي إليه سياسة الحرب النفسية، فتقدم هؤلاء الآخرين بعدة شكاوي إلى قادة جيش التحرير الوطني يشكون فيه تعذيب هؤلاء المستدمرين لهم، وفي الوقت نفسه صار قائد الصبايحية المدعو "لوبال" يرسل مع السكان أنفسهم رسائل إلى وحدات جيش التحرير الوطني يطلب فيها منهم أن يتقدموا لمقابلة قتالية ضده انتقاما منه لمقتل والده الذي وقع في كمين نصبه له أفراد كوموندو علي خوجة في الشهر الماضي، ولهذا الغرض استقرت وحدة من جنود الكوموندو بالقرب من مركز الصبايحية في انتظار المقابلة القتالية المصرح بها، بينما أمر رايح مقراني المدعو السي لخضر قائد وحدة الكوموندو بالتوجه نحو الزبربر لتنظيم الأمور هنا بعد استشهاد قائد المنطقة عبد الرحمان لعلا في معركة الزبربر الموافقة ليوم 10 ماي 1957م.⁽²⁾

أصر الرائد عز الدين البقاء لمقابلة لوبال، واغتنم فرصة فرار ثلاثة أفراد من فرقة الصبايحية إلى جيش التحرير الوطني، وهو ما اضطر بهذا الأخير لتتبعهم، وهنا تمكنت وحدة جيش التحرير الوطني من نصب كمين له في دشرة الزرايقية بوادي المالح رفقة السي لخضر، والشيخ مسعود، ليتم القضاء نهائيا على فرقة الصبايحية ماعدا ثمانية أفراد منها، مع الاستيلاء على جزء هام من أسلحة الفرقة.

أعلن الجنرال سيمون عن عملية تمشيطية واسعة بالمنطقة في نفس اليوم، حتى أنه استدعى الكولونال بيجار لمساعدته حيال هذا الأمر، ومن جهته كلف الجنرال سالان هذا الأخير بمهمة القضاء على كوموندو علي خوجة بصفة نهائية وكاملة، كونه أصبح يهدد الوجود الفرنسي بالمنطقة،⁽³⁾ وكان الجنرال بيجار يطمح من خلال هذه العملية العثور على ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ الذين فروا من المنطقة المستقلة للجزائر بعد الأحداث التي شهدتها هذه الأخيرة في الفترة الحالية، حيث كان على علم

¹ - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص 79.

² - نفسه، ص 79.

³ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص 284.

بوجود قادة الولاية الرابعة التاريخية هناك، مما جعل هذه العملية عبارة عن فرصة لضرب عصفورين بحجر واحد.⁽¹⁾

بدأ فرض الحصار على مساحة تقدر ب 100 كلم² على بعد 15 كلم شمال العمارية بمشاركة 700 جندي فرنسي وزعوا على النحو التالي:

- الكتيبة الأولى تحت قيادة بلوتو: تمركزت شمال وادي الآخرة عند مرتفع 498 م.
- الكتيبة الثانية تحت قيادة بلانات: تمركزت عن مرتفع 944 م.
- الكتيبة الثالثة تحت قيادة لياميبي: تمركزت في ملتقى نهري وادي الآخرة وادي بولبان عند مرتفع 716 م بالجهة الشرقية.

- الكتيبة الرابعة تحت قيادة فلوراس: خصصت للاحتياط من أجل التدخل حين يقتضي الأمر، وتمركزت بمرتفع 941 م جنوب غرب الكتيبة الثانية، كما وضع فيلقان ل سلاح الطيران في خانة الاحتياط أيضا، حيث خصص الأول تحت قيادة بيجار بينما كان الثاني تحت قيادة "شابان"، بالإضافة إلى كتيبة الكوموندو التي تمركزت في أقصى جنوب منطقة العمليات بمرتفع 895 م، كما أقام بيجار مركز قيادته "برونو"⁽²⁾ في مكان استراتيجي يقدر ارتفاعه ب 1298 م، حيث يتوسط بهذا الموقع خمسة كتائب فيتمكن من خلاله متابعة سير أحداث المعركة.⁽³⁾

كانت الكتائب قد أخذت مواقعها موزعة على أفواج منذ الساعة الرابعة صباحا، ناصبة كمائنهما في كل مكان بالمنطقة، حيث فرضت حصارها على شكل شبكة واسعة يقع وسطها المجاهدون، هادفين بذلك إلى قطع طريق الفرار عليهم سواء باتجاه البليدة أو باتجاه بني ميسورة،⁽⁴⁾ فإذا ما حاولوا الفرار عبر الجبال تواجههم الكتيبة الثانية أو الرابعة، وإذا ما حاولوا الفرار عبر الوادي يصطدمون بالكتيبة الأولى.

اتجه المجاهدون بعد تنفيذهم عملية وادي المالح إلى جبل بولبان ليجدوا هناك قادة الولاية، فعدوا اجتماعا في المساء مع سكان سوق السبت، قاموا فيه بتقييم نتائج العملية السابقة، وبينما هم يأخذون استراحة قصيرة حتى أخبرهم المناضلون المكلفون بالحراسة أن الجيش الفرنسي متواجد بأعداد هائلة،

¹ - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص 80.

² - BRUNO هو رمز مركز القيادة التي اتخذها بيجار كإسم حربي في حرب فرنسا مع الهند الصينية.

³ - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص 80.

⁴ - نفسه.

فظنوا بأنهم لن يقتف آثارهم وإنما هم بصدد القيام بعملية تمشيطية بالمنطقة كما جرت العادة، ولهذا لم يغادروا المكان.

وصلت أخبار أخرى إلى المجاهدين على الساعة الرابعة صباحا مفادها بأن المظليين قريبين جدا منهم، فاقترح السي لخضر أن يأخذوا مواقع محصنة بالجبال في انتظار الهجوم، وإن حالهم الحظ ولم تحدث أي معركة ينتظرون هناك حلول الليل حتى يستطيعوا الفرار وهم سالمين، إلا أن أحمد بوقرة اعترض على هذه الفكرة كون رأى بأن الطيران سيكون له الدور الكبير في القضاء على المناضلين بالجبال، ولهذا اقترح خطة للخروج من الحصار عن طريق التتابع الأحادي، بحيث تغادر خمسة أفواج ثم فراغ، خمسة أفواج ثم فراغ وهكذا دواليك، وعوض الصعود إلى الجبل يتبعون المنحدرات ثم يلتقوا شمال وادي بولبان للوصول إلى وادي الآخرة.⁽¹⁾

بدأ المجاهدون في الخروج على الساعة الخامسة والربع صباحا من مكانهم قاصدين وادي الآخرة، حيث كان يتقدمهم الرائد عز الدين على رأس وحدة الكوموندو لفتح الطريق، وكلف السي لخضر بتأمين الوسط والمؤخرة مع الكتيبتين المتبقيتين، وبقيت الأمور على حالها إلى غاية الساعة العاشرة وستة وثلاثين دقيقة، عندما أخبر القائد سونتوناك لياميبي بأن الطلائع الأولى للخصم بالقرب منه، وأخبر لياميبي بيجار بأن هدف الثوار من وراء مناورتهم هو تمرير قادة الولاية قبل إتمام فرض الحصار، وبهذا أعطى الجنرال بيجار الأمر بإطلاق النار ليتحول الكمين بسرعة إلى معركة كبرى بين الطرفين.⁽²⁾

تشكلت وحدة المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعركة من ثلاثة كتائب مكونة من حوالي 350 جنديا، من بينها جنود الكتيبة السليمانية وفصيلة السي بوعلام وكوموندو علي خوجة، وعلى رأسها قادة الولاية الرابعة والذين كان من بينهم: أحمد بوقرة، السي لخضر، بوعلام أو صديق، والرائد عز الدين، أما وحدات الجيش الفرنسي فكانت مشكلة من 700 جندي، موزعة على أربعة كتائب ووحدة من الكوموندو، وفيلقين من سلاح الطيران مدعمين بالدبابات ومدفعية الميدان.⁽³⁾

اشتد القتال مع كتيبة السي لخضر، فأبلى هذا الأخير رفقة جنوده بلاء حسنا مما جعل الجنرال بيجار يعترف بقوته وتجربته وصبره وانضباط جنوده، حيث ذكر قائلاً: "من بين دلائل التجربة والانضباط أننا وجدنا الكثيرين من القتلى بدون سلاح، ومعنى ذلك أن سلاح الرجل المقتول يسترجعه زملاءه، وهذه

¹ - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص 81.

² - نفسه، ص 81.

³ - نفسه، ص 78.

المميزات هي التي مكنت الخصم من الصمود طيلة ثلاثة أيام أخرى بقوة"، كما أعجب بانضباط جنود جيش التحرير الوطني فقال عنهم: "عدو يفاجئ في كمين صارم وشديد، ويستطيع أن ينظم نفسه بسرعة، ويصبر أثناء الهجوم، ويحافظ على نظامه تحت قصف سلاح الطيران، ويستطيع أن يسترجع السلاح ويخفي موثاه، يوحي بأنه يستطيع أن يدافع عن نفسه بعد ثمانية وأربعين ساعة أخرى من الحصار".

نزلت الفصيلة التي كانت تحت قيادة الرائد عز الدين مرة أخرى وسط الحصار، ولكنها هذه المرة لم تتمكن من الخروج وبقيت أربعة أيام للجوع والعطش، وكلما حاولت الخروج منه تجد الحصار مازال محكما، وفي مساء اليوم الرابع أجلى الفرنسيون الحصار، وتركوا بعض العناصر لمطاردة المجاهدين بداخله، وعندئذ نزل أفراد فصيلة السي عز الدين إل وادي بولبان، حيث تمكنوا من الخروج نهائيا من الحصار المطوق بهم.⁽¹⁾

انتهت المعركة التي دامت أربعة أيام متتالية يوم 26 ماي 1957م بنتائج جد وخيمة على جيش التحرير الوطني، حيث فقد أكثر من 96 جنديا من بينهم 13 جنديا شهيدا من كوموندو علي خوجة، واعتقل منهم 12 جنديا، بينما تحملت كتيبة الشيخ مسعود خسائر معتبرة في الأرواح، بالإضافة إلى مئات القتلى من المدنيين حسبما ذكره الرائد عز الدين.

قدرت خسائر الجيش الفرنسي حسب مذكره الجينرال بيجار بثمانية قتلى، وتسعة وعشرين جريحا، كما قام بتحرير الجنود الخمسة من كتيبة الرماة والذين كانوا أسرى لدى جيش التحرير الوطني منذ عملية وادي المالح، كما اعترف بنفسه بأنه لم يتمكن من استعادة أسلحة كثيرة بسبب حرص جنود جيش التحرير الوطني على عدم فقدانها، ولهذا قدرت عدد الأسلحة المسترجعة حسب شهادته ب45 قطعة فقط، بالإضافة إلى أغراض مختلفة.⁽²⁾

6- معركة جبل أولاد يوسف ماي 1957م: كان المجاهدون متمركزين في ناحية عين بسام بالناحية الرابعة من المنطقة الأولى وتحديدا في دوار الغرابية، وبعدما جاءهم أمر من قيادة الولاية الرابعة بمغادرة المكان توجهوا نحو دوار بني خلفون، ومنه تابعوا السير نحو جبل بوزقزة مروراً بقرية أولاد بلمو، لينضم إليهما فوجان من المسبلين، ودخلوا بعدها إلى قرية مجاورة تدعى قرية أولاد يوسف⁽³⁾ حوالي الساعة

¹ - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص82.

² - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص83.

³ - قرية أولاد يوسف: تقع هذه القرية ضمن تراب بلدية بودريالة بدائرة الأخضرية في ولاية البويرة حاليا، أمان إبان الثورة التحريرية فقد كانت ضمن القسم الثاني من الناحية الثانية بالمنطقة الأولى التابعة للولاية الرابعة التاريخية، ويشرف عليها

منتصف الليل، وحسب شهادة المجاهد محمد سمراني⁽¹⁾ فإن الجيش الفرنسي كان متواجدا بالمنطقة حوالي الساعة الخامسة صباحا، فأمر قائد الكتيبة عناصر وحدته بالتحضير للمواجهة، عن طريق الاتجاه الجيد في كل أنحاء المنطقة، واستغلال الموانع الطبيعية بها بطريقة جد محكمة، فضلا عن عدم التسرع في إطلاق النار إلا بعد اقتراب عناصر الجيش الفرنسي منهم، فضلا على ضرورة حمل المجاهدين لبنادق الصيد في بداية المواجهة لإيهام العدو الفرنسي بضعف إمكانياتهم الحربية.⁽²⁾

قدرت قوات جيش التحرير الوطني خلال هذه المعركة بحوالي ثمانين مجاهدا، وتولى قيادتهم المجاهد المدعو السي عبد الرحمن بمساعدة المجاهد عمر بزاز، بالإضافة إلى فوجين من المسبلين بقيادة كل من رابح دموش والمدعو السي عبد القادر، في حين كان بحوزتهم ثلاث قطع رشاشة جماعية اثنتان منها من نوع 29/24 والثالثة من نوع أف أم بار، فضلا عن مجموعة من الأسلحة الفردية الآلية والنصف آلية، والقليل من بنادق الصيد والقنابل اليدوية.⁽³⁾

استطاعت وحدات جيش التحرير الوطني تحقيق التفوق الميداني في المعركة منذ الساعات الأولى من إنطلاقها حتى أنها استطاعت أن تغنم 18 بندقية فردية آلية من مختلف العيارات، الأمر الذي دفع بالجيش الفرنسي إلى قصف مواقعهم بواسطة الدبابات التي نصبت منذ الصباح في قمة الجبال، كما قنبلت الطائرات الحربية موقع المجاهدين هي الأخرى، فنتج عن هذا التصرف استشهاد العديد من المجاهدين، وهو ماجعل الوضع يتحول لصالح الجيش الفرنسي في مساء نفس اليوم، ليستمر الوضع كما هو عليه إلى غاية منتصف الليل بعد أن عجزت وحدات الجيش الفرنسي عن التصدي لهجوم الفرنسيين نتيجة لنفاذ ذخيرتها، لتنتهي المعركة باستشهاد معظم جنود الكتيبة، فقد فاق عددهم الخمسة والسبعين

من الجهة الجنوبية الشرقية جبل الكروش، ومن الجهة الشمالية الشرقية فتقابلها قمة جبل بوزقزة الحصينة بصخورها وغاباتها وأحراشها، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص285).

¹ - محمد سامراني: ولد المجاهد محمد سامراني المدعو توش سنة 1935م بدوار وزرة بدائرة المدية ولاية المدية حاليا، انضم إلى صفوف الثورة التحريرية شهر جانفي من عام 1957 كفدائي بالمدينة، وبعد نجاحه في عدة عمليات تجند بفرقة عنتر التابلاطي، ليعين بعد فترة بالكتيبة الرحمانية، أسر خلال معركة جبل أولاد يوسف ونقل لسجن البليدة ثم قدم إلى المحكمة العسكرية بباب الوادي بالجزائر العاصمة، والتي قضت بضرورة إعدامه، ثم حول إلى سجن لامبيز بباتنة أين خفف عنه الحكم بالسجن مدى الحياة، ليخرج من السجن يوم 05 ماي 1962م، ليواصل نشاطه من جديد في إطار الجيش الشعبي الوطني إلى غاية شهر أوت من عام 1963م، ثم توظف بعدها في الدولة، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص286).

² - نفسه، ص286.

³ - نفسه، ص285.

مجاهداً، من بينهم سبعين جندياً من عناصر الكتيبة التي حملت اسم قائدها فيما بعد والتي عرفت باسم: "الكتيبة الرحمانية"، كما تم أسر ثلاثة مجاهدين، كان منهم جريح واحد وهو الناجي الوحيد من المعركة وهو محمد سامراني.⁽¹⁾

7- معركة بني بوستور الأولى 07 جويلية 1957م بوادي بومسعود: كان العساكر الفرنسيون قادمون من مهمة تمشيط في منطقة بني بوستور بعد أن ارتكبوا خلالها جرائم في حق أبناء المنطقة، فشنت عليهم إحدى الفصائل التابعة لجيش التحرير الوطني بالمنطقة هجوماً قوياً ومركزاً خلف إحراق اثنين من (هالف تراك)، فسارع عبد الكريم السايح إلى القفز على ليفتراك لانتزاع قطعة السلاح من على السيارة الرباعية الدفع، فتم تصويب الرصاص نحوه ليسقط شهيداً، كما استشهد أيضاً محمد الكوبتير مسئول فصيلة، ومصطفى الذيزري مسئول فصيلة هو أيضاً،⁽²⁾ ليتقلد أحمد المستاش لاحقاً مسؤولية الكتيبة خلفاً للشهيد عبد الكريم السايح الذي تمت تسمية الكتيبة باسمه.⁽³⁾

8- معركة دوار سعدونة⁽⁴⁾ 10 جويلية 1957م: كانت مجموعة من المجاهدين متمركزة في دوار سعدونة يوم 09 جويلية 1957م، حيث تكونت من 52 مناضلاً بقيادة عبد الحق النوفي، وفي الليل أقاموا اجتماعاً مع سكان الدوار أين قدم فيه مسئول هذا الأخير عرضاً شاملاً عن معاملات الجيش الفرنسي اللانسانية للسكان المدنيين العزل، وعلى إثر ذلك وجه قائد الكتيبة كلمة مختصرة لسكان المنطقة مشيراً فيها على وجه الخصوص إلى المترددين في الالتحاق بركب الثورة الجزائرية، كما حذر بشدة المتعاونين مع العدو الفرنسي.⁽⁵⁾

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص 287.

² - محمد نمار، المرجع السابق، ص 20.

³ - سميت المنطقة باسمه أيضاً، وتكريماً له بلدية الكريمة بعد استرجاع السيدة الوطنية، وهي نفس البلدية التي كان يسميها الاستعمار الفرنسي "لامارتين"، (للمزيد من المعلومات أنظر، محمد نمار، المرجع السابق، ص 21).

⁴ - دوار سعدونة: يقع دوار سعدونة بمنطقة قوراية، يحده من الناحية الشرقية دوار بني راشد، ومن الناحية الغربية دوار غبال، ومن الناحية الشمالية دوار بني علي، ومن الناحية الجنوبية دوار مهابة، ويبعد عن منطقة قوراية ب 09 كلم، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 105).

⁵ - نفسه.

بقي المجاهدون في دوار سعدونة إلى غاية الرابعة مساء من اليوم الموالي، إلى أن فاجأهم الجيش الفرنسي بسبب وشاية من ثلاثة أماكن: ناحية واد قلل، دوار لغبال، وعن طريق بوحريز بدوار بني علي، ناهيك على أن المنطقة عارية من الأشجار باستثناء بعض شجيرات السرو القائمة هنا وهناك.⁽¹⁾

أرسل عبد الحق النوفي راصدا إلى المرتفعات، وأمره بأن يطلق النار على الجنود الفرنسيين بمجرد اقترابهم من منطقة تواجدهم ببندقية صيد عندما علم بقدمها إلى المكان حيث أنها كانت متكونة من مائتي جندي.

اعتبرت هذه الخطة موفقة حسب شهادة كل من أحمد ولد مولود،⁽²⁾ محمد واحليمة،⁽³⁾ وتغزوت يطو محمد⁽⁴⁾ الذين كانوا متواجدين بالمنطقة وشاهدوا أحداث المعركة عن كثب، فبمجرد أن سمع الجيش الفرنسي الطلقات النارية من بندقية الصيد البسيطة الصنع حتى واصلوا سيرهم نحو المناضلين دون خوف أو حذر، وبمجرد توغلهم في المنطقة المحاصرة حتى دوت كلمة "الله أكبر" في الأرجاء، وانصبت النيران بواسطة الأسلحة الأوتوماتيكية من مختلف الجهات، فدام القتال بين الطرفين مدة ساعة ونصف تكلفت بالغلبة لجنود جيش التحرير الوطني، مكلفين الجيش الفرنسي اثنان وعشرين جنديا، وثلاث جرحى، في حين استشهد شخص مدني يطلق عليه اسم عبد القادر شريفي، اغتاله العدو الفرنسي داخل بيت "الولي" الذي يؤومه سكان المنطقة تبركا، وأصيب اثنان من المدنيين أيضا بجروح طفيفة، وغنم المناضلون الجزائريون أربعة أسلحة أوتوماتيكية.

9- معركة تاقدرت 16 جويلية 1957م: تعتبر سنة 1957م سنة حاسمة في مسار الثورة التحريرية بالولاية الرابعة التاريخية عامة وعلى القيادة العسكرية في منطقة باليسترو خاصة، ولذلك وجهت السلطات

¹- المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص105.

²- أحمد ولد مولود: ولد أحمد ولد مولود سنة 1938م، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م، عرف إبان الثورة التحريرية باسم أحمد مهابة، عين بمنصب المحافظ السياسي، وبعد الاستقلال كان رئيسا للمجلس الشعبي بلدية قورايا، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص106).

³- محمد واحليمة: ولد محمد واحليمة سنة 1933م، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني عام 1957م برتبة جندي، عرف إبان الثورة التحريرية باسم محمد 80، اشتغل بعد الاستقلال كشرطي في مدينة قورايا، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص 106).

⁴- محمد تغزوت يطو: ولد محمد تغزوت يطو سنة 1932م، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م، عرف إبان الثورة الجزائرية باسم السي عبد الحق، شغل منصب المحافظ السياسي، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص106).

الفرنسي الأنظار إلى جبال بوكرام، حيث كانت كل الدلائل تشير إلى أن بقاء محمد قايد بوكرام⁽¹⁾ حيا سيشكل صعوبة جمة أمام الناس في الانحياز إلى الجهة الفرنسية بالدوار، وذلك من خلال المعلومات التي ماتفك العملاء يزودون بها الجيش الفرنسي، ولهذا الغرض عزم قادة هذا الأخير على محاصرة بعض القرى في دوار بوكرام بمستوطنة باليسترو، بغية تمشيط المنطقة كلما وقع لهم الشك في وجود الثوار بها علمهم يتخلصون من مشكلة القايد التي تهدد وجودهم فيها.

كان البياعة⁽²⁾ بالدوار يتحركون بصعوبة كبيرة نظرا لكون سكان المنطقة متكتمين على بعضهم البعض، ولا يدلون بأية معلومة إلا لمن يتأكدون من ولائه للثورة، وعندما وصلت الأخبار إلى القادة العسكريين⁽³⁾ الفرنسيين في باليسترو عن وجوب القايد رفقة عدد من المجاهدين في مزرعته بقرية قرينيجل، فتحركت طوابيرهم العسكرية الخفيفة منها والثقيلة في الصباح الباكر من يوم 16 جويلية 1957م، بهدف محاصرة المنطقة وتمشيط المساحة التي يعتقد أنها تضم الثوار، ويساعدهم في تحقيق مبتغاهم طول النهار في ذلك الشهر.

لا حظ القايد طائرة الهليكوبتر العملاقة تحوم بالقرب من غابة تاقدرت وتنزل أسرابا من الجنود على شكل مجموعات متجهين نحو الأحراش للانسحاب فيها، بينما كان هو رفقة أحد عشر مجاهدا في مزرعته

¹ - محمد قايد بوكرام: هو محمد بن محمد قايد ولد بتاريخ 01 مارس 1908م بقرية قرينيجل في دوار بوكرام، وهو سليل عائلة توارثت وظيفة القايد في الدوار منذ سنة 1851م، دخل الغلام محمد بن محمد زاوية قريته بوكرام في سن مبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم وهو في التاسعة من عمره، وكان من الممكن أن يصبح شيخ زاوية ولكن والده قايد الدوار أعده لمهمة القيادة، ولذلك مكنه من أن يكون أمينا للجماعة منذ أواخر الربع الأول من القرن العشرين في الوقت الذي كان يكمل فيه تعليمه القرآني في زاوية المرابطين، وبعد إصابة والده بمرض عضال، وبذلك صار محمد بن محمد قايد على الدوار ابتداء من يوم 16 سبتمبر 1940م، فكان يدافع عن مصالح سكان الدوار بكل قواه لدى السلطات الاستعمارية، غير أن هذه الأخيرة بدأت توجه إليه أصابع الاتهام بالتقاعس في أداء المهام حين راح الحاكم الإداري يبدي انزعاجه من قلة عائدات الضرائب وعدم انتباه القايد لتحركات المشبوهين والتراخي في مراقبة سلوكات الأهالي الذين كانت تسميهم السلطات الاستعمارية آنذاك بالخارجين عن القانون وقطاع الطرق منذ سنة 1953م، إلا أن القايد استمر في العمل مع المجاهدين بالمال والإرشاد منذ اندلاع الثورة التحريرية، حتى جاء اليوم الذي سافر إليه الجزائر العاصمة على متن حافلة موساوي، وتم القبض عليه حينما وصلت الحافلة إلى سوق الأحد، وأودع السجن لمدة اثني عشر يوما، إلى حين تدخل الحاكم الإداري لإطلاق سراحه، (مللمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص 482، 483، 484).

² - البياعة: أو البياعون هو مصطلح جزائري استعمل إبان ثورة التحرير، كان يطلق على كل جزائري يزود الحركي والقومية أو قادة الجيش الفرنسي بالمعلومات عن تحركات عناصر جيش وجبهة التحرير الوطنيين، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص 485).

³ - نفسه.

بقرية أفرينيجل صباح يوم 16 جويلية 1957م، فتأكد جميع من في القرية بأنه لا نجاة لهم فيها، خاصة بعدما وصلت وحدات من جيش المشاة من الجهة الشمالية والشرقية لتمشيط المنطقة، وبالتالي فإن بقاءهم فيها سيدفع القيادة العسكرية الفرنسية إلى قنبلتها عن آخرها إذا لم يتمكنوا من الوصول إلى المجاهدين أحياء كانوا أو أمواتا.

عزم المجاهدون على الانطلاق نحو غابة تاقدرت، كونها فرصة للمناورة على الأقل بفضل كثرة أشجارها وكثافتها وعمق أخاديدها ومهاويها الكثيرة، التي تجعل تحرك عناصر الجيش الفرنسي صعبا، لاسيما تحت ضغط رصاص المناضلين الذين كانوا على معرفة جيدة بأوهادها وأحراشها.

كانت عناصر الجيش الفرنسي تحاول التوغل وسط المجاهدين الذين احتلوا مكانا استراتيجيا في غار الضبع على الساعة الواحدة بعد الزوال، حيث كان التل الغربي قد احتل من قبل المجموعة الأولى من المجاهدين في حين أن احتلت المجموعة الثانية التل الشرقي للمهوى العميق.

كان إلى جانب القايد كلا من المجاهد المدعو السي الوناس من بومرداس، ومحمد بن عباد مسئول قرية بوخلفون، المجاهد أمغار من ذراع الميزان،⁽¹⁾ والمجاهد أحمد بن عاصم من الكتيبة العثمانية التي كانت عناصرها تنشط في محيط المنطقة الثالثة، أما الجنود الثمانية التابعون لكتيبة الكوموندوس فقد وصلوا قبل غيرهم إلى الغابة لاحتلال أماكنهم في المهوى العميق الذي كان محميا بهضبتين يصعب على المهاجم النيل منهما.

كان الجنود الفرنسيون المدعمون بالطائرات المقبلة يزحفون بحثا عن التلى والجرحى بعد القصف العنيف، لكنهم يردون على أعقابهم في كل مرة، وبقيت عناصر الجيش الفرنسي بين سياستي الكروالفر، أما المجاهدين فقد كانوا صامدين لم يجرح منهم أحد بسبب الحماية الطبيعية التي وفرتها لهم الصخور والأشجار من جهة، وحسن استغلالهم لمواقعهم في ذلك الحصن الطبيعي من جهة أخرى.

استمرت المعركة حتى الساعة السابعة مساء، وحينما لاحظ المجاهدون أن الطيران لم يعاود القصف بعد انسحاب عناصر الجيش الفرنسي الذين خسروا عددا منهم بين قتل وجريح قد يكون عدد قتلاهم في حدود العشرة جنود.⁽²⁾

خرج القايد محمد رفقة صاحبه المجاهد السي الوناس من مكنهما من أجل التعرف على الوضع العام بعدما تبين لهما أن المعركة قد انتهت بانسحاب الطائرات وعناصر الجيش الفرنسي، لكن رصاصات

¹ - محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص 486.

² - نفسه، ص 487.

مفاجئة كانت لهما بالمرصاد من رشاشات غادرين كانا متخفين وسط الأحرار في انتظار الفرصة المواتية للهجوم، وفلا كان المجاهدان قد سقطا مخرجين بدمائهما وسط دهشة الجميع الذين لم يكونوا ينتظرون مثل هذا الموقف، وراحوا يراقبون بعيون نفاذة المكان الذي يمكن أن تكون الرصاصات قد انطلقت منه فأرو أعشابا تتحرك، ليقوموا بصب نيران رشاشاتهم التي أصابت أحد الغادرين، إلا أن الثاني كان قد فر دون أن يتبينوا ملامحه إن كان من عناصر الحركة كصاحبه الذي أراه المجاهدون قتيلا أو أحد الجنود الفرنسيين.⁽¹⁾

انسحبت عناصر الجيش الفرنسي من غابة غار الضبع، وأثناء مرورهم بقريتي اقرينجل وبوخلفون أفرغوا حقدهم رصاصا في أجساد اثني عشر مدنيا أروهم قتلى على اعتبار أنهم من المجاهدين أو على الأقل من المناصرين للثوار الذين لم ينالوا منهم وطرا رغم محاصرتهم للجهة وتمشيظها ومساندة الطيران لهم.⁽²⁾

عادت قوات الجيش الفرنسي إلى الدوار لترصد المعلومات عن نتائج قصف الطائرات للمجاهدين بغابة غار الضبع في اليوم الموالي الموافق ل17 أوت 1957م، في الوقت نفسه الذي كانت فيه إحدى الكتائب العسكرية الفرنسية تعبث في قرية تاكوشة فسادا، تلك القرية التي وفد إليها الشيخ السي عمر المصباحي⁽³⁾ لتعليم الصغار بعد أن جاءها على إثر هجرة الطلبة لزواية الشيخ الحمامي بعد اشتداد مضايقة العساكر الفرنسية للطلبة ولسكان المنطقة بشكل عام.

جمع قائد الكتيبة العسكرية الفرنسية سكان القرية نساء ورجالا عنوة في ساحة الجامع، وكانت عساكره بمن فيهم الحركة والقومية يرفسون الناس بأقدامهم وهم يدفعون بعنف الصغير قبل الكبير، ونادى القبطان شيخ الجامع عمار المصباحي فتقدم الشيخ بكل رزانة وقال: أنا هو شيخ الجامع، فقال القبطان:

¹ - محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص487.

² - نفسه، ص488.

³ - **عمار المصباحي**: ولد السي عمار أوكيلي المدعو المصباحي بتاريخ 05 جانفي 1912م بدشرة بني أوكيل دوار بوكرام من والد يشتغل فلاحا ويسعى لإعطاء ابنه فرصة التعلم وحفظ القرآن الكريم ليلتحق بزواية الشيخ الحمامي، ثم عينه الشيخ محمد ابن الشيخ الحمامي القائم على الزاوية عضوا ضمن فريق الشيوخ المكلفين بتعليم الطلاب، غير أن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما اشتد ضغط الجيش الفرنسي على الزاوية وطلبتها فتفرق الجميع في كل اتجاه، فمنهم من التحق بصفوف المجاهدين وبعضهم عاد أدراجه إلى أهله، ومنهم الشيخ عمر المصباحي الذي التحق بقرية تاكوشة معلم للصبيان وإماما للمصلين في الصلوات الخمس، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص488، 489).

المعروف عن شيوخ الجامع⁽¹⁾ والمرابطين أنهم لا يكذبون، فسكت الشيخ ولم يعلق على كلام الضابط الذي واصل قوله بعد أن تأكد من أن الشيخ لن يرد عليه، قال الحق أيها الشيخ، هل الفلاقة يأتون إلى هذه القرية؟، وبكل هدوء رد عليه الشيخ قائلاً: الواقع أنني لم أرهم، لأنهم في النهار لا يظهرون للناس، أما أثناء الليل فلا يراهم أحد سوى من يقصدونه، فقال الضابط: ومعنى هذا فأنت ممن يقصدهم الفلاقة ليلاً، وإلا كيف عرفت أنهم يقصدون أناساً معينين في الليل؟، فسكت الشيخ ولم يعلق، فبادره القبطان قائلاً: أريدك أن تكون معنا متعاوناً وصادقاً في أقوالك حتى تجنب نفسك انتقامي.⁽²⁾

استخرج جنديان من الجيش الفرنسي الأسلحة والذخيرة الحربية من المكان الذي كانت مطمورة فيه بمقصورة الشيخ في الجامع، ليطلب الضابط الفرنسي من الشيخ أن يصدقه القول ويخبره عن مصدر الأسلحة، وسبب تسليمها للشيخ، وعن الوجهة التي هي متجهة إليها، فأراد الشيخ أن يداري الضابط عليه ينجو من بطشه فأخبره بأنه حديث العهد في هذا الجامع، ولربما تكون الأسلحة رفقة ذخيرتها الحربية للأشخاص الذين سبقوه في عين المكان، مستذلاً بأهل القرية كونه حديث العهد هنا، إلا أن الضابط العسكري لم يصدق.

التقت الضابط العسكري إلى جنديين كانا بالقرب منه وأمرهما بإخراج كل الحصائر الموجودة به، وأمرهما بعد ذلك بلف تلك الحصائر وربطها على جسد الشيخ الذي سحب إلى وسط الساحة، بعد أن أمر أحد المتعاونين من الحركي بإخبار سكان القرية بأن كل من يتعاون مع الفلاقة سيجد نفس عقوبة هذا الشيخ الذي يحسب نفسه ذكياً يسعى لخداعنا.⁽³⁾

أخرج الضابط الفرنسي من جيبه ولاعة فأشعل نارها في الحصائر لتصرخ النساء هلعاً وأخذ الأطفال في البكاء، وهم يتدافعون نحو الشيخ يريدون إنقاذه من بطش هذا الضابط العسكري، لكن مجهوداتهم باءت بالفشل بسبب محاصرتهم من قبل الجنود الذين كانوا على أهبة الاستعداد للحيلولة دون تمكين الناس من إنقاذ الشيخ الذي راح يصرخ والنار تأكل الحصائر التي تغطي جسده.⁽⁴⁾

10- معركة بوعظم صيف 1957م: كانت سيارة رباعية الدفع فرنسية متجهة من سبت بني شعيب إلى بوعظم من أجل فك الحصار الذي ضربته الكتيبة الكريمة حول جنود فرنسيين آخرين في صيف 1957م

¹- محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص 489.

²- نفسه، ص 490.

³- نفسه، ص ص 490، 491.

⁴- نفسه، ص 491.

بالناحية الثالثة التي يقوده أحمد الموسطاش، حيث كان ضمن الكتيبة كل من عبد الكريم نبار، عبد الكريم عدار، لخضر شكوبي، السي الرشيد، عبد القادر الشرشالي، فريد درامشي، والسي عابد مسئول الفصيلة، وانتهت هذه المعركة بهزيمة القوات الفرنسية وهروبها من أرض الميدان.⁽¹⁾

11- معركة الأزهرية صيف 1957م: انتظر جنود جيش التحرير الوطني يومين كاملين مرور رتل من الجيش الفرنسي عبر طريق الونشريس، بقيادة كل من الجيلالي بونعامة والسي طارق من الولاية التاريخية الخامسة، والذي ينحدر من مدينة تلمسان، وحين وصول قوات الجيش الفرنسي إلى منطقة "عرين الأسود"، اندلعت المعركة بين الطرفين فأُسفرت عن قتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين، فضلا على إسقاط طائرة عسكرية فرنسية كانت تعرف عند المجاهدين باسم "الموشارة"، لتسحب الكتيبة الكريمة منتصرة نحو منطقة باب البكوش.⁽²⁾

12- معركة بوزقزة أوت 1957م: نصب فريق من المجاهدين كمينا لوحدة معادية من جنود الليف الأجنبي يوم 03 أوت 03 في ناحية جبلية تبعد 50 كلم جنوب شرق الجزائر وتحديدا بين مناطق باليسترو، سور الغزلان، المدية، والبليدة، فأُسفر هذا الكمين عن مقتل 56 جنديا فرنسيا، ليقوم الجيش الفرنسي على إثر هذه النتيجة الوخيمة بعملية تمشيط واسعة النطاق تحت قيادة الجنرال أولار وماسو، بالمنطقة للأخذ بثأره من المجاهدين..

حاولت فرقة من فرق جيش التحرير الوطني بفك الحصار المفروض على المنطقة في اليوم الموالي، فاستغلت حلول الظلام لتضرب مؤخرة إحدى وحدات العدو الفرنسي، وقد نجحت في ذاك فعلا بسبب عاملي المفاجأة والمباغطة، وهو مازعزع صفوف الجيش الفرنسي، الأمر الذي جعله جنوده يتركون ساحة المعركة في فزع تام وفوضى عارمة، حيث خلفت هذه المباغطة 100 جندي فرنسي قتيل.

حشد الجيش الفرنسي قواته الضخمة من والمعززة بالطائرات وسلاح المدفعية، وعاد من جديد إلى أرض المعركة، إلا أن ظلام الليل الدامس كان قد منع العدو من التفريق بين الثوار والوحدات التابعة له، فصار يطلق النار على بعضه البعض، وهو الأمر الذي ساعد المجاهدين على الانسحاب.

ارتفعت خسارة الجيش الفرنسي إلى 420 قتيلًا و 500 جريحًا حملتهم طائرات الهليكوبتر، كما أسقطت طائرة مقاتلة، وحجز جيش التحرير الوطني كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة.⁽³⁾

¹- محمد نمار، المرجع السابق، ص 21.

²- نفسه، ص ص 22، 23.

³- جريدة المجاهد، من معارك جيش التحرير: معركة بوزقزة، ع 09، 20/08/1957م، ص 03.

13- معركة المرجة 13 أوت 1957م: جرت وقائع هذه المعركة بين كتيبة أحمد المسطاش التي كانت متمركزة بالمذود بين منطقتي العرايب والذرايع في أعالي جبال الظهرة وتحديدا في حدود منتصف النهار، فاكشف أمرها من طرف القوات الفرنسية المتمركزة في مركز بلعاص، فأغارت عليها الطائرات من "جاغوار" التي أطلق عليها النار من طرف أحد أفراد الكتيبة المدعو عبد الحق تيرار، فاشتعلت بها النيران وسقطت بسفح منحدر بمسكن "غايب ميمون"، فأسرع إليها أحمد سلماوي المدعو مسطاش رفقة جنوده، فغنموا منها بعض الأسلحة الرشاشة.⁽¹⁾

14- معركة وادي سبعون صائفة 1957م: جرت أحداث هذه المرحلة في منطقة وادي سبعون التابعة لمنطقة بطيحة في صيف سنة 1957م، استعملت فيها القوات الفرنسية 12 طائرة حربية، وقد كان المسئول عن المعركة من الجانب النظري "محمد الطامسو"، وغنم المجاهدون كمية هامة من الذخيرة والأسلحة الحربية، منها 45 مات 36-24 فمبار (محروقة)، و02 رشاش (بياس).⁽²⁾

15- معركة الجزائر⁽³⁾ 07 جانفي-08 أكتوبر 1957م: يعود السبب الرئيسي إلى قرار جبهة التحرير الوطني بضرورة نقل الثورة من القرى إلى المدن، وذلك حرصا منها على التأكيد على شمولية الثورة أولا،

¹ - نظيرة شتوان، الثورة التحريرية في الولاية...، المرجع السابق، ص289.

² - نفسه.

³ - **معركة الجزائر:** أطلقت عبارة "معركة الجزائر" على تلك المواجهة الدامية التي جرت بين القوتين الوطنيتين الجزائرية والاستعمارية الفرنسية، بمعنى آخر بين تنظيم المنطقة المستقلة للجزائر Z.A.A والوحدة المظلية العاشرة ¹⁰ D.P. التي يقودها الجنرال "ماسو" وأعوانه العقداء، وهناك من يقسم معركة الجزائر إلى مرحلتين: حيث تبدأ المرحلة الأولى من 07 جانفي 1957م إلى غاية نهاية شهر مارس من نفس السنة، وأهم ما ميز هذه المرحلة هو مشاركة الأوروبيين في العمل المسلح لتنتهي بمغادرة بعض الفرق العسكرية للمنطقة المستقلة ظنا منها أنها انتصرت وقضت على المقاومة بالمنطقة، أما المرحلة الثانية فتبدأ من نهاية شهر مارس إلى غاية يوم 08 أكتوبر 1957م، فقد حرصت السلطات الفرنسية خلال هذه الفترة على إعادة الأمن إلى المنطقة المستقلة للجزائر، وما يجب التنويه إليه هو أن عبارة "معركة الجزائر" هي تسمية تدل على فترة معينة ومحددة من تاريخ الثورة، تعرضت من خلالها المنطقة المستقلة إلى قمع الوحدة المظلية العاشرة، ولا يمكن اعتبارها معركة وإنما هي مرحلة من مراحل الكفاح الثوري الجزائري، بينما يعتبر هنري علاق أن "معركة الجزائر" هي عملية بوليسية دموية ضخمة قامت بها الوحدة المظلية العاشرة بقيادة الجنرال ماسو ورجال الشرطة مستعملين في ذلك الرشاشات والقنابل ضد المدنيين العزل، ضالا عن التعذيب، مضاعفة الاعتقالات التعسفية، والقتل العشوائي بهدف خلق جو من الرعب والخوف في أوساط الجزائريين بدافع عزلهم عن جبهة التحرير الوطني بعد أن استجابوا لأمرها بتنفيذ مخطط إضراب الثمانية أيام، (للمزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لارياس، نبيلة لرياس: حرب المدن "مدينة الجزائر أنموذجا" - 1954م-1962م، إشراف، يحيوي مسعودة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2012م/2013م، ص 122، 123، وهنري علاق، مذكرات جزائرية، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص235).

ولتوضيح للرأي العام العالمي أن كل الشعب الجزائري يسير خلف قيادة الثورة ويؤيد قرار الكفاح المسلح
ثانياً.⁽¹⁾

واصل مسؤولي المنطقة المستقلة تكثيف العمل المسلح كما كان مقرراً في مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م، عن طريق وضع ثلاث قنابل في ثلاث أماكن يرتادها الأوربيون بكثافة وهي: محل "الكوك هاردي"، "مقهى الكافيتيريا"، و"محل الأوتوماتيك" بالرغم من العنف المسلط على سكان مدينة الجزائر، وحملات الاعتقالات المتكررة التي شنها المظليون منذ بداية سنة 1957م، حيث كلفت فتيات جزائريات بهذه المهمة الصعبة، بعد أن قمن بتغيير شكلهن ليسهل عليهن الانخراط في المجتمع الأوروبي بسهولة، بعد أن تخلين عن دراستهن في المدارس والثانويات، ليكلفن بمهام جد حساسة وسرية وهي جمع المعلومات⁽²⁾ وتنفيذ العمليات داخل المدن، عن طريق نقل المتفجرات من مكان لآخر، فأطلقت عليهن تسمية "واضعات القنابل" و"حاملات النار" أو "فدائيات القصبه"، والفدائي أو الفدائية هو شخص معرض للموت في أي لحظة سواء نتيجة خطأ ارتكبه أثناء وضعه للقنبلة، أو انفجار هذه الأخيرة قبل موعدها المحدد بسبب خطب ما أحدث خلافاً في تركيبها، أو بسبب مخالفته لتعاليم جبهة التحرير الوطني.⁽³⁾

تم تفجير الأماكن الثلاثة السالفة الذكر عشية إضراب الثمانية أيام والموافق لـ 27 جانفي 1957م، بعد أن تولت جميلة بوعزة⁽⁴⁾ مهمة تفجير محل "الكوك هاردي"، مع العلم أن هذه العملية هي الأكثر خطراً كونها اجتازت القصبه السفلى لإخراج القنبلة، ثم وضعتها في المحل الذي كان شديد الازدحام بمرتديه.⁽⁵⁾

¹- Ted MORGAN, My battle of Algies, traduction : Alfred DE MONTESQUIOU, Edition Taillandier, 2016; p213.

²- نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص135.

³- Yacef SAADI, Archives Francaise sur la zone historique Dalger, p02.

⁴- **جميلة بوعزة**: كانت تعمل جميلة بوعزة ضمن قس الصكوك البريدية كموظفة بسيطة، ثم انضمت إلى المجموعات المسلحة في منطقة الجزائر المستقلة، وهي عضوة في شبكة القنابل، اعتقلت سنة 1957م رفقة طالب عبد الرحمان وعبد الغاني مرسالي، تعرضت لأشد أنواع التعذيب رفقة جميلة بوحيرد حتى اتهمت في محاكتها بالجنون، حكم عليها بالإعدام، ليتم العفو عنها سنة 1958م، وأطلق سراحها سنة 1962م، (للمزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص136).

⁵- نفسه، ص136.

أوكلت مهمة وضع قنبلة محل "الأوتوماتيك" لزهية خلف الله رفقة دانيال مين⁽¹⁾، أما قنبلة مقهى "الكافيتيريا" فقد سلمت لفضيلة عطية⁽²⁾، لتخلف هذه العمليات خمسة قتلى وأربعة وثلاثين جريحاً، في حين يذهب مارسال بيجار إلى عشرين فرداً ما بين القتل والجريح، كما تسبب هذه العمليات التفجيرية في سيطرة الخوف والرعب على حياة المستوطنين من جراء هذه العمليات الفدائية، وهذا ما أشار إليه بن يوسف بن خدة حين قال: "وفي 26 جانفي 1957م، وقبل الإضراب بثلاثة أيام فقط قامت جماعة فدائية من بين الجماعات العاملة بحي القصبة، بوضع متفجرات في مقهى "الأوتوماتيك" وسقط نتيجة لذلك العديد من القتلى والجرحى في أوساط الفرنسيين، فكان وقع هذه العملية على الأوروبيين مثل الزلزال المدمر، وفقد نتيجة لذلك أيضاً الكثير أعصابهم وانهارت معنوياتهم، ومنذ ذلك الحين أصبحنا نشاهد الخوف بدأ يتمكن من نفوسهم ويسيطر عليهم حتى إذا جاء الاستقلال في عام 1962م، رأيناهم يغادرون البلاد بفعل هاجس الخوف الذي تولد في ضخام الثورة وتضاعف بتطور الحرب، وتعمق بالكتابات الصحفية المثيرة"⁽³⁾.

تميزت سنة 1957م بتصاعد ظاهرة القمع في العديد من المدن خاصة من طرف فرقة المظليين، لا سيما أثناء إضراب الثمانية أيام (28 جانفي-03 فيفري)، لإذ كان له صدى واسعاً على الرغم من تكالب الجلادين الفرنسيين لتكميم الأفواه وإجهاض الحركة، كما تشهد على ذلك جريدة Le monde الفرنسية، وقد نجح الإضراب في تحقيق أهدافه بنسبة 90% في العديد من مدن الولاية الرابعة، وعلى رأسها: البلدية، شرشال، الشلف، الأربعاء، والتي واكبت حراك سكان الجزائر العاصمة، أما قوات الجيش الفرنسي، فبالرغم

¹- دانيال مين: ولدت دانيال جميلة عمران مين يوم 13 أوت 1939م، يطلق عليها اسم "جميلة عمران" وهي ابنة كل من جاكليين غروج وعبد القادر غروج، كانت عضوة في الشبكات المسلحة C.D.L، انضمت إلى صفوف جبهة التحرير الوطني في شبكة واضعي القنابل التابعة لياسف سعدي، وهي تبلغ من العمر 17 سنة، ناضلت أثناء معركة الجزائر من أجل حرية هذه الأخيرة واستقلالها، ألقي عليها القبض وحكم عليها بسبع سنوات سجنًا، كما حكم على زهية خلف الله بالإعدام ثم العفو عنها سنة 1958م، (للمزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص 137).

²- فضيلة عطية: المدعوة "ملكة مايكوس"، برعت في العمل الاستخباراتي وفي عمليات وضع القنابل، بدأت العمل في الحكومة العامة أين كانت تقوم بعمل محدد في مكتب "روبير لاکوست"، ويقول عنها "ريموند كلوراك" مساعد سابق في الفرقة المظلية الثالثة: "كانت جاسوساً بالمعنى الحقيقي، لأننا اكتشفنا أنها أخذت جميع الوثائق والمعلومات السرية للغاية عن سلطاتنا، كانت تتجول في شوارع المدينة بكل سهولة، وفي الوقت الذي كنا نبتسم فيه لها، كانت هي تأخذ وثائق من مكتب روبير لاکوست وتسلمها لمسؤولي الثورة"، (للمزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص 137).

³- بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، المرجع السابق، ص 120.

من تعبئتها لكل قواتها الخاصة واستخدامها لجميع الوسائل والصلاحيات المتاحة لها فإنها لم تتجح سوى في تخريب المحلات ونهب السلع ونقل العمال تحت التهديد والوعيد لإرغامهم على هذا الفعل.⁽¹⁾

تواصلت عمليات الاعتقال والقمع بعد إعلان إضراب الثمانية أيام، كما تم اقتياد الجزائريين إلى مراكز التعذيب بطريقة عشوائية، فضلا عن مراقبة وتفتيش شوارع ومنازل الأشخاص المشبوه فيهم، خاصة وأن الوحدة المظلية العاشرة كانت قد تمكنت هذه الفترة من وضع تصور تقريبي عن جذور التنظيم الثوري في المنطقة المستقلة، كما واصلت فرنسا سياستها القمعية ضد الجزائريين بهدف إلقاء القبض على أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ومسؤولي المنطقة المستقلة للجزائر.⁽²⁾

أحدث إضراب الثمانية زعزعة في الإدارة الاستعمارية الفرنسية، كما أثر بشكل كبير على السكان المستوطنين بمدينة الجزائر، فجعلهم يعيشون حالة من الفوضى والاستقرار، وذلك نظرا للتأييد الذي تلقاه من الشعب الجزائري عامة، ولكونه أثبت بأن جبهة التحرير الوطني هي الجهاز الرئيسي في المقاومة الجزائرية خاصة، ليبهرن بذلك على نجاعة الاضراب ونجاحه.⁽³⁾

كانت مصالح الشرطة الفرنسية وفرق المظليين يهجمون على بيوت مدينة الجزائر، فيقتحمونها الواحد منها تلو الآخر ويخرجون منها سكانها بكل عنف ووحشية مكسبين إياهم بعضا فوق البعض في الشاحنات العسكرية، تحت وابل من الضربات بأعناق البنادق والعصي والأرجل، كما كانوا يوجهون حملاتهم المختلطة في أي اتجاه ونحو أي مصلحة أو مشغل أو أي مكان عمل بطريقة عشوائية، وحول هذا الصدد يقول الجنرال ماسو: "كان الفتح الإجمالي للمحلات والأسواق إحدى الأعمال الأكثر جلبا للأنظار في تلك الصبيحة، كانت المهمة سهلة في بعض الحالات حيث وبعثور المظليين عليه، لم يكن يجد التاجر المرغم على الإضراب بدا من رفع الستار الحديدي لمحله، وأمام جبهة التحرير الوطني يمكن أن يقدم العذر عن فعل ذلك بأنه كان مجبرا"،⁽⁴⁾ وهذا تطبيقا لقرارات مرسوم 07 جانفي 1957م الذي خول للجنرال ماسو وفرقة المظليين العاشرة كافة صلاحيات الشرطة، والتي بموجبها تكلفها بمهمة تولي القضاء على الإرهاب بالمدينة وإفشال قرار الإضراب.⁽⁵⁾

¹ - محمد تقيّة، حرب التحرير في الولاية الرابعة، المرجع السابق، ص 67، 68.

² - نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص 150.

³ - Yves COURRIERE, La guerre d Algérie –Les temps des léopards-, Algérie : Edition Casbah, p390.

⁴ - سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، الجزائر: منشورات دحلب، 2007م، ص 50.

⁵ - جيلالي صاري، ثمانية أيام من معركة الجزائر (28 جانفي - 04 فيفري 1957م)، تر، خليل أوداينية، الجزائر: موفم للنشر، 2012م، ص 39.

يضيف الجنرال ماسو حديثه عن الحادثة قائلا: "وإذا ما كان التاجر قد أحسن الإختباء أو أضع لسوء الصدف مفاتيح الستار الحديدي، فلم تكن الأمور تتعطل، حيث لا يمكن لأي ستار حديدي الصمود أمام جر الشاحنات العسكرية من نوع (GMC).

قرر الكولونال "أرقو" قائد القطاع الفرعي بإحدى قرلى متيجة اتخاذ إجراءات مثيرة للغاية ضد التجار المضربين منذ الساعات الأولى من يوم الأربعاء 28 جانفي 1957م، حيث اتجه رفقة البعض من ضباطه صوب الساحة الكبرى للمدينة، -مع العلم أن مصفحة من فرقته التابعة للقنصاة الثالثة الإفريقية كانت تتبعه-، فوقف وسط هذه الأخيرة ونادى بأعلى صوته معطيا الأوامر بفتح كل الستائر الحديدية التي كانت تغطي أبواب الدكاكين والمتاجر، وعندما لم يرفع أي ستار قال: "إذن، وباختصار، تلك هي مشيئكم، فغضب السماء سينصب عليكم"، وما هي إلا لحظات حتى قامت المصفحة بإشارة منه بإلقاء قنبلة صوب الستار الحديدي الذي كان يقابلها، ليخلف هذا الانفجار وابلا ضخما من الحطام، ثم أضاف أرقو قائلا: "لقد شئتم ذلك".⁽¹⁾

اتخذت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إجراءات صارمة بخصوص منطقة الجزائر المستقلة سنة 1957م، وذلك نظرا للوضع الخاص الذي عرفته المنطقة إبان هذه الفترة من تصاعد الكفاح المسلح بالجزائر العاصمة، فجعلت منها منطقة خاصة ومنفصلة عن باقي مناطق الجزائر، يوجب التنقل إليها الحصول على رخصة من الإدارة الاستعمارية.⁽²⁾

قام تنظيم جبهة التحرير الوطني بعمليات فردية وهجمات بالأسلحة الأبيض ورمي قنابل يدوية داخل مقاهي يومي 08 و 09 فيفري 1957م، مخلفة قتيلين واثني عشر جريحا، فضلا عن القنابل التي تم وضعها في ملعب الرويسو وملعب الأبيار يوم 10 فيفري 1957م، ردا على همجية الاستعمار الفرنسي موضحين أن تنظيم جبهة التحرير الوطني لازال قائما حتى بعد إضراب الثمانية أيام، وهو ما سنفصل فيه في الفقرة الموالية.

اتصل ياسف سعدي بمجموعتين مسلحتين واحدة من "بلكور" والثنية من "كولسالمبي" واللذان كانتا مستعدتين للعمل المسلح شهر فيفري 1957م، وكلف علي لابوانت بإعادة ربط العلاقات مع مجموعة من الشباب التي كانت متكونة من: حميدة راضي، بوعلام رحال، محمد بلامين، بوجمعة بلامين، فرحات

¹ - سعد دحلب، المرجع السابق، ص 51.

² - Commandant AZZEDINE. ET Alger ne brula pas, Algérie : Edition ENAG, 2012, 213.

أحسن، جوهر أكرور، باية حسين،⁽¹⁾ وسيد المدعو "Le Mince" بالرغم من تطويق الجيش الفرنسي للمنطقة المستقلة.⁽²⁾

كان على المجموعة الأولى المتكونة من محمد بلامين، بوجمعة بلامين، وباية حسين البالغة من العمر 16 سنة آنذاك وضع قنبلتين في ملعب الأبيار، أما المجموعة الثانية من الفدائيين فقد توجهت إلى ملعب الرويسو، أين نقلت جوهر أكرور القنبلة وأعطتها لبوعلام رحال في الملعب، فقام هذا الأخير بوضعها ثم غادر المكان، وفي هذا الصدد تقول جوهر أكرور: "كنا في الملعب البلدي، كان يرفقني بوعلام رحال الذي أعدم في فبراير 1957م وعمره 19 سنة، وضعنا القنبلة وغادرنا المكان بسرعة".

انفجرت القنابل في مدرجات الملعب البلدي ببلكور وبملعب الأبيار مخلفة أحد عشر قتيلًا وستة وخمسين جريحًا، وكعاقبته كان رد فعل الاستعمار الفرنسي عنيفًا فقد قام بحملات الضرب والقتل العشوائي ضد الجزائريين، نتج عنه مقتل ثلاثة أشخاص بالرغم من تدخل الشرطة الفرنسية.⁽³⁾

استمرت سياسة الاعتقالات بشكل واسع وسط سكان المنطقة المنطقة المستقلة بعد هذه العمليات الفدائية، فقد قام الجنرال "جاك ماسو" بعرض نتائج عمل المظليين كونهم اعتقلوا 488 شخصًا خلال 24 يومًا حسب ما جاء في جريدة "Leco d'Alger"، كما أصدرت فرقة المظليين الثالثة العاملة بالمستعمرات التابعة لبيجار نتائج عملها خلال شهري فيفري ومارس 1957م على النحو التالي:

- اكتشاف 25 قنبلة خلال هذا الفترة وإيقاف حوالي 343 مناضل من جبهة التحرير الوطني و197 فدائي والقضاء على 70 آخرين.

- تم حجز كمية كبيرة من الأسلحة والمتفجرات، أربعة مسدسات رشاشة، 176 مسدس آلي، 144 بندقية صيد، أما المتفجرات فقد تم حجز حوالي 87 قنبلة، 80 كلغ من المتفجرات، 800م من الأسلاك المستعملة للتفجير.

¹- باية حسين: ولدت يوم 20 ماي 1940م بالقصبة في الجزائر العاصمة، من أسرة ميسورة الحال، كانت عضوة ضمن شبك القنابل لياسف سعدي، حاملة لمستوى ثانوي وساهمت في إضراب ماي 1956م، أُلقي عليها القبض في فيفري 1957م بعد وضع قنابل الملاعب مع جوهر أكرور، حكم عليها بالإعدام من قبل محكمة القوى العسكرية بالجزائر وعمرها 17 سنة، ثم عفي عنها وبقيت في السجن إلى غاية نهاية حرب التحرير، (للزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص151).

²- نفسه، ص150.

³- نفسه، ص151.

- قدرت السلطات الاستعمارية الفرنسية الذخيرة الحربية بحوالي: 5000 خرطوشة من عيار 7.5، 3500 بندقية صيد و 7000 كبسولة، بالإضافة إلى أشياء أخرى كبطاقات التعريف المزورة التي كان يستعملها المناضلون أثناء التنقل.⁽¹⁾

تمكنت الوحدة المظلية العاشرة يوم 16 فيفري 1957م من معرفة أن قنابل جبهة التحرير الوطني كانت تصنع في منزل مصطفى بوحيرد الذي تم اعتقاله يوم 14 مارس من نفس السنة، كما تم اكتشاف 34 قنبلة و 47 رمانة و 100 كلغ من المتفجرات فضلا عن العديد من الأسلحة الفردية في عدة مخابئ للأسلحة والقنابل يوم 18 فيفري 1957م.

استمرت عملية البحث عن فدائي المنطقة المستقلة للجزائر بطريقة وحشية من قبل المظليين، معتبرين أنه مادام أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ومسؤولي المنطقة موجودين في العاصمة فإن مهمتهم لن تنتهي بعد، فتواصلت حملة الاعتقالات والتعذيب لينتهي الأمر بإلقاء القبض على أحد كبار الثوار الجزائريين وهو محمد العربي بن مهيدي، وكان هذا هو هدف الجنرال جاك ماسو الأساسي.⁽²⁾

واصل الفدائيون ضرباتهم في النقاط الحساسة من قلب الأحياء الأوروبية وضواحيها، بعد تنظيم شبكات الاتصال بين المناضلين ويظهر ذلك في القنابل التي وضعت يوم 03 جوان من سنة 1957م، ليسكن الخوف والرعب نفوس الكستوطنين مرة أخرى.

انفجرت ثلاثة قنابل مخبأة داخل المصابيح الكهربائية المركزة يوم 03 جوان 1957م على مقربة من محطات الحافلات في الأماكن التالية: Alfred Lelouch, Carrefour de LAgha, Station du Moulin، وفي لحظة بلوغ الازدحام ذروته أصابت قطع القنابل المتناثرة العمال الأوروبيين والجزائريين الذين كانوا ينتظرون الحافلة.

ترجع فكرة استعمال القنابل داخل المصابيح المركزة للإنارة الموجودة أمام محطات الترام إلى رضا حطاب، ردا على العمل الإجرامي للجنود الفرنسيين ضد جزائريين أبرياء بأحد الحمامات في مدينة الجزائر، وحسب ياسف سعدي فقد قام بهذه العملية كا من نور الد زمنزر وعبد النور مهداوي، حيث كان الاثنان يعملان بالبريد والمواصلات، إضافة إلى محمد ستاسعيد والذي كان عضوا في شبكة القنابل والمجموعات المسلحة، ومحمود برامي أمين مخزن شركة الكهرباء والغاز للجزائر الذي أمدهم بكل ما يحتاجونه من

¹- نبيلة لارباس، المرجع السابق، ص152.

²- نفسه، ص153.

لباس خاص بالشركة والمفاتيح التي تستعمل لذلك الغرض، وقد أسفرت هذه التفجيرات عن عشرة قتلى واثنتين وثلاثين جريحا.⁽¹⁾

ترجع فكرة وضع قنبلة بمقهى لاكورنيش يوم 09 جوان 1957م إلى أحمد بن شيشة،⁽²⁾ أما وضعها فكان الناس إمخلف البالغ من العمر ثمانية عشر سنة، والذي كان عاملا في الكازينو، فتمثلت مهمته في وضع القنبلة ثم مغادرة المنطقة المستقلة مباشرة والالتحاق بجيش التحرير الوطني، وقد تم هذا صبيحة يوم 09 جوان 1957م حين تسلم إمخلف القنبلة التي كانت ترن 02 كلغ من أحمد بوشيشة ووضعها تحت منصة المعزف بخفية وحذر شديدين، ثم التحق بالمجاهدين في الولاية الرابعة التاريخية كما جرى الاتفاق، أما أحمد بن شيشة فقد كان عليه الالتحاق بمنطقة القبائل.⁽³⁾

يعود سبب اختيار مكان "ملهى لاكورنيش" لكونه كان بعيدا عن التجمعات السكنية، كما كان يرتاده فقط الشباب من العسكريين الفرنسيين ومفتشي الشرطة، وقد كانت حصيلة العملية مقدرة بثلاثة وعشرين قتيلا وثلاثة وثمانين جريحا.

قام المتطرفون بأعمال إجرامية عن طريق نهب العشرات من المحلات التجارية وسرقتها، فضلا عن حرق السيارات وقتل المارين بدون سبب، مخلفين بذلك ستة قتلى وخمسين جريحا، والشرطة الفرنسية كعادتها أظهرت تعاطفها مع جماعة المتطرفين، كما زاد الجنرال جاك ماسو من قمعه على المنطقة المستقلة، ثم حول هذا الملهى لاحقا إلى مركز للاستتطاق والتعذيب على غرار العديد من المراكز الأخرى التي استخدمتها فرق الجنرال ماسو لنفس الغرض.⁽⁴⁾

اهتم العنصر النسوي بالعمل الفدائي ونقل القنابل والمتفجرات ووضعها في الملاهي والمقاهي الفرنسية بوضوح النهار، بالموازاة مع تسليم السلاح والمتفجرات للفدائيين، كما قام بعملية الاستطلاع لتأمين الطريق للفدائيين ومسؤولي لجنة التنسيق والتنفيذ، وهذا ما تسبب في إحداث الذعر في نفوس الأوروبيين

¹ - نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص 160.

² - أحمد بن شيشة: ولد أحمد بن شيشة المدعو حمدود يوم 16 أكتوبر 1933م بحسين داي، كان مناضلا في خلية بالعناصر في بداية سنوات 1955م والتي كان مسؤولها أحمد زواوي المدعو الحاج، ثم أصبح مساعدا عسكريا لعلي مولاي، قام بالعديد من لأعمال المسلحة ضد عساكر الجيش الفرنسي، منها تلك الموجهة ضد السينما "إيتوال" بحسين داي يوم 23 جوان 1957م، كان حلالها برفقة عبد اللالي بوقادوم والسعيد باكال، (للمزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص 161).

³ - نبيلة لارياس، المرجع السابق، ص 161.

⁴ - نفسه، ص 162.

والمستوطنين بالجزائر، حيث كانت الفدائية تنفذ عملياتها العسكرية في المدن وسط السكان وفي وضوح النهار، من دون أن ترتدي الزي العسكري بلباس أوروبي حتى يسهل عليها التوغل في الأوساط الفرنسية بدون أن تتلقى أية مشكلة، متسمة بالشجاعة الفائقة وكمال الصبر المنقطع النظير.⁽¹⁾

قرر مسؤولي المنطقة المستقلة وضع ثلاث قنابل في الحي الأوروبي ردا على السياسة الفرنسية الاستعمارية المطبقة في السجون، والمتمثلة في تنفيذ الإعدام في حق المناضلين الجزائريين منذ شهر جوان من عام 1956م من جهة، ومن جهة أخرى للثأر للشعب الجزائري بعد مجزرة شارع التبس، ولأجل ذلك أعد طالب عبد الرحمان القنابل الأولى لجبهة التحرير الوطني يوم 30 سبتمبر من عام 1956م، وأسندت مهمة وضع هذه الأخيرة لكل من: الزهرة ظريف، سامية لخضاري، وجميلة بوحيرد.

كلفتم الزهرة ظريف بوضع قنبلة في مقهى "الملك بار" الكائن بساحة بيجو (ساحة الأمير عبد القادر حاليا)،⁽²⁾ حيث كان هذا المقهى مكانا للقاء الأقدام السوداء، للتهمة السلطات الاستعمارية الفرنسية "نيللي فورغات" بكونها هي من وضعت قنبلة "الملك بار"، أما سامية لخضاري فقد وضعت قنبلتها رفقة والدتها في كافيتيريا بشارع ميشلي (ديدوش مراد حاليا)، في حين كلفت جميلة بوحيرد بوضع قنبلة بمقر مؤسسة الخطوط الجوية الفرنسية بساحة "لموريتانيا".

انفجرت كل من قنبلتي زهرة ظريف وسامية لخضاري في وقتها المحدد مخلفتان أربعة قتلى واثنان وخمسين جريحا، بينما لم تنفجر قنبلة جميلة بوحيرد لأسباب تقنية.⁽³⁾

برهنت العمليات الفدائية المنفذة من طرف الفوج النسوي يوم 30 سبتمبر 1956م بالجزائر العاصمة أن جبهة التحرير الوطن هي الممثلة الشرعية والوحيدة للجزائريين، وفي هذا الصدد يقول بن يوسف بن خدة: "إن قنابل 30 سبتمبر 1956م قد بينت بأن جبهة التحرير الوطني قد اقتحمت خط الخطر في المنطقة المستقلة، وأصبحت تتجراً على القيام بأي عمل كان لتثبت وجودها في العاصمة".⁽⁴⁾

أثرت العمليات الفدائية التي نفذتها فدائيات جبهة التحرير الوطني بمدينة الجزائر في الأماكن العمومية على نفسية السكان الأوربيين، حيث أضحى المستوطنين لايشعرون بالأمان في الأماكن التي اعتادوا ارتيادها، وصارت تملأ حياتهم حالات من الرعب والقلق، وهذا ماأكده الجنيرال ماسو في قوله:

¹ - نبيلة لارباس، المرجع السابق، ص111.

² - نفسه، ص112.

³ - نفسه، ص113.

⁴ - Benyoucef BEN KHEDDA , **Alger, capital de la résistance -1956-1957-**, Editions Houma, T2, Bouzereah, Algérie, 2005, p39.

"منذ سبتمبر 1956م، أصبحت مدينة الجزائر تعيش جوا من الخوف والذعر والرعب بسبب قنابل جبهة التحرير الوطني".⁽¹⁾

كلف فرناند إيفتون⁽²⁾ بوضع قنبلة في محطة توليد الكهرباء والغاز بالحامة يوم 14 نوفمبر 1956م وهو مكان عمله، حيث هدفت هذه العملية إلى تخريب أنبوب الغاز فقط دون إحداث خسائر بشرية، وقد اتخذت كل الإجراءات اللازمة لذلك.

قام طالب عبد الرحمان بتحضير قنبلتين واحدة أسماها "جاكلين" والثانية أطلق عليها اسم "بيتي"، ثم كلف المناضلة "جاكلين غروج"⁽³⁾ بنقل هاتين القنبلتين وتسليمهما إلى فرناند إيفتون، ليرفض هذا الأخير أخذ القنبلتين الاثنتين لأنه كان قد جرى الاتفاق على أن يقوم بوضع قنبلة واحدة فقط، فوضعها في خزانة الثياب المتواجدة بالمصنع، إلا أنها لم تنفجر بسبب اكتشافها من قبل عامل في مصنع الغاز بسبب دقاتها العالية الصوت، وهذا مآدى إلى إلقاء القبض عليه من طرف السلطات الفرنسية، خاصة بعدما تأكدت من أنه صاحب القنبلة بعد أن وجدت بحوزته تعليمات تبين وجود قنبلة ثانية.⁽⁴⁾

أقامت الفرقة المظلية العاشرة ثكنات على أسطح حي القصبة في شهر فيفري من عام 1957م، فحولته بذلك إلى مخيم تجميع هائل فكانت تقوم دوريات مكونة من الجنود بأعمال التفتيش مدة أربعة وعشرين ساعة في اليوم، فتقوم بتفتيش كل مسكن وكل ركن تفتيشا دقيقا، وهو ماجعل ياسف سعدي

¹- Jaques MASS , Le vrai bataille d'Alger, librairie Jules Tallandier, Paris, France, 1971, p38.

²-فرناند إيفتون: ولد فرناند إيفتون بالجزائر العاصمة، اشتغل خراطا بشركة الكهرباء والغاز بالجزائر، انضم سنة 1956م إلى جبهة التحرير الوطني، وقد كان قبل ذلك قد شارك في العديد من الأعمال التخريبية مثل: تدمير عربات القطار بالميناء وحرق مصنع سدادات الفلين الدولية، وهو الأوروبي الوحيد الذي نفذ فيه الإعدام في سجن بارباروس بعد تعريضه لأشد أنواع التعذيب يوم 24 نوفمبر 1956م، لينفذ فيه الحكم يوم 11 فيفري 1957م بعد أن فشل محاميه في النجاح بطلب العفو عنه رفقة كل من: محمد أونوري، ومحمد لخناش، وكان فرناند إيفتون قد قال قبل إعدامه: "أتمنى لو أن واحدا في هذا المكان يستطيع إعلام رسالتي الأخيرة، سلام إلى كل الرفاق، حياة إنسان، حياتي ليست بشيء، ما يهم هو الجزائر، مستقبلا، الجزائر سوف تتحرر غدا"، (للمزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لاربايس، المرجع السابق، ص114).

³- جاغلين غروج: ولدت جاغلين قروج بمدينة ريوان في فرنسا سنة 1919م، جاءت إلى الجزائر سنة 1948م كمعلمة لغة فرنسية بشتوان في مدرسة بالقرب من مدينة تلمسان، خلال الفترة الممتدة ما بين (1948م-1955م)، كانت عضوا ضمن C.D.L، لتلتحق عام 1956م بجبهة التحرير الوطني كعون اتصال، اعتقلت سنة 1957م وحكم عليها بالإعدام في قضية فرناند إيفتون خلال حرب التحرير الجزائرية، إلا أنه لم ينفذ فيها الحكم، كما كانت ابنتها "دانيال مين" أيضا مجاهدة ضمن شبكة القنابل في المنطقة المستقلة في الولاية الرابعة التاريخية، اعتقلت هي الأخرى سنة 1957م وحكم عليها بسبع سنوات سجنا، (للمزيد من المعلومات أنظر: نبيلة لاربايس، المرجع السابق ص ص114، 115).

⁴- نبيلة لاربايس، المرجع السابق، ص ص115، 116.

يشطر لتغيير مخبأه سبعة عشر مرة رفقة حسيبة بن بوعلي رزهره ظريف وجميلة بوحيرد وعلي لابوانت والشريف ذبيح المدعو السي مراد ووابن أخ ياسف سعدي الصغير عمر.⁽¹⁾

لم يقتصر ترك أحياء القصبة على ياسف سعدي ورفقاءه قط، بل تعدى ذلك إلى كل جهاز التنسيق والتنفيذ، فقد ترك المدينة كلا من كريم بلقاسم، بن يوسف بن خدة، عبان رمضان، سعد دحلب، ومحمد العربي بن مهيدي يوم الأحد 24 فيفري من عام 1957.⁽²⁾

16. معركة بني بوستور الثانية 16 جانفي 1958م: عقد اجتماع يوم 15 جانفي 1958م في منطقة أولاد علي، التابعة لبني بوستور على الساعة الرابعة مساء، حضره حوالي مائتي من المجاهدين من بينهم المجاهد السي الطاهر لغواطي المنحدر من الأغواط، والسي عمر المنحدر من البليدة فضلا عن مسئولين كثيرين، فقد كان الهدف من هذا الاجتماع هو ضبط المهام الجديدة للمناضلين، وصادفت هذه الفترة أن فيضانا كان يعم الوادي، الأمر الذي عرقل تحركات المجاهدين مما منعهم من التنقل، فبقيت الكتيبة الكريمة معسكرة في بني بوستور لمدة ثلاثة أيام.

تلقت الكتيبة الكريمة الدعم من الفصيلة التي كان يقودها المجاهد السي علي من الحدود الجزائرية الغربية، فصار مجموع الفصائل يشكل مائتي وعشرين من المجاهدين، وكان بحوزتهم أسلحة مختلفة من بينها "30 أمريكي".

وصل الكتيبة اتصال على الساعة الحادية عشر والنصف صباحا يقول أن العسكر الفرنسي قد خرب بيوت وأكواخ الجزائريين على ضعفها وفقرها، كما سرقت الحلي على بساطتها وتم الاستيلاء على الأثاث على قلته، فضلا عن تدمير الحول والغلال على ضآلتها، وما كان من هذا الخبر إلا أن يدفع الكتيبة الكريمة على عقد اجتماع عاجل تحت هطول الأمطار، متخذين قرارا بضرورة الانتقام من الجنود الفرنسيين على عملهم اللاإنساني، وإعادة الاعتبار إلى السكان الجزائريين.

أمر كل من محمد الصغير نمار وأحمد البريزياني بفتح الطريق أمام تقدم المجاهدين، كونها يعرفان المنطقة جيدا، وكان المجاهد المدعو السي سيد علي يتقدم فصيلته وقد نصبت كميناً⁽³⁾ محكما جهة الوادي، بينما قامت الفصائل الأخرى كذلك بدور إحكام الحصافي الجوانب الأخرى، ومن هذه الفصائل نذكر: فصيلة السي عمر والسي لخضر شكوبي والسعيد السعدي المدعو السي رشيد، وعبد القادر حمري

¹ - ياسف سعدي، ذكريات معركة الجزائر، تر، إبراهيم حنفي، مرا، صادق حلاق، الجزائر: دار القومية، 2012م، ص30.

² - Yves COURIERRE, La guerre d'Algérie - L'heure des colonels-, Algérie : Edition Casbah, p05.

³ - محمد نمار، المرجع السابق، ص23.

المدعو السي الصغير، أما فيما يخص الأسلحة فقد كانت معهم قطعة ثلاثين أمريكان قاموا بنقلها فوق قمة تسمى "لازرو"، بعد أن قام برفع القطع المشكلة لها حوالي 20 من المجاهدين لأنها ثقيلة، حيث أنها كانت مخصصة فقط لضرب طائرات الاستعمار الفرنسي.

شاهدت العساكر الفرنسية فصائل الكتيبة من بعيد، وكونهم كانوا يرتدون ملابس عسكرية جديدة، فقد حسبتهم زملاء لها فتقدمت نحوهم ولك تحرك ساكنا، فقام المجاهدون بمحاصرتهم وقضو على بعضهم، بينما ألقوا القبض على البعض الآخر، في حين هرب ثمانية منهم نحو جهة السد، وهو مكان التواجد المركز لقوات الجيش الفرنسي.⁽¹⁾

استطاعت الكتيبة أن تقوم بأسر تسعين جنديا من بينهم سبعة وعشرين جنديا فرنسيا، ومن بينهم مسئول الاتصالات السلكية واللاسلكية، والذي كان بحوزته ثلاثة أجهزة اتصال "ترانميسيون"، اثنان من النوع الكبير، وواحد من النوع الصغير، وحول هذه الحادثة يقول محمد الصغير نمار: "ولأن المجاهد السي الطاهر كان قد حارب في حرب الهند الصينية، وكانت له معارف بمثل هذه المواقف، ولأنه كان يجيد التحدث باللغة الفرنسية، فقد تحدث مع الأسير الملازم الأول الفرنسي الذي قال للمجاهد السي الطاهر بالفرنسية: "لستم أنتم الذين قبضتم علينا، بل فرنسا هي التي دفعتنا إلى أن نقبضوا علينا، لقد قالوا لنا عنكم بأنكم غير منظمين وأنكم خارجون عن القانون، ولكننا في الواقع وجدناكم وطنيين ومنظمين ومسلحين أحسن منا"، وبعد ذلك أمره السي الطاهر بالتحدث مع طياري الطائرات العسكرية الفرنسية⁽²⁾ التي كانت تحوم على بعد قريب منا من أجل تقديم الدعم لهم، وأمره بمراوغتها بإخبار الطيارين بأن لا شيء حدث، وأن عليهم أن يعودوا من حيث جاؤوا، وفعلا رجعت الطائرات وانطلق الشعب اللاجئ من بني بوستور نحو أولاد علي، فرحا بالنصر وهو مستبشر بالهتافات والزغاريد".

قام جنود جيش التحرير الوطني باسترجاع الحلي المسروقة والتي كان قد نهبها الجنود الفرنسيون، والتي وجدوها في جيوب عناصر الخونة الذين كانوا في الجيش الاستعماري الفرنسي، فقاموا بإعادته إلى أهله، كما قاموا بتجميع السلاح الفرنسي على حدى، والألبسة على حدى، ثم صعدوا إلى قمة مرتفع "الحاج أحمد" أين كانت الساعة تشير إلى حدود الواحدة والنصف عندما وضعوا الخونة إلى جهة والجرحى إلى جهة أخرى والمسؤولين الفرنسيين إلى جهة أخرى كذلك، وبالمقابل تم وضع مجندي الخدمة العسكرية على جهة أخرى منفصلة عن البقية.

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 24.

² - نفسه.

اتجهت فصائل الكتيبة الكريمة إلى الناحية الأولى، ثم إلى برج بونعامة، وهذا بغية تسليم الأسرى إلى منظمة الصليب الأحمر الدولي في الخارج من أجل القيام بالدعاية اللازمة داخل المجتمع الدولي لمصلحة القضية الوطنية الجزائرية العادلة، مع العلم أن الأسرى الذين تفهمت جبهة التحرير الوطني ظروفهم هم مجندي الخدمة العسكرية الفرنسية، والذين تم إطلاق سراحهم بعدما احتفظوا بهم لمدة شهرين كاملين للغرض السالف الذكر.⁽¹⁾

قامت فرنسا برد عنيف ضد السكان المدنيين من بينهم: أب المجاهد باشوشي الذي يدعى "البريزياني"، وجد محمد الصغير نمار أحمد نمار بن قدور، فقاموا بحرق ما بقي من المنازل والسطو على ما كانوا يكسبون من الأنعام والطعام (العولة)، كما قاموا بأسر كل من وقع في قبضتهم. توجهت الكتيبة بعد أيام من ذلك التاريخ إلى أولاد بن عبد القادر مصطحبين معهم قطعة بازوكا، فضربوا القوات الاستعمارية المتمركزة هناك وحطموا لهم برج المراقبة (قاريطا)، ففضو على عدد منهم، ليعودوا من جديد إلى منطقة الونشريس.⁽²⁾

17. معركة بوقايد شتاء 1958م: قامت الكتيبة الكريمة بالهجوم على الجيش الفرنسي في منطقة ما بين الكيفان ببوقايد، فقد كان أعضاء الكتيبة آنذاك حالي مائة وخمسة وأربعين مجاهدا، واستمرت المعركة من الساعة التاسعة ليلا إلى غاية الساعة الثالثة صباحا، في جو ممطر يصحبه تساقط الثلوج، حين قام المجاهد سرباح بوضع لغم أدى إلى انقلاب الشاحنة الفرنسية "ليفتراك"، مما أدى إلى القضاء على ثلاثة عشر عسكريا فرنسيا، الأمر الذي دفع بالفرنسيين إلى الاستغناء عن هذا الموقع تماما، وقاموا بغلق ثكنتهم الاستعمارية نهائيا، وبالمقابل استشهد المناضل السي عابد مسئول أحد الفصائل وجرح السي الطيب.⁽³⁾

18. معركة بولقرون ليلة 04 و05 مارس 1958م: جرت وقائع هذه المعركة ليلة الأربعاء الموافقة لـ 05 مارس 1958م، حيث خاضتها وحدات من جيش التحرير الوطني المكونة من كوموندو علي خوجة، كتيبة الشهيد علي موسطاش، كتيبة الرائد السي لخضر، وفصيلا من من الكتيبة الزبيرية بقيادة المدعو السي سعود كانت في طريقها إلى الخارج من أجل التسليح، وهذا يدل على أن وحدات جيش

1- 1- محمد نمار، المرجع السابق، ص 25.

2- نفسه، ص 26.

3- نفسه.

التحرير الوطني وقعت في المواجهة مجبرة لأنها لم تكن مستعدة ومخططة لذلك، وذلك بعد أن فوجئت بقوات الجيش الفرنسي محاصرة إياها من كل جهة أثناء تواجدها بمنطقة جبل بولقرون.

كان الرائد السي لخضر رفقة فرقة كوموندوس علي خوجة وكتيبتين من كتائب الكتيبة الزيرية في جبل بولقرون بالقرب من سواقي جنوب ولاية المدية ليلة الرابع من شهر مارس سنة 1958م، عندما حذره عنصران من العناصر الاستخباراتية بقدوم مجموعة كبيرة من السيارات العسكرية الخاصة بالجيش الفرنسي، وهي طريقها نحوهم منطلقة من تابلط، عن طريق بوسكن، سور الغزلان، وبير غبالو.⁽¹⁾

انسحب المجاهدون قبيل بزوغ فجر يوم 05 مارس 1958م، في الوقت الذي كانت فيه آلاف من الجنود الفرنسيين قد صعدت سفوح الجبل، محاصرة بذلك فرق وكتائب جيش التحرير الوطني سعياً منها للقضاء عليهم في المنطقة، وهذا ما جعل المواجهة حتمية بين الطرفين ولا مناص منها.

بدأ جيش التحرير الوطني في التموّع على المناطق الاستراتيجية بعد أن وجد نفسه مرغماً على المواجهة، فربط الرائد السي لخضر وكتيبته في جبل ضلعة العقاب المواجه للطريق الرابط بين بني سليمان وجواب، بينما أخذت الكتيبة الأخرى مواقعها في جبل بولقرون في الجهة المقابلة لضلعة العقاب استعداداً لتثوب المعركة بين الطرفين.

داهم الجيش الفرنسي قرية شعبة اللبوة صبيحة يوم الأربعاء، لترد عليه الكتيبة المستقرة في أعالي جبل بولقرون بوابل من الرصاص، لمنعه من الاستقرار في القرية، الأمر الذي أودى بحياة عدد كبير من الجنود الفرنسيين ممن كانوا يتقدمون الصفوف الأمامية، وهو ما أحدث هلع وارتباك في صفوف الجيش الفرنسي، وهذا ما جعله يتراجع من أجل إعادة تنظيم صفوفه واستقدام قوات إضافية، مما سمح له بإحكام حصاره على جميع المنافذ.⁽²⁾

قام السي لخضر بعملية تمويه للجيش الفرنسي، حيث نقل كتيبته من جبال ضلعة العقاب إلى جبل بولقرون للالتحاق بباقي الكتائب، وهنا حاولت القوات الفرنسية منع وصول قوات جيش التحرير الوطني من الوصول إلى جبل بولقرون، لأنه لم يكن متوقعاً بأن هناك كتائب أخرى تابعة لجيش التحرير الوطني متموّعة في هناك، وهو الخطأ الذي أوقع صفوفه الأمامية تحت النيران الكثيفة التي شنتها عليها تلك الكتائب، فاستمرت المعركة بين الطرفين إلى غاية الساعة السادسة مساءً، بعد أن غشى المكان سحابة

¹ - محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص ص 479، 480.

² - المنظمة الوطنية للمجاهدين، معركة جبل بولقرون كما وردت في وثيقة سرية للعدو، مجلة أول نوفمبر، العددان،

124، 125، جانفي، فبراير 1991م، ص 22.

كثيفة غطى ميدان المعركة بشكل كبير، وهو مآدى بالقصف الجوي إلى التوقف بسبب انسحاب سرب الطائرات وتراجع القوات البرية، فقام المجاهدون بإخفاء الجرحى في أحد الأكواخ المستعملة لخزن علف المواشي.⁽¹⁾

عمد قادة الجيش الفرنسي إلى الاستعانة بالطائرات والمدركات المصفحة عندما أضاءت الشمس السماء والأرض، تقاديا لمزيد من الخسائر في صفوف الجيش الفرنسي من جهة خاصة وأن الاصطدام الأول الذي جرى بين الطرفين خلف عشرات القتلى والجرحى في قواتهم، ومن جهة أخرى فقد كانوا عازمين على تدمير الثوار عن آخرهم، فكان أن أصيب الرائد السي لخضر بجروح بالغة الخطورة من رصاص رشاش أطلقته إحدى الطائرات المقبلة.

كثفت عناصر كوموندوس علي خوجة وكتيبي الزبيرية هجماتها على إحدى النقاط الضعيفة في الحصار بهدف اختراقه، وفتح بوابة ينسلون منها وبالفعل قد تمكنوا من تحقيق هدفهم واتجهوا بعد ذل إلى أولاد زنين الخارجة عن نطاق الحصار، وقد كان يحمل السي لخضر الجريح مجاهدان اثنان.

روى لياس حمداني في مقال نشر في يومية المجاهد في الفاتح من شهر نوفمبر عام 1979م، حيث اعتبر هذه المعركة إحدى أهم المعارك التي خاضها جيش التحرير بالولاية الرابعة، حيث قال أن وحدات الجيش الفرنسي كانت قد جندت الكتيبة الاستعمارية الأولى للمظليين، الفوج السابع عشر للرملة الجزائريين، الفوج التاسع للرملة الجزائريين، 111/ الكتيبة الثانية للمشاة، الكتيبة 410 لسلاح الجو، كوموندو هجوم من سلاح الجو، وكتيبتين 67 من المدفعية فضلا عن المجموعة 20 من المدفعية المحمولة، كما خصصت فوج واحد خاص بالعقيد شريف سعيدي المتكون من ثلاثمائة رجل التحقوا بالجيش الفرنسي، كما تعززت بالدعم الجوي المتكون من العديد من أسراب p47 جاغوار وميسترال وفمبير و T6 (قصف بالنابالم)، بالإضافة إلى الدعم المخصص من بطاريات المدفعية عيار 105 ومن مدافع عيار 81.⁽²⁾

أوردت تقارير الجيش الفرنسي بأن الجنرال دوميزون روج مسؤول العمليات من الجانب الفرنسي قد قام بقذف مواقع المجاهدين بـ 960 قذيفة من 14 بطارية ثابتة أو متنقلة، وطبقا لهذا الوصف فقد كانت وحدات الجيش الفرنسي تتكون من ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف جندي تطوق المناضلين منذ بزوغ فجر ذلك اليوم.

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، معركة جبل بولقرون كما وردت في...، المرجع السابق، ص22.

² - مصطفى تونسي، المرجع السابق، ص51.

تمت عملية الاحتكاك الأولى بين الطرفين من طرف الرائد عز الدين بمساعدة فصيلة من كوماندو علي خوجة، الذين سعو لنصب كمين في الضباب لأوائل المظليين الذين كانوا يسعون لإبعاد المجاهدين عن أعلى قمة وهي المرتفع رقم 1058 الذي ذاع صيته وفقا للخرائط الفرنسية، فبعد رمي السد من المدفعية وقصف مكثف من الطيران، كانت جنود الاستعمار الفرنسي تتقدم للاحتكاك، ولكنها كانت في كل مرة تتراجع أمام طلاقات وحدات جيش التحرير الوطني، حتى وإن كانت قوة الرمي بعيدة على أن تنافس قوة نيران الجيش الفرنسي.⁽¹⁾

استمر الوضع على نفس النحو تقريبا لساعات عدة، ثم ترك المجاهدون قمة الجبل لتتبع الجنود الفرنسيين المشتتين في حالة من الفوضى، بعد أن دعى المجاهد المدعو السي عبد النور الرائد عز الدين لأمر خاص، فقد كان أي خطأ تكتيكي يكاد أن يكون قاتلا بالنسبة لهم، لأنه كان من الصعب إيجاد موضع بتلك الملاءمة الجيدة للدفاع، ليأمرهم الرائد عز الدين بالعودة وإعادة ترتيبات الدفاع. تقرر تعزيز الإحاطة قبل الغروب للتمكن من الانسحاب، فقد كان عدد القتلى والجرحى والمصابون كبيرا جدا من الطرفين، مع العلم أن الكتيبة الزيرية كانت تحرص على حماية مشغلي جهاز الراديو للاتصالات وهم كانوا عبارة عن أربعة أشخاص من بينهم مصطفى تونسي، فعبروا السد تجنباً لأن يقعوا مجدداً في كمين نصب من قبل الملتحقين من أتباع العقيد شريف سعدي على حافة وادي فائض،⁽²⁾ حيث كانت ترافقهم رشقات من طلاقات فرنسية من نوع FM أجبرتهم على رمي أنفسهم في الوادي لتسهيل عليهم عملية الوصول إلى الضفة الأخرى، بالموازاة مع حمل الشباب الأربعة لأجهزة الراديو على ظهورهم، وبعد اجتيازهم للوادي وجدوا مجموعة من المدنيين في استقبالهم رفقة موكب من البغال والحمير خصصت لإجلاء الجرحى.

أصيب الرائد السي لخضر بإصابة خطيرة نتجية تلقيه طلاقات نارية من طرف الطيران الجوي، وتم نقله على إثرها من طرف جنوده إلا أنه استشهد جراء إصاباته، كما أصيب السي عز الدين كذلك إلا أنه أثر على نفسه من أجل تولي القيادة بغية تنظيم انسحاب جنود جيش التحرير الوطني، فضلا على تنسيق إجلاء مصابي وحداته.⁽³⁾

¹ - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد محمد ديرة، مدة التسجيل، 13 د و 37 ثا.

² - مصطفى تونسي، المرجع السابق، ص 52.

³ - نفسه.

لم يصب أي مشغلي الراديو الأربعة بفضل قيادتهم من طرف مرافقيهم من الكتيبة الزيرية (أو على الأقل ممن بقي منهم) مجددا إلى مرتفعات المدية - البرواقية، فقد كانت حصيلة المعركة ثقيلة على جيش التحرير الوطني، مقدرة بحالي خمسة وستين شهيدا، وقرابة ثمانين مصابا، فضلا عن بعض الأسرى، فقد كان نادرا ما تتكبد وحدات جيش التحرير الوطني خسائر مماثلة، لأن نمط حركيتهم وإمكانية التفرق والانفصال الناتج عن التباين الكبير في موازين القوى كان يمكنهم من تفادي الأسوء.⁽¹⁾

خسر الجيش الفرنسي ثلاثة عشر قتيلًا، وستة وأربعين جريحًا، بينما خسر جنود جيش التحرير الوطني تسعة وأربعين شهيدا من بينهم: الرائد السي لخضر الذي لم يتمكن الرائد السي لخضر من مقاومة جراحه الخطيرة، فلفظ أنفاسه وسلاحه بين يديه بالقرب من سواقي جنوب المدية، ودفن في قلب المعركة بدوار زنين في منطقة جواب ضواحي تابلاط.⁽²⁾ وعمر بودوحي وبن عيسى، بالإضافة إلى علي بولعراس و السعيد بن علال الزواوي، وعبد القادر نايلي بن محمد وكلهم ينتمون إلى أولاد طاعن، كما أسر ثلاثة وعشرين منهم ثم أطلق سراحهم بعد انتهاء عملية التفتيش.⁽³⁾

انتهز جيش التحرير الوطني فترة هدوء نسبي بعد المعركة الضخمة التي خاضها، فقد كان واجبا عليه إعادة تشكيل الوحدات عن طريق تعويض من استشهدوا أو ممن تم أسرهم، كما توجب عليهم أيضا تنظيف الأسلحة، إيجاد المؤن، والذخائر وتجهيز البزات العسكرية، كما تمت عملية علاج المصابين الذين تم إجلأهم، كما قاموا باستبدال المسؤولين الذين لم يعودوا موجودين.⁽⁴⁾

20. معركة دوار السيوف - تازة ترولار - (برج الأمير عبد القادر حاليا) أفريل 1958م: كان جيش الجنرال محمد بلونيس في جنوب البلاد يتحرك بالتنسيق مع جيش الجنرال جيلالي بلحاج المدعو كوبيس المقيم بمركز "زدين" بعين الدفلى، وكان الجيشان يتلقيان دعما فرنسيا واسعا، ويعملان على محاصرة مجاهدي جيش التحرير الوطني بالولاية الرابعة والقضاء عليهم، وبالتعاون الوثيق مع قيادة أركان الجيش الفرنسي، وضع الجنرالان خطة لاستئصال عناصر جيش وجبهة التحرير الوطنيين تتمثل فيما يلي:

يزحف جيش بلونيس من الجنوب (الجلفة، الأغواط، آفلو) نحو الشمال، بينما يتحرك "الكوبيست" من الشمال إلى الجنوب، حتى يحددوا أماكن تركز كتائب جيش التحرير الوطني بجلال ثنية الحد، عمرونة،

¹- مصطفى تونسي، المرجع السابق، ص53.

²- محمد الصالح بجوي، المرجع السابق، ص481.

³- المنظمة الوطنية للمجاهدين، معركة جبل بولقرون كما وردت في...، المرجع السابق، ص22.

⁴- مصطفة تونسي، المرجع السابق، ص54.

المداد، مظمطة، زمورة وجبل اللوح، وكان الجنرالان قد تلقيا ضمانات بأن الجيش الفرنسي وطيرانه سيدعم قواتهما.

لم تكن قيادة الولاية الرابعة لتغفل عن النوايا المبيتة بين الجيش الفرنسي وجنراليه بلونيس وبلحاج - كوبيس، فالرائد الجيلالي بونعامه قائد المنطقة الثالثة، رشيد بوشوشي قائد ناحية ثنية الحد، كانا قد تمكنا من عقد اتصالات سرية مع عقدا الجنرال كوبيس المساعدين، الذين كانوا يرغبون في الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني بأسلحتهم وأمتعتهم، وهو ما يمثل عملية جيدة غاية في الأهمية، ولقد حرصت قيادة جيش التحرير الوطني على فرض عدد من الشروط المسبقة على العقدا أتباع بلحاج.⁽¹⁾

أقبل رجل من سكان دوار السيوف القريب من قرية تازة ترولار (برج الأمير عبد القادر حاليا)، ليحدث قائد الكتيبة السي العربي، بأن جزء من جيش بلونيس، يقوده سليمان بوحمارة قد أقام معسكره بدوار السيوف، فقرر السي العربي ورؤساء فروع الكتيبة وقائد فرع المسبلين على إثر ذلك لأن يتوجهوا في تلك الليلة نفسها إلى مهاجمة أتباع بلونيس بدوار السيوف، وبما أن المدعو السي بوعلام من بلكور وهو قائد فرع كان مريضا لا يستطيع المشاركة بهذه المهمة، فقد اقترح عليه محمد الشريف ولد الحسين أن يخلفه في قيادة فرعه، وطلب منه أن يسلمه سلاحه رشاش "مات 49" ويعطيه هذا الأخير بالمقابل مسدسه "ب38" الذي استولى عليه بالمعركة الكبرى ببوليير (بوقايد) بالونشريس.⁽²⁾

توجه أعضاء الكوموندو إلى دوار السيوف في حدود الساعة السادسة مساء، وبعد ثلاث ساعات من المشي، عبر الجنود الطريق الرابط بين خميس مليانة وثنية الحد غير البعيد عن قرية الجنرال "قورو"، وكان الجو باردا بسبب الرياح الجليدية التي هبت على المنطقة، وأخذت فروع الكتيبة تتقدم بسرعة المتتابعين، وبين كل واحد والآخر مسافة تتراوح بين الثلاثة والأربعة أمتار.⁽³⁾

تكفل ولد الحسين رفقة فرعه بمهاجمة الرائد سليمان بوحمارة، فسار رفقة المرشد إلى أن وصل إلى المنزل الذي كن من المفترض أن يكون قد اختبأ فيه الرائد الخائن، -حيث كان الهجوم قد بدأ على جميع أنحاء الدوار-، وعند وصولهم إلى المخبأ تقدم ولد الحسين نحو الباب ورشاشته بيده فركله ركلة قوية إلا

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة -سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويبر والكتيبة الحمدانية- "جيش التحرير الوطني -الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص 181.

² - نجود طافر، من معارك الثورة التحريرية الجزائرية، الجزائر: دار سحنون للنشر والتوزيع، 2013م، ص 53، 54.

³ - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة -سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويبر والكتيبة الحمدانية- "جيش التحرير الوطني -الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص 183.

أن المنزل كان فارغا بعدما لازم أتباع بلونيس بالفرار من باب خفي يفتح على ساحة واسعة مملوءة بالمواشي.⁽¹⁾

تمكنت الأفواج الأخرى للكتيبة من القبض على عدد لا يستهان به من الخونة أتباع بلونيس، إضافة إلى القتلى والجرحى الذين سقطوا في صفوفهم، إلا أن سليمان بوحمارة كان قد لازم بالفرار رفقة أهم مساعديه. كان سبب نجاح سليمان بوحمارة رفقة مساعديه حسب شهادة محمد الشريف ولد الحسين يرجع إلى خطأ المدعو السي العربي قائد الكتيبة، الذي كان من المفترض عليه أن يجمع جنوده من قادة الفروع وقادة الأفواج وقائد فرع المسبلين، ثم يطلب من المرشد أن يقدم تقريرا كاملا عن الوضع السائد بالدوار بمنتهى الدقة، مع تفاصيل واضحة ودقيقة عن المنازل التي آوى إليها جنود بلونيس، فحسب الشريف ولد الحسين فإن التحضير الجيد للهجوم لا يمكنه أن يتم إلا بعد تسطير مخطط يأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية:

- المسافة التي تفصل مخابئ أتباع بلونيس بالدوار.
- التوزيع المنطقي لجنود جيش التحرير الوطني والحرص على أن يكون توقيت الهجوم موحد لكافة الأفواج.
- الوضع في الحسابان بأن الدوار الذي يمكث فيه أتباع بلونيس يكاد ينعدم به حضور جبهة التحرير الوطني، وهذا يعني بأن هذه الأخيرة لم يكن لها محافظون سياسيون في المنطقة، وأبرز دليل على ذلك هو أنه لم يتم القضاء على الكلاب الحارسة للمكان، عكس ما جرت العادة في المواقع التي يكون سكانها كلهم ملتقون حول القضية الجزائرية، وبالتالي كان النجاح قد سمح لأتباع بلونيس بأن يكتشفوا بسهولة بأن المجاهدين قد اقتربوا منهم، لذلك تمكنوا من الفرار.⁽²⁾

وصل جنود جيش التحرير الوطني إلى مطماطة بزمورة قريبا من جبل عمرونة بناحية ثنية الحد في حدود الساعة الخامسة صباحا، وفي اليوم الموالي قام الجيش الفرنسي بعملية تمشيط واسعة في المكان، إلا أن الكتيبة كانت قد تمكنت من مغادرة محيطه في الوقت المناسب، حيث كنت الطائرات العسكرية تحلق فوق الناحية وتقبلها من بعيد، وطوقت العيادة الجهوية واشتعلت بها ألسنة النيران، وفي حدود

¹- سعيد عيادي، التنظيم العملي للنشاط الفدائي والعسكري بالولاية الرابعة "معركة دار السيوف أنموذجا أفريل

1958م"، مجلة المصادر، ع22، 2010م، ص172.

²- نفسه، ص173.

الساعة الرابعة مساء عاد العدو الفرنسي من حيث أتى، فاستعجل المناضلون نحو العيادة لنجدة باقي المجاهدين.⁽¹⁾

عانت منطقة ثنية الحد لأيام عديدة من بطش الاستعمار الفرنسي، فقد كان يبحث عن حوالي ألف جندي من جنود الجنرال "كوبيس" فروا من معسكرهم بزيدين (عين الدفلى) ليتلقوا بصفوف جيش التحرير الوطني حاملين معهم أسلحتهم وأمتعتهم، ولكي يبرهنوا على حسن نيتهم جاؤوا برأس الجيلالي بلحاج المدعو "كوبيس" في قفة قديمة.⁽²⁾

وضع أتباع بلحاج عناصر جيش التحرير الوطني في مشاكل كبيرة بعد التحاقهم بهم، فقد كان عليهم أن يوزعواهم على وحدات المنطقى الثالثة للولاية الرابعة مع الالتزام بالحذر منهم في آن واحد، فضلا على ذلك كانوا يختلفون معهم جذريا في الطبائع والعادات والأخلاق، فجنود جيش التحرير الوطني كانوا يؤدون صلاتهم في وقتها، ويمتنعون عن التدخين، لأنهم منظمين ومحترمين لقانون المجاهد الجزائري الشرفي، كما كانوا يحرصون على إضفاء روح الأخوة على معاملاتهم، ويمنعون أي نوع من الخشونة في الكلام ويطرفون عن الكلمات البذيئة، وبالمقابل كان أتباع بلحاج يتسمون بالقساوة والفسق، وتتراكم في أنفسهم كل العيوب الممكنة التي ينفر منها العقل البشري، شأنهم في ذلك شأن المرتزقة على حد قول محمد الشريف ولد الحسين.⁽³⁾

استرجعت جبهة التحرير الوطني أنفاسها بالمنطقة الثالثة بعد التحاق أتباع بلحاج بجيش التحرير الوطني، ولم يبق أمامها إلا مشكل "الحركة" أتباع الباشا آغا بوعلام، لكن نشاط هؤلاء كان منحصرا على قطاع وادي الفضة (لامارتين سابقا)، ولقد قام كوموندو المنطقة الثالثة بقيادة السي أحمد (الجيلالي بونعام) بمهاجمة المركز العسكري للباشا آغا بوعلام بدوار بني دوان في العديد من المرات.⁽⁴⁾

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة - سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويير والكتيبة الحمدانية - "جيش التحرير الوطني - الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص ص 188، 189.

² - نفسه، ص 190.

³ - نفسه، ص 191.

⁴ - سعيد عيادي، المرجع السابق، ص 187.

21. معركة جبل تيثوليت⁽¹⁾ 13 ماي 1958م: نظم اجتماع عسكري لإطارات الولاية الرابعة بمركز جيش التحرير الوطني الموجود في جبل تيثوليت تحت إشراف العقيد أمحمد بوقرة، وذلك من أجل اتخاذ قرار حاسم ضد الخونة الذين كانوا يشكلون خطرا كبيرا على الثورة التحريرية.

أقبلت على المكان قوات ضخمة للجيش الفرنسي في صبيحة اليوم الرابع من الاجتماع، متألّفة من خمسة وعشرين ألف جندي، وخمسة وعشرين طائرة، وعدد كبير من الدبابات، والتي قامت بحصار المنطقة حصارا شديدا، أما قوات جيش التحرير الوطني فكانت تتألف من كتيبتين تضمّان ثلاثمائة مجاهد وهما الكتيبة الحمدانية بقيادة المدعو السي حمداني والكتيبة الحسينية بقيادة المدعو السي موسى، وفصيلة من الكوماندو تضم خمسة وأربعين مجاهدا بقيادة رابح العمراني، وكذلك فصيلة القسمة التي تضم هي الأخرى خمسة وأربعين مجاهدا بقيادة المدعو السي التابلاطي.⁽²⁾

اغتمت المجاهدون فرصة تجمع الجيش الفرنسي وسط المنطقة المحاصرة من طرفهم بحثا عن أثرهم بحيث صوبوا نيران رشاشاتهم إلى جموعهم الغفيرة التي حصدت العشرات منهم، وقد استمر تبادل إطلاق النيران بين الطرفين لمدة ثلاثة أيام بدون انقطاع، وتمكن المناضلون في اليوم الثاني من المعركة من غنم جهاز لاسلكي بعد أسر صاحبه الذي استقاد منه المجاهدون استفادة كبيرة، وذلك بتحويل الطائرات المقبلة بالنابالم عن أهدافها الاستراتيجية، ولم يتقطن العدو الفرنسي لهذه العملية إلا بعد أن الحقت بقواته خسار جسيمة مادية منها وبشرية.

استقاد المناضلون من هذه العملية المظفرة لفك الحصار الشديد بالقوة في اليوم الرابع، وغادروا المنطقة تحت جناح الظلام بعد انتصارهم في هذه المعركة.

قدرت كمية ونوع الأسلحة التي خاض بها المجاهدون هذه المعركة على النحو التالي: أربع مدافع رشاش، 3 (م، ح، 44) عيار 72 ر 7، 6 (ف، م 24-29) عيار 5 و 7، 2 (ف، ب) عيار 62 و 7، بالإضافة إلى مجموعة بنادق حربية آلية ونصف آلية، وجهاز لاسلكي فضلا على أسر جنديين أحدهما من اللغيف الأجنبي.

¹ - **جبل تيثوليت:** يحد جبل تيثوليت من الناحية الشرقية شرشال، ومن الناحية الغربية قوراية، ومن الناحية الشمالية دوار حيونة، ومن الناحية الجنوبية العمرية، وهو مصنف ضمن القسم الثالث من الناحية الثالثة في المنطقة الرابعة بالولاية الرابعة التاريخية، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك جيش التحرير، المرجع السابق، ص 255).

² - نفسه، ص 256.

قدر عدد قتلى الجنود الفرنسيين بثمانية مائة قتيل وسبع مائة وخمسين جريحاً، بينما خسر جيش التحرير الوطني ستة عشر مجاهداً وستة وثلاثين جريحاً، بالإضافة إلى استشهاد امرأة وولدها الذي يبلغ من العمر ستة عشر سنة من جراء قنابل الطائرات.⁽¹⁾

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك جيش التحرير، المرجع السابق، ص 257.

4- الهجمات والتخريبات:

1.4- الهجمات:

1. عمليات فدائية بمنطقة الحراش 1956م: نجا الخائن (ب.ع) الملقب ببودينة، حيث فر عند محاولة قتله الأولى، ثم نجا أيضا من المحاولة الثاني يوم 23 سبتمبر 1956م، لكنه قتل أخيرا يوم 27 أكتوبر 1956م من طرف فوج علي عزيزي وذلك بالحراش أمام محلات كوتل وفوشي وبالضبط أمام مدخل محل بن عاليا بائع الحمص.

وقعت عملية مسلحة استهدفت الخائن (س.ع) لكنه أصيب خلالها فقط بجروح ولم يمت بحي لي أنديجان ببيلام يوم 27 أوت 1956م.

وقعت عملية فاشلة في حوش حدة على طريق بئر خادم ضد السارجان الفرنسي لومور في 15 سبتمبر 1956م.

تم القضاء على سارجان شاف ميتايي عن طريق طعنة خنجر وطلقتي مسدس في طريق حوش حدة يوم 18 سبتمبر 1956م.

كما تم القضاء على الخائن (ح.س) من طرف الفدائيين الذي كان يشغل مهنة خباز وذلك في حي بيلام يوم 22 سبتمبر 1956م.

نفذ الفدائيون خمس عمليات كاملة خاصة يوم 08 أكتوبر 1956م، المصادف ليوم زواج حميدات⁽¹⁾ بمحطة الحراش، أين أصيب الكابتن⁽²⁾ مازنك بجروح من طرف العريس حميدات نفسه وهجرس بن عمارة.

¹- حميدات: هو أحمد حميدوش الملقب ب"حميدات البوكسور" وبعض رفاقه، ولد يوم 07 سبتمبر 1933م بالحراش، ابن محمد وبابي فاطمة الزهراء، ترعرع حميدات وسط أسرة متواضعة ومعروفة بوطنيته وارتباطها بالثورة في حي بيلام بالحراش، ودرس في مدرسة حيه ببيلام، لكنه اضطر لتركها على غرار أقرانه الفقراء في هذا الوقت ترك الدراسة ودخل الحياة العملية من أجل إعالة أسرته، حيث شرع في العمل إلى جانب والده عند بلاشير في شارع بروسيت بحي حسين داي، قبل أن ينتقل إلى شركة بيكرال المتواجد مقرها بحي الرويسو، لينخرط في صفوف الكشافة الوطنية الجزائرية حيث أنه كان من مؤسسي فوج "النهضة" ب"سانت كورين" ثم ب"فايونس فوكرو" رفقة عدد من زملاءه، اتصل بكل من عمار شابلي وعلي تابونت الذان قماه لحسن باي علي أمام مدرسة حي بابلام، وكانت هذه هي بداية تأسيس أول فوج للفدائيين بالحراش، ولقد كان ذلك على يد السي حميدات، وكان حسن باي علي هو قائد هذا الفوج المسلح الذي تشكل رسميا في شهر أوت من سنة 1955م، والذي كان تحت المسؤولية المباشرة لسي مصطفى فتال وعمر أو عمران الملقب ب"بوقرو"، وكذلك عبان رمضان الملقب بالسي أحمد، (للمزيد من المعلومات أنظر: مسعود جديد، مذكرات شهيد لم يمت، تق، مراد وزناجي، الجزائر: دار المعرفة، 2011م، ص- ص40، 41، 45).

²- نفسه، ص49.

شنت عملية ضد الخائن (ع.م) والذي كان صاحب مقهى بحي فيدال يوم 24 أكتوبر 1956م، حيث قتل على يد أصغر عضو في الفوج وكان مرفقا بجمال العمري.

كما تمشن هجوم بواسطة المسدس على دورية عسكرية قرب حوش حدة على طريق بئر خادم يوم 25 أكتوبر 1956م.

أما في شهر نوفمبر من نفس السنة فقد تم تسجيل ثلاث عمليات مسلحة، واحدة استهدفت خطأ حانوتي (صاحب محل) في حي الأنديجان، والذي كان مسئولاً في خلية جبهة التحرير الوطني واعتقد أنه عضو في الحركة الوطنية الجزائرية، كما تم يوم 17 نوفمبر 1956م شن عملية أخرى ضد شرطي دولة يدعى ليونديري.⁽¹⁾

2. عملية فدائية في ديوان الحبوب بوادي الفضة ديسمبر 1956م: أمر المجاهد أمحمد لعرج كلا من محمد الصغير نمار⁽²⁾ والسعدي السعيد المدعو السي الرشيد وأمحمد حمري ابن عمه محمد الصغير نمار رفقة مجاهدين آخرين لم يتمكن من الحصول على إسميهما، بالقيام بعملية فدائية ضد المستوطن الذي كان يسكن في مدينة وادي الفضة، ويشغل مديراً لديوان الحبوب الكائن قرب المحطة الرئيسية للسكة الحديدية، حيث كان هذا الأخير معروفاً باسم "ولد فيسي"، وكان ذلك في شهر ديسمبر سنة 1956م على الساعة العاشرة صباحاً.

دخل المناضلون مكتب ولد فيسي وطلبوا منه كمية من القمح معبرين له عن استعجالهم للركوب في القطار على الخط (وهران، الجزائر العاصمة)، فتمت العملية بنجاح وانسحبوا سالمين بعد أن أصيب المستوطن ولد فيسي بجروح خطيرة، فنقل على إثرها إلى المستشفى، وقبل وفاته أخبر الاستعمار الفرنسي بأن أصحاب القضية ليسوا من منطقة وادي الفضة، بحجة أنهم كانوا مستعجلين للالتحاق بالقطار،

¹ - مسعود جديد، المرجع السابق، ص50.

² - محمد الصغير نمار: هو محمد بن قدور نمار وعائشة بوقلال، ولد في بقعة اسمها بني بوستور كائنة عند سفوح جبال الونشريس، كانت حياته بسيطة ومتواضعة ككل الجزائريين الذين كانوا يعانون من حياة الفقر والمرض، التحق بزاوية سيدي مكرز وهو في عمر الست سنوات لتعلم قواعد اللغة العربية وتعاليم الدين الاسلامي الحنيف، انضم لزاوية سيدي الحاج بن الشرقي الكائنة بالعطاف في بداية سنة 1954م لمدة تسعة أشهر، وفي يوم من الأيام زارهم شخص اسمه السعدي السعيد، والذي كان عضواً في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية، فبدأ يتحدث عن الشأن السياسي، الأمر الذي أثر كثيراً في نفسية محمد نمار مما جعله يلتحق بالمناضلين أمثال بونعامة وبلغلام للتحضير للثورة التحريرية عشية الفتح من نوفمبر سنة 1954م، أطلقت عليه "تسمية محمد الصغير" كونه كان أصغر المناضلين في منطقتهم، هذا من جهة ومن جهة ثانية للتفريق بينه وبين الآخرين الذين كانوا يحملون نفس الاسم "محمد"، كما شارك في العديد من العمليات الفدائية والعسكرية بالولاية الرابعة التاريخية، (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد نمار، المرجع السابق، ص- ص14، 17).

ونتيجة لهذا التصريح تدخل رئيس البلدية آنذاك المسمى "بوتي" وتم إطلاق صراح الأشخاص الذين كان قد تم القبض عليهم من عامة الناس الذين كانوا في السوق الأسبوعية يومها، وخاصة أن المتسوقين كانوا كثيرين.

التحق منفذوا العملية الفدائية بالفصيلة التي كان يقودها المجاهد المدعو "محمد تامسو" مسئول قضائل الفدائيين والمسبلين ونائبه محمد بن شنوف،⁽¹⁾ ليتجمعوا بعدها في غابة السبع قرب بقعة الشمرة وبقعة الزعادلة ومركز عبد القادر بلحسين ومركز الشهيد الطاهر الملياني الواقع بين وادي الشمرة وأولاد علي من جهة سيدي سليمان، وكان رفقتهم حوالي تسعة وثلاثين من المجاهدين المشكلين للفصيلة، ومن حظهم يومها أن جاءت طائرات عسكرية فرنسية فقامت بحرق الغابة في محاولة لقطع الطريق أمام حركة المجاهدين، لتشاء الصدفة أن تضرب الرياح بشكل دائري أدت إلى احتراق جميع العساكر الفرنسيين الذين كانوا على الأرض ووجدوا أنفسهم محاطين بالنيران، وعند الليل ذهبنا بكل راحة للاستيلاء على أسلحتهم المختلفة وقد ساعدنا في ذلك مناضلو المنطقة والبقع المجاورة.⁽²⁾

3. عمليات فدائية بمارنقو (حجوط حاليا) 13 جانفي 1957م: قرر جيش التحرير الوطني إرسال مجموعة مكونة من "سيد علي حسين"، "محمد علوان"، و"علي فتاكة" إلى مارنقو (حجوط حاليا)، للقيام بسلسلة من العمليات العسكرية، وكانت العناصر السالفة الذكر رفقة "محمد الشريف ولد الحسين" في مخبئ بدوار جعبيب قرب مدينة مراد، إلا أن هذا الأخير لم يكن مكلفا بهذه المهمة، لكنه ألح على المسؤول السي نايف أن يسمح له بالانضمام إلى زملاءه في هذه العملية الفدائية وبعد طول إقناع نجح في ذلك.

طلب محمد الشريف ولد الحسين من السي نايف أن يمنحه قنبلة يدوية كانت معلقة بحزامه ليرميها بداخل حانة، بينما كان سيد علي حسين مكلفا بمهاجمة محل حلاقة يملكه أحد المستوطنين، في حين كلف محمد علوان وعلي فتاكة برمي زجاجة حارقة (كوكتيل مولوتوف) بداخل محل يملكه تاجر يدعى "قيتوسي".

أعلن السي "أحمد ماروك" قائد المسبلين بأنه سيتطوع لنصب كمين خارج المدينة على الجسر المؤدي إلى شرشال قصد ضمان التغطية، في حالة ما إذا قام الجنود الفرنسيون بمطاردة الفدائيين، كما حرص السي "بن عيشة سيدهم" الذي كان يعمل بشركة الكهرباء والغاز على تخريب المحطة الكهربائية

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 18.

² - نفسه، ص 19.

التي تزود المدينة، لإحداث عطب في التيار الكهربائي حتى يمكنهم من الانسحاب دون أن تكشفهم الدوريات العسكرية الفرنسية في الظلام الذي يخيم على المدينة مع انقطاع الكهرباء.⁽¹⁾

كان سيد علي يحمل مسدسين، الأول من عيار 43/11 والثاني 12 long، أما علوان وفتاكة فقد كانت بحوزتهما الزجاجاة الحارقة التي تم تحضيرها مسبقا بعناية فائقة، مما يسمح لواحد منهما أن يفتح باب محل فيتوسي، ويرمي الآخر الزجاجاة بعد إشعال فتيلها القماشي المبلل بالبنزين، بينما كان الشريف ولد الحسين مسلحا بالقنبلة اليدوية التي تسلمها من السي نايف، مع مسدس 8long.

كلف ضابط الربط "السي مجدوب" بمرافقة الفدائيين وإرشادهم، ووصلوا إلى مزرعة المستوطن "فيقلر"، وهو من كبار ملاك الأراضي العقارية بالمنطقة ورئيس بلدية مارنقو، -بعد أن مشو طوال الليل- أين اختبئوا في بيت مناضل جزائري يعمل عند فيقلر حارسا براتب زهيد جدا.

ترك الفدائيون مخبأهم في حدود الساعة الخامسة مساء وتوجهوا نحو مدينة مارنقو، وكي يصلوا إلى وجهتهم كان من المفترض بهم أن يسيروا مسافة ثمانية مائة على الأقل في منطقة مكشوفة بقلب المدينة، مرتدين ألبسة سوداء ومتقدمين متتابعين على خط واحد.

قام الفدائيون بالانعطاف في زاوية شارع يبعد خمسين مترا عن مفرزة الدرك، حتى يتمكنوا بعد ذلك من الخروج إلى الشارع الرئيسي بوسط المدينة، وهو مكان عملياتهم الفدائية المكلفون بها، وبمجرد الوصول إلى ركن هذا الأخير، توجه كل من محمد علوان وعلي فتاكة يسارا نحو مخزن فيتوسي لإحراقه، أما سيد علي فقد مر بالشارع أمام البريد المركزي للالتحاق بولد الحسين، بينما توجه هو يمينا نحو رصيف حانة "ألكسيس" التي كان مكلفا بتفجير القنبلة اليدوية بها.

التقى ولد الحسين بسيد علي وسط باحة الحانة قريبا من قاعة الحلاقة المجاورة، كانت الباحة مليئة بكثير من المدنيين بين عسكريين وجزائريين، جنود وعناصر من اللفياف الأجنبي بالداخل، أم البار فقد تجمع حوله عساكر ومدنيون فرنسيون، عاملان اثنان مسلمان، بالإضافة إلى صاحب المحل "ألكسيس" وخادمتي الحانة.⁽²⁾

أبلغ سيد علي السي الشريف بأن هنالك دورية فرنسية مقترية من مدخل الحديقة العمومية التي تقع على بعد 150 مترا من مكان تواجدهما، أين صففت الطاولات والكراسي بطريقة تركت رواقا واسعا يسمح

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص225.

² - نفسه، ص226.

للمارة بالسير بسهولة دون الاضطرار إلى استعمال الطريق المكتظ -على طول الرصيف- بالسيارات المنزوعة الأغذية لأولاد المستوطنين من أمثال: "بورجو"، "جيرمان"، "فيقلر" وغيرهم.

لم ينتبه أحد لوجود الفدائيين بالحانة، فقد ساد الطاولات نوع من الانتعاش، بينما كان الناس مرتاحين يشربون ويأكلون "الكميات" ويتبادلن النكت، وبمجرد وصول الدورية إلى حد مركز البريد توجه سيد علي نحو باب قاعة الحلاقة، وفتح بابها بركلة عنيفة، الأمر الذي أثار دهشة واستغراب صاحب المحل وزبائنه المدنيين والعسكريين الذين كانوا ينتظرون أدوارهم لقص الشعر أو حلق الذقن، وهم يتبادلون الحديث في السياسة أو الرياضة، بينما يتصفحون بعض الجرائد والمجلات التي وضعت تحت تصرفهم فوق طاولة منخفضة، فشرع بمسدسيه الاثنين في إطلاق النار عشوائيا على الموجودين، وفي اللحظة ذاتها ألقى محمد الشريف ولد الحسين بقنبلته اليدوية داخل حانة "الكسيس" صارخا بأعلى صوته: "الله أكبر".

مر ولد الحسين سريعا أمام مخزن "فيتوسي" المشتعل نتيجة إلقاء كل من محمد علوان وعلي فتاكة زجاجتيهما الحارقتين (كوكتيل مولوطوف) فيه، أين رأى التاجر يحاول النجاة بنفسه من فتحة في إطار الباب الذي انكسر زجاجه، ولدى هروبه حاول قتله بمسدسه إلا أن الطلقة فشلت ولم تحدث غير صوت كالأزيز (تف) نتيجة صغر حجم الرصاصات، التي لم تقو تجوفات مسند المسدس على حملها، وانسحب سيد علي عبر الشارع المؤدي إلى مفرزة الدرك.⁽¹⁾

سارع التجار إلى غلق محلاتهم، أما المارة فكانوا يفرون في كل الاتجاهات نتيجة رعبهم من المسدس الذي يمسكه الشريف ولد الحسين عاليا في يده اليمنى، هاربا على الطريق المؤدي إلى جسر شرشال تحت وطأة المطاردة من قبل الدورية العسكرية وسيارات المستوطنين الذين ينتمون إلى الحرس الإقليمي المشكل من فرنسيين أدو خدمتهم العسكرية.⁽²⁾

سارع الجنود الفرنسيون والمستوطنون بعد العملية الفدائية التي جرت بمدينة "مارنقو" (حجوط حاليا) إلى قتل السكان الجزائريين دون تمييز في الحمامات والمقاهي والاسطبلات، انتقاما لما فعله الفدائيون بهم.⁽³⁾

4. حرق مقر حراس الغابات بوادي فركان بدوار لرجام (الونشريس) 14 مارس 1957م: قام فوج من أفواج جيش التحرير الوطني بحرق مقر حراس الغابات بوادي فركان بدوار لارجام في الونشريس ليلة 14

¹- محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص227.

²- نفسه، ص228.

³- نفسه، ص232.

مارس 1957م، ثم توجهوا إلى دوار بني وزان وماسينا أين استقبلهم سكان المنطقة استقبالا حارا كما حرت العادة، بينما نجد السلطات الفرنسية قد أصدرت مذكرة استعلامات من محافظ شرطة الاستعلامات لمحافظة الشلف يوم 16 مارس 1957م، تصف فيها جنود جيش التحرير الوطني بما يلي: "تنشط على مستوى منطقة الونشريس عصابة من المتمردين مسلحين تسليحا جيدا، وقد توجه أفراد هذه العصابة في الوقت الحالي نحو دوار "بني وزان" و"ماسينا"، وذلك بهدف التحكم في المواطنين المقيمين بهذه النواحي، والذين كانوا قد أظهروا في المدة الأخيرة خضوعهم للسلطات الفرنسية، مع العلم أن هؤلاء الخارجين عن القانون هم أنفسهم الذين قاموا ليلة 14 إلى 15 الجاري بحرق مقر حراس الغابات لوادي فركان الموجود في دوار لارجام بالونشريس⁽¹⁾

5. **مهاجمة مدرسة الضباط بشرشال احتفاء بذكرى 20 أوت 1955م - 1956م:** قرر جيش التحرير الوطني تنظيم هجوم عام ضد مصالح الاستعمار الفرنسي حتى يثبت وجوده عبر كامل التراب الجزائري، وذلك بمناسبة الذكرى الثانية للهجمات التي شنها زيغود يوسف ضد السلطات الفرنسية يوم 20 أوت 1955م، والذكرى الأولى لانتقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م.

كانت الوحدات التابعة لجيش التحرير الوطني مطالبة بتنفيذ أعمال مسلحة بجميع المدن والقرى، بدءا بمهاجمة الثكنات العسكرية الفرنسية، تخريب وسائل الاتصال من طرق وجسور، تخريب المحطات الكهربائية وأعمدة الهاتف، وكذا تخريب المحاصيل وإحراق مزارع المستوطنين. وجب على هذه العمليات الموحدة أن تمتد من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية، ومن الشمال إلى الجنوب، ليبرهنوا للاستعمار الفرنسي وجيشه بأن جيش التحرير الوطني موجود حقيقة عبر كامل أركان الجزائر.⁽²⁾

كلف الأفرانج التسع المشكلة لكتيبة الحمدانية بمهاجمة مدن: شرشال، نوفي (سيدي غيلاس)، فونتين ديجيني (حجرة النص)، قوراية، فرانسيس غارنييه (بني حواء)، دوبليكس (الداموس)، مارسو (مناصر)، زوريخ (سيدي أعر)، بالإضافة إلى مركز عسكري في منطقة "لارهات".⁽³⁾

كانت كل الأفرانج مطالبة بمهاجمة الأهداف التي تم تحديدها في 20 أوت 1957م في نفس التوقيت المعين وهو على الساعة الثامنة ليلا، وكان ينبغي على الجميع أن يحضروا التجمع المقرر لليوم الموالي

¹ - مصلحة أرشيف ما وراء البحار ANOM.

² - محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة - سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويير والكتيبة الحمدانية - "جيش التحرير الوطني - الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص 149.

³ - نفسه، ص ص 149، 150.

21 أوت بين الرابعة والخامسة صباحا بجبل زكار أين تركوا أسلحتهم الثقيلة عند رفقاءهم هناك، فهذه الأخيرة لم تكن لائقة في مثل هذه العمليات، باعتبارها تتطلب السرعة في التنقل بين نقاط العمليات الواسعة.

كان الفوج الذي سيهاجم مدرسة الضباط بشرشال تحت قيادة السي أحمد خلاصي مساعد السي موسى قلاوز، ويضم في تكوينه أحد عشر مناضلا أغلبهم أبناء مدينة شرشال ونذكر منهم على سبيل المثال لا للحصر: حميد حاكم، سايجي، محمد لحبوشي، وشقيقه أحمد لحبوشي.⁽¹⁾

تنتقل الفوج المكلف بمهاجمة مدرسة الضباط بشرشال ليلة العشرين أوت كي يصلوا في الوقت المحدد من جهة، ويتقادوا للتنقل نهارا حتى لا يثيروا انتباه جواسيس العسكر الفرنسي الذين كانوا يعملون المنطقة، وأن لا تكشفهم طائرات المطاردة الكثيرة التي تحوم فوق المنطقة استمرار من جهة أخرى.⁽²⁾ قاد ضابط الربط السي أحمد الأخ الأكبر للإخوة حبوشي الجنود إلى مخابأ آمن في حدود الساعة الخامسة صباحا، وهو عبارة عن أنبوب كبير وواسع من الإسمنت المسلح يوجد تحت جسر بالطريق، وقد كان لا يفصلهم عن مدينة شرشال سوى كيلومتر واحد، لينصرف ضابط الربط للتزود بالمعلومات وتوفير بعض الأكل للمجاهدين قبل الشروع في خوض عملياتهم المخطط لها.

يصف محمد الشريف لد الحسين مركز اختبائهم قائلا: "وفي حوالي الساعة صباحا، سمعنا ضجيج محركات شاحنات نقل الجنود تمر على الجسر فوقنا، كانت قد غادرت الثكنات للقيام بعمليات تمشيط بالناحية، وغير بعيد كانت تصلنا أصوات طلقات نارية متتالية وموزونة، تمكنا في الحين من التعرف عن كنهها، فالطلبة الضباط كانوا في فترة التدريب اليومي على الرمي بالقرب منا، حتى أننا كنا نسمع أصواتهم وصرخاتهم، وهناك تبين لنا بأن مخابأنا كان واهيا، ومفتوحا على كل المخاوف، وكان يمكن أن نجد أنفسنا في مأزق مع أبسط حدث".⁽³⁾

وصل المناضلون إلى الموقع الذي حددوه لإطلاق النار على مدرسة الضباط بشرشال على الساعة الثامنة إلا عشرين دقيقة، وما إن دقت الساعة مشيرة إلى الثامنة مساء أطلق المجاهدون النار كرجل واحد على جنود المدرسة، فسيطر الهلع والذعر على الثكنة، فبدأت صافيرات الإنذار تطلق أصواتها ليسود

¹- محمد الشريف ولد الحسين، في قلب المعركة -سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويير والكتيبة الحمدانية- "جيش التحرير الوطني -الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص 150.

²- نفسه، ص ص 150، 151.

³- نفسه، ص 151.

نوع من الضجيج في جميع الاتجاهات طوال خمسة عشرة أو عشرين دقيقة، ثم انسحب أعضاء الكتيبة بسرعة مروراً بالدواوير السكانية وهم يركضون بأقصى سرعتهم، لأن طلقات المدافع ومدافع الهاون والرشاشات كانت تقيم الدنيا بالمدينة، وكل الثكنات العسكرية كانت في حالة تأهب قصوى لأي هجوم آخر، في الوقت الذي كان فيه جنود جيش التحرير الوطني قد ابتعدوا كثيراً عن موقع الهجوم، ووصلوا في الوقت المحدد إلى جبال زكار ليقدموا تقاريرهم حول العملية التي نفذوها.

أثبتت الشهادات التاريخية أنه في صبيحة اليوم الموالي الموافق لـ 21 أوت، لم تتمكن أية شاحنة عسكرية من مغادرة المدن أو الثكنات، ولم تحلق طائرة واحدة فوق المنطقة، طانين بأن الكتيبة الحمدانية قد نصبت لهم كمائنات في انتظارهم عند مخارج المدن، أو في المراكز العسكرية.⁽¹⁾

خرج الطيران العسكري مدعماً بشاحنات ودبابات لينتشر في جميع الأماكن المشبوهة والدبابات في ضواحي المدن والمراكز العسكرية من يوم الـ 22 من شهر أوت، وقاموا بتعذيب سكان الدواوير العزل من رجال ونساء وأطفال، كونهم رفضوا الإلقاء بأقل معلومة عن المتسببين في الهجوم، ونتيجة لصمتهم قرر ضباط الجيش الاستعماري حرق منازل السكان وتخريب ونهب ممتلكاتهم.⁽²⁾

برهن جيش التحرير الوطني من خلال هذه العمليات الشاملة التي جاءت لتحيي ذكرى 20 أوت 1955م، و 20 أوت 1956م عبر كامل التراب الوطني، على الوجود الفعلي لجيش التحرير الوطني بتنظيماته الشاملة، وأنه هو الناطق الرسمي للشعب الجزائري.⁽³⁾

6. الهجوم على مركز عسكري فرنسي بمنطقة بعلاش بالناحية الثالثة صيف 1957م: قام جنود الكتيبة الكريمة بالهجوم على مركز عسكري فرنسي على الواحدة ظهراً من صيف 1957م، فكبدوهم خسائر فادحة⁽⁴⁾ وعلى رأسها: إسقاط طائرة عسكرية فرنسية من قبل القناص السي عبد الحق، بينما قام أحد سكان المنطقة بالقضاء على الطيارين الذين أسقطت طائرتهم، وبالمقابل استشهد ثلاثة مجاهدين، وهم مسبلان وعسكري، ثم انسحبت الكتيبة والتي كان من بينها محمد الصغير نمار، والسي عمر وعبد الكريم عدار وهم يحملون أسلحتهم و"باسوكا" قاموا بنقلها إلى منطقة بعلاش.⁽⁵⁾

¹ - في قلب المعركة - سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزويبر والكتيبة الحمدانية - "جيش التحرير الوطني - الولاية الرابعة"، المرجع السابق، ص 152، 153.

² - نفسه، ص 153، 154.

³ - نفسه، ص 154.

⁴ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 21.

⁵ - نفسه، ص 22.

ألقى أحد الفدائيين قنبلة في داخل قطار بمنطقة الونشريس يوم 20 جوان 1957م، فقتل شخص واحد وجرح ثلاثين آخرين، أما في منطقة الأصنام فتم الحكم بالإعدام في حق خائنين، كما تم تفجير قنبلة في قطار بنفس المنطقة، فأُسفرت عن مقتل شخص واحد وجرح كثير من الأشخاص، وفي الوقت نفسه أُلقيت القنابل اليدوية من طرف الفدائيين بدشرة موزيس والتي تسببت في خسائر جسيمة في صفوف الجيش الوطني.⁽¹⁾

فجر أحد الفدائيين لغما في مقهى بمدينة المدية يوم 23 جوان 1957م، فجرح عدد كبير من الجنود الذين كانوا متواجدين هناك، في الوقت نفسه الذي أُلقيت فيه قنبلة في قطار بمدينة الجزائر، فتسببت في مقتل شخص واحد وجرح ثمانية عشر آخرين، بينما نفذت عناصر من جبهة التحرير الوطني حكم الإعدام في حق خائن بمدينة بوفاريك.⁽²⁾

انفجر لغم بناحية زكار تحت سيارة الجيب التابعة للجيش الفرنسي يوم 25 جوان 1957م، فقتل ضابطان وجرح جندي فرنسي آخر، كما هوجم في نفس اليوم مركز عسكري فرنسي قرب سوق الأربعاء، كما هاجم مجاهدي جيش التحرير الوطني فرقة معادية لهم تقوم بحراسة أعمال الحصاد بنفس المنطقة، فقتل خمسة عشر جنديا وثلاثة مستوطنين، كما أحرقت ثلاثة من نوع هالف تراك وآلتي حصاد، وحجزت الأسلحة التالية: مدفعين رشاشتين من نوع 30، مع 5000 فشكة وبندقيتان من نوع كاران من نوع كاران مع 150 فشكة ورشاشة خفيفة من نوع ماط 49 رفقة 13 علبة ذخيرة وبندقية حربية، وفي ناحية باب العسة قتل سبعة من جنود الجيش الفرنسي أثناء اشتباك وحجزت أسلحة كثيرة.⁽³⁾

هجم فريق من فدائيي جبهة التحرير الوطني منطقة فرندة بناوحي تيارت يوم 28 جوان من عام 1957م، فنتج عن هذا الهجوم مقتل ثمانية من جنود الجيش الفرنسي.⁽⁴⁾

هاجم جيش التحرير الوطني سبعة مراكز تابعة للجيش الفرنسي من بينها مركز بيسادا الواقع بين منطقة ماسكاري وسور الغزلان شهر أوت من عام 1957م، فنتج عن هذا الهجوم مقتل مائة وعشرين جنديا فرنسيا، وبالمقابل التحق أثناء هذا الأخير مائة وخمسين جنديا جزائريا كانوا مجندين في صفوف

¹ - جريدة المجاهد، يوميات الكفاح الجزائري، ع08، 08/01/1957، ص03.

² - نفسه.

³ - نفسه، ص04.

⁴ - نفسه.

الجيش الفرنسي بجيش التحرير الوطني، كما حجز هذا الأخير على 300 قطعة من مختلف الأسلحة والمدافع الثقيلة وأخرى رشاشة ومدافع هاون فضلا عن كميات هائلة من الذخيرة. تكبد الجيش الفرنسي خلال هذه العمليات 950 قتيلًا وعددا كبيرا من الجرحى، أما فيما يخص الخسائر المادية فقد كانت فادحة، حيث انفجرت مجموعة من الألغام تحت ستة سيارات مصفحة ودبابات كثيرة، فأحرقت هذه الأخيرة عن آخرها بكل من الجزائر وحسين داي، بالموازاة مع قيام بعض الفدائيين بحرق مزارع كثيرة تابعة للمستوطنين الأوروبيين بمناطق بني مراد، باليسترو، والبليدة. استطاعت وحدات جيش التحرير الوطني أن تحجز من خلال هذه الوقائع 630 قطعة من السلاح مختلفة الأنواع وعدد كبير من المدافع الثقيلة والمدافع الرشاشة ومدافع الهاون وكميات من الذخيرة، وبالمقابل استشهد ستة عشر مجاهدا وجرح ثلاثين آخرين.⁽¹⁾

¹ - جريدة المجاهد، يوميات الكفاح الجزائري، ع09، 09/08/1957م، ص03.

2.4 عمليات التخريب:

تخصص سيد علي حسين في العمليات التخريبية خاصة تلك التي تعلق بالأعمدة الكهربائية، إلى أن جاء اليوم الذي اقترف فيه خطأ حقيقيا وهو تنكره في زي امرأة عربية (مرتديا حايكا ونقابا)، أين كان مقبلا على تأدية مهمة خطيرة بمفرده في مسقط رأسه مدينة مارنقو، لكن كشف أمره بسبب الحذاء لعسكري الذي كان يحتذيه،⁽¹⁾ فقد تعرفت عليه السيدة الفرنسية "توبري" وبلغت عنه دورية عسكرية فرنسية سارعت لمطارده.

تمكنت السلطات الفرنسية من إخراجه من مخبئه بعد أن تمت عملية قنبلة البيت الذي كان مختبئا فيه، ليرسل إلى مركز التعذيب بمزرعة "شينو" في البلدة، أين استشهد فيها بتاريخ 13 جانفي 1958م،⁽²⁾ كما قام الجنود الفرنسيون والمستوطنون بقتل السكان الجزائريين دون تمييز في الحمامات والمقاهي والاسطبلات انتقاما منهم للعمليات الفدائية التي قام بها ناضلوا جيش التحرير الوطني في مدينة مارنقو، والتي أزعجوا بها تلك المدينة الكولونيالية الصغيرة الهادئة "حوش الهنا"، والتي تم بها محو الصورة الأسطورية التي رسمها عنها المستعمر.⁽³⁾

¹ - محمد الشريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، المرجع السابق، ص230.

² - نفسه، ص231.

³ - نفسه، ص232.

**الفصل الثالث: عمليات جيش التحرير
الوطني في الولاية الرابعة التاريخية
(1958م - 1960م)**

01- الكمائن

2- الاشتباكات

3- المعارك

4- الهجومات والتخريبات

عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية (1958م-1960م):

كان مناضلو جيش التحرير الوطني يتحركون بكل حرية في الجبال والمناطق الريفية في الفترة الممتدة (1956م-1957م)، إلا أن الوضع تغير بشكل جذري بمجرد حلول سنة 1958م، فقد قامت قوات الاحتلال الفرنسي بشق الدروب ونصبت معسكرات المراقبة مجهزة بالمدفعية الثقيلة عبر كل سلسلة الأطلس التلي، بهدف تسهيل الوصول إلى الجبل وللضغط على جيش التحرير الوطني لرصد تنقلاتهم بالمناظر، هذا ما جعل المناضلين يتجنبون التحرك نهارا إذا كانت الأماكن عارية من الأشجار، ضف إلى ذلك أن معسكرات عبد القادر والشرية ونقالة وغيرها تقصف يوميا جبال الأطلس بمدافع 105. عاد الجنيرال ديغول أواخر عام 1958م إلى السلطة بمخطط شال، وأعطى جميع الصلاحيات والوسائل اللوجيستكية الميدانية للجنيرالات شال وسالان وماسو وقوات المظليين التي يشرفون عليها، لإطلاق حملة عبر كافة الولايات التاريخية المكافحة، ودخلت في الخط قوات حلف الشمال الأطلسي وبوارجها الحربية، وكان القتال عنيفا عبر كل الجبهات عنيفا وضاريا.

أولا- الكائن:

1- كمين تمزقيدة 18 ديسمبر 1958م: أخذت قوات الكتيبة الحمدانية دورية عسكرية مفاجئة يوم 18 ديسمبر 1958م في موزاية المناجم (تمزقيدة حاليا)، فكبدت العدو الفرنسي خسائر فادحة في الأرواح وغنمت أسلحة كثيرة، في حين استشهد المناضل محمد الفرطاس،⁽¹⁾ غير أن الجيش الاستعماري كان ينتقم كل مرة من المدنيين العزل ويذيقهم أقسى ألوان البطش والقمع الوحشي، وكثيرا ما كان يدفع السكان المتناثرون في الجبال حياتهم ثمنا لنكسات الفرنسيين.

حاصرت الوحدة الفرنسية التابعة لمعسكر Camps des chènes في جبال تمزقيدة الكتيبة الحمدانية، فكبدت العدو خسائر كبيرة فتراجع، حيث كان المناضلون مسلحين ببنادق حربية وبنادق من نوع "ويليز"، لتصل بعد ذلك تعزيزات متمثلة في عدة طائرات، فسقط ستة شهداء من ضمنهم قائد الفوج بن عيشة ربوحي المنحدر من بورقيقة.⁽²⁾

وشى خائن بموقع أعضاء الكتيبة الحمدانية في طيطويلت، فجاء الحصار الفرنسي الذي كبد المناضلين الجزائريين ستة شهداء، من بينهم الوهراني الرامي بالرشاش، وموحا بن عيشة والسي بوعلام

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص74.

² - نفسه، ص75.

ومحمد الشفة، فانتشل العدو جثثهم ولغمها بعبوات مدسوسة تحتها، إلا أن أعضاء الفصيلة اكتشفوها كما تمكنوا من الوصول إلى الخائن والقضاء عليه.⁽¹⁾

2- كمين مركز بومسعود ديسمبر 1958م: نصب فوج من الكتيبة الكريمة بقيادة السي عبد السلام مهدي كميناً لسيارة عسكرية فرنسية من نوع "الجيب" كان على متنها ابن قائد الحركى الباشاغا بوعلام، على الساعة العاشرة صباحاً بالطريق الرابط بين منطقة الكريمة ومركز بومسعود نواحي الأصنام (الشلف حالياً)، وكانت نتيجة هذا الكمين تحطيم سيارة الجيب، وقتل أربعة حركة من قوات العدو الفرنسي من بينهم ابن الباشاغا بوعلام المدعو "بوعلام عبد القادر" كما غنم جيش التحرير الوطني ثلاثة قطع من الأسلحة الحربية من نوع قارة 86، ومسدس من نوع 09 سنتيمتر.

3- كمين وادي الفضة ديسمبر 1958م: نصبت مجموعة من المجاهدين بقيادة السي الجيلالي جاوطي كميناً لسيارة عسكرية فرنسية من نوع "الجيب" على الساعة الثامنة ليلاً بوادي الفضة، فنتج عن هذا الكمين تحطيم السيارة وقتل مافيها، مع انسحاب المتضلين دون أن ينقص جندياً منهم.

4- كمين الزباجة ديسمبر 1958م: نصبت مجموعة من المجاهدين بقيادة السي رشيد كميناً لشاحنتين عسكريتين على الساعة الثامنة ليلاً بمنطقة الزباجة، نتج عنه قتل ستة جنود فرنسيين، كما جرح أربعة آخرين.⁽²⁾

15. كمين بوزارة ديسمبر 1958م: نصبت الكتيبة الكريمة بقيادة الحبيب دلالي المدعو السي الشيخ كميناً لقوات الجيش الفرنسي، التي كانت تقوم بعملية تمشيط وتفتيش عن الجبهة شهر ديسمبر 1958م على الساعة الثامنة مساءً ببقعة بوزارة قرب بني وعزان بضواحي أولاد عبد القادر، حيث دام هذا الكمين حوالي نصف ساعة من الزمن، ونتج عنه مقتل خمسة جنود فرنسيين، وعدد كبير من الجرحى، كما تم غنم أربعة قطع من الأسلحة المختلفة، أما من ناحية مجاهدي جيش التحرير الوطني فقد جرح منهم اثنان. كان رشد فعل الاستعمار الفرنسي كعاداته شنيعاً بالمنطقة، فقد قام بقنبلتها بالمدافع والطائرات العسكرية، فاستشهد على إثر هذا عشرين مواطناً من النساء والأطفال والشيوخ العجزة من السكان.⁽³⁾

1. كمين بني بوعتاب ماي 1959م: نصبت فصيلة من الكتيبة الكريمة بقيادة السي دايش كميناً لثلاثة كتائب من قوات الجيش الفرنسي في منطقة بني بوعتاب شهر ماي 1959م على الساعة الثالثة صباحاً،

¹- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص76.

²- محمد نمار، المرجع السابق، ص142.

³- نفسه، ص143.

حيث كانت القوات الفرنسية عائدة من بقعة أولاد علي بعد عمليات التفتيش والتمشيط التي قامت بهم في المنطقة، فنتج عن هذا الكمين مقتل عشرة جنود من الجيش الفرنسي وإصابة عدد كبير منهم، بينما نجحت قوات جيش التحرير الوطني في الانسحاب من أرض المعركة سالمة.⁽¹⁾

كان رد فعل السلطات الفرنسية عنيفا كالعادة، فقد قامت بحرق المواشي وتعذيب السكان المدنيين العزل من النساء والشيوخ والعجائز، وقتل مجموعة كبيرة من سكان المنطقة نتيجة تعاونها مع جيش التحرير الوطني، فقصفتها بالقنابل من المروحيات حسب شهادة المجاهد الطاهر بريق بن عبد القادر الذين كان شاهدا على الحادثة فيروي قائلا: "كنا نراقب من بعيد كيف قصفت المروحيات سكان الوادي بالقنابل، فماتوا جميعا، وكنا نلمحهم من بعيد وهم يبتعدون شيئا فشيئا عن أرض المعركة، فخرجنا لنحمل جثث الشهداء ودفناهم بمكان غير بعيد عن ميدان المجزرة". كما زجت بعدد كبير من المواطنين الأبرياء في السجن.⁽²⁾

2. كمين السد الصغير ماي 1959م: قامت مجموعة من المجاهدين التابعة للكتيبة الكريمة بقيادة السي الوسطاش بنصب كمين لقوات الجيش الفرنسي بالسد الصغير نواحي الكريمة شهر ماي 1959م على الساعة الثانية عشر منتصف الليل، حيث كان الجيش الفرنسي عائد من بقعة العياشين وشوشاوة بعدما كان قد قام بعملية تمشيط وتفتيش للبععتين تحت قيادة الباشاغا بوعلام.

نتج عن هذا الكمين مقتل أربعة جنود من الخونة وجرح عدد كبير من الجنود الفرنسيين، بالإضافة إلى مقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم أول والمسمى "جيرالد بويك ألكسندر"، بينما نجح جنود جيش التحرير الوطني في الانسحاب من دون أن يصاب أحدهم بأذى، وكعادة الجيش الفرنسي قام في اليوم الموالي بالأر لهذه العملية العسكرية التي سببت لهم خسارة فادحة بحرق مواشي سكان المنطقة وتعذيبهم بشتى الطرق والأساليب.⁽³⁾

3. كمين واد الفضة ماي 1959م: نصبت مجموعة من المجاهدين بقيادة السي صالح العسكري المدعو الناحية كميناً لسيارة عسكرية فرنسية من نوع 4-4 بشجرة قاقة في وادي الفضة شهر ماي عام 1959م

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 145.

² - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد بريق الطاهر بن عبد القادر حول شهداء منطقة بني بوعتاب بتيسمسيلت، مدة التسجيل 08 و 34 ثا.

³ - المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م، ص 59.

على الساعة التاسعة ليلا، فأُسفر هذا الكمين عن مقتل حوالي ثمانية جنود من الجيش الفرنسي، وسلامة المجاهدين حيث استطاعوا الانسحاب سالمين من دون أن يفقدوا أي فرد منهم.⁽¹⁾

4. كمين ضد العميل باشاغا بوغلام 1959م: نصبت الكتيبة الكريمة كميناً ضد الخائن باشاغا بوغلام الذي ينحدر من مدينة سوق أهراس والذي كان يتجه إلى بقعة الجمعة، فكان جنود جيش التحرير الوطني يراقبونه باستمرار كي يقضوا عليه بسبب جرائمه الفظيعة التي كان يرتكبها في حق المجاهدين، ولكن على غير العادة في تلك المرة مر ابنه وصهره بلقاسم الذي كان هو كذلك عميلاً لفرنسا، وعلى الساعة العاشرة صباحاً تم إلقاء الرصاص عليهما وانسحبت الكتيبة بسرعة من منطقة الحادثة، فجاءت الطائرة الفرنسية لتنتقم من المجاهدين بسبب ضربهم لعملائها عن طريق قصفهم بكل قوتها، فخرج منهم مجاهدين اثنين، وتوجهت الكتيبة نحو وادي بورورو ثم عرجت في اتجاه الناحية الثانية.

شرعت القوات الفرنسية في تمشيط المنطقة بأكملها فاعترضها فوج من الكتيبة الكريمة ورد عليها بقوة، فبدأ اشتباك بين الطرفين نتج عنه استشهاد أحد المجاهدين من الونشريس نتيجة إصابته البليغة، فبالرغم من أن سكان المنطقة حرصوا على إسعافه لكن جهودهم كانت دون جدوى.⁽²⁾

5. كمين أرض البيضاء ماي 1959م: نصب مجاهدان كميناً لأحد المستوطنين المزارعين والذي كان يرتدد على مزرعته بنواحي أرض البيضاء طريق مركز جيبى شهر ماي 1959م على الساعة السادسة مساءً، ففضي عليه من طرف المناضلان الخديم بن علي والشيباني، وتم غنم أسلحته كونه كان مسلحاً بقطع سلاح من نوع "مات 49".

قام الجيش الفرنسي بشن حملة اعتقالات في صفوف المواطنين العزل، وعرضهم لمختلف أنواع التعذيب في مراكز الاعتقال.⁽³⁾

6. كمين مركز بوسعيد سبتمبر 1959م: نصبت فصيلة من الكتيبة الكريمة كميناً لشاحنات عسكرية على الطريق الرابط بين مركز بوسعيد والكريمة شهر سبتمبر 1959م على الساعة الحادية عشر صباحاً، فدخلت في الكمين سيارة من نوع 4-4، فأطلق عليها المجاهدون النار بواسطة رشاشاتهم، فنتج

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة

التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م، ص 61.

² - محمد نمار، المرجع السابق، ص 34.

³ - نفسه، ص 147.

عن هذا الكمين مقتل ثمانية من جنود الجيش الفرنسي، وجرح آخرين، كما تم تحطيم سيارة 4/4، وغنم جيش التحرير الوطني رشاشات من نوع بيام 38 وأربع مسدسات كبيرة الحجم.

قامت قوات الجيش الفرنسي بقتل مواطن أمام سكان المنطقة بهدف ترهيبهم وإثارة خوفهم كالعادة، وكان هذا المواطن يدعى: أحمد مرجاني.⁽¹⁾

7. كمين وادي حنوش سبتمبر 1959م: نصبت فصيلة من الكتيبة الكريمة كميناً لقوات الجيش الفرنسي بقيادة عبد القادر التيرس، بوادي حنوش ضواحي بني بوعتاب شهر سبتمبر عام 1959م على الساعة التاسعة ليلاً، حيث كانت القوات الفرنسية تتكون من ثلاثة كتائب وهي في إطار قيامها بعملية تمشيط وحصار للمنطقة، فنتج عن هذا الكمين مقتل أربعة جنود فرنسيين وجرح خمسة آخرين، في حين استطاع المجاهدون الانسحاب سالمين.

8. كمين وادي الفضة سبتمبر 1959م: نصبت مجموعة من المجاهدين بقيادة السي بلعيد كميناً لسيارة من نوع "جيب" التابعة لقوات الجيش الفرنسي، بعقبة شنبل نواحي وادي الفضة شهر سبتمبر عام 1959م على الساعة الثامنة ليلاً، وقد نتج عن هذا الكمين مقتل أربعة عساكر فرنسيين وتحطيم السيارة عن آخرها، في حين استطاع المجاهدون الانسحاب دون أن يمسه العدو الفرنسي بأي أذى.⁽²⁾

9. كمين أولاد باعلي أكتوبر 1959م: وضع جيش التحرير الوطني لغماً لقطار مار بالسكة الحديدية، الرابط منطقة وادي الفضة بمنطقة أم الدروع بالقرب من قرية أولاد باعلي شهر أكتوبر من عام 1959م على الساعة السادسة مساءً، وكانت نتيجة هذا اللغم تحطيم القطار عن آخره، وإلحاق به أضراراً مادية وبشرية.⁽³⁾

10. كمين البتحية شتاء 1959م: قام الجيش الفرنسي باستخدام عناصر القناصة التي كانت تتخفى وتتموه بين أغصان الأشجار نهاراً وسط الغابة في مهمة أسندت إليها من أجل القبض على المجاهدين والمناضلين وهم أحياء، ولما عجز الجيش الفرنسي على النجاح في مهمته كتب مسئولهم إلى الجيلاي بونعامه قائلاً: "إذا كنتم أبطالاً فاخرجوا إلينا"، وبعد تلقي الرسالة بيومين قرر جنود جيش التحرير الوطني الرد على العدو الفرنسي من خلال عقدهم لاجتماع في منطقة عبد القادر بلحسين (القلعة)، تتقرر فيه

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة

التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م، ص 76.

² - محمد نمار، المرجع السابق، ص 155.

³ - نفسه، ص 158.

نصب كمين بين منطقتي البتحية وبنى بوعتاب، وبحلول الساعة الرابعة صباحا أين كان جنود الكتيبة الكريمة متمركزين جيدا في المنطقة لمحو تقدم القوات الفرنسية خصوصا وأن الغابة كانت قد أحرقت من قبل إثر عملية تمشيط واسعة قام بها العدو الفرنسي بحثا منه عن جنود جيش التحرير الوطني، فوقعوا في الكمين الذي تكلل بسقوط حوالي ثمانية وعشرين جنديا فرنسيا، كما تم غنم قطع الأسلحة التي كانت بحوزتهم، ومنها قطعة "المات 52" التي كانت لا تزال جديدة فأخذها المجاهد السي أحمد بودار، وبالمقابل استشهد السي عمر باشوشي، وأسر مرشد الكتيبة والذي كان جريحا، كما تم ضرب الطائرات العسكرية التي استشهد إثر قصفها السكان المدنيون العزل، وبالتالي دمر فوج هذا الكوماندو الفرنسي عن آخره.⁽¹⁾

11. كمين بوغافية نوفمبر 1959م: نصبت فصيلة من المجاهدين بقيادة محمد دندان المدعو لامارتين رفقة الحاج نبار كميننا للجيش الفرنسي، والذي كان قادما من مركز بومسعود بني بودوان إلى فرقة بني بوعتاب، بمنطقة بوغافية شهر نوفمبر من عام 1959م على الساعة الثامنة صباحا، وبعد وقوع جيش العدو الفرنسي في الكمين انهال عليه المجاهدون بإطلاق الرصاص، فدام هذا الكمين مدة عشرين دقيقة، ليطلب الجيش الفرنسي الإمدادات العسكرية من السلطات فتدخلت الطائرات لتحول هذا الكمين إلى اشتباك نتج عنه ستة قتلى وثمانية قتلى من الجنود الفرنسيين، أما جيش التحرير الوطني فقد انسحبوا سالمين من دون أن يمسه أذى.⁽²⁾

12. كمين القجاجة نوفمبر 1959م: نصبت الكتيبة الكريمة بقيادة محمد مالك المدعو السي لخضر، كميننا لكنتيتين من الجيش الفرنسي ببقة القجاجة نواحي بني بوعتاب بمنطقة الكريمة شهر نوفمبر من عام 1959م، على الساعة العاشرة صباحا، وكانت كتيبتين من الجيش الفرنسيين مدعمتين بأربعة طائرات من نوع كشافية وجقوان، فنتج عن هذا الكمين مقتل أكثر من ستين جنديا فرنسيا، وعدد كبير من الجرحى، بينما فقد جيش التحرير الوطني مجاهدين اثنين أحدهما هو عبد القادر الشرشالي نائب قائد الكتيبة وجرح مناضلين اثنين.⁽³⁾

13. كمين الكريمة ديسمبر 1959م: قامت مجموعة من المجاهدين بوضع لغم لشاحنات عسكرية كانت متجهة إلى عرش بني بوعتاب، عبر الطريق الرابط بين مركز العكرمي وبوسعيد بنواحي الكريمة، شهر

¹ - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد بحري عبد القادر حول معارك منطقة بطحية، مدة التسجيل 14 د و 42 ثا.

² - محمد نمار، المرجع السابق، ص 160.

³ - نفسه، ص 162.

ديسمبر من عام 1959م على الساعة التاسعة صباحا، فأسفر انفجار اللغم على قتل عشرين جنديا فرنسيا وتحطيم الشاحنة العسكرية.⁽¹⁾

14. كمين الحرايق ديسمبر 1959م: نصبت مجموعة من المجاهدين بقيادة السي زرق العين عمر كميناً لكتيبة من كتائب الجيش الفرنسي، بمنطقة الحرايق ببقعة الشرفاء ضواحي بني بوعتاب شهر ديسمبر عام 1959م على الساعة السابعة مساءً، ونتج عن هذا الكمين مقتل ثمانية عشر جنديا فرنسياً، واستشهد قائد المجموعة السي عمر زرق العين.⁽²⁾

15. كمين زكار 1960م: نصبت الكتيبة الحمدانية كميناً دامياً على موكب عسكري متكون من ثلاث شاحنات في زكار، غنمت من خلالها ثلاثين قطعة سلاح من مختلف العيارات قاموا بتسليمها لمسؤولي المنطقة الثالثة، واحتفظوا بكمية من الذخيرة لأنفسهم، ثم انفصلوا بسرعة في شكل أفواج صغيرة من ثلاثة أفراد، بعدما اتفقوا على المكان والزمان اللازمين الذان يلتقيان فيهما، وبهذه الطريقة واصلت أعضاء الكتيبة نشاطها الثوري.⁽³⁾

16. كمين بوقوجة أبريل 1960م: نصبت مجموعة من المجاهدين بقيادة محمد دندان المدعو لامارتيني كميناً لابن الباشاغا بوعلام المعروف بين يوسف مع بعض الخونة، أثناء عودتهم من الكريمة بمنطقة بوقوجة شهر أبريل من عام 1960م على الساعة التاسعة ليلاً، حيث كانوا يقلون سيارة من نوع 403، فنتج عن هذا الكمين جرح ابن الباشاغا بوعلام، وفراره إلى مركزهم الذي كان على بعد مائة متر فقط، كما انسحب المجاهدون سالمين.⁽⁴⁾

17. كمين أولاد بن عبد القادر أبريل 1960م: نصب فوج من أفواج جيش التحرير الوطني بقيادة السابح عبد الرحمان المدعو عابد، وبحضور السي عمار بن رمضان كميناً لدورية من الجيش الفرنسي بكعريشة نواحي أولاد بن عبد القادر بضواحي الكريمة شهر أبريل من عام 1960م على الساعة السابعة صباحاً، في الوقت الذي كانت فيه الدورية الفرنسية تقوم بمراقبة البقعة، فدام هذا الكمين حوالي عشرين

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 163.

² - نفسه، ص 165.

³ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 87.

⁴ - المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م، ص 119.

دقيقة، نتج عنه خمسة قتلى وأربعة جرحى من جنود الجيش الفرنسي، بينما لم يصب جنود جيش التحرير الوطني بأي أذى.⁽¹⁾

18. كمين الحمايد أبريل 1960م: وضع جيش التحرير الوطني لغما للقطار السريع بالقرب من بقعة الحمايد في طريق السكة الحديدية الرابط بين وادي الفضة وأم الدروع، شهر أبريل من عام 1960م على الساعة العاشرة صباحا، وبعد تركيب اللغم بوقت قصير عن موعد القطار انفجر، وأدى إلى استشهاد المجاهد الجيلالي قيوار، كما ألحق أضرار مادية بالسكة الحديدية وتسبب في تعطيلها.⁽²⁾

19. كمين بطحية جويلية 1960م: نصبت الكتيبة الحميدية وثلاثة فصائل من الكتيبة الكريمة كميناً للجيش الفرنسي قرب منطقة بطحية ضواحي بني بوعتاب، شهر جويلية من عام 1960م على الساعة الحادية عشر صباحا، حيث كان العدو الفرنسي في مهمة تمشيط وحصار للمنطقة، بعد وشاية قدمها أحد الخونة المدعو عباس بعد أن استسلم للعدو الفرنسي، وأخبره بمناطق تمركز المجاهدين، ليتحول الكمين إلى اشتباك بين الطرفين دام مدة أحد عشر ساعة ونصف، مع العلم أن الجيش الفرنسي كان قد عزز من قواته بطائرات مقاتلة، وقد نتج عن هذا الكمين مقتل مائة وخمسين جنديا فرنسيا، وجرح عدد كبير منهم، أما جيش التحرير الوطني فقد خسر أربعين مجاهدا وسبعة جرحى من بينهم سليمان الغول.⁽³⁾

20. كمين الخوان جويلية 1960م: نصب فوج من المجاهدين بقيادة السي بوبكر وبحضور محمد نمار كميناً لقوات الجيش الفرنسي بمنطقة الخوان ضواحي بني بوعتاب، شهر جويلية من عام 1960م على الساعة العاشرة صباحا، حيث كان العدو الفرنسي يقوم بعمليات تمشيط وحصار للمنطقة، مدعما بسراب من الطائرات، فوقع في الكمين الذي دام مدة نصف ساعة، وأسفر على عشرين قتيلا وستة جرحى في صفوف الجيش الفرنسي، في حين استشهد مجاهد واحد وهو ممرض الكتيبة المدعو السي بوعلام.⁽⁴⁾

21. كمين بودوان جويلية 1960م: قامت مجموعة من جيش التحرير الوطني بوضع لغم لشاحنة عسكرية في الطريق الرابط بين بني بودوان والكريمة، شهر جويلية من عام 1960م على الساعة التاسعة

¹- محمد نمار، المرجع السابق، ص167، وأنظر كذلك: المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م، ص122.

²- محمد نمار، المرجع السابق، ص167.

³- محمد نمار، المرجع السابق، ص168، وأنظر كذلك: المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م، ص133.

⁴- محمد نمار، المرجع السابق، ص171.

والنصف صباحا، فأُسفر هذا الانفجار على تحطيم الشاحنة وقتل معظم ركبها بالقرب من منطقة السد الصغير.

22. كمين الحماید جويلية 1960م: قامت مجموعة من الفدائيين بوضع لغم في طريق السكة الحديدية الرابط بين وادي الفضة وأم الدروع ببقعة الحماید، شهر جويلية من عام 1960م، فكانت نتيجة هذا الانفجار تحطيم القطار وإلحاق به خسائر كبيرة.

كان رد الاستعمار الفرنسي عنيفا كالعادة حيال انفجار القطار، فقام بسجن خمسة وعشرين مواطنا بريئا، وعذب عددا آخر مماثلا.⁽¹⁾

23. كمين سيدي بوهني جويلية 1960م: قامت مجموعة من المجاهدين بنصب كمين لكتيبة فرنسية قادمة من مركز تفرجيجت ومتوجهة لبقعة سيدي بوهني، شهر جويلية من عام 1960م، لتقع في الكمين الذي دام مدة عشرين دقيقة مسفرا على قتل ثمانية جنود من الجيش الفرنسي، وجرح جنديين آخرين، أما جيش التحرير الوطني فقد خسر ثلاثة مجاهدين من بينهم: السي موساوي وعبد القادر نمار المدعو السي السعيد.

كان رد الجيش الفرنسي عنيفا كالعادة وخاصة حين قيامه بسجن سبعة مدنيين أبرياء عزل.⁽²⁾

24. كمين الزراولة⁽³⁾ 23 جويلية 1959م: اتصل مسئول القسم الأول للناحية الأولى المدعو السي رابح بونواظر عن طريق رسالة مع عضو المنطقة الزنداري مبارك الجيلالي، يوم 21 جويلية من عام 1959م يعلمه فيها بأن الجيش الفرنسي سيخرج بقواته المتمثلة في ثلاث شاحنات وهم سيارتين من نوع جيمسي وسيارة من نوع لافتراك، وستتطرق من لافلان إلى الزراولة ليراقب المواطنين الذين كانوا متجهين نحو الحصاد يأتون إليه في الصباح ثم يعودون في المساء، وكان العدو الفرنسي يشدد الحراسة عليهم حتى لا تتسرب إليهم أخبار عن المجاهدين وحتى لا يكونوا على اتصال مع ثوار جيش التحرير الوطني. كلف السي مبارك الزنداري يحيى الوزري المدعو سبيلو بمهمة القيادة بمجرد تلقيه هذا الخبر، حيث سار هذا الأخير بفصيلة له مزودا بفصيلتين احدهما من الناحية الأولى والأخرى من الناحية الثانية.

¹- محمد نمار، المرجع السابق، ص172.

²- نفسه، ص173.

³- الزراولة: تقع منطقة الزراولة ضمن القسم الأول من الناحية الأولى للمنطقة الرابعة في الولاية الرابعة التاريخية، يحدها من الشمال جبل بوحرب، ومن الجنوب بلدية لافلان، ومن الشرق جبال زكار، ومن الغرب منطقة العناب، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية -الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص250).

تجمع أفراد الفصائل الثلاث في مركز الزرولة وهو المكان المخصص لتنفيذ العملية على الساعة السادسة مساء من يوم 22 جويلية عام 1959م، وقد شكلوا بذلك كتيبة، حيث كان على رأس كل فصيلة من الفصائل الثلاثة قائدا:

- قائد الفصيلة الأولى أحمد التابلاطي.

- قائد الفصيلة الثانية نور الدين بوركايب.

- قائد الفصيلة الثالثة السي بلعيد.⁽¹⁾

تزود كل أفراد الكتيبة بأسلحة متنوعة متمثلة في رشاشات جماعية من نوع ماط 49 من نوع فرنسي، وببنادق نصف آلية من نوع قارة من صنع أمريكي، فضلا عن بنادق رشاشة، ليتوجه قائد الكتيبة وقادة الفصائل الثلاثة ومسئول القسم الأول المدعو بونواظر وبعض الأفراد من الكتيبة للاستطلاع بمكان الكمين، لتحديد بعد ذلك المجموعة الاستطلاعية أماكن الفصائل وأماكن الجماعات، فتم بعد ذلك دراسة الخطة ورسمها في مكان العملية، وبعد انتهاء عملية الاستطلاع كانت الساعة تشير إلى حدود التاسعة ليلا، فتقهقرت المجموعة نحو الخلف بحوالي ثلاثمائة متر، فكلفت أحد أفرادها بالذهاب إلى المكان الذي توجد فيه الكتيبة لإبلاغها بالإجراءات المتخذة فيتسنى لها بالمجموعة التي نفذت مهمة الاستطلاع.

التحقت الكتيبة بالمجموعة الاستطلاعية في اليوم الموالي الموافق لـ 23 جويلية من عام 1959م على الساعة الثالثة صباحا، أين تم شرح الخطة المقررة لكافة أعضاء الكتيبة حتى يكون لهم علم بالمهمة التي سيؤدونها، وبعد الاتفاق بين فصائل الاستطلاع وأفراد الكتيبة على الخطة المرسومة زحفت هذه الأخيرة إلى المكان الذي سينصب فيه الكمين في حدود الساعة الرابعة مساء، وعند الوصول أخذت كل فصيلة مكانها حسب الخطة المدروسة، كما حرصت على التخفي والتمويه لكل أعضاءها بمجرد حلول الساعة الرابعة والنصف من مساء نفس اليوم.⁽²⁾

تلقى قائد الكتيبة خبرا من نقطة المراقبة على الساعة السابعة مساء مفاده أن جنود الجيش الفرنسي قد كانوا متجهين نحو أماكن عمل المواطنين الذين يبعد عن موقع الكمين بحوالي نصف كيلومتر، ومرت القافلة العسكرية الفرنسية دون أن تكشف موقع المجاهدين ووضعتهم، فقد كانت الخطة تقتضي أن لا يشرع أفراد الكتيبة في إطلاق النار على العدو الفرنسي، وفي الصباح الباكر وصلت الشاحنات التي كانت

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية -الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص250.

² - نفسه، ص251.

تحمل على متنها جنود الجيش الفرنسي بقي هؤلاء عن مكان العمل وعادت الشاحنات فارغة إلى الثكنة العسكرية.

قضت الكتيبة يوما كاملا ترتقب عودة جنود الجيش الفرنسي في المساء، حتى تتمكن من تنفيذ الخطة المتفق عليها، بحيث دام مكوث جنود جيش التحرير الوطني في مكان الكمين ما يقارب ثلاثة عشر ساعة.⁽¹⁾

تلقت الكتيبة الحمدانية خبرا من نقطة الإنذار على الساعة السادسة إلا الربع تعلمهم أن شاحنات العدو الفرنسي تحركت باتجاه مكان العمل للعودة بالجنود الفرنسيين، وبعد لحظات وجيزة مرت القافلة، فاقتربت الفصائل الثلاثة من الطريق ثم عادت القافلة بعد ذلك محملة بجنود الجيش الفرنسي، وعندما اقتربت هذه الأخيرة من مكان تواجد المجاهدين أطلق فردين مكلفين برمي القنابل اليدوية النيران على السيارة المصفحة من طرف الكتيبة، لتتوالى بعد ذلك الطلقات النارية المكثفة فأصابت القافلة لمدة دقيقتين تحت صياح الثوار بعبارتهم المشهورة والمعتادة "الله أكبر".

هجمت الكتيبة على القافلة الفرنسية العسكرية فدمرتها عن آخرها قاضية بذلك على الشاحنات وقتلت الجنود واستولت على الأسلحة ليدوم هذا الكمين حوالي ثماني دقائق، لينسحب أفراد الكتيبة بعدها سالمين في اتجاه مركز الزرولة، وبمجرد وصول الكتيبة إلى أحد مراكز القسم الأول الذي يوجد قرب تيطويلت على الساعة التاسعة ليلا شرعت في عملية إحصاء الغنائم التي كانت كما يلي: رشاش من نوع 12/7، مدفع رشاش من نوع 30، أربع رشاشات جماعية من نوع أف أم بار،⁽²⁾ 22 بندقية -قارة- أمريكية، 28 مات 49 فرنسية، بندقية من نوع كارابين، مسدس من نوع 09 مم، فضلا عن عدد كبير من الذخيرة والعتاد الحربي وجهاز لاسلكي ج10.

قضت الكتيبة على كافة جنود الجيش الفرنسي والمقدر عددهم بثلاثة وستين جنديا، ولم ينج منهم سوى القائد والذي كان برتبة ملازم أول يدعى " بولية بولحية"، فقد فر خفية رغم أنه أصيب بجروح خطيرة، إلا أنه مالبث أن مات قبل وصوله إلى الثكنة العسكرية، أما فيما يخص خسائر جيش التحرير الوطني فقد كانت متمثلة في استشهاد مناضل واحد.

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية -الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص251.

² - نفسه، ص252.

أطلع قائد الكتيبة قيادة المنطقة على نتائج العملية بمجرد انتهاء عملية الإحصاء بواسطة الاتصال بالناحية الأولى.⁽¹⁾

25. كمين بوسعيد نوفمبر 1960م: قامت مجموعة من جيش التحرير الوطني بوضع لغم في منطقة بوسعيد نواحي بني بوعتاب شهر جويلية من عام 1960م، حيث كان الاستعمار الفرنسي يتردد على هذا -المكان بكثرة وقت الغداء، فتسبب هذا الانفجار في مقتل خمسة جنود فرنسيين وجرح عدد آخر مماثل له.⁽²⁾

¹- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية

-الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص253.

²- محمد نمار، المرجع السابق، ص178.

2. الاشتباكات:

1. اشتباك الباسكري 22 فيفري 1959م: وقع اشتباك بين فوج من المجاهدين التابعين للكتيبة الكريمة بقيادة محمد صواتشي وقوات الجيش الفرنسي ببقعة الباسكري بمنطقة الكريمة يوم 22 فيفري 1959م على الساعة الثانية عشر ليلا، حيث كانت القوات الفرنسية تقوم بتمشيط وحصار المنطقة، فدام الاشتباك بين الطرفين مدة نصف ساعة نتج عنه مقتل خمسة وستين جنديا فرنسيا من قوات العدو الفرنسي بينما جرح عدد كبير منهم.

أما فيما يخص خسائر جيش التحرير الوطني فقد استشهد منهم مجاهد واحد وهو السي أحمد بوقرة، وجرح مناضلان اثنان وهما صلواتشي محمد والسي عمر.

2. اشتباك بني بوعتاب فيفري 1959م: وقع اشتباك بين فصيلة من المجاهدين التابعة للكتيبة الكريمة بقيادة محمد دندان وكتيبة من قوات الجيش الفرنسي، والتي كانت مدعمة بأربعة طائرات من نوع جاغوار، بمنطقة بني بوعتاب في شهر فيفري 1959م على الساعة الثامنة صباحا، حيث كان الجيش الفرنسي يقوم بحملة تمشيط وحصار واسعين بالمنطقة، فنتج عن هذا الاشتباك مقتل ستة جنود فرنسيين دون إصابة أي مناضل من جنود جيش التحرير الوطني.⁽¹⁾

3. اشتباك سيدي أحمد دقيوس ربيع 1959م: وقعت قوات الكتيبة الحمدانية في اشتباك عنيف مع المظليين في سيدي أحمد دقيوس قرب شرشال عام 1959م، فتمكنوا من إسقاط طائرتين عسكريتين فرنسيتين، إلا أنهم فقدوا العديد من الشهداء وأحرقت الغابة التي كانت تأويهم بأكملها.⁽²⁾

4. اشتباك بني بوعتاب أفريل 1959م: اشتبكت فصيلة من الكتيبة الكريمة وفصيلة من الكتيبة الزيرية وكوموندو السي جمال وفصيلة من الناحية الأولى بقيادة السي عمر بن رمضان، مع قوات الجيش الفرنسي التي كانت تفوق ثلاثة آلاف عسكري مدعمة بخمسة وعشرين طائرة مختلفة الأنواع، بمنطقة عبد القادر بلحسين في بني بوعتاب شهر أفريل 1959م.

كان العدو الفرنسي يقوم بحملة تمشيط وحصار للمنطقة في الوقت الذي حدث فيه الاشتباك، والذي أسفر عن قتل مائة وعشرين جنديا فرنسيا وجرح أكثر من سبعين آخرين.⁽³⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص167، وأنظر كذلك: المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م، ص43.

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص84.

³ - محمد نمار، المرجع السابق، ص146.

5. اشتباك مركز عمر بن صالح 19 ماي 1959م: اشتبك مجاهدان وفرقة من السبايس التي كانت تقوم بتمشيط جهة مركز بن صالح نواحي وادي الفضة يوم 19 ماي 1959م على الساعة الثامنة صباحا، حيث دام هذا الاشتباك مدة ساعة واحدة، نتج عنه مقتل ستة جنود فرنسيين وحصان أحد السبايس، أما المجاهدان فقد استشهدا هما الاثنان.

6. اشتباك قرية الحمايد شهر ماي 1959م: وقع اشتباك بين مجموعة من المجاهدين بقيادة السي الملياني والتي كانت متمركزة عند أحد المناضلين وقوات الجيش الفرنسي، بقرية لحمايد نواحي أولاد عباس شهر ماي 1959م على الساعة الرابعة صباحا، حيث كان الجيش الفرنسي يقوم بتمشيط الدشرة، فدام الاشتباك بين الطرفين مدة حوالي ساعة تقريبا نتج عنه قتل وجرح ما يقارب تسعة وثلاثون جنديا من الجيش الفرنسي، بينما نجح المجاهدون من الانسحاب سالمين من دون أن يمسوا بأذى.

كان رد الفرنسيين عنيفا كعادتهم في الثأر من هزيمتهم أمام قوات جيش التحرير الوطني، فقاموا بحرق ونهب ممتلكات سكان المنطقة والذي كان من بينهم منزل قدور قدار الذي جرح في نفس اليوم، وتم زجه في السجن رفقة أمه بعد أن اكتشفوا مجموعة من المجاهدين كانوا قد تمركزوا في بيته.⁽¹⁾

7. اشتباك أولاد معمر جوان 1959م: وقع اشتباك بين مجموعة من المجاهدين بقيادة عبد القادر أتيرس وكتيبة من قوات الجيش الفرنسي ببقعة أولاد معمر التابعة لمنطقة بني بوعتاب، شهر جوان من عام 1959م على الساعة العاشرة صباحا، في الوقت الذي كانت تقوم فيه كتيبة الجيش الفرنسي بعمليات بتمشيط وتفتيش للمنطقة، وأسفر هذا الاشتباك الذي وقع بين الطرفين على مقتل خمسة جنود فرنسيين وجرح عدد كبير منهم، أما في صفوف المجاهدين فقد خسر جيش التحرير الوطني أربعة شهداء، أحدهم المجاهد أحمد ناظر المدعو السي سالم، والثلاثة الباقين هم عبارة عن مدنيين كانوا يرافقون المجاهدين، ليساعدوهم في حمل المؤونة وهم: محمد زنتار، علي مبطوش، وعبد القادر زنود.

كان رد فعل الاستعمار الفرنسي وحشيا كعادته، فثأر للاشتباك الذي وقع بالمنطقة عن طريق حرق بيوت السكان المدنيين وترهيب المواطنين العزل.⁽²⁾

8. اشتباك بوحفارة 25 جويلية 1959م: انتقل جنود جيش التحرير الوطني من القسم الأول للناحية الأولى إلى القسم الثالث من الناحية الثالثة، وكان ذلك يوم 23 جويلية من عام 1959م عقب كمين الزرولة، وكان الممر الذي اتخذته الكتيبة الحمدانية في تنقلها هو كالتالي: تيطويلت، بوذينة، مانيعة،

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص ص 147، 148.

² - نفسه، ص 150.

وحبونة، وعند الوصول إلى المكان المقصود كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة من صباح يوم 24 جويلية، لتتمركز في التابعة السمي (تابة بلعدي)، وتلقت هذه الأخيرة خبرا من الحراسة على الساعة الرابعة صباحا يعلمهم بأن الجيش الفرنسي ظهر في تيطويلت، مانيعلة، وبوجرب أي أنه برز في كل المرتفعات المحيطة، وهما تيقن المجاهدون بأن العدو الفرنسيكان قد طوق الناحية الثالثة التي كانت توجد بها الكتيبة، وبحلول الساعة الخامسة مساء كانت وحدات الجيش الفرنسي قد اقتربت من المنطقة.⁽¹⁾

انسحبت الكتيبة قليلا من دون أن يتقطن لها الجيش الفرنسي، كما حولت مرارا أن تخرج من الحصار المضروب عليها ولكن بدون جدوى، ليتخذ قادتها بحلول الساعة الثامنة مساء قراراتين مهمين، فقد اقتضى القرار الأول بضرورة إخفاء الأسلحة الثقيلة والذخيرة الزائدة وبعض المعدات اللازمة في نفس مكان تواجد الكتيبة، في حين اقتضى القرار الثاني الاتجاه ناحية الشمال بحوالي كيلومتر واحد ثم تقسم الكتيبة إلى ثلاث فضائل بحيث تتخذ كل فصيلة اتجاها خاصا بها، بحيث تتوجه الفصيلة الأولى إلى منطقة قوراية، بينما تتجه الفصيلة الثانية إلى منطقة شرشال، في حين تبقى الفصيلة الثالثة في عين المكان.

اكتشف الجيش الفرنسي مكان تواجد الفصيلة الثالثة من الكتيبة الحمدانية صبيحة يوم 25 من شهر جويلية من عام 1959م على الساعة العاشرة صباحا، فوقع الاشتباك بين الطرفين دام إلى غاية الساعة الرابعة من مساء نفس اليوم، مسفرا عن ثلاثين قتيلًا وخمسة عشر جريحا في صفوف الجيش الفرنسي، بينما فقدت صفوف جيش التحرير الوطني حوالي سبعة عشر مجاهدا من بينهم السي رزقي مقدم الطيب مسئول سياسي للناحية الثالثة، كما أصيب ثلاثة مناضلين آخرين بجروح خطيرة.

عادت الفصيلة الأولى وانضمت إلى الفصيلة الثالثة حوالي الساعة التاسعة من مساء نفس اليوم، وذلك لعدم تمكنها من الاتجاه ناحية قوراية كون أن الجيبش الفرنسي حال دون ذلك، وخلال يومي 26 و27 من نفس الشهر حاولت الفصيلتان الخروج من الحصار ولكن من غير جدوى.⁽²⁾

قرر مناضلو الكتيبة أن يخرجوا من الحصار يوم 28 جويلية من نفس الشهر على الساعة الثالثة صباحا أن يخرجوا من الحصار أي من القسم الثالث الناحية الثالثة إلى القسم الأول من الناحية الأولى لأن العدو الفرنسي كان قد انتهى من التفتيش فيها وركز على الناحية الثالثة، متقلين عبر عربتلن،

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية -الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص253.

² - نفسه، ص254.

مسكر، فبوزينة، حيث وصلوا إلى منطقة بوزينة على الساعة الرابعة والنصف، لينتشروا على القمة آخذين وضع الدفاع، فوصلهم خبر من الحراسة على الساعة السادسة صباحا مفاده أن الجيش الفرنسي موجود في منطقة "تيطويلت"،⁽¹⁾ وهو في طريقه نحوهم.

أقبلت طائرتان مقبلتان بعد لحظات، لتقبل المنطقة حوالي عشرين دقيقة ثم رحلت فشرع الجيش الفرنسي في الهجوم، ليشتبكوا مع المجاهدين فكان الاشتباك عنيفا لتتقهقر قوات العدو الجيش الفرنسي إلى الخلف، ليتدخل الطيران والمدفعية مرة ثانية التي قامت بقصف المنطقة إلى غاية الساعة الواحدة ظهرا مستعملة قنابل النابالم وقنابل شديدة الانفجار، فانسحبت فصائل الكتبية الحمدانية من المنطقة وقد كان العدو الفرنسي قد انسحب من الناحية كلها بمجرد حلول الساعة الرابعة مساء، بعد أن أسفر الاشتباك عن واحد وعشرين قتيلا وثمانية جرحى في صفوف الجيش الفرنسي، بالموازاة مع أربعة شهداء وجريح واحد في صفوف جيش التحرير الوطني.⁽²⁾

9. اشتباك تكادرت أوت 1959م: اشتبكت فصيلة من الكتبية الكريمة بقيادة السي جعفر مع كتبية من الجيش الفرنسي بمنطقة تكادرت نواحي بني بوعتاب شهر أوت 1959م على الساعة العاشرة صباحا، وكانت كتبية الجيش الفرنسي معززة بعشر طائرات مختلفة الأنواع، فكشفت تمركز المجاهدين، الأمر الذي أدى إلى وقوع اشتباك حامي الوطيس بين الطرفين نتج عنه مقتل ثمانية جنود من الجيش الفرنسي، فضلا عن جرح عدد كبير منهم، أما مناضلي جيش التحرير الوطني فقد استطاعوا الخروج سالمين من العملية، وكعادته قام الاستعمار الفرنسي بالتأثر لما حدث عن طريق قتل امرأة مدنية بعد تعريضها لأشد أنواع التعذيب.⁽³⁾

10. اشتباك مقبرة الكريمة أوت 1959م: وقع اشتباك بين فصيلة من الكتبية الكريمة بقيادة السي علي لامارتين وقوات الجيش الفرنسي التي كانت تفوق ثلاثة كتائب، بمقبرة الكريمة شهر أوت من عام 1959م على الساعة الرابعة صباحا، حيث كانت قوات الاستعمار الفرنسي تقوم بعمليات تمشيط وحصار للمنطقة بحثا منها عن مجاهدي جيش التحرير الوطني، فوقع الاشتباك بين الطرفين والذي نتج عنه: مقتل وجرح عدد كبير من الجنود الفرنسيين، فقد بقيت الحصيلة مجهولة كون أن العملية جرت فجرا حيث

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية -الولاية الرابعة-، المرجع السابق، ص254.

² - نفسه، ص255.

³ - محمد نمار، المرجع السابق، ص152.

كان الظلام مخيماً على الأجواء، أما في صفوف جيش التحرير الوطني فقد استشهد أربعة من المجاهدين من بينهم: المناضل أحمد القارة وعمر حسنين المدعو السي القسم.⁽¹⁾

11. اشتباك الزبربر 09 سبتمبر 1959م: أصدرت دورية الحراسة إنذاراً بوجود تحرك كبير لعساكر العدو يوم 09 سبتمبر 1959م، فالتجأ كوموندو علي خوجة إلى فوراً إلى غابات الزبربر محتلين بذلك المواقع الاستراتيجية، الأمر الذي سيسمح لهم من السيطرة على الوضع في حالة الوقوع في اشتباك، كما أوكلت مهمة إشارة إطلاق النار لعلي الحراشي من الفوج الأول الذي يتعين عليه أن يطلق أول رمية برشاشته "مات 49".

وصلت أول موجة من مشاة الجيش الفرنسي إلى مشارف الغابة بعد مدة وجيزة، وبينما هم يقتربون من المجاهدين لوحظ توقف أحد الحركي فجأة وراح يتفحص الآثار على الأرض، فقام وأخبر النقيب الفرنسي بأنه اكتشف آثاراً لأحذية "باتوغاس" حديثة العهد، غأخذ الضابط ميكروفون من جهاز إرساله ليبلغ هذه المعلومة، قبل أن يصدر الأمر بالتقدم إلى الأمام دون خوف، معتبراً أنه لم يعد يبقى هناك "قلاقة" بعد مرور عمليتي "التاج" و"المنظار"، وأن تلك الآثار لن تكون سوى لبعض الناجين الذين لا يشكلون أي خطر.

حاول علي الحراشي أن يضغط على الزناد لإنذار رفقاءه قبل توغل الجيش الفرنسي في الغابة، إلا أن تصرفه لم يدل بأية نتيجة، كونه نسي أن يشحن رشاشته، لكن صوت المناورة التقطه الحركي، ولكن قبل أن يقوم هذا الأخير بأي رد فعل انطلقت رشقة طويلة تبعثها نيران كثيفة، فكانت المفاجأة كبيرة في صفوف الجيش الفرنسي، الذي لم يكن يتوقع بتاتا -على ما يبدو- الاصطدام بهذا العدد المعتبر من الثوار.⁽²⁾

أعطى الأمر بالهجوم وكان أول جندي ينطلق وهو يهتف بالعبرة السحرية "الله أكبر"، تلقى رصاصة على منتصف الجبهة، فكان أول شهيد في الاشتباك، بعدها جاء عسكري مسلح ببندقية رشاشة 29/24 ليترصد خلف شجرة، مانعاً بذلك جنود الكوموندو من التقدم، وفي تلك الأثناء راح سعيد ولد قاسم ومعه أحمد التابلاطي، الذي يحمل هو الآخر رشاشاً من نوع 29/24، يزحفان لمداراته والوصول إليه من الخلف.

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 152.

² - حسين آيت إيدر، المرجع السابق، ص 113.

يصف حسين آيت إيدر تفاصيل الواقعة قائلا: "عند الوصول إلى مستواه، أفرغ أحمد التابلاطي رشاشته بكل ما أوتي من قوة، ومع ذلك لم يتمكن من إصابته، فتدخل حينها سعيد ووجه ضربة بالقدم على وجه العسكري، وفي آخر رد له، أمسك العسكري بقدم سعيد وعضها بكل قواه قبل أن يخر صريعا، عند اقترابي منه، لاحظت سلسلة حول رقبته، ولما سحبته لأخذها انفصلت الرأس كلها عن الجسد من فعل وابل الرصاص عليها".

استمر القتال بضراوة لا توصف، وكان هناك حركي جريح رفع يديه في إشارة إلى الاستسلام، لكن في اللحظة التي اقترب أحمد زبربر⁽¹⁾ منه واثقا أخذ الحركي رشاشته التي كانت متدلية على عنقه ليرمىها بعدة رشقات نارية مصيبا أحمد زبربر في يده، فقاما بقتله في تلك اللحظة. ساهم غياب الطيران والمدفعية في ذلك على السيطرة عن مجبرات المعركة، وفي أثناء تراجع المناضلين استطاعوا أن يغنموا ملابس عسكرية كاملة وأحذية "باتوغاس" وحقيبة محمولة على الظهر تحتوي على فراش ومؤن غذائية وجهاز إرسال صغير الحجم.

تخلّى المجاهدون عن كل ما يثقل كاهلهم ويعيق سيرهم، بما في ذلك المصبرات والأجبان، وكذا الفراش الذي أخفيناه وسط الأحرار، فواصلنا السير بحذر شديد، مع الحرص على محو آثار خطاهم إلى غاية عبورهم الوادي، الذي اختفوا في محاذاته إلى غاية الغروب.⁽²⁾ وصلت الأخبار بعد أيام من الاستراحة إلى فصائل كوموندو علي خوجة، تفيد باستشهاد بلعيد قائد إحدى الوحدات، وسعدي قائد إحدى الفصائل وأحمد زبربر وأربعين آخرين، كما أسر محمد الكحلاوي وعبد القادر تونسسي وكذا الحاج لوباحة الذي قبض عليه الحركة عند وصوله إلى قريته، إلا أنه تمكن من الهروب.

كانت هذه الأخبار بمثابة نزول نكسة على مسامع الثوار، وخاصة بعد أن كانوا منتصرين في بداية المواجهة، ليدركوا لاحقا أن سبب هذه الخسائر الفادحة والمحبطة راجع إلى انتشار المراسد التي أقامها الجيش الفرنسي عبر المواقع الاستراتيجية أثناء غياب الفصائل عن الولاية، ليستطيع العدو الفرنسي أن يقتني آثار جنود جيش التحرير الوطني ويرصد تحركاتهم، ويبلغ عنهم للطيران والمدفعية اللذان استطاعا بضربتهما الدقيقة أن يقتلا كل هذا العدد الكبير من المجاهدين الجزائريين.⁽³⁾

¹ - حسين آيت إيدر، المرجع السابق، ص 114.

² - نفسه، ص 115.

³ - نفسه، ص 116.

12. اشتباك الباسكري سبتمبر 1959م: وقع اشتباك بين فصيلة من الكتيبة الكريمة بقيادة محمد دندان المدعو "لامارتين" وبحضور محمد صلواتشي الذي كان مسئول القسم الأول رفقة مجموعة من المسبلين وقوات الجيش الفرنسي، ببقعة الباسكري شواحي الكريمة شهر سبتمبر 1959م على الساعة الثامنة مساءً، حيث كانت القوات الفرنسية تترصده المجاهدين بالمنطقة بعد وشاية قام بها أحد الخونة، ونتج عن هذا الاشتباك مقتل ثمانية جنود من الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى جرح عدد كبير منهم، أما المجاهدين فقد نجحوا في الانسحاب سالمين دون أن يمسه أذى.

كان رد الاستعمار عنيفا كما جرت العادة حين يتلقى هزيمة شنعاء على يد جنود جيش التحرير الوطني، فقد قام بإحراق مواشي سكان المنطقة، وتعذيب المدنيين العزل، كما قام بزج عدد كبير من المواطنين في السجون.⁽¹⁾

13. اشتباك بقعة العياشين سبتمبر 1959م: وقع اشتباك بين مجاهدين وفصيلة من قوات الجيش الفرنسي التي كانت تراقب وتحاصر منطقة بقعة العياشين نواحي الكريمة، شهر سبتمبر من عام 1959م على الساعة الثالثة مساءً، فنتج عن هذا الاشتباك قتل وجرح عدد كبير من الجنود الفرنسي، فضلا عن استشهاد السي عبد القادر عياشين المدعو البوليس والسي موشوق عبد القادر. كتن رد الاستعمار الفرنسي عنيفا وشديدا كعادته، فقد قام بحرق منازل سكان المنطقة وزج بعدد كبير منهم في السجون.

14. اشتباك أولاد علي أكتوبر 1959م: وقع اشتباك بين الكتيبة الكريمة بقيادة السي محمد جمعة وقوات الجيش الفرنسي، التي كانت تقوم بعمليات تفتيش وحصار لمنطقة أولاد علي التابعة لبني بوعتاب شهر أكتوبر عام 1959م بحثنا منها عن المجاهدين الذين كانوا قد نصبوا كمينا لقواتها في بقعة أولاد علي نواحي بني بوعتاب شهر أكتوبر من عام 1959م، حيث كانت قوات العدو الفرنسي تقوم بعملية تمشيط وحصار للمنطقة بحثا عن المجاهدين الذين نصبوا لها كمينا، مع العلم أن قوات الجيش الفرنسي كانت تفوق فيلق الكتيبة عددا وعدة، إذ كانت مدعمة بخمسة وعشرين طائرة مختلفة الأنواع، فدام الاشتباك بين الطرفين يوما كاملا متقطعا نتج عنه قتل وجرح عدد كبير من جنود الجيش الفرنسي.⁽²⁾

15. اشتباك السد الكبير أكتوبر 1959م: وقع اشتباك بين فصيلتين من الكتيبة الكريمة وقوات الجيش الفرنسي التي كانت مكونة من أربعة كتائب تقريبا مدعمة بمختلف الأسلحة المتطورة، ب"المروية" بالسد

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص154.

² - نفسه، ص156.

الكبير نواحي الكريمة شهر أكتوبر من عام 1959م، حيث كانت قوات الجيش الفرنسي تقوم بمحاصرة المنطقة وتقتيشها وتمشيطها، في الوقت الذي حدث فيه اشتباك بين الطرفين انجر عنه مقتل ثلاثة جنود فرنسيين وجرح عدد كبير منهم، أما في صفوف جيش التحرير الوطني فقد خسر هذا الأخير مجموعة من المجاهدين من بينهم محمد مهدي المدعو السي عبد السلام بن عمر.⁽¹⁾

16. اشتباك بني بوخنوس أكتوبر 1959م: وقع اشتباك بين كتيبة تابعة للولاية الخامسة التاريخية بقيادة السي عبد الرحمان، وبحضور فوج من الكتيبة الكريمة بقيادة الحاج نبار، وقوات الجيش الفرنسي والتي كانت تتكون من كتيبة واحدة بمنطقة بني بوخنوس ضواحي بني بوعتاب نواحي الكريمة، في شهر أكتوبر من عام 1959م على الساعة الواحدة ليلا، فقد كانت الكتيبة الفرنسية نائمة في بطحة أرض منبسطة والحراس بجوارها، وقد نتج هذا الاشتباك بين الطرفين بعد أن اكتشف العدو الفرنسي ن طرف دورية من المجاهدين التابعين للكتيبة الكريمة والتي كانت تقوم بكشف الطريق، فكان هذا الاشتباك الذي دام مدة نصف ساعة، خلف أربعين قتيلًا وعدد كبير من الجرحى في صفوف الجيش الفرنسي، بينما استشهد خمسة مجاهدين من بينهم: محمد بوهني.⁽²⁾

17. اشتباك بني بوعتاب أكتوبر 1959م: وقع اشتباك بين المجاهدين المتكونين من فصيلة من الكتيبة الكريمة وفصيلة من الكتيبة الحسينية وفوج من الكوموندو، بحضور السي رشيد مسئول الناحية والسي بلعيد عضو المنطقة، والسي الصادق البطل، وقوات الجيش الفرنسي التي كانت متألفة من ألف عسكري مدعم بأسراب من الطائرات المقاتلة، بالقرب من منطقة بني بوعتاب ضواحي الكريمة شهر أكتوبر من عام 1959م على الساعة الحادية عشر صباحا، حيث كانت قوات الجيش الفرنسي تقوم بتمشيط المنطقة ومحاصرتها، فدام الاشتباك بينهم مدة نصف ساعة من الزمن أسفر عن خمسين قتيلًا وعد كبير من الجرحى في صفوف الاستعمار الفرنسي، كما غنم المجاهدون سبعة قطع من الأسلحة الحربية من نوع 24، وثلاثة رشاشات من عيار 49، قطعتين قرات، قطعة ماص 36، بالإضافة إلى غنم جهازين لاسلكين (ترنسميسيون)، أما جيش التحرير الوطني فقد خسر مجاهدا واحدا وهو السي بعلاش من الكتيبة الكريمة.⁽³⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 157.

² - نفسه، ص 159.

³ - نفسه.

18. اشتباك أولاد معمر نوفمبر 1959م: وقع اشتباك بين مجموعة من المجاهدين وكتيبتين من الجيش الفرنسي بقرية أولاد معمر ببني بوعتاب ضواحي الكريمة، شهر نوفمبر من عام 1959م على الساعة الواحدة بعد الزوال، إثر وشاية من أحد الخونة، فدام هذا الاشتباك مدة ساعة كاملة، نتج عنه قتل وجرح عد كبير من قوات الجيش الفرنسي، أما على الطرف المقابل فقد خسر جيش التحرير الوطني مجاهدين اثنين وهما: السي السعيد المصري وعبد القادر ضحاك.⁽¹⁾

19. اشتباك بني حواء ديسمبر 1959م: اشتبكت فصيلة من المجاهدين بقيادة السي جلول نباطي، وبحضور محمد هتهات المدعو السي بن موسى عسكري الناحية وقوات الجيش الفرنسي، بمنطقة بني حواء شهر ديسمبر عام 1959م على الساعة الثالثة مساءً، حيث كانت قوات الجيش الفرنسي تقوم بتمشيط المنطقة ومحاصرتها، فدام الاشتباك بين الطرفين مدة حوالي عشرين دقيقة، نتج عنه قتل حوالي ثلاثة جنود وجرح عدد آخر من صفوف الجيش الفرنسي، أما حصيلة خسائر جيش التحرير الوطني فقد جرح ثلاثة مجاهدين.⁽²⁾

20. اشتباك الخوان ديسمبر 1959م: وقع اشتباك بين مجاهدين من صفوف جيش التحرير الوطني وهما: عبد الله فاشي وعبد القادر عمراس وكتيبة من كتائب الجيش الفرنسي، قرب الخوان بضواحي بني بوعتاب شهر ديسمبر من عام 1959م على الساعة العاشرة ليلاً، حيث نصبت الكتيبة الفرنسية كمينا للمجاهدين، وبمجرد أن وقعوا فيه حدث اشتباك بين الطرفين مدته نصف ساعة، ونتج عنه مقتل سبعة جنود فرنسيين، واستشهد المجاهدين الاثنان، ولكنهما بقيا مدة خمسة أيام بدون دفن نتيجة الحراسة التي كانت عليهما من طرف الجيش الفرنسي.⁽³⁾

21. اشتباك الفاضلية ديسمبر 1959م: وقع اشتباك بين فوج من المجاهدين بقيادة أحمد عامر بن محمد، وقوات الجيش الفرنسي التي كانت تفوق كتيبتي، بمنطقة الفاضلية قرب حدود سنجاس نواحي الكريمة شهر ديسمبر من عام 1959م على الساعة العاشرة صباحاً، حيث كان الجيش الفرنسي مدعماً بالطائرات المقاتلة، فوقع اشتباك بين الطرفين نتيجة وشاية أحد الخونة، فدام هذا الاشتباك إلى غاية الساعة الثالثة زوالاً، ونتج عنه مقتل ثلاثة عشر جندياً فرنسياً وجرح ستة عشر آخرين، كما فقد جيش

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 160.

² - نفسه، ص 163.

³ - نفسه، ص 164.

التحرير الوطني سبعة مجاهدين من بينهم: أحمد عامر، مطاكو الممرض، وعبد القادر طبول، كما تم إلقاء القبض على مجاهدين آخرين من بينهم: السي الوعزاني.⁽¹⁾

22. اشتباك وادي الجمعة بداية سنة 1960م: وصلت معلومات إلى الكتيبة الكريمة مفادها أن شاحنتين فرنسيتين تتحركان كل يوم ناحية وادي الجمعة نحو أحد مراكزها العسكرية في الغابة، إلا أن في هذه الفترة كان الطريق مقطوعا من جهة المركز، وثمة كان الجيش الفرنسي متواجدا بكثافة شديدة إثر قيامه بعملية تمشيط واسعة في الغابة، ليأتي الرتل الفرنسي المتكون من أكثر من مائة مركبة عسكرية وحوالي خمسة عشر طائرة دعم فضلا عن الدبابات وسلاح المدفعية، فتم الاتصال بين مختلف الفصائل والأفواج وقد كان قائد الكتيبة الكريمة آنذاك السي فريد درامشي، وأعطيت الأوامر بالحرص على عدم القيام بالضرب أولا لأن قوات الجيش الفرنسي كانت كبيرة ولا يمكن المغامرة بالمجاهدين في هذا الوقت بالذات.

فرض على جنود جيش التحرير الوطني الاشتباك مع هذا العدد الهائل من قوات الجيش الفرنسي على الساعة الثامنة صباحا، حيث استشهد خمسة وأربعون مجاهدا كان من بينهم محمد بزيثوني مسئول فصيلة المسبلين التي كان عددها ثمانية وعشرين مجاهدا، كما أسر آخر حيا ولكنه هرب بعدها والتحق بالكتيبة.

كان الاشتباك عنيفا، فقد استمر حتى التاسعة ليلا استعملت فيه فرنسا سلاح النابالم الحارق الممنوع دوليا، والذي نتج عنه حرق الأخضر واليابس، كما جرح من جرح بواسطته، وبسبب ذلك نزل مسئول الكتيبة إلى رتبة عسكري من طرف السي عبد القادر كبدي وأرسل إلى القسم الثاني، ولكنه استشهد في منطقة تيبركانين، وأنت الأوامر تفيد بضرورة إعادة تقسيم الكتائب والفصائل لما يلزم العمل العسكري بالمنطقة نتيجة لتغير الاستراتيجية العسكرية تبعا لتغير ظروف الحرب.⁽²⁾

23. اشتباك السويدانية 16 جانفي 1960م: وقع اشتباك في منطقة السويدانية بين مجاهدي جيش التحرير الوطني وسلطات الاستعمار الفرنسي يوم 16 جانفي 1960م، نتج عنه اكتشاف المخبأ الذي كان في منزل المناضل سيد أحمد الغابة المدعو أحمد مهدي، حيث كان هذا المخبأ يتسع لأربعة أشخاص، وكان قد بني في نفس الفترة تقريبا من اكتشافه، ومن المجاهدين الذين شاركوا في هذا الاشتباك نذكر: محمد جوادي، مقران جوادي (ابن محمد)، أحمد مهدي المدعو أحمد الغابة، علي مهدي (ابن

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 165.

² - نفسه، ص 35، 36.

أحمد)، والطاهر مهدي (ابن أحمد)، حيث اشتد الاشتباك بين الطرفين وأسفلر عن مقتل ضابط فرنسي برتبة ملازم أول يدعى Lieutenant Garant والذي كان مسئولاً معروفاً بالسويدانية، لينتهي الاشتباك باستشهاد كل المجاهدين المذكورين سابقاً والمنتمين لعائلي جواي ومهدي.⁽¹⁾

24. اشتباك تكادرت أبريل 1960م: اشتبكت فصائل من جيش التحرير الوطني بحضور السي محمد بونعامة وقوات الجيش الفرنسي بجبل تكادرت نواحي بني بوعتاب شهر أبريل عام 1960م على الساعة الثانية عشر زوالاً، حيث كانت قوات الجيش الفرنسي مدعمة بثلاثين طائرة حربية متنوعة ومتكونة من عدة فيالق، فوقع الاشتباك بين الطرفين إثر وشاية من أحد الخونة، فدامت العملية ثلاث ساعات نتج عنها قتل وجرح عدد كبير من الجنود الفرنسيين، وفقد جيش التحرير الوطني ستة مجاهدين من بينهم: السي جعفر دلال، كما أصيب العقيد الجيلالي بونعامة بجروح خفيفة.⁽²⁾

25. اشتباك الفرنان أبريل 1960م: وقعت مجموعة من المناضلين عددهم ستة مجاهدين وثلاثة مسبلين بقيادة السي مسطاش، في كمين نصبه الجيش الفرنسي للمجاهدين بمنطقة الفرنان ضواحي بني بوعتاب شهر أبريل 1960م على الساعة السادسة مساءً، وبعد سقوطهم في الكمين أطلقت عليهم النيران من كل الجهات فتحوّلت العملية إلى اشتباك نتج عنه قتل وجرح عدد كبير من جنود الجيش الفرنسي.⁽³⁾

26. اشتباك قرية المقارع جويلية 1960م: اشتبكت مجموعة من المجاهدين بقيادة السي العربي وقوات الجيش الفرنسي بقرية المقارع ناحية حرشون، شهر أبريل من عام 1960م على الساعة الثانية بعد الزوال، حيث كان الجنود الفرنسيون يحاصرون المنطقة فوقع الاشتباك بينهم وبين المجاهدين، ليُدوم مدة ساعة واحدة نتج عنه عدة قتلى وجرحى في صفوف الجيش الفرنسي، بينما استشهد مجاهد واحد وهو قائد المجموعة السي العربي.⁽⁴⁾

27. اشتباك الشماليل جويلية 1960م: وقع اشتباك بين مجموعة من المجاهدين بقيادة محمد بن غانم المدعو حمدان وقوات الجيش الفرنسي، المكونة من خمسة كتائب ومدعمة بسبعة طائرات عمودية مختلفة بين كشافة وجاغوار، ضواحي بني بوعتاب، شهر جويلية من عام 1960م على الساعة الواحدة مساءً، حيث كان الجيش الفرنسي يقوم بتفتيش المنطقة وتمشيطها ومحاصرتها، فحدث اشتباك بين الطرفين

¹ - الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص 162.

² - محمد نمار، المرجع السابق، ص 166.

³ - نفسه، ص 167.

⁴ - نفسه، ص 169.

استمر لثلاث ساعات، ونتج عنه قتل وجرح عدد كبير من الجنود الفرنسيين، أما المجاهدين فقد استشهد منهم اثنان أحدهما هو السي ساعد، وتم إلقاء القبض على كل من أحمد قارع وحسان.

كان رد فعل الجيش الفرنسي عنيفا كالعادة انتقاما لضحاياه في هذه العملية، فقد قام بقتل عشرة مواطنين من السكان المدنيين، ومن بينهم محمد زيار ومهني دايج.

28. اشتباك البراحلية جويلية 1960م: وقع اشتباك بين الكتيبة الكريمة وكتيبة من جيش العدو الفرنسي، بالبراحلية نواحي بني بوعتاب شهر جويلية عام 1960م على الساعة الرابعة صباحا، في الوقت الذي كان فيه الجنود الفرنسيون يقومون بالتفتيش عن مجاهدين في المنطقة، فدام الاشتباك بينهم مدة عشرين دقيقة نتج عنه خمسة قتلى في صفوف الجيش الفرنسي، بينما أصيب الكثير منهم بجروح متفاوتة الخطورة، في حين استطاع المجاهدون أن ينسحبوا إلى قواعدهم سالمين.⁽¹⁾

29. اشتباك البداورية جويلية 1960م: وقع اشتباك بين مجاهدين اثنين وهما السي عقبة ورفيقه والجيش الفرنسي بمنطقة البداورية ضواحي حرشون شهر جويلية من عام 1960م على الساعة الرابعة مساء، الذي كان واضعا كميننا للمناضلين على إثر وشاية من أحد الخونة، فكان الاشتباك بين الطرفين الذي دام مدة نصف ساعة وأسفر عن مقتل جنديين فرنسيين وجرح ستة آخرين في صفوف الجيش الفرنسي، أما المجاهدين فقد استشهدا في مسرح العملية وتم حرقهما بالبنزين.⁽²⁾

30. اشتباك المكرزية جويلية 1960م: وقع اشتباك بين سبعة مجاهدين من بينهم السي الغريبي وثلاث كتائب من قوات الجيش الفرنسي ببقعة المكرزية وبني جرتين نواحي الكريمة وبني بوعتاب، شهر جويلية من عام 1960م على الساعة الواحدة بعد الزوال، فقد كان الجيش الفرنسي يقوم بمحاصرة المنطقة إثر وشاية من أحد الخونة الذي أخبر الفرنسيين بمخابئ تمركز المجاهدين في المكان المذكور، فوقع الاشتباك بينهما واستمر لمدة ساعتين، مسفرا عن استشهاد سبعة مجاهدين من بينهم السي الغريبي، كما قام بإلقاء القبض على المجاهدين الموجودين بالمخابئ وهما: الجيلالي زويش وقدر دايج، بأما خسائر الجيش الفرنسي فقد بقيت مجهولة وغير معروفة.⁽³⁾

31. اشتباك بني بوستور جويلية 1960م: وقع اشتباك بين فصيلة من فصائل جيش التحرير الوطني وقوات الجيش الفرنسي، التي كانت تفوق كتيبتين ومعززة بخمسة عشر طائرة حربية، بمنطقة بني بوستور

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 170.

² - نفسه، ص 171.

³ - نفسه، ص 173.

شهر جويلية من عام 1960م على الساعة العاشرة صباحا، بسبب خروج الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة بهدف تعذيب وترهيب السكان، فوقع الاشتباك الذي دام مدة أربعين دقيقة، ونتج عنه قتل وجرح عدد كبير من الجنود الفرنسيين، أما مجاهدي جيش التحرير الوطني فقد انسحبوا سالمين إلى موقع تمركزهم. كان رد فعل السلطات الفرنسية عنيفا كعادتها، وهذا كمحاولة منها بالثأر لهزيمتها أمام جنود جيش التحرير الوطني، فقامت بحرق البيوت ونهب ممتلكات السكان العزل، كما قامت بقتل تسعة مدنيين ومن بينهم: عبد القادر بشوشي، ومحمد سرياح.⁽¹⁾

32. اشتباك مقورة نوفمبر 1960م: وقع اشتباك بين فصيلة من الكتبية الكريمة بقيادة محمد بن شنوف وقوات الجيش الفرنسي التي كانت تقدر بكتيبتين من الكوماندوس ويقودهم الخائن بوعلام باشاغا، بمنطقة مقورة نواحي بني بوعتاب شهر نوفمبر من عام 1960م على الساعة السادسة صباحا، مع العلم أن الجيش الفرنسي كان مدعما بسبعة طائرات مقاتلة، ليدوم الاشتباك بين الطرفين مدة ساعة واحدة، وأسفر عن مقتل خمسة عشر جنديا فرنسيا، وعدد كبير من الجرحى، في حين استشهد سبعة مجاهدين من بينهم: السي عمر، والسي عبد القادر الكاتب، وقبيش عائشة.⁽²⁾

33. اشتباك جبل تكادرت نوفمبر 1960م: وقع اشتباك بين فوج من المجاهدين بقيادة السي المنور وقوات الجيش الفرنسي التي كانت تقرب حوالي كتيبتين من الكوماندوس، بجبل تكادرت ضواحي بني بوعتاب شهر نوفمبر من عام 1960م على الساعة الرابعة مساء، حيث كانت قوات العدو الفرنسي تترصده المجاهدين إلى أن وقعوا في كمينها، فحدث اشتباك بين الطرفين استمر لمدة ثلاث ساعات، مسفرا عن مقتل جندي فرنسي وجرح كبير من بقية الجنود، أما المجاهدون فقد جرح منهم اثنان.⁽³⁾

34. اشتباك المركزية نوفمبر 1960م: اشتبك أربعة من مجاهدي جيش التحرير الوطني مع قوات الجيش الفرنسي التي كانت تقارب المائتي جنديا، ببقعة المركزية نواحي بني بوعتاب شهر نوفمبر من عام 1960م، حيث كان الجيش الفرنسي يقوم بمطاردة المجاهدين في كل مكان بالمنطقة، فوقع الاشتباك بين الطرفين والذي دام لمدة نصف ساعة نتج عنه استشهاد المجاهدين الأربعة، أما فيما يخص حصيلة الجيش الفرنسي فقد بقيت مجهولة وغير معروفة.⁽⁴⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص174.

² - نفسه، ص175.

³ - نفسه، ص176.

⁴ - نفسه، ص176.

35. اشتباك جوالب نوفمبر 1960م: وقع اشتباك بين فوج من المجاهدين من الكتيبة الكريمة بقيادة السي سليمان وقوات الجيش الفرنسي التي كانت تقوم بتمشيط منطقة جوالب بضواحي بني بوعتاب، شهر نوفمبر من عام 1960م على الساعة السادسة صباحا، فدام الاشتباك بين الطرفين مدة أربع ساعات نتج عنه مقتل فوج من الكوماندوس، وعدد كبير من جرحى الجيش الفرنسي، أما مجاهدي جيش التحرير الوطني فقد استشهد منهم أربعة مناضلين من بينهم السي سليمان عسكري المنطقة والسي فلاق المدعو بوجرادة.

36. اشتباك وادي الفضة نوفمبر 1960م: وقع اشتباك بين ثلاثة مجاهدين والجيش الفرنسي بقرية الشغافرة شهر جويلية من عام 1960م على الساعة التاسعة صباحا، حيث كانت القوات الفرنسية تقوم بعملية تمشيط البقعة، فكان الاشتباك بين الطرفين الذي دام مدة نصف ساعة، وأسفر عن مقتل جندي فرنسي وجرح جندي آخر، بينما نجح المجاهدون في الانسحاب من المنطقة سالمين.⁽¹⁾

37. اشتباك الشرفة نوفمبر 1960م: وقع اشتباك بين فوج من مجاهدي جيش التحرير الوطني بقيادة السي بلقاسم المحروق وبين قوات الجيش الفرنسي، ببستان بقعة الشرفة ضواحي بني بوعتاب شهر نوفمبر من عام 1960م على الساعة التاسعة ليلا، بعد أن كان المجاهدون عائدون من بقعة أولاد أحمد والعايشين ناقلين المؤونة، ليقعوا في كمين كانت قد حضرته لهم الجيوش الفرنسية، وما إن وقع المناضلون في هذا الأخير حتى حدث اشتباك بين الطرفين دام مدة عشرين دقيقة، ليستمر بصفة متقطعة لمدة ساعتين، مسفرا عن عدد معتبر من القتلى والجرحى في صفوف الجيش الفرنسي، في حين استشهد مجاهد واحد وهو السي الجيلالي، كما استولى الجيش الفرنسي على المؤونة التي كانت بحوزة المجاهدين.⁽²⁾

38. اشتباك تدويرين نوفمبر 1960م: وقع اشتباك بين فصيلة من الكتيبة الكريمة بقيادة محمد دندان المدعو لامارتين وبين قوات الجيش الفرنسي، بتدويرين ضواحي بني بوعتاب شهر نوفمبر عام 1960م على الساعة الرابعة صباحا، على إثر وشاية من أحد الخونة، مع العلم أن الجيش الفرنسي كان معززا ومدعمة بأكثر من خمسة وعشرين طائرة حربية، فدام الاشتباك بين الطرفين مدة أربع ساعات نتج عنه مقتل خمسين جنديا من الجيش الفرنسي، فضلا عن عدد كبير من الجرحى، أما خسائر جيش التحرير

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 177.

² - نفسه، ص 179.

الوطني فقد استشهد منهم ستة عشر مجاهداً من بينهم السي محمد بوغانم، والسي محمد بوهني، كما أصيب ثلاثة مناضلين بجروح متفاوتة الخطورة من بينهم السي البكري والسي بوعلام الممرض.⁽¹⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق ، ص 179.

3. المعارك:

1- معركة باب البكوش 27، 28، و 29 ماي 1958م: تنسب هذه المعركة إلى جبل باب البكوش الذي يقع ضمن تراب ناحية لارجام ببرج بونعامة تيارت، وكان هذا الجبل أثناء الثورة يندرج ضمن القسم الأول من الناحية الأولى، بالمنطقة الثالثة للولاية الرابعة، حيث يمتاز هذا الجبل بارتفاعه الشديد، إذ يسهل من خلاله مراقبة تحركات العدو بالمنطقة، وقد كان جيش التحرير الوطني دائم الحركة بهذه الناحية، كما وجدت له مراكز أخرى قريبة من شمال هذا الجبل، وتوجد بالقرب منه على بعد 30 كلم قمم جبال الونشريس وإلى الجنوب منه توجد جبال سيدي داود، وللإشارة فإن قوات الجيش الفرنسي كانت لها العديد من المراكز القريبة التي تحيط بهذه الناحية، ونذكر منها مركز الأزهية وبوقايد في الشمال، مركز الرمكة في الجنوب، ومركزي بونعامة ولارجام في الغرب.⁽¹⁾

لم يكن بإمكان جيش الاستعمار الفرنسي الولوج إلى منطقة الونشريس قبل سنة 1958م، لأنها كانت محصنة من قبل جيش التحرير الوطني تحصينا جيدا، ولم يكن بإمكان الجيش الفرنسي أن يخترق المنطقة كونها كانت معقل لتجمع مجاهدي جيش التحرير الوطني هذا من جهة،⁽²⁾ ومن جهة أخرى كانت منطقة باب البكوش مركز عبور بالنسبة لجيش التحرير الوطني سواء من جهة الشرق أو الغرب.⁽³⁾ جاءت قوات عسكرية فرنسية قادمة من نواحي كل من تيارت، تيسمسيلت، والأصنام في إطار القيام بعمليات تمشيط في تراب المنطقة معتمدة في ذلك على الطائرات الاستكشافية، وهو الأمر الذي دفع مسؤولي الكتيبة الكريمة لعقد اجتماع عاجل بخصوص البحث عن طريقة لمواجهة الخطر الذي هو بصدد مدهمتهم والخروج إلى قمة جبل وادي تجديت،⁽⁴⁾ وبحلول الساعة الرابعة صباحا تلقى جنود الكتيبة الأوامر من المسؤولين بالتعرض للجنود الفرنسيين الذين كانوا في تجمع بوادي تجديت.

كلف المجاهد شاذولي بالألغام، فوضع لغما أرضيا أمام الجيش الفرنسي، ليقضي هذا الأخير على عدد كبير منهم، فتندلع المعركة بشكل قوي على الساعة السابعة صباحا مطبقين خطة المسؤولين، والتي كانت تنص على ترك الجنود الفرنسيين يتقدمون الواحد تلو الآخر، وبالفعل تقدم العسكر الفرنسي إلى أن

¹ - حفظ الله بوبكر، نشأة وتطور جيش التحرير الوطني (1954م - 1958م)، الجزائر: دار العلم والمعرفة، 2013م، ص222.

² - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد عضان عبد الكريم حول معركة باب البكوش، مدة التسجيل 28 د و 55 ثا.

³ - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد سليمان الغول، مدة التسجيل 18 د و 20 ثا.

⁴ - حفظ الله بوبكر، نشأة وتطور جيش التحرير الوطني...، المرجع السابق، ص222.

وقع كله داخل مجال جيش التحرير الوطني، فضرب الأول منهم متقدمهم والباقي بنفس الخطة التكتيكية، وهكذا دواليك إلى أن قضو على عدد كبير منهم، وأسقطوا لهم طائرة عسكرية في منطقة الخبابزة.

كانت الكتيبة الكريمة تحتوي على حوالي ثلاثمائة من المجاهدين متباينين بين الكتيبة والفصائل والمسبلين والفدائيين ومسؤولي الأقسام جميعهم، وبالمقابل فقد استمرت المعركة ثلاثة أيام كاملة، 27، 28، و 29 ماي 1958م بشكل شديد ومتواصل.⁽¹⁾

أسقطت طائرة عسكرية أخرى كان يطلق عليها المجاهدون تسمية "الكشاف" على الساعة الحادية عشر صباحا من اليوم الأول، في الوقت الذي تم فيه إطلاق الرصاص على السي عمر من طرف القناصة الفرنسيين، فجرح ولكنه استشهد رفقة كاتبه ومرافقين له بعد أن رفض إسعافه من طرف رفقائه حرصا منه على سلامتهم، ليحتدم القصف في المعركة بين الطرفين بشكل فظيع من قبل جنود الجيش الفرنسي، فعمت فوضى عارمة وكأبرز مثال على ذلك هو قصف السي الطيب بقذيفة مدفعية نتج عنها فصل رأسه عن جسده.⁽²⁾

كان لزاما على مناضلي جيش التحرير الوطني أن يعيدوا تنظيم صفوفهم بسرعة نظرا لضرورات تكتيك المعارك، وذلك عن طريق تقسيم أنفسهم إلى أفواج صغيرة متكونة من عشرة أو أربعة أو اثنين من المجاهدين، وابتعدوا عن بعضهم البعض في المكان فقط، وكان من بين أعضائهم: حمدلن قائد الفصيلة، وهو من العساكر القدماء الذين شاركوا في حرب الهند الصينية، والسي بلعيد الذي كان مسئول القسم آنذاك رفقة المجاهد السي رمضان وآخرون.⁽³⁾

يروى المجاهد محمد الصغير نمار تفاصيل ماوقع ذلك اليوم قائلا: "لقد كان المجاهدون الثلاثة في مخبأ، وأخبرناهم بأننا نريد المرور إلى مكان آمن آخر، ولكن السي بلعيد قال لنا "ابقوا هنا" واستجبنا، وأذكر أنه كان يحمل معه مسدسا باعتباره مسئولا، إلى أن وصلت السعة إلى الرابعة مساء، فبدأت الطائرات تقصف قربنا بحوالي 400 متر، فقلت لرفاقي: "الحذر، لأن الفرنسيين يريدون إنزال المظليين"، وكان عندي بندقية "موزار ألمون"، فقلت لرفاقي ونحن تحت الحصار: "لازم اليوم انديروا تاريخ، فإما أن نستشهد أو ننتصر"، فقال لي السي بلعيد: "إيه" أي نعم".

1- محمد نمار، المرجع السابق، ص 27.

2- نفسه، ص 28.

3- مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد الحاج عدان، مدة التسجيل 05 د و 31 ثا.

بدأ المظليون في الهبوط وهم ينتشرون في المكان الذي أمام الكوخ الذي كان متمركزا به المجاهدون، فمنهم من كان قادما نحوه مباشرة، وكان أحد المسؤولين برتبة ملازم أول يقوم بمسح المنطقة بالمنظار، وعندما رأى الكوخ (القربي) حذر مرافقه منه، إلا أن المجاهد محمد لصغير نمار كان قد وضع الرصاصة في بيت النار وصوبها نحوه مباشرة فأردته قتيلا، وغنم منه قطعة سلاح من نوع "مات 36"، وما إن لحق بهاتنان آخران حتى قضى عليهما السي محمد الصغير نمار بنفس الطريقة التي قضى بها على قائدهما.⁽¹⁾

انطلق المجاهدون للخروج من دائرة الخطر، بعد أن سلم المناضل محمد الصغير نمار قطعة السلاح التي غنمها من الملازم الأول الفرنسي إلى السي بلعيد، وبحلول الليل جاء سكان المنطقة بالمصباح الكهربائي اليدوي فقاموا بدفن الشهداء، ونقلوا الجرحى إلى المركز من أجل الاستشفاء، وقد كان محمد الصغير نمار من بينهم، ليعلم هذا الأخير فيما بعد أنه قد تم استشهاد خمسة وأربعين شهيدا من جيش التحرير الوطني، بالإضافة إلى استشهاد السي عمر قائد الكتيبة.⁽²⁾

أوردت مختلف الصحف العالمية معركة باب البكوش ضمن أهم أخبارها الرئيسية فعنونت التالي: "فرنسا تقشل في اختراق الثورة بالونشريس"، "حصان طروادة يتعرّض في اجتياز حصن الونشريس"، وغيرها من العناوين التي أبهرت الرأي العام العالمي بقدرة جيش التحرير الوطني على مواجهة قوات الجيش الفرنسي.⁽³⁾

عثر المجاهدون بعد الاستقلال على سجل فرنسي تقول فيه فرنسا أن حصيلة معركة باب البكوش كانت أكثر من أربعمائة قتيل فرنسي منهم تسعة عشر ضابط بما فيهم الكولونيل الذي كان يقودهم، كما تقول أيضا أن قد قتل حوالي خمسمائة من الجزائريين ما بين الجنود والمسبلين والمحافظين والمرضى والفدائيين والمرضى وحتى من المواطنين العزل كذلك، حيث أنه كل من مر بجنود الجيش الفرنسي من الرجال أو النساء المدنيين كانوا يقومون بقتله فورا لإطفاء رمقة عطشهم من هول هزيمتهم بالمعركة أمام جنود جيش التحرير الوطني.

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 29.

² - نفسه، ص 30.

³ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، فيديو سمعي بصري حول معركة باب البكوش، مدة التسجيل 03 د و 31 ثا.

توجه المناضلون بعد معركة باب البكوش إلى بقعة "الطيايين" بعين الدفلى، فقاموا بإسقاط طائرة عسكرية من نوع "جاغوار" في وادي الجمعة، ليلحق بهم عسكر فرنسا وبعض الخونة فاشتبكوا معهم لمدة فاقت الساعة والنصف ساعة من الزمن، لتنتهي المعركة باستشهاد مجاهدين اثنين.⁽¹⁾

02. معركة الخبابة والصفيات 03 جوان 1958م: قدمت قوات عسكرية فرنسية إلى منطقة "الخبابة" و"الصفيات"، ومعها مرتزقة السينغال "ساليغان"، بينما كانت الكتيبة الكريمة متمركزة في المكان جيدا، فبدأت المعركة بين الطرفين فتم القضاء فيها على حوالي تسعة عشر جنديا فرنسيا، وقاموا بغنم أسلحتهم، وبالمقابل استشهد أربعة مجاهدين.

اتجهت مناضلو الكتيبة بعد نهاية المعركة إلى منطقة أولاد علي قرب باب البكوش أين استقبلهم مسئولوا الكتيبة الكريمة الذين كانوا في انتظار تقارير سير المعركة.⁽²⁾

03. معركة بني بوستور الثالثة جوان 1958م: أراد كومانو فرنسي أن يقصف مجاهدين بالناحية الثانية وتحديدا عند نقطة "تكاذرت"، في مكان بين طعم السماء وتكاذرت وبني بوستور وعبد القادر بلحسين التابعين لبني بوستور على الساعة الرابعة صباحا، حين كان كل من المناضل محمد الصغير نمار والمناضل السي عبد الله والمناضل كرافات الشريف يهيمون بالصعود إلى قمة تكاذرت الجبلية من أجل التمرکز والتمكن من رؤية عسكر فرنسا إن كانوا تركزوا أم لا، وعندما وجد محمد الصغير نمار فرنسيين رفقة حارسهما نائمين، ظنهم أصدقاءه فقال لأحدهم "توض" بمعنى انهض ليندلع اشتباك بين الطرفين وتحتدم المعركة، فاستشهد سبعة من المجاهدين من بينهم الحاج الأزهاري مسؤول المنطقة.⁽³⁾

04. معارك أخرى قامت بها الكتيبة الكريمة سنة 1958م: خرجت قوات عساكر فرنسا في معركة مالة بثنية الحد، فاشتبكوا بضراوة مع الكتيبة الكريمة، لتنتهي باستشهاد العديد من المجاهدين، وبالمقابل تمكنت الكتيبة من القضاء على عدد مبير من الجيش الفرنسي، إلا أنهم لم يتمكنوا من عدهم جميعا.

كان كل من المجاهد محمد الصغير نمار والجيلالي عامر مداح المدعو "السي الساكت" يقومان بصيانة الذخيرة الخاصة بـ"مورتي 80" الذي تم تزويدهم به قبل الناحية الثالثة، وبينما كانا يصعدان الجبل، التقيا بالصدفة بعسكر فرنسا يحاولون الصعود أيضا إلى الجبل، فظناهما مجاهدين وعندما اقتريا

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 30.

² - نفسه، ص 27.

³ - نفسه، ص 31، وأنظر كذلك: مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد بريك الطاهر، مدة التسجيل 02 د و 21 ثا، وشهادة المجاهد عدان عبد الكريم، مدة التسجيل 08 د و 34 ثا.

منهم سألهم المناضل محمد الصغير نمار "وين راكم جايين"، فنزلوا أرضاً لأنهم عرفوا من الكلام بالعربية أنهم مجاهدوا جيش التحرير الوطني، وأطلقوا الرصاص اتجاههم فأصابوا المناضل محمد الصغير نمار بأربع رصاصات وجدت آثار اثنين منها في الكارتوشيار، أما المجاهد السي الساكت الذي كان يرتدي قشابية من الصوف ويضع على ظهره قشابية أخرى مطوية، فقد وجد فيها آثار رصاصات وقد اخترقتها دون أن تصيبه.

دخلت فرنسا بجنودها والتقت وجها لوجه بمجاهدين مدعمين بفصيلة من القدارة في مكان يسمى "المبطنين" كما يعرف أيضا باسم "الكسكاس"، وكانت الكتيبة الكريمة بجانبها فساعدتها خلال المعركة التي خسرها الفرنسيون الذين أسقطت لهم حوامة في الوادي، وانسحب الأعداء عن المكان منهزمين. جاءت طائرات جاغوار الفرنسية في منطقة "الطيابين" قرب زدين في القسم الثالث من الناحية الثانية، أين كانت الكتيبة الكريمة متمركزة هناك، وحين اكتشف الجيش الفرنسي المكان الذي كانوا متحصنين فيها، فبدأ القصف وتمكن من إسقاط واحدة من الطائرات الفرنسية في وادي الجمعة.⁽¹⁾ وبعد حوالي عشرين يوما أو شهرا من المعركة السابقة، كانت الكتيبة في منطقة "مالة"، وجاء عسكر فرنسا يقصف كل شيء، ومع ذلك استطاع المجاهدون أن يسقطوا لهم طائرة أخرى وانسحبوا من ساحة المعركة، وحول هذه الأخيرة يقول محمد الصغير نمار: "وبعد ذلك جاء عناصر "لاصاص" وعقدوا اجتماعا مع المواطنين وقالوا لهم في محاولة لغسل الدماغ بأن الطيارين الفرنسيين لا يهتمون بصيانة طائراتهم، لذلك فطائراتهم أصبحت تسقط من حين لآخر، ولكن أحد المناضلين قال لمسئول لصاص أن أنظر إلى جناحي الطائرة لتعرف من أسقطها، فأخذه معه إلى المكتب وقال له: "ما تزيديش اتقول للشعب هذا الكلام".

جاءت قوات فرنسا يوما إلى سيدي مكرز لتتنصب مركزا متقدما، وكانت الساعة تشير إلى الرابعة مساء حين قام مجاهدو الكتيبة الكريمة بمطاردة الجيش الفرنسي، فقضوا على عسكريين منهم، كما تم جرح بعض المواطنين.⁽²⁾

05. معركة سيدي عبد الرحمان 10 جوان 1958م: وقعت معركة سيدي عبد الرحمان يوم 10 من شهر جوان عام 1958م على الساعة الحادية عشر تقريبا في دوار الخوالدية، وهي قرية ريفية أغلب سكانها من عائلة الخالدي.

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص32.

² - نفسه، ص33.

تبعد ساحة المعركة عن مدينة تنس بـ 15 كلم، حيث تفصلها عن تراب الولاية الخامسة التاريخية منطقة وادي القصب غرب مدينة تنس، لأن المعركة جمعت كتيبتين مختلفتين كتيبة علي البرزالي المدعو السي عثمان، وكتيبة نجاري منور المدعو السي منور، ليصبح عدد مجاهدي جيش التحرير الوطني يقدر بحوالي 350 مجاهداً.

تعود ظروف المعركة إلى يوم 24 من شهر أفريل عام 1958م أين خاضت الكتيبة الحميدية بقيادة السي عثمان معركة بجبل سيدي تزعنونت شرق مدينة تنس، فكبد الجيش الفرنسي من خلالها خسائر فادحة راح ضحيتها مقتل الملازم الأول رايمون، وأسر ضابط فرنسي آخر تمت مرافقته إلى الحدود الشرقية التونسية لأسباب سياسية وتم تسليمه إلى الصليب الأحمر، كما فقد الجيش الفرنسي خمسة وأربعين جندياً عسكرياً، وبالمقابل غنم جنود جيش التحرير الوطني ألبسة عسكرية كانوا في أس الحاجة إليها، ومجموعة من الأسلحة بالإضافة إلى كمية كبيرة من الذخيرة الحربية قبل أن ينسحب مجاهدوا الكتيبة إلى جبل ببسة.

يعود السبب الرئيسي لنجاح هذه المعركة هو السرية التي كانت تتمتع بها المنطقة، وهو ما منع وصول المعلومات السرية عن تحركات جيش التحرير الوطني إلى مخابرات الجيش الفرنسي. عاد الجيش الفرنسي إلى المنطقة في صبيحة اليوم التالي من أجل دفن قتلاه، وكعادته كانت ردة فعله عدوانية تجاه الشعب الجزائري، فقد قاتل كل من يصادفه في طريقه من الأبرياء سواء كان امرأة أو رجلاً أو شيخاً أو عجوزاً أو طفلاً.⁽¹⁾

انسحبت الكتيبة الحميدية نحو الغرب نظراً لأنها كانت محاصرة في جبل ببسة من طرف السلطات الفرنسية، وكونها كانت في حاجة إلى التمويل والتموين، فتصادفت مع كتيبة السي منور في منطقة سيدي عبد الرحمان، فاجتمعت الكتيبتين مع سكان المنطقة، فانقسم المجاهدون على منازل السكان، فحدثت وشاية من طرف أحد الحضور وهو جندي من جنود الولاية الخامسة بعد أن هرب بقطعة سلاح والتحق بالجيش الفرنسي، ترتب عنها معرفة الجيش الفرنسي بمكان تجمع المجاهدين.

وقع اشتباك بين جنود جيش التحرير الوطني والجيش الفرنسي بوادي في منطقة المحصر دام لساعات متواصلة، فنتج عن هذه المعركة مقتل قائد الكتيبة السي منور رفقة 16 جندياً من جنوده، وغنم

¹ - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد سعيدي محمد المدعو السي الزين، والمجاهد سعيد خضراوي، والمجاهد سعيد لخضر، والمجاهد لاليخ، والمجاهد موسى بلهتهات، والمجاهد يحي الخديم المدعو السي المجاجي.

المجاهدون من خلالها مجموعة كبيرة من الألبسة العسكرية الذخيرة الحربية.⁽¹⁾

06. معركة دوار بني راشد⁽²⁾ 17 جوان 1958م: نشبت المعركة يوم 17 جوان 1958م على إثر وشاية بالمجاهدين الذين كانوا متمركزين في دوار سيدي إدريس والذين يبلغ عددهم مائتين وخمسن مناضلا، تابعا لفرق الكوماندو، ففي الصباح الباكر من التاريخ المذكور حاصرت قوات الجيش الفرنسي المنطقة كلها، وقد صار الطرفين يتسابقان إلى المرتفعات ثم نشبت المعركة بينهما على الساعة الخامسة صباحا واستمرت إلى غاية الساعة السابعة ليلا استشهد خلالها قائد الكوماندو السي مصطفى عز الله.⁽³⁾ قسم المجاهدون إلى أربع فصائل، وفي تلك الأثناء أقبل على المنطقة سرب من الطائرات يبلغ تسع طائرات مختلفة الأنواع، وصار يتتبع تنقلات الفصائل حتى لا تقلت من الحصار المضروب على المنطقة، وبعد الاشتباك الذي جرى بين الطرفين في مكان يطلق عليه (أرسا) افتقرت الفصائل الأربعة، وتنقلت كل فصيلة بمفردها، وقد اتجهت الأولى إلى غابة بوغار والثانية إلى غابة سيدي محمد أكلوش، والثالثة إلى دوار مهابة والرابعة التي كانت بقيادة بن يوسف صبيان إلى دوار بني راشد، حيث أن هذه الأخيرة هي التي نشبت المعركة بينها وبين جنود الجيش الفرنسي في دوار سيدي راشد، منذ الحادية عشر صباحا إلى أن خيم الظلام على المنطقة.

تمكنك هذه الفصيلة من إلحاق خسائر معتبرة في الأرواح بالعدو الفرنسي، ولذا التجأ هذا الأخير إلى وسيلة أخرى تتمثل في إغراق المنطقة بالجنود المظليين بواسطة طائرات هليكوبتر، كما استخدم عددا كبيرا من الدبابات والسيارات المصفحة والطائرات على اختلاف أنواعها.

¹ - مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد سعيد محمد المدعو السي الزين، والمجاهد سعيد خضراوي،

والمجاهد سعيد لخضر، ووالمجاهد لاليخ، والمجاهد موسى بلهتهات، والمجاهد يحيي الخديم المدعو السي المجاجي.

² - دوار بني راشد: يقع دوار بني راشد قرب وادي السبب بقوراية، يحده من الناحية الشرقية دوار سيدي سميان، ومن الناحية الغربية دوار بني علي، ومن الناحية الشمالية دوار حيونة، ومن الناحية الجنوبية دوار حيمدة، ويقع ضمن القسم الثالث من الناحية الثالثة بالمنطقة الرابعة التابعة للولاية الرابعة لتاريخية، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك جيش التحرير، المرجع السابق، ص 259).

³ - نفسه.

خسر الجيش الفرنسي مائة وخمسة وثمانين جندياً ومائتين وخمسين جريحاً، وحسب شهود العيان⁽¹⁾ فإنه قد رمى قتلاه في البحر بواسطة الهليكوبتر، كما تم إسقاط طائرة استكشافية، أما بالنسبة لصفوف جيش التحرير الوطني فقد استشهد منهم سبعة وثلاثون مجاهداً وأربعة جرحى.⁽²⁾

07. معركة طيطويلت أوت 1958م: تقع هضبة طيطويلت بين شرشال وعين الدفلى، وقد حاصرها الفرنسيون في يوم شديد الحرارة وقصف الطيران التلال لمدة أكثر من ساعة قبل أن تتدخل القوات البرية، وقد كان قائد الكتيبة الحمدانية آنذاك السي الفاسي، لتتم هناك معركة غير متكافئة الطرفين، فسقط عشرة شهداء من المناضلين، كان من ضمنهم السي بعزيز مساعد قائد الكتيبة والسي قويدر⁽³⁾ زعموم من العفرون، وبوعلام بوزار سكرتير الكتيبة المنحدر من دواودة البحرية، فأخذ عبد القادر الزواوي المدعو السي بن عيشة جرابه وسلاحه كي لا تقع وثائق الكتيبة بين أيدي الجيش الفرنسي، وبقرار من السي الفاسي عين سكرتيراً للكتيبة محله، وفي هذا الصدد يقول: "عينت سكرتيراً للكتيبة، وكانت مهمتي الجديدة تتمثل في إعداد التقارير بانتظام ورفعها إلى مركز القيادة في الناحية والمنطقة، وفي جرد العمليات المنجزة واحتياجات الكتيبة خاصة من حيث الأسلحة والذخيرة، وفي إعلان عن التحركات المقبلة والعمليات المخطط لها، فضلاً عن التقارير والرسائل التي تسلم لأعوان موثوق فيهم ويعرفون مكان تواجد المسؤولين، على أن يحافظوا على سرية تبادل الرسائل بصرامة ولا يسمح لها بأي تهاون في هذا الجانب"،⁽⁴⁾ كما أسر اثنان من المجاهدين وقتلها القناصة على الفور أمام أنظار المجاهدة السيدة خيرة المنحدرة من حمام ريغة التي تعرضت للتعذيب هي الأخرى، أما العدو الفرنسي فقد خسر عشرة من جنوده.⁽⁵⁾

08. معركة سوفلات 17 نوفمبر 1958م: كانت السلطات الفرنسية في هذه الفترة تحضر لعملية التاج (La couronne)، في الوقت ذاته الذي كانت عناصر كوموندو علي خوجة متمركزة في جبال سوفلات

¹ - وهم أحمد ولد مولود الذي ولد سنة 1938م، والذي التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م، عرف أثناء الثورة التحريرية باسم "أحمد مهابة"، كان محافظاً سياسياً، وعين رئيساً للمجلس الشعبي البلدي لبلدية قوراية، ومحمد واحليمة الذي ولد سنة 1933م، والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م برتبة جندي، عرف أثناء الثورة التحريرية باسم "محمد 80"، واشتغل شرطياً ببلدية قوراية بعد الاستقلال، وتغزوت محمد يطو الذي ولد سنة 1932م، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1957م كمحافظ سياسي، عرف أثناء الثورة التحريرية باسم "السي عبد الحق"، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك جيش التحرير، المرجع السابق، ص 259).

² - نفسه، ص 260.

³ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 71.

⁴ - نفسه، ص 66.

⁵ - نفسه، ص 72.

بالزبربر، وكف لحسن قرب باليسترو، حيث اتخذ كل فوج منزلا، بعد أن كانت هذه الأخيرة مستقرة في إحدى الدشرات يوم 16 نوفمبر 1958م.

أسند في هذه العملية الجنرال جانو للجنرال ماسي مهمة القضاء على جيش التحرير الوطني بالمنطقة الأولى من الولاية الرابعة التاريخية، حيث رسمت الهطة الفرنسية انطلاقا من مراكز تواجد جيش التحرير الوطني، واتخذت مدينة الأخضرية كمركز لهذه العملية، فمنها إلى الشمال الغربي حدد تواجد جيش التحرير ببوزقزة وبني إرباح وأولاد بلمو، وإلى الشمال الشرقي يتواجد بماتوسة وبني خلفون، وبالجانب يتركزون في الزبربر وسوفلات وكاف الحسن وجبل هالة.⁽¹⁾

أما فيما يخص سبب تواجد قيادة الولاية بالمنطقة فو أن العقيد بوقرة والرائد عز الدين كانا في اجتماع مجلس الولاية، ولما انتهيا منه اتجه العقيد بوقرة إلى الولاية الثالثة التاريخية ليحظر اجتماع ما بين الولايات، وبقي الرائد عز الدين بالناحية رفقة أربعة كتائب لتفتيشها، في إطار إعادة التنظيم والهيكلية وتقسيم الكتائب إلى فصائل، كي يسهل على هذه الأخيرة عملية التنقل بعد تطبيق سياستي الأرض المحروقة ومراكز التجمع من قبل الاستعمار الفرنسي.⁽²⁾

انتهت دورية الحراسة ليلا لتحرك موكب عسكري تجاه أفواج الكوموندو، فتم إرسال فصيلة لأخذ موقعها على التل، لتلتحق بها باقي الفصائل، بعد أن وصلت أخبار حصرية إلى فوج الرقيب بوزنزل⁽³⁾ مفادها أن لجنة الولاية متواجدة في الضواحي القريبة رفقة العقيد السي أحمد بوقرة، فضلا على أن الكتيبتين الرحمانية والعثمانية -التابعتين للولاية الثالثة- كانتا متواجدتان قرب موقع فوج كوموندو علي خوجة.

¹ - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص 84.

² - نفسه، ص 84.

³ - كان الرقيب بوزنزل منخرطا في صفوف الجيش الفرنسي، وذات يوم وهو يهيم بالعودة إلى بيته في فترة استراحة، وجد عائلته قد تعرضت لاعتداءات بشعة على أيدي عساكر فرنسيين، وعند عودته إلى الثكنة قام بتقديم شكوى إلى القبطان الفرنسي، وماكان من هذا الأخير إلا أن أجابه بعبارة "كلكم كيفيف"، أي بمعنى آخر "كلكم فلاقة"، ومن لحظتها قرر الالتحاق بالثورة في أول فرصة، وجاءت هذه الفرصة أثناء عملية تابلط، وهي المنطقة التي يعرفها جيدا ويعرف أين يوجد المجاهدون، حيث استغل الفترة المسائية بينما كان الجميع يتفرجون على فيلم حربي في المركز، فاستحوذ على سلاحين، مسدس رشاش من نوع مات 49، وبندقية رشاشة من نوع غارانت أمريكية الصنع، ثم انطلق مندفعاً نحو المنحدر أين استقبله الثوار بفرح وسعادة كبيرين، (للمزيد من المعلومات أنظر: حسين آيت إيدير، المرجع السابق، ص ص 72، 73).

وصلت شاحنات ومدرعات وطائرات إلى القرى التي كان الكومونو متواجدا بها مع طلوع فجر اليوم الموالي، فقد أخذ العساكر يتدفقون على القرى في شكل جماعات منظمة، إلا أن طلقات النيران الآتية من الفصيلة المستقرة على قمة الجبل خيبت آمال الجيش الفرنسي في احتلال هذا الموقع الاستراتيجي،⁽¹⁾ وبعد لحظات وجيزة من التردد من قبل مناضلي جيش التحرير الوطني، انطلق اشتباك بين الطرفين كان في صالح قوات الطيران الفرنسي، ليتسع نطاق المعركة حيث استعملت فيها كافة أنواع الأسلحة.

قدر عدد المجاهدين الذين شاركوا في هذه المعركة بأربعة كتائب وهن: كتيبة كومونندو علي خوجة، الكتيبة العثمانية، الكتيبة السليمانية، والكتيبة الرحمانية، وقدرت قوات الجيش الفرنسي بحوالي خمسة عشر ألف جندي من بينها: الكتيبة الثانية والثالثة والسادسة للمظليين التابعة للقوات البحرية، وثلاثة فيالق من الرماة، وسبعة فيالق لسلاح المدفعية والمصفحات وسلاح الطيران تحت قيادة الجنرال ماسي، والكولونال ترانكي على رأس قوات المظليين، بالإضافة إلى قوات منطقة سور الغزلان تحت قيادة الجنرال دوميزونغوج.⁽²⁾

يصف حسين آيت إيدر تفاصيل المعركة قائلا: "وفي زحمة القتال، لا حظت أن جنديا، أحمد بوداوة، أخذ يرمي أحجارا بعدما نفذت عنده القنابل اليدوية، وتمكن بذلك من فتح غطاء برج الدبابة، وبعدها خرج العساكر هاربين من انفجار القنابل الوهمية، استقبلناهم بوابل من الرصاص، كانت الأرض مفروشة بالجثث، والناجون فروا بجلودهم، فلم يكن العدو يتوقعردا مفاجئا وقاسيا من جهتنا، وراح جنودنا يتبعون الفارين بصيحات "الهجوم، الله أكبر"، مغتمين الأسلحة والألبسة على الجثامين المتناضرة على الأرض، إثرها تدخلت الطائرات بإلقاء قذائف وحتى قنابل النابالم".

استطاع حسين آيت إيدر من أن يغنم رشاشا من نوع تومسون بينما كان يقدم الإسعافات الأولية لكل من قائد الفوج سحنين الذي أصيب في الكتف، المناضل "الروحي" الذي ينحدر من بلكور بعد أن أصيب بعيار ثقيل تسبب في شق قفصه الصدري.

عبر مجاهدو كومونندو علي خوجة الوادي وصعدوا إلى من الجهة الآخر إلى أعلى القمة على الساعة الثانية زوالا، بعد أن وضعوا خلف المخابئ الرشاشة 42 ومستعملها السي موسى اليعقوبي، رفقة البنادق الرشاشة 29/24 التي كان يحملها أحمد التابلاطي والبنديقية الرشاشة من نوع بار التي كانت بيد

¹ - حسين آيت إيدر، المرجع السابق، ص76.

² - عائشة حسيني، المرجع السابق، ص83.

أحمد بوفاريك، بينما صنعوا متاريس حولهم بكل ما وجدوه أمامهم، وقد تم إرسال ناشط جنوده لدعمهم بأسلحة خفيفة وقنابل يدوية.

حاصر الجيش الفرنسي المنطقة في حدود الساعة الرابعة مساءً، فانطلقت القذائف والرصاص الكثيف باتجاه المناضلين قبل محاولة هؤلاء الأخيرين للهجوم، إلا أنهم تصدوا لها، لتحتم المعركة وتكثف الهجمات من جميع النواحي،⁽¹⁾ بعد أن يعطي القائد الفرنسي إشارته ببدأ الهجوم عن طريق استعمال الصفارة، وبالمقابل كانت قوات جيش التحرير الوطني تستخدم صيحة "هجوم" وعبرة "الله أكبر".

كان الجيش الفرنسي ينصب كمائنًا للمجاهدين بين الفينة والأخرى حتى يمنعهم من كسر الحصار، ومازاد تثبيطا لعزيمة العسكر الفرنسي هو أنه لم يكن باستطاعتهم الوصول إلى فصائل الكوموندو قبل حلول الليل، إلا أن جنود جيش التحرير الوطني سلكوا أكثر المسالك أمانًا للتسلل حاملين معهم الأسلحة التي غنموها، وفجأة وصل إلى مسامعهم صوت مكبر الصوت وهو يبث نداءات باتجاههم معلنا القبض عن الرائد عز الدين، ويدعوهم لتسليم أنفسهم.

التقى عناصر الكوموندو في صبيحة اليوم التالي بجنود تمكنوا من كسر طوق الحصار، كان من بينهم راجح براوقي قائد المسبلين الذي أخبرهم بأنه كان مع السي عز الدين عندما تعرضت كتيبته لهجوم من قبل مجموعة من العساكر أحطت بها طائرات عمودية، فتمكن هو من الإفلات لكن السي عز الدين بقي مع المرضى في العيادة التي تديرها الممرضة "ميمي"، فأصيب بجروح ووقع في الأسر بمعركة⁽²⁾ استعمل فيها العدو حتى الغاز المسيل للدموع، وتكدبت على إثرها الكتيبة الرحمانية التي كانت قريبة من مسرح العمليات خسائر فادحة.

استبسلت الكتيبة العثمانية في القتال بنواحي سيدي سالم إلى أن جاء الطيران وسلاح المدفعية، فسقط ثلاثين شهيدا في الميدان من بينهم الشاب تيارة المنحدر من "جبل شنوة"، بعد أن شوه الجيش الفرنسي جسمه بشكل فظيع، مخاصة بعدما قاموا بقطع أذنيه وأنفه.

اعتبرت معركة سوفلات هي المعركة الأكثر عنفا والأضخم حجما من ناحية الخسائر في صفوف جيش التحرير الوطني بالناحية الأولى من الولاية الرابعة التاريخية منذ اندلاع الثورة، وهذا حسبما ورد في الوثيقة المنسوبة إلى فيلق المظليين حول سير عملية التاج، وحسب مذكره الجينرال ماسي، وما أعلن عنه مكتب الجينرال سالان عن النتائج النهائية للعملية التمشيطية بجنوب الأخضرية، وحسب مذكره تقرير

¹ - حسين آيت إيدر، المرجع السابق، ص 77.

² - نفسه، ص 78.

الولاية الرابعة في ملتقاها الثالث، حيث فقد جيش التحرير الوطني فيها تسعين شهيدا، بحكم أن المعركة كانت مفاجئة والمناضلين كانوا هناك بدون تحضير مسبق، كما أن عددا كبيرا منهم كان مجتمعا بالمنطقة.

كان لمعركة سوفلات نتيجة إيجابية لصالح الجيش الفرنسي أكثر من كل المعارك السابقة التي خاضتها مع جيش التحرير الوطني، وذلك لكونه استطاع أن يأسر القائد العسكري للولاية الرابعة وهو الرائد السي عز الدين، وراحت السلطات الاستعمارية⁽¹⁾ على إثر هذا تتشر الخبر في صحفها وتروج له، وقد حاولت بشتى الوسائل والأساليب الحصول على استسلام جيش التحرير الوطني على الأقل بالمنطقة الأولى من الولاي الرابعة التاريخية، عن طريق مأسمته "بسلم الشجعان" مستغلة في ذلك وقوع كوموندو السي عز الدين في الأسر.⁽²⁾

علم رابح البرواقي في اليوم الموالي أي يوم 19 نوفمبر باشتباك عناصره مع العدو الفرنسي في منطقة ليست بالبعيدة على موقع تمركز فصائل كوموندو علي خوجة، فالتحق بهم ليقاثل رفقتهم، إلا أنه استشهد في مساء ذلك اليوم في ساحة المعركة، وقام الجيش الفرنسي بالتمثيل جثته في ساحات البلدات المجاورة مثل باليسترو وعين بسام وتابلط.⁽³⁾

09. معركة موقورنو 31 ديسمبر 1958م و01 جانفي 1959م: وقعت هذه المعركة في منطقة المدية يومي 31 ديسمبر 1958م و01 جانفي 1959م، جمعت فيها ثلاث كتائب في مواجهة مظليي الجينيرال ماسو، وخسر الفرنسيون يومها عشرات من الجنود، أما فيما يخص الكتيبة الحمدانية فقد فقدت لوحدها أربعين شهيدا، وتلقى المجاهدون منشورات تحثهم على قبول مشروع "سلم الشجعان".⁽⁴⁾

تراجع الناجون من معركة موقورنو إلى منطقة بوحرب بالمنطقة الرابعة عند الشيخ رمضان، أين زارهم العقيد السي أحمد بوقرة فوجدهم في حالة لا يرثى لها، حفاة القدمين، ملابس رثة وممزقة، محرومين من مساعدة سكان الدواوير المجاورة بسبب سياسة مكاتب "لاساس" والمكتب الفرنسي الخامس، فأمرهم بالصبر والتوكل على الله، ووجههم إلى المنطقة الرابعة بالمدية ليعيدوا تجهيز أنفسهم، وكتب رسالة

1- عائشة حسيني، المرجع السابق، ص 87.

2- نفسه، ص 88.

3- حسين آيت إيدر، المرجع السابق، ص 89.

4- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 79.

إلى قائد المنطقة الرابعة وسلمها لقائد كتيتهم يطالبه فيها بمساعدة الكتيبة الحمدانية ماديا، كما سبقتهم رسالة تخبر بقومهم.⁽¹⁾

وصلت الكتيبة الحمدانية إلى المدية فتفاجأت بأن المنطقة الرابعة كانت أفضل من منطقتها من حيث العتاد، وذلك راجع لكون جيش التحرير الوطني كان يحصل من ثكنة المدية ذاتها على كميات قليلة من الملابس والذخيرة عن طريق الجنود الجزائريين وبعض حراس السجون هذا من جهة، أما من جهة أخرى فقد كانت توجد ورشة خياطة هامة في المنطقة الرابعة لتوفير اللباس العسكري للجنود، كما كانت المواد الغذائية تصل بشكل شبه منتظم إلى الجنود، أما فلاحو المنطقة فكانوا يعرفون الميدان معرفة جيدة، وكانوا يتطوعون كأعوان اتصال وكمونين متحدين بذلك "المنطقة المحرمة"، ليكونوا بذلك أعضاء كاملي العضوية في جيش التحرير الوطني.

كان الجنود وحراس السجون الجزائريون داخل الإدارة الاستعمارية أنصارا حقيقيين للثورة التحريرية، فقد كانوا يخاطرون بأنفسهم من أجل جلب كميات مهربة من الملابس والذخيرة لقوات جيش التحرير الوطني، نذكر من بينهم المدعو "الهاشمي نواس" وهو رقيب في ثكنة "حي كامو" (ثكنة بابا علي بشير حاليا)، الذي اكتشف أمره فعذب ثم قتل على أيدي المكتب الثاني في "دامبيت".⁽²⁾

وصل أعضاء الكتيبة الحمدانية إلى المنطقة الرابعة بالمدية عند "أحمد زنداني"، أين استقبلوا بوجبة من الطعام وتسلموا ملابس عسكرية جديدة في معظمها جهزت خصيصا لهم، كما ساهم إسكافيو المدية في تزويد جيش التحرير الوطني بالأحذية، وتعززت الكتيبة بانضمام شباب مدنيين، فأقاموا معسكرهم في حيونة، وكان من بين المجاهدين المتواجدين هناك: خالد وقدر "بنومة" وهني وخيضر ومصطفى شليوت وآخرون.⁽³⁾

استشهد العقيد السي أحمد بوقرة يوم 05 ماي 1959م في أولاد بوعشرة، وتجنبنا لتكبد خسائر كبيرة بعد وفاته أمام القوات الفرنسية في إطار زحف مخطط شال، أصدر مسئولوا الولاية الرابعة بقيادة السي صالح والسي أحمد بونعامة، أمر الكتائب بالانقسام إلى أفواج مستقلة ومتنقلة بحيث يكون عددها منحصرا من خمسة عشر إلى عشرين كحد أقصى، وأمرؤا بالتحرك باستمرار ومغادرة الجبال عند الضرورة

¹ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص ص 79، 80، 81.

² - نفسه، ص 83.

³ - نفسه، ص 84.

والاقتراب من المناطق الأهلة بالسكان، وكانت تعليمتهم تقتضي بوجوب الاستمرار في العمليات الخاطفة في كل مكان لفك الخناق المشتد.⁽¹⁾

10. معركة سلعربية أوت 1960م: بدأت معركة سلعربية على الساعة الرابعة صباحا بين الطرفين الجزائري والفرنسي بالمنطقة الثالثة من الولاية الرابعة التاريخية، شهر أوت من عام 1960م، استمرت بشدة وضراوة إلى غاية العاشرة مساء، والسي سليمان الغول⁽²⁾ يكبر: "الله أكبر... الجهاد في سبيل الله"، وقد قام المجاهد عبد القادر بوز المدعو بومدين ببرمي الرمان (القروناد) على الجيش الفرنسي، بينما كان بوخاتم يضع القطعة (البياصة) على جذع الشجرة ويضرب بها طائفة العدو الفرنسي.

فقد جيش التحرير الوطني خلال هذه المعركة نحو ثلاثين مجاهدا، ثم انسحبوا بأمر من السي سليمان الغول نحو الناحية الأولى بعد أن ذهبت فرنسا تاركة مكان المعركة بعد أن قال: "يجب أن نذهب لضربها في القدارة".⁽³⁾

25. معركة الضبابجة بوادي الفضة 09 سبتمبر 1960م: كان جنود الكتيبة الكريمة في اجتماع ببقعة الضبابجة في وادي الفضة ليلة 08 سبتمبر 1960م، وقد ترأس الاجتماع النقيب السي بلعيد قائد المنطقة الثالثة والملازم الأول السي رشيد قائد الناحية الثانية، كما كان حاضرا السي الوالي مسئول الكتيبة الكريمة وحسين باباي بوعلام الديزي والحاج زاقات والسي الدايش والمحافظ بوعلام والحسين ملال والشريف بغالم

¹⁻ بلقاسم المتيجي المرجع السابق، ص 85.

²⁻ **سليمان الغول:** ولد سليمان الغول يوم 27 مارس 1937م بدوار الهراوات في ثنية الحد (برج الأمير خالد حاليا)، ينحدر من عائلة فقيرة ككل العائلات الجزائرية التي كانت متواجدة آنذاك، زاول مبادئه التعليمية في جامع سيدي نهار شأنه م ذلك شأن أبناء جيله الذين احتكر تعليمهم على الجوامع والزوايا والكتاتيب القرآنية باعتبار أن المدارس الفرنسية كانت حكرا على أبناء المستوطنين والمحظوظين من أبناء الجزائريين أو الموالين للاستعمار، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني بعدما شاهده من ظلم المستعمر للجزائريين من خلال سياستهم التعسفية المطبقة في حقهم، أطلقت عليه تسمية السي سليمان نسبة إلى الشهيد السي سليمان البساكري قائد كوماندو السي جمال سابقا، حيث التحق به السي سليمان الغول في منطقة ملول الواقعة بين أولاد الشيخ وبوراشد، خاض عدة اشتباكات ومعارك ضد قوات الجيش الفرنسي بمنطقة الونشريس، عين بعد الاستقلال بالنقل والإمداد في الناحية العسكرية الأولى (البليدة)، ثم قائدا للقطاع العسكري بمستغانم في الناحية العسكرية الثانية بوهران، ثم كلف بقيادة فيلق مغنية على الحدود الجزائرية المغربية التي يمتد نشاطها من مرسى بن مهيدي شمالا إلى عين الصفراء جنوبا، ليكلفه الرئيس هواري بومدين بالانتقال إلى جبل الديس (سوق أهراس) من الفيلق الثاني للهندسة للقيام بعملية نزع الألغام التي كان العدو الفرنسي قد زرعها بالمنطقة، ليعترك الحياة العسكرية سنة 1973م بعدما تعرض لنزيف حاد في الأنف بمنطقة رقان بالجنوب الجزائري، ليتفرغ للحياة المدنية، (للمزيد من المعلومات أنظر:

سليمان الغول، المرجع السابق، ص ص 33، 37).

³⁻ سليمان الغول، المرجع السابق، ص 87.

والجيلالي الصغير وعبد القادر بلعرج والسي قويدر ومحمد الصغير نمار المحافظ السياسي، حيث كان عددهم بالكامل ثمانية عشر من المجاهدين.

انتهى الاجتماع على الساعة منتصف الليل، واتجه كل واحد من المجاهدين إلى وجهته، في حين بقي ستة مجاهدين في عين مكان الاجتماع، بينما تنقل البقية مع الوالي والشريف بغالم ودائش وقويدر وعبد القادر بلعرج على الساعة الثانية صباحا إلى جبل تمولقة عند المناضل السي عبد القادر صاحب أحد المراكز.

بدأت معركة كبيرة صبيحة يوم 09 سبتمبر 1960م على الساعة السابعة والنصف صباحا بين من بقي من المجاهدين والجيش الفرنسي الذي كان مدعما بعشرات الشاحنات والطائرات التي كانت تغطي سماء وادي الفضة، أما المجاهدون المنسحبون فقد كانوا يراقبون المعركة عن بعد حوالي 06 كلم، حيث كان لزاما عليهم أن يغادروا المكان وصعدون إلى الجبل من جديد اتقاء الكشف عن مركزهم.

جاءت معلومات إلى مسئول الكتيبة في مساء نفس اليوم مفادها أنه تم اغتيال ستة شهداء وشهيدتين من بينهم: السي الرشيد قائد الناحية الذي أحرق من طلاف الجيش الفرنسي في عين المكان، والسي بلعيد قائد⁽¹⁾ المنطقة والذي مثل بجثته في وسط مدينة وادي الفضة عند جذع شجرة.⁽²⁾

11. معركة بواسماعيل 15 ديسمبر 1960م: قامت فرقة من جنود جيش التحرير الوطني تابعة للقسم الثالث من المنطقة الثانية بالناحية الرابعة بمهمة التخلص من الخونة وذلك بأمر من الشهيد الرائد السي محمد بونعامة قائد الولاية الرابعة قبيل خوض المعركة التي وقعت يوم الخامس عشر من شهر ديسمبر عام 1960م.

إن مثل هذه الأمور كانت في إطار إعطاء صور مخالفة لما كانت تعتقده السلطات الاستعمارية جازمة بشأن موقف جبهة وجيش التحرير الوطني من محادثات "مولان" التي فشلت على إثر الضربات المتتالية والموجهة خاصة للإدارة الاستعمارية في الجزائر عقب المظاهرات الضخمة التي اجتاحت شوارع العاصمة والبلدية وقسنطينة ووهران وعنابة وسطيف وتلمسان،⁽³⁾ والتي اعتبرها المؤرخون استفتاء تاريخيا هز أحلام الكيان الاستعماري في أعماق فرنسا بصورة خاصة.⁽¹⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 39.

² - نفسه، ص 40.

³ - مظاهرات 11 ديسمبر 1960م: حل الجنرال ديغول بالجزائر العاصمة يوم ال 11 من شهر ديسمبر عام 1960م بعدما قام بزيارة العديد من المدن الجزائرية مثل: وهران، شرشال، بجاية وغيرها، فتهيا السكان لاستقباله وأغلقت المحلات،

قام المجاهدون بنصب كمين لقوات الجيش الفرنسي ليلة 14 ديسمبر 1960م، وذلك في قرية "ببرار" ضواحي بواسماعيل، وتحديدًا بجوار الضريح الملكي الموريطاني المعروف بتسمية "قبر الرومية" بببرار، وتمكن من خلاله أفراد الفرقة من قتل أحد المستوطنين.

قضى المجاهدون ليلتهم بعد الكمين الذي نصبوه للعدو الفرنسي في منزل أحد المدنيين بمنطقة سيدي سليمان، حيث تعد هذه الأخيرة المدخل الجنوبي لبواسماعيل، وما إن لاح فجر اليوم الموالي حتى شعر أفراد فرقة جيش التحرير الوطني بقدوم الجيش الفرنسي متجهًا نحوهم، واستتجوا من خلال بعض المؤشرات أنه قد تم الوشاية بهم إلى السلطات الاستعمارية، فتحرك فوج جيش التحرير الوطني المكون من تسعة جنود وتحصن كل جندي منهم بموقع بعيدا عن الآخر، وبدأت نيران رشاشاتهم تباغت العدو بحث تمكنوا خلال الساعة الأولى -السابعة صباحًا- من تدمير سيارة الجيب وقتل ضابط فرنسي مع غنم رشاشتان من نوع (02 مات)، ورشاش آخر أمريكي الصنع.

بدأت قوات الجيش الفرنسي المتواجدة بقرية "تيفشون" (خميسي حاليا) تزحف نحو بواسماعيل، على إثر تصاعد طلقات النيران التي سمعت في أنحاء مختلفة من المدينة، إلا أن انتشار الضباب المخيم على

كما رفعت الأعلام الوطنية وتعالق الزغاريد والمناداة بحياض الجزائر الحرة المستقلة وغيرها من النداءات الوطنية، كما هتف المتظاهرون بالنشيد الوطني الجزائري، وترينت بناء العاصمة بألوان العلم الوطني، وحيال هذا حاولت القوات الفرنسية من شرطة ومظليين التدخل السريع من أجل تفريغ المتظاهرين، مانعين سيرهم بوضع حواجز من أكياس الرمل والأسلاك الشائكة والأعمدة الحديدية والدبابات المدرعة، إلا أن هذا الفعل لم يمنع الجزائريين من مواصلة سيرهم نحو المظاهرات.

أكدت مظاهرات 11 ديسمبر 1960م على ولاء الشعب الجزائري لجهة وجيش التحرير الوطني، كما بينت تعلقه بأرضه التي سلبت منه منذ سنة 1830م، هذا من جهة ومن جهة أخرى خلصت سكان المدن من الخوف الذي انتابهم نتيجة القهر الذي سلط عليهم من طرف المظليين تحت قيادة الجنرال "ماسو" أثناء معركة الجزائر وبعدها، وجعلتهم يساهمون بقوة في الكفاح الذي كان مركزا في الأرياف، وفي نفس الوقت عزلت المترددين والمشككين من استمرارية الثورة ونجاحها، فأعطت بذلك قوة استثنائية لجيش التحرير الوطني، فزادت العمليات العسكرية زيادة كبيرة، ولم تعد مقتصرة على الاشتباكات والكائنات والهجمات، بل تحولت إلى حرب جيوش، وهو الأمر الذي أربع الاستعمار الفرنسي وزعزع قواته.

اعتبرت مظاهرات 11 ديسمبر 1960م استفتاء عملي شعبي عبر من خلاله الشعب الجزائري على إصراره من أجل افتكاك الحرية، ورفضه لفكرة التآخي التي كانت تدعو إليها حركة 13 ماي 1958م، (للمزيد من المعلومات أنظر: جريدة المجاهد، ع85، 19/12/1960م، وسليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، تر، محمد حافظ الجمالي، الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2002م، ص153، وبشير سعدوني، مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج02، ع03، جانفي 2014م، صص315، 316).

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص329.

المنطقة أدى إلى حدوث اشتباك بين القوات الفرنسية القادمة والقوات الفرنسية المتواجدة بساحة المعركة، الأمر الذي أدى إلى جرح بعض العساكر الفرنسية بين الطرفين.

تزايدت مقاومة فوج جيش التحرير الوطني بضواحي المدينة في وجه القوات الفرنسية، التي بدأت تتجمع وتتكتف عدة وعددا وهي في طريقها إلى المدينة، ولهذا الغرض اتجهت السلطات الاستعمارية إلى قاعدة بوفاريك بهدف مضاعفة إرسال التعزيزات المطلوبة، وفعلا ما إن أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة صباحا حتى زحفت قوات الجيش الفرنسي بأعداد هائلة من البليدة وموزاية والعفرون وشرشال، هذا بخلاف النجيدات الأولية التي وصلت من مدينة القليعة، وكانت كلها عبارة عن مصفحات ودبابات ومدفعية ثقيلة بالإضافة إلى المظليين.⁽¹⁾

تعالت صيحات الفرع والذعر في البيوت المجاورة لساحة المعركة مختلطة بصفارات الإنذار التي اقتحمت كل أنحاء المدينة تأهبا لحالة الطوارئ، وقد أغلقت مدينة بواسماعيل في وجه المارة من المواطنين الذين اعتادوا قضاء حوائجهم في مثل هذا الوقت، ومنهم من اعتاد على الخروج ليتلمس أخبار الثورة، وبالأخص أن الأغلبية من الشيوخ المسنين كانوا قد تعودوا على الحديث فيما يسمونه بـ"البوليتيك"، وذلك عن طريق مناقشة تصريحات الجنيرال ديغول الأخيرة ووعوده التي أصبحت معروفة لديهم إلى ذلك من إمكانية حق تقرير مصير الشعب الجزائري، فضلا عن مصير مفاوضات جبهة التحرير الوطني مع فرنسا.

دفعت موجة الذعر التي اجتاحت نفوس الطبقة الأرستقراطية من المستوطنين إلى مضاعفة انتقامهم من أفراد فوج جيش التحرير الوطني، وقدموا مساعدات جمة لقوات الجيش الفرنسي وهم يتربصون بالمجاهدين، حتى تمكن أحد المستوطنين من تسليط نيران رشاش كان قد افتكه من أحد العساكر على المجاهدين.

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين المرجع السابق، ص 330.

يصف كل من بلقاسم بن رحاي⁽¹⁾ وعبد القادر زروق⁽²⁾ وساعد سعد⁽³⁾ العداء الذ كان يكنه المستوطنون للمجاهدين الذين كانوا يطلقون عليهم لفظة "الفلاقة"، بأن أحد المستوطنين الذين كان يدعى "قابي" وصل إلى ساحة المعركة بعد أن خمد دخانها وهو يدقق في الجثث الهامدة بعين النادم على شيء قد فات منه، وبمروره وسط المكان لاحظ أن هناك شيء يتحرك وباقترابه منه بدأ يسخر منه بألفاظ بذيئة، إذ أصبح على يقين بأن هذا المجاهد الذي هو "عبد القادر بوكابوس" لا يزال يلفظ أنفاسه الأخيرة، فما كان من الشهيد إلا أن أجاب المستوطن "قابي" ببصقة أخذت مجراها إلى وجهه، ثم فارق الحياة ليتلحق بإخوانه الثمانية من الشهداء.

كان أمل السلطات الاستعمارية متمثلاً في تكثيف عمليات التطويق والحصار لفوج جيش التحرير الوطني بغية إلقاء القبض عليهم أحياء، إلا أن المبدأ الذي قامت عليه ثورة التحرير الجزائرية هو إما النصر أو الشهادة في سبيل الله -تعالى- وسبيل الوطن، وبالمقابل وبالرغم من استشهاد عناصر الفوج إلا أنهم تمكنوا من إدارة معركة تواصلت لعشر ساعات متتالية، لم يتمكن خلالها المستعمر الفرنسي من الفوز⁽⁴⁾ بأية وثائق أو معلومات من المجاهدين السعة تدلهم على مخطط العمليات، أو إلى غير ذلك من معلومات تخص أشخاصاً لهم علاقة بالتنظيم الثوري، وكل مرة عندما تصاب قوات الاستعمار الفرنسي بالخيبة والهزيمة تقوم بتنفيذ مجزرة رهيبة في حق السكان المدنيين والعزل.

خسر الجيش الفرنسي في معركة بواسماعيل خمسة وسبعين جندياً ومائة جريح، كما تعرض لتدمير عدة آليات عسكرية، أما فيما يخص جيش التحرير الوطني فقد تعرض فوجه بالكامل والذي كان مكوناً

¹- بلقاسم بن رحاي: ولد بلقاسم بن رحاي سنة 1937م، والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني عام 1957م برتبة ملازم، وعين بعد الاستقلال مسؤول ناحية المجاهدين لدائرة القليعة، (للمزيد من المعلومات أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص332).

²- عبد القادر زروق: ولد عبد القادر زروق سنة 1942م، والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني عام 1957م برتبة مساعد أول، وعين بعد الاستقلال كمنسق بقسم المجاهدين في مدينة بواسماعيل، (للمزيد من المعلومات أنظر، المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص332).

³- ساعد سعد: ولد ساعد سعد سنة 1932م، والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956م برتبة مساعد ومحافظ سياسي، عمل بعد الاستقلال في تعاونية المجاهدين بمدينة القليعة، (للمزيد من المعلومات أنظر، المنظمة الوطنية للمجاهدين: من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص332).

⁴- المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، المرجع السابق، ص331.

من تسعة مجاهدين إلى الاستشهاد، وهم: محمد زون 3، إبراهيم حاج يخلف، عمر القهواجي، محمد عدة، بوعلام أوف، بوعلام جادة، عبد القادر بوكابوس، إبراهيم شفة، وعمر لكل.⁽¹⁾

12. معركة الناحلة ضد قوات الحلف الأطلسي: سمعت فصائل الكتبية الحميدية دوي الشاحنات العسكرية الفرنسية بمنطقة الناحلة في المنطقة الثالثة من الولاية الرابعة التاريخية، فطلب بلقاسم نادي⁽²⁾ من السي عاشور مسؤول أحد الفصائل الذهاب إلى الونشريس بحكم أنه يعرف الطريق المؤدي إلى المنطقة جيدا، ولكن هذا الأخير رفض بسبب الاجتماع الذي كان سيعقد بالناحلة في اليوم الموالي، ولكنهم بمجرد مرورهم بوادي سبعون وجدوا أنفسهم بين عساكر الجيش الفرنسي وكانوا قد عرفوهم من أول وهلة من خلال أمتعتهم الظهرية، فنزلوا فورا إلى المنحدر لإطلاق النار عليهم، لكن الكتبية كانت قد اتجهت نحو العلو فهجم عليها عساكر فرنسيين آخرين، ليحدثم الاشتباك بين الطرفين، مخلفا استشهاد عشرين مجاهدا من أصل ستة وعشرين.⁽³⁾

دامت هذه المعركة التاريخية ستة عشر ساعة من السادسة صباحا إلى غاية الساعة العاشرة مساء . انسحب المجاهدون الستة من ساحة المعركة، علما أن أحدهم كان قد قطعت أذنه وهو صاحب القطعة "البياصة"، فاتجهوا نحو متيجة عبر أولاد غالية، وهناك التقوا ببقية فصائل الكتبية، حيث كان المشهد محزنا جدا، فمنهم من فقد عينه ومنهم من فقد رجله، ليواصلوا المسيرة إلى مركز لهم موجود في الحمام بمنطقة المتيجة، أين كان ينتظرهم هناك السي سليمان الغول.⁽⁴⁾

¹- المنظمة الوطنية للمجاهدين، المرجع السابق، ص332.

²- بلقاسم نادي: ولد بلقاسم نادي يوم 29 مارس 1947م ببني هندل، ينتسب لعائلة فقدت سبعة شهداء، كان والده يشتغل عاملا في محجرة بوقايد، ثم التحق بصفوف الثورة التحريرية الجزائرية، فبدأ الاستعمار الفرنسي يبحث عنه وقام بحرق منزله لهذا الغرض، فانتقلوا للسكن ببطحية وانخرطوا بقسم السي كمال في بوعظم، إلى غاية هيكلة الكتبية الحميدية التي كان يرأسها السي سليمان الغول لينخرط بها السي بلقاسم نادي لاحقا، شارك في معركة الناحلة ضد قوات الحلف الأطلسي رفقة سليمان الغول، ثم عين محافظا سياسيا في بوقايل (سنجاس حاليا) لمدة ثلاثة أشهر، ليعين بعدها مسؤولا عن الفدائيين، للمزيد من المعلومات أنظر: سليمان الغول، المرجع السابق، ص- ص75، 77).

³- سليمان الغول، المرجع السابق، ص76.

⁴- نفسه، ص76.

4. الهجمات والتخريبات:

1. الهجوم على مركز الباشاغا بوعلام أبريل 1959م: هاجم فوج من الكتيبة الكريمة بقيادة السي فريد على مركز الباشاغا بوعلام شهر أبريل 1959م على الساعة التاسعة ليلا، وفقد كلل هذا الهجوم بقتل وجرح عد كبير من الخونة الذين كانوا يسمونهم ب"جيش بوعلام"، أما جنود جيش التحرير الوطني فقد استطاعوا الانسحاب سالمين من دون أن تمسهم نيران رصاصات جيش الباشاغا بوعلام.⁽¹⁾

2. التخطيط لعملية داخل ثكنة عسكرية بالبلدية أبريل 1959م: زود عاشور بوزيد الحاج مسعود جديد المدعو السي علي بقنبلة موقوتة، عارض على عبد الكريم القيام بعملية فدائية، فأخذ السي عبد الكريم القنبلة من السي عاشور ونفذ العملية في حانة "سيمون" الواقعة بشارع "شارت" بقلب العاصمة في الفاتح من شهر أبريل عام 1959م.

تلقى السي عبد الكريم استدعاء من إدارة الجيش الاستعماري لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية بعد شهر من تفجير حانة "سيمون"، فأشار عليه السي علي ناصحا بأن يلتحق بالجيش الفرنسي، لكن بشرط أن ينفذ عملية فدائية داخل الثكنة مباشرة بعد انتهاء فترة تدريبه، على أن يزوده بخطة وتفاصيل العملية العملية لاحقا، فالتحق السي عبد الكريم بثكنة بلدته الواقعة في مدينة البلدية، ولكن العملية لم تنفذ نظرا لإلقاء القبض على السي عبد الكريم والسي علي قبل تأطيرها وتنفيذها.⁽²⁾

3. هجوم السد الكبير جوان 1959م: هجمت فصيلة من الكتيبة الكريمة بقيادة السي العربي على مركز لتدريب الجنود الفرنسيين بالسد الكبير ضواحي الكريمة، شهر جوان من عام 1959م على الساعة العاشرة ليلا، ونتج عن هذا الهجوم مقتل ستة جنود فرنسيين وجرح عدد كبير منهم، أما المجاهدين فقد استطاعوا الانسحاب بنجاح.⁽³⁾

4. هجوم السد الكبير جوان 1959م: هجمت فصيلة من الكتيبة الكريمة بقيادة السي الشيخ والسي رشيد على مركز لتدريب جنود المستعمر الفرنسي بالسد الكبير ضواحي الكريمة، شهر جوان من عام 1959م على الساعة الحادية عشر ليلا، ونتج عن هذا الهجوم مقتل خمسة عشر من الجنود الفرنسيين، في حين استطاع المجاهدون أن ينسحبوا بسلام.⁽⁴⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص146.

² - الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص ص69، 70.

³ - محمد نمار، المرجع السابق، ص ص149، 150.

⁴ - نفسه، ص150.

5. **هجوم وادي الفضة 20 أوت 1959م:** هاجمت مجموعة من المجاهدين مركزا للعدو الفرنسي بوادي الفضة يوم 20 أوت 1959م، فتسبب في سار فادحة غي الأرواح بصفوف الجيش الفرنسي. كما هاجمت فصيلة من جيش التحرير الوطني مركزا للجيش الفرنسي بالسد الكبير، إلا أن الخسائر البشرية والمادية التي أسفر عنها هذا الهجوم بقيت مجهولة.⁽¹⁾
6. **هجوم السد الكبير أوت 1959م:** هجمت الكتيبة الكريمة بقيادة السي علي الشعشوع المدعو السي علي لامارتين على مركز تدريب الجنود الفرنسيين، الموجود بالسد الكبير نواحي الكريمة شهر أوت 1959م على الساعة العاشرة ليلا، ونتج عن هذا الهجوم مقتل ثمانية جنود فرنسيين وجرح آخرين، أما المجاهدين فقد استطاعوا الانسحاب من دون أن يفقدوا فردا منهم.⁽²⁾
7. **هجوم بني بوعتاب سبتمبر 1959م:** هجمت الكتيبة الكريمة وفصيلة من الكوموندو على مركز عسكري للجيش الفرنسي بمنطقة "تيمكسين" التابعة لبني بوعتاب، شهر سبتمبر من عام 1959م على الساعة العاشرة ليلا، ونتج عن هذا الهجوم قتل وجرح عدد كبير من الجنود الفرنسيين، أما فيما يخص المجاهدين فقد استشهد مناضل واحد وجرح عشرة مناضلين آخرين نتيجة لكشف خطتهم أثناء سير الهجوم من طرف العدو الفرنسي، كما تم قتل مدني من سكان المنطقة.⁽³⁾
8. **هجوم مركز بوسعود والسد الصغير أكتوبر 1959م:** هاجمت فصيلة من فصائل جيش التحرير الوطني مركز بوسعود لتدريب الجنود الفرنسيين نواحي الكريمة، شهر أكتوبر 1959م على الساعة الواحدة ليلا، أما فيما يخص الخسائر التي انبثقت عن هذا الهجوم فقد بقيت مجهولة. كما هاجمت مجموعة من مجاهدي جيش التحرير الوطني مركزا خاصا بتدريب الجنود الفرنسيين بمنطقة السد الصغير نواحي الكريمة في نفس الليلة السابقة، ونفس الشيء فقد بقيت الخسائر الناتجة عن هذا الهجوم مجهولة.⁽⁴⁾
9. **هجومات الكريمة ليلة الفاتح من نوفمبر 1959م:** هاجمت مجموعة من مجاهدي جيش التحرير الوطني مركزا للجيش الفرنسي بمنطقة تقرجيجت نواحي الكريمة ليلة أول نوفمبر من عام 1959م، ولكن

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص151.

² - نفسه، ص152.

³ - نفسه، ص154.

⁴ - نفسه، ص158.

الخسائر المتعلقة بهذا الهجوم بقيت مجهولة نظرا لوقوع الحادثة ليلا، فتخيم الظلام حال دون عد عدد الجرحى والقتلى.⁽¹⁾

هاجم فوج من جيش التحرير الوطني مركزا للجيش الفرنسي بوادي الفضة ليلة الفاح من نوفمبر عام 1959م على الساعة الواحدة ليلا، وقد كان الهدف من هذا الهجوم هو نشر الفزع والرعب في نفوس المستوطنين الأوروبيين بالمنطقة.

هاجم فوج من جيش التحرير الوطني مركزا للجيش الفرنسي بأم الدروع ناحية الشلف، في نفس اليوم على السعة الواحدة ليلا، وقد زرع هذا الهجوم الخوف والهلع في صفوف المستعمرين الأوروبيين بالمنطقة.

هاجمت فصيلة من جيش التحرير الوطني بقيادة علي لامارتياني مركزا تابعا للعدو الفرنسي بالكريمية، ليلة الفاتح من نوفمبر عام 1959م على الساعة الواحدة ليلا، وقد كان هذا الهجوم كسابقه يهدف إلى زرع الرعب والخوف في نفوس المستوطنين الأوروبيين بالمنطقة.

هجم فوج من أفواج جيش التحرير الوطني ليلة الفاتح من نوفمبر عام 1959م مركزا تابعا للجيش الفرنسي بمدينة الشلف على الساعة الواحدة ليلا، فتسبب هذا الهجوم زرع الخوف والرعب في نفوس أفراد المركز، أما فيما يخص الخسائر فقد بقيت مجهولة.

هجم فوج من أفواج جيش التحرير الوطني ليلة الفاتح من نوفمبر عام 1959م مركزا تابعا للجيش الفرنسي في حي المستعجل بمدينة الشلف على الساعة الواحدة ليلا، وتسبب في خسائر فادحة في الأرواح إلا أن عددها بقي مجهولا.⁽²⁾

هاجم فوج من أفواج جيش التحرير الوطني مركزا للجيش الفرنسي بمنطقة السد الكبير نواحي الكريمة ليلة الفاتح من نوفمبر عام 1959م على الساعة الواحدة ليلا، بهدف زرع الرعب والفزع في صفوف الجنود الفرنسي، فتسبب الهجوم في العديد من الخسائر في الأرواح إلا أن حصيلتها بقيت مجهولة.⁽³⁾

10. هجوم بلوطة نوفمبر 1959م: هجمت الكتيبة الكريمة بقيادة علي شعثوع المدعو السي علي لامارتين على مركز جيش العدو الفرنسي الموجود بمنطقة بلوطة نواحي الكريمة، شهر نوفمبر من عام

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 160.

² - نفسه، ص 161.

³ - نفسه، ص 162.

1959م على الساعة الواحدة ليلا، فنتج عن هذا الهجوم مقتل أربعة جنود فرنسيين وستة جرحى، أما فيما يخص صفوف جيش التحرير الوطني فقد خسر المجاهدون مناضلا واحدا وهو: عبد القادر البليدي الممرض.⁽¹⁾

11. عمليات فدائية بالجزائر العاصمة أكتوبر ونوفمبر 1959م: قامت مرسلي صفية بوضع قنبلة موقوتة في 13 عمارة 28 شارع القديس أوغستان بالجزائر يوم 13 أكتوبر 1959م، كما قامت نجية هانش بوضع قنبلة 02 نوفمبر 1959م برقم 06 شارع جيريكو بالجزائر، بينما زودت زليخة بن زينب مسعود جديد⁽²⁾ بالقنبلة الموقوتة التي وضعها في أروقة الحراش.⁽³⁾

12. وضع قنبلة موقوتة في أروقة الحراش أكتوبر 1959م: وضع الحاج مسعود جديد المدعو السي علي قنبلة بالحراش، كما رمى بالقنبلة اليدوية بمفترق الطرق بالقبة، حيث برمجت القنبلة على الساعة التاسعة صباحا، فأمر السي علي السي إبراهيم سعدي ومحمد العيداني وضع القنبلة داخل علبة سكر أخفاها في قفة بعدما غطاها بمنديل، وركبوا سيارة كانت ملك للسيد شنبطا وهوي من نوع "فوديت"، كما كان السي علي يحمل مسدسا من نوع ماك 50، فنزلوا عند وصولهم أمام مقر بلدية الحراش، فأمر السي علي شنبطا أن ينتظروا عودتهم، كما طلب من محمد الوقوف عند الحائط الموالي للشارع، وقبلتهم سوق الخضر والفواكه واللحوم، وأمر إبراهيم أن يحمل القفة ويقف وسط الزبائن ليضعها، بينما وقف هو أمام السوق لحماية إبراهيم وتغطيته عند انسحابه، وحينما لم يكن لديهم المتسع من الوقت لأجل الانسحاب، فأشر على إبراهيم بأن يسرع في وضع القفة ثم الابتعاد عن المكان ليتبعه هو والسي محمد مباشرة إلى السيارة التي كانت في انتظارهم، وهو ما حصل فعلا، حيث صعد الاثنان ثم ركب السي علي وعادوا سريعا إلى أماكنهم في انتظار سماع أخبار الانفجار.⁽⁴⁾

¹- محمد نمار، المرجع السابق، ص 162.

²- **مسعود جديد:** هو مسعود جديد الملقب ببعلي ابن لعموري، ولد يوم 22 فيفري سنة 1938م في مدينة السويدانية، عاش في أسرة فقيرة، كان أبوه يمارس منة الفلاحة لدى المعمرين، التحق بصفوف حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، كان من بين أعضاء مجموعة سويداني بوجمعة التي حضرت للعمل الثوري ولتفجير الثورة بمنطقة الجزائر العاصمة، أُلقي عليه القبض شهر نوفمبر من عام 1954م عقب اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية وأودع سجن بوفاريك، شكل رفقة رفقاته فوج للفدائيين في منطقة الحراش، فكان مسئولاً فدائيا في الجزائر العاصمة، جاهد بالولايات التاريخية الثالثة والرابعة والسابعة في الفترة الممتدة ما بين (1953م-1962م)، حكم عليه بالإعدام أثناء الثورة التحريرية، فذاق مرارة السجن بالجزائر وفرنسا، للمزيد من المعلومات أنظر، الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص 15، 42).

³- الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص 64.

⁴- نفسه، ص 67.

13. تفجير حانة الرولي بالقبة 12 أكتوبر 1959م: أمر الحاج مسعود جديد المدعو السي علي محمد حوشين بتفجير حانة السيدة "مورس" يوم 12 أكتوبر من شهر 1959م، وكان قد طلب منه أن يلتحق بخليفة بن عودة الذي كان يسوق سيارة من نوع "تراكسيون 15"، والتي كانت ملكا لأحد الخونة الذي كان يعمل حارسا في سجن الحراش، فطلب من بن عودة إحضارها حتى يذهب على متنها إلى الحراش، وفي الطريق سلم القنبلة لمحمد وأخبره بأنهم على موعد مع ضرب حانة تقع بشارع الجزائر بالحراش، والتي كانت تعرف بحانة السيدة "مورس"، وعند وصولهم إلى عيادة الطبيب "زميرلي" نزل السي علي رفقة السي محمد طالبا من بن عودة انتظارهما هناك، فاتجهوا صوب الحانة حيث كان السي علي معلما السي محمد أنه عليه أن يرمي القنبلة والانسحاب إلى مكان السيارة ليجده بالقرب منها وهو ما حصل فعلا، حيث لاوقف السي علي بجانب حائط الحانة ثم جاء السي محمد ليفاجئه بعدم رمي القنبلة بل قطع الطريق في صمت، بسبب لمحاه لدورية عسكرية فرنسية وجنود يحملون السلاح بأيديهم.

اتجه كلا من السي علي والسي محمد إلى السيارة أين كان ينتظرهما السي بن عودة، الذي أمره السي علي بالاتجاه إلى مفترق طرق القبة، في الوقت الذي كانت تشير فيه الساعة إلى الثامنة ليلا، إلا أن وقود السيارة كان قد نفذ بمجرد وصولهم إلى منطقة السمار، فملئوا خزائنها⁽¹⁾ بخمس لترات من البنزين بفضل جمعهم للمبلغ الذي كان معهم وتوجهوا إلى المكان المقصود، وهنا أمر السي علي السي محمد بوضع القنبلة هناك ففعل، ثم تبعه هو وبقي بن عودة ينتظرهما في السيارة، وبعد رجوعها لمحا أمام الحانة سطح فيلا، الجنود وأكياسا من الرمل ورشاش من نوع مات 24، وهما لم يعلما بذلك مسبقا، عندئذ ضرب لسي علي الجندي الذي كان بجانب الرشاش ثم قفز إلى السيارة بسرعة مع السي محمد، لينطلق السي بن عودة بالسيارة بسرعة فائقة، حيث أن الفرصة كانت سانحة لهم للفرار بعد انفجار القنبلة التي كانت أمامهم.

رجع المناضلون بعد ذلك إلى حي الجبل أين افترقوا وذهب كل منهم إلى بيته أو مخبئه، حيث صادفوا ثلاثة أشخاص تعطلت سيارتهم أمام معمل ميشلان للعجلات، وعلى ما يبدو فإنهم كانوا مخمورين، ولكون الثوار كانوا مطاردين من طرف العسكر الفرنسي فقد ألقى القبض على الآخرين بعد الاشتباه بهم.⁽²⁾

¹ - الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص 68.

² - نفسه، ص 69.

14. الهجوم على حانة "جوليات" بوادي الفضة شهر ديسمبر 1959م: جاءت الأوامر من مسؤولي كومانندو السي جمال إلى الكتيبة الكريمة التي كانت متمركزة في الونشريس،⁽¹⁾ تقيد بالقيام بعملية عسكرية في وسط مدينة وادي الفضة بقيادة السي فضي محمد لكحل، وكان ذلك في شهر ديسمبر من سنة 1959م والموافقة لاحتفالات رأس السنة المسيحية "نوال"، فاتجه المجاهدون نحو ربوة كوان بوادي الفضة من ناحية الشمال وعقدوا اجتماعا للفرقة من أجل دراسة طريقة التنفيذ والانسحاب.

بقي المجاهدون -وقد كان عددهم أحد عشر مناضلا- في منطقة "كوان" مدة أربعة أيام، ثم انتقل منهم خمسة أفراد متوجهين نحو منطقة اليسرية، وعند المساء لاحظوا أن الدرك الفرنسي جاء في دورة عادية وتوقف قرب البيت الذي كانوا متواجدين به، إلا أن المناضلين لم يقوموا بأي تصرف ولم يشنوا هجوما عليهم كونهم لم يتلقوا الأمر بذلك من جهة، ومن جهة أخرى كانت ستتدخل العملية الرئيسية التي هم بصدد تفجيرها، فضلا على أن سكان المنطقة كانوا سيدفعون ثمن ذلك التهور بصورة شديدة من المستعمر الفرنسي.

كان المجاهدون موزعون على الشعب، كما قاموا بدراسة الخطة وكيفية تطبيقها، وعملوا على استطلاع المنطقة جيدا، ثم عادوا إلى منطقة "كوان" لإعطائهم الأمر بالتنفيذ، وهنا جاءهم الأمر بالهجوم على حانة "جوليات"، فنفذوا العملية عن طريق استخدامهم لقطعة السلاح 29/24، مرتدين الزي العسكري، وحاملين السلاح الأوتوماتيكي، ليعودوا أدراجهم في نفس الليلة عبر القنطرة في الوقت الذي كانت فيه دبابات الاستعمار الفرنسي تعقبهم، وأشجار الشوك قد أخذت نصيبها من ملابسهم وهم في طريقهم عبر ربوة "لاله عودة".

انتشرت القوات الفرنسية بقوة كبيرة في كل أنحاء المنطقة في اليوم التالي من الهجوم، بينما كان منفذوه في مراكزهم متخفين بمنزل الشعب يلمحون جنود الاستعمار الفرنسي على بعد حوالي 01 كيلومتر، بلبثوا هناك مدة يومين، وعندما اتضحت الرؤية عادوا إلى الونشريس، وبالضبط على طريق بقعة الزرايق في بوقايد، حيث أخذوا قسطا من الراحة في أحد مراكز الاختصاصيين.⁽²⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 62.

² - نفسه، ص 64.

جاءت الأوامر إلى المجاهدين منفذي الهجوم بالعودة إلى الكتيبة التي كانت في انتظارهم بدوار "السوايح نتوع البيضاء"، أين وجدوا مسئول الكتيبة النقيب سليمان العور، كما كان كل فوج أوفصيلة مجتمعون على حدى للقيام بشؤونهم من غسل الثياب أو تحضير الطعام أو صيانة الأسلحة.⁽¹⁾

15. عمليات فدائية بالجزائر العاصمة 1959م: نفذت العديد من العمليات الفدائية والعسكرية من طرف أفواج الفدائيين بالمنطقة الرابعة وبواسطة الخلايا الأخرى التابعة للولايتين الثالثة والرابعة، مع العلم أن التنظيم الثوري في الجزائر العاصمة كان قد تلقى الأوامر بذلك من بداية سنة 1959م، ومن أهم العمليات التي نفذت في المنطقة نذكر: هجوم بالقنبلة اليدوية في حالة فردوم بشارع طنجة يوم 23 مارس 1959م، وبعد ثلاثة أيام من تلك الحادثة تم تفجيرحانة أندري بطريق القفطان مقابل طريق ميدي يوم 26 مارس 1959م، وفي نفس اليوم تم تفجير حانة البولي الصغير أيضا، كما تم تفجير سيارة من نوع بيجو 203 في ساحة هوش يوم 20 أفريل 1959م مجهزة بقنبلة طائرة مستعجلة من طرف جيش التحرير الوطني، حيث أرسلت هذه القنبلة لفوج الفدائيين من طرف رابح كريم شهيد عملية المنظار، أما منفذ العملية فهو السي مولود شافا الذي استشهد في ساحة إطلاق النار بحسين داي.

تم تفجير مقهى قادر بشارع بولوغين يوم 18 ماي عام 1959م، وفي نفس اليوم تم تفجير مقهى اليستان العام، بساحة بور سعيد، كما فجرت حانة البورصة في ساحة الحكومة في الفاتح من شهر جوان عام 1959م،⁽²⁾ كما تم تفجير حانة كوكي في شارع دوبا يوم 18 جويلية 1959م، وفي 09 أوت 1959م تم تفجير حانة العمال شارع فيالار، وفي 12 أوت 1959م تم وضع قنبلة موقوتة في أروقة الحراش، وفي نفس اليوم تم وضع قنبلة موقوتة في البستان العام بقلري، فضلا عن وضع قنبلة موقوتة داخل الحافلة، في حين تم وضع وضع قنبلة يدوية في شاطئ "لامادراك" يوم 24 أوت 1959م بحي الجميلة في عين البنيان.

وضعت قنبلة بحانة الزاوية في سوق كلوزال يوم 08 سبتمبر 1959م، ورشت مجموعة من الجنود الزرق بواسطة إجاصات⁽³⁾ مطاطية مملوءة بمادة الفيتروول من طرف الفدائيين، فأصيب ثلاثة منهم، بينما فجرت حانة الكباريه الصغير بلارودوت يوم 12 أكتوبر 1959م، فضلا عن وضع قنبلة يدوية في مطعم

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 64.

² - الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص 70.

³ - هذه الإجاصات هي في الواقع مزامير يدوية للسيارات القديمة، يتم استعمالها بواسطة الضغط عليها بالأصابع، (للمزيد من المعلومات أنظر: الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص 71).

طريق كافينياك مقابل المحكمة العسكرية يوم 13 أكتوبر 1959م، في حين فجرت سينما مارينيون بباب الوادي يوم 25 أكتوبر 1959م، بينما أحرقت وخربت العديد من السيارات التابعة للأوروبيين في طريق الليرا يوم 01 نوفمبر 1959م، بالإضافة إلى وضع قنبلة يدوية في حانة ب23 شارع جوفي في اليوم الموالي الموافق ل02 نوفمبر 1959م.⁽¹⁾

تم إضرام النار في سيارة تابعة لقبطان الزواف بواسطة زجاجات حارقة، وذلك في ساحة الحكومة يوم 03 نوفمبر من عام 1959م، بالإضافة إلى رمي زجاجة حارقة من نوع (موتولوف) على منشأة شركة شاجوزي يوم 11 نوفمبر 1959م، وفي اليوم الموالي الموافق ل12 نوفمبر من نفس السنة أضرمت النار في مصنع للطلاء بريبولان.

كان للفوج النسوي الذي شكل فدائيات العاصمة دور كبير في العمليات العسكرية التي نفذت في الجزائر العاصمة، ولا يمكن التطرق إلى نساء النضال الثوري بالمنطقة دون التطرق إلى فوج مليكة عمران⁽²⁾ الذي نفذ العديد من العمليات الفدائية والتي نذكر منها: وضع قنبلتين من نوع 60 عيار في محطة العاصمة، حيث خلفت حصيلة الانفجار ثمانية عشر قتيلًا وثلاثة وأربعين جريحًا، وكان ذلك يوم 08 نوفمبر من عام 1959م.⁽³⁾

16. هجوم حوش المالطي أفريل 1960م: هجم فوجان بقيادة علي دايش والسي الوالي على مركز للعدو الفرنسي بالمكان المسمى حوش المالطي، والذي كان مركزا للتعذيب، ناحية وادي الفضة شهر أفريل من عام 1960م على الساعة التاسعة ليلا، فنتج عن هذا الهجوم مقتل اثني عشرًا جديدا فرنسيا وجرح ثمانية آخرين، أما مجاهدو جيش التحرير الوطني فقد جرح منهم مناضل واحد وانسحب الباقي بسلام.⁽⁴⁾

17. الهجوم على ثكنة عسكرية بوادي الفضة سبتمبر 1960م: ذهبت الكتيبة الكريمة إلى الطريق العام مع خمسة من المجاهدين، للانتقام لآثار معركة الضبابجة بناحي وادي الفضة يوم 09 سبتمبر 1960م من أحد المراكز العسكرية الفرنسية، وكان من بين المشاركين: المناضل السي الوالي وأحمد

¹⁻ الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص71.

²⁻ مليكة عمران: هي زوجة كريم رباح شقيق كريم بلقاسم، ولقد استشهد كريم رباح في ناحية معاتقة بالقرب من تيزي وزو في عملية "المنظار"، أما مليكة عمران فقد كانت في فوج منفصل عن فوج الحاج مسعود جديد المدعو السي علي، للمزيد من المعلومات أنظر: الحاج مسعود جديد (السي علي)، المرجع السابق، ص64.

³⁻ نفسه، ص72.

⁴⁻ محمد نمار، المرجع السابق، ص168.

الملياني المدعو حسين باباي، فهجموا على "الكبانية" المسماة شركة كوبنون برنار على الطريق الوطني رقم 04، ثم شنوا هجوما آخر على الثكنة العسكرية الواقعة دحو وسط مدينة وادي الفضة.⁽¹⁾

18. عملية مارانغو (حجوط حاليا) أكتوبر 1960م: أرسل الطيب فرطاس من الحمدانية إلى مراد (أعالي حجوط) كفدائي، ليقضي على شيخ الفرقة من البلج عدو جيش التحرير الوطنياً أما جيلالي بوفاريك فتم تعيينه في فوج فدائي تيبازة مع موحا "كرايين" وحنينشفي طريق وجهتهم الجديدة، لكنهم كادوا يلقون حتفهم بطريقة غريبة، لأن مرشدهم ضل الطريق فمروا بالقرب من معسكر، فقبولوا بوابل من الرشاش من نوع FM 24/29 في شهر أكتوبر 1960م، ولقد شهدت تيبازة نشاطا مكثفا للفدائيين لعدة أشهر.⁽²⁾

19. هجوم وادي الفضة نوفمبر 1960م: هاجم فوج من أفواج جيش التحرير الوطني مركزا للمستعمر الفرنسي بوادي الفضة، شهر نوفمبر من عام 1960م على الساعة الواحدة ليلا، فاسفر هذا الهجوم على بث الرعب والهلع في صفوف الاستعمار الفرنسي، وما زاد من شدة لوعتهم هو ملأ الطرقات بالشعارات التي تتدد بالوجود الاستعماري، وتدعم الثورة التحريرية وقوتها ومآلاتها.⁽³⁾

عين بوجمعة محمد المدعو "موحا مارنغو" فدائيا في حجوط عام 1960م، حيث قام بعدة عمليات فدائية ناجحة، فتمت الوشاية به إلى المكتب الثاني من طرف أحد العناصر الذي سلم نفسه إلى العدو، فنصب له المظليون كميناً في منتصف الليل بينما كان مع اثنين من رفاقه، فلقوا مصرعهم بعدما قاوموا ببسالة، ثم عرضت جثثهم في ساحة مارانغو (حجوط) حاليا.⁽⁴⁾

¹ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 40.

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 96.

³ - محمد نمار، المرجع السابق، ص 175.

⁴ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 88.

الفصل الرابع: السياسة الفرنسية تجاه عمليات جيش

التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية

(1956م - 1960م)

1- الاعتقال والتعذيب

2- عزل الشعب عن القاعدة الثورية

3- الحركات المضادة للثورة

4- الحرب النفسية

السياسة الفرنسية تجاه الولاية الرابعة التاريخية (1956م-1960م):

راهنّت سلطات الاستعمار الفرنسي على تبني استراتيجيات جديدة من أجل إحكام قبضتها على الجزائر، وذلك من خلال تسطير خطة وبرنامج مدروسين جيدا ويأخذان بعين الاعتبار في حسابتهما اتساع الرقعة الجغرافية للجزائر، وصعوبة فرض رقابتها الفعالة على جميع مناطقها ومدنها وقراها ومداشرها، فضلا عن التنوع الثقافي والبيئة التركيبية للمجتمع الجزائري الذي كانت تتحكم في أغلب مناطقها تقليد العروشية بشكل كبير جدا، بالموازاة مع تواجد التيار الوطني وانتشاره عبر كل ربوع البلاد، حيث نادى هذا الأخير بالرفض الكلي للاستعمار الفرنسي بجميع أنواعه، وهو الأمر الذي زاد من مخاوف فرنسا وجعلها تخشى أن تخرج الأمور عن سيطرتها، وتكتسح جبهة التحرير الوطني الساحة السياسية.⁽¹⁾

استخدمت الإدارة الفرنسية كل ماتملك من أساليب، وكل ما أشاد إليه خبرائها به من سياسات اقتصادية واجتماعية ونفسية شريرة، وما وفرته من وسائل مادية وبشرية مختلفة ومتقدمة من أجل إفشال ثورة استقلال الجزائر، مستعينة في ذلك بخبرتها في حربها مع الهند الصينية والتي توصلت من خلالها إلى الدور الرئيسي الذي تلعبه الممارسات النفسية من تأثير على معنويات الشعوب، وذلك بالموازاة مع الأساليب القمعية والعسكرية من دون التخلي عنها ولو للحظة بغية الحفاظ على معنويات الجيش الفرنسي من جهة، وتثبيط معنويات وعزائم جيش التحرير الوطني من جهة أخرى عن طريق إضعافه عسكريا ونفسيا في المقاومة.⁽²⁾

أولا- الاعتقال والتعذيب:

أ- الاعتقال:

لجأت فرنسا إلى القيام بكل ما في وسعها من أجل كبح العمل الثوري والقضاء عليه، خصوصا بعدما عرفت الولاية الرابعة التاريخية انتشارا واسعا للثورة عبر مختلف مناطقها من خلال اتساع دائرة حرب الكمائن، العمليات الفدائية وحرب المدن، فحرصت السلطات الاستعمارية على توسيع مراكز

¹- سعاد تيرس، أساليب الإدارة الاستعمارية الفرنسية للقضاء على الثورة التحريرية الجزائرية (1954م- 1962م)،

مجلة البحوث التاريخية، مج 06، ع01، جامعة الجزائر جوان 2022م، ص641.

²- نفسه.

الاعتقال،⁽¹⁾ التعذيب والاحتشاد، معتقدة في ذلك بأن هذه الطريقة ستتمكنها من القضاء على الثورة التحريرية بصفة نهائية، غير أنها لم تعتقد بأن تلك المراكز تشكل في مجملها ميدانا آخر للنشاط الثوري. أصبحت ردود فعل الاستعمار الفرنسي أكثر خطورة تجاه الشعب الجزائري، وخاصة تلك الفئة المتعاطفة منه مع جبهة وجيش التحرير الوطنيين مع تنصيب جاك سوستال⁽²⁾ كأول وزير مقيم في الجزائر شهر فيفري من عام 1955م، فقام بإنشاء العديد من المعتقلات في المناطق النائية مع إعطاء الصلاحيات الكاملة للسلطة الاستعمارية باعتقال الجزائريين الذين يشكلون خطرا على الأمن والنظام العام، بالموازاة مع السماح للشرطة الفرنسية باعتقال أفراد دون الرجوع لأخذ تصريح من السلطة القضائية.⁽³⁾

1- الاعتقال: يقصد بالاعتقال في اللغة العربية الحبس، فيقال اعتقل لسانه أي حبس عن الكلام ومنع عنه فلم يقدر عليه، ويراد بالشخص المعتقل في القانون هو الموقوف قبل المحاكمة لأن الاعتقال معنى مؤيد للتوقيف ويصفونه بأنه حبس المتهم عن مباشرة أموره حتى يحاكم، للمزيد من المعلومات أنظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، مصر: دار الحديث للنشر والتوزيع بالقاهرة، 2002م، ص371، وفوزي فيض الله، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، ط1، الكويت: مكتبة المنار للنشر والتوزيع، 1987م، ص42).

2- جاك سوستال (1912م-1990م): اسمه الحقيقي Bensoussan، من مواليد 03 نوفمبر 1912م ب Montpelier وهو ينحدر من أصول يهودية بالبرتغال، درس علم الأجناس (الانتولوجيا) والفلسفة وتخصص في أميركا اللاتينية، ولهذا يكن باسم الفيلسوف العبري، كما عرف عنه أنه مثقف يساري، أضحى من المقربين إلى الجنيرال ديغول فكلفه بعدة مهام منها: محافظ وطني للإعلام سنة 1942م ومدير عام للمخابرات ومحاربة التجسس خلال الفترة الممتدة ما بين (1943م-1944م)، وبعد تشكيل حزب تجمع الشعب الفرنسي من قبل ديغول سنة 1947م، عين أمينا عاما للحزب في الفترة الممتدة ما بين (1947م-1951م)، ثم نائبا في منطقة الرون باسم التجمع، ثم عينه رئيس الحكومة الفرنسية Mandés France حاكما عاما بالجزائر في 15 فيفري 1955م خلفا ل Roger Leonard، وبعدها تولى ديغول رئاسة الجمهورية الفرنسية الخامسة استلم جاك سوستال وزارة الإعلام سنة 1958م، ثم عين وزيرا منتدبا مكلفا بالمقطاعات الصحراوية في جانفي 1959م، إلى أن استقال من منصبه بعد استحداث ديغول مشروع تقرير المصير للجزائريين في 19 ديسمبر 1959م، ثم نفي إلى إيطاليا سنة 1961م ولم يعد منها إلا بعد الإعلان عن العفو العام في أكتوبر 1968م، توفي في 07 أوت 1990م تاركا جملة من المؤلفات أبرزها: Aimée et Souffrante Algérie, Le drame Algérien et la décadence française 1957, Algérie. Le chemin et la paix 1960, L'espérance Trahie 1958-1962. (للمزيد من المعلومات أنظر: محمد شويوب، محمد بن موسى، سياسة جاك سوستال للقضاء على الثورة التحريرية 1955م-1956م"، حوليات جامعة قالملة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع26، قالملة، الجزائر، جوان، 2019م، ص ص 221، 222).

3- ياسمينة كريمي، المعتقلون والأسرى أثناء الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، إشراف: محمد ودوع، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -02- أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2016م/2017م، ص22.

1- السجون: ضمت السجون⁽¹⁾ أعدادا تفوق استيعابها من المساجين، الأمر الذي دفع بالسلطات الاستعمارية إلى توسيعها، فأصبح في كل قرية ومدينة سجن محلي، وقد احتوت كل عمالة على سجنين على الأقل، يحول إليها المتهمون الذين صدرت في حقهم أحكاما مختلفة،⁽²⁾ وقد أشارت الإحصائيات إلى وصول تعداد السجون بالجزائر إبان الفترة الاستعمارية لمائة وثلاثة عشر سجنا.

اعتبر جاك شاربي⁽³⁾ بأن الجزائر أضحت تعيش في سجن كبير نظرا لكثرة السجون بها، بداية من خطي شال وموريس إلى السجون، وهو الأمر نفسه الذي اتفق معه فيه هنري علاق، كما أشار تقرير المخابرات الأميركية في جوان 1960م إلى وجود ثلاثة أنظمة مختلفة للسجون في الجزائر وهي مصنفة على النحو التالي:

* نظام السجن القانوني: يضم مؤسسات تديرها وزارة العدل ومؤسسات للمجرمين الصغار، وتدار من قبل مديرية التربية والتعليم تحت إشراف وزارة العدل حسب ماجرت عليه الحالة العادية في فرنسا، أما في الجزائر فقد كانت تابعة للأمانة العامة للشرطة.

* مراكز الفرز والعبور ومراكز السجون المدنية: والتي كانت موضوعا تحت المراقبة الفعلية للمندوبية العامة للجزائر والدوائر الإقليمية.

* مراكز الاعتقال العسكرية: والتي كانت تحت إشراف الجيش الفرنسي.⁽⁴⁾

¹ - **السجن:** هو عبارة عن مباني مغلقة تبنى بالإسمنت المسلح وتوضع على نوافذها شبابيك حديدية، كما تصنع أبوابها من صفائح الحديد السميك، احتوى السجن على مرافق مختلفة منها قاعات وزنانات، وعيادة ومطعم وغيرها، كما توفرت فيه زنانات انفرادية، وهي تلك التي تعرف بالزنانات التأديبية التي يعزل فيها السجناء منفردا عن باقي السجناء، فضلا على أن العديد منها لا تتوفر على نوافذ بل ثقب صغيرة في حجم قطعة نقدية مغطاة من الخارج بصفيحة حديدية، الأمر الذي يجعل من السجن لا يفكر حتى مجرد التفكير في الفرار، (للمزيد من المعلومات أنظر: ياسمين كريمة، المرجع السابق، ص22).

² - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث ووقائع الثورة التحريرية للولاية الرابعة، ج1، التقرير السياسي (1959م- 1962م)، ص176.

³ - جاك شاربي: هو ممثل فرنسي، أُلقي عليه القبض في 20 فيفري من سنة 1960م بتهمة التعاون مع جبهة التحرير الوطني في نطاق شبكة جونسون، عذب وسجن بسجن فران ما يقارب خمسة أشهر، ألف مذكراته على إثر ذلك وجمعها في كتيب تحت عنوان: "الجزائر في السجن"، (للمزيد من المعلومات أنظر: Jaques CHARB, Algérie en prison,

Edition ANEP, Algérie, 2012, p07.

⁴ - ياسمين كريمة، المرجع السابق، ص23.

اشتهرت بعض السجون في الولاية الرابعة التاريخية بسوء معاملتها للمساجين من قبل القائمين عليها دون مراعاة لأبسط قواعد الإنسانية والمواثيق الدولية، ونذكر منها على سبيل المثال لا للحصر: سجن سركاجي بمدينة الجزائر، سجن البليدة، سجن الحراش، سجن الشلف، سجن البرواقية، سجن المدية،... وغيرها، وسنورد أسفله مجموعة من التفاصيل عن بعض من هذه السجون.⁽¹⁾

1-1- سجن بربروس (سركاجي): يصنف سجن سركاجي أو بربروس على أنه أشهر السجون الفرنسية بالجزائر، وتطلق عليه أيضا تسمية السجن المدني للجزائر، يقع في أعالي حي القصبة، ويحيطه حصن منيع يبلغ ارتفاعه اثني عشر مترا، كما يتألف من طابقين، وتصل طاقة استيعابه إلى سبعمائة سجين، غير أن الإدارة الاستعمارية كانت قد زجت فيه أكثر من ثلاثة آلاف سجين في الفترة الممتدة ما بين (1957م - 1958م)، فقد وصلت لدرجة أن تحشر في قاعاته من خمسين إلى سبعين سجيناً أو أكثر.⁽²⁾ كان السجناء ينامون مكسسين فوق بعضهم البعض كالسلع بشكل معاكس (رجل - رأس) بسبب تعدادهم الكبير، أما فيما يخص طبيعة معتقليه فقد كانوا من جنود جيش التحرير الوطني والفدائيين، كما كان ينقل إليه السجناء الذين يحاكمون أمام المحاكم العسكرية من الشلف، البليدة، المدية، سور الغزلان، وضواحي مدينة الجزائر، كما ضم كذلك المناضلين الذين صدرت في حقهم أحكام بالإعدام، فقد كان يخصص لهم جناح خاص بهم بحيث يوزعون على زنانات رهيبة الشكل في عزلة تامة، مع تطبيق عليهم إجراءات صارمة في الحراسة ليلا ونهارا، فضلا على أنهم كانوا محجوبين عن بقية المعتقلين ولا يكادون يرون في اليوم الواحد إلا الحراس الخاصين بهم.⁽³⁾

1-2- سجن البرواقية: يعد سجن البرواقية من السجون الفرنسية القديمة في الجزائر، ضم فئة السجناء الذين تمت محاكمتهم وثبتت إدانتهم نهائيا من قبل المحاكم المدنية والعسكرية، ولم يكن السجن خاصا بأسرى الولاية الرابعة فقط، وإنما كان ينقل إليه السجناء من كل جهات الوطن، لدرجة أن بلغ تعداده ألفين ومائتين سجيناً.⁽⁴⁾

¹⁻ المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية بالولاية الرابعة، ج1، 20 أوت 1956م نهاية 1958م، ص 119.

²⁻ ياسمينة كريمي، المرجع السابق، ص 24.

³⁻ المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية بالولاية الرابعة، ج1، 20 أوت 1956م نهاية 1958م، ص ص 119 - 121.

⁴⁻ ياسمينة كريمي، المرجع السابق، ص 25.

1-3- سجن الحراش: يعد سجن الحراش من السجون المشهورة والمعروفة في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية، ونظرا لوجوده في العاصمة فقد حظي باهتمام السلطات الفرنسية بشكل كبير، لكون سجناءه كانوا يقومون فيه بمهام متعلقة بجانب الاتصالات والمخابرات، والجانب التنظيمي بين السجون والولايات والخارج، وهو الأمر الذي جعل قيادة الولاية الرابعة تهتم به بصفة خاصة.

اهتم قادة الولاية الرابعة بقضايا السجون والمعتقلات، كما تابعت أخبار الموقوفين في مراكز التعذيب والمحتشدات، فقد حرصت على تدعيم اللجان التنظيمية المسؤولة عن السجون بالرغم من أنها كانت تعاني من مشاكل عديدة وقاسية خاصة في فترة الجنرال ديغول، الذي حرص على تعريضها إلى ضغوطات سياسية وعسكرية من أجل القضاء على الثورة، إلا أن المعتقلين والمساجين لم يندفعوا بالاعراض التي كانت تقدمها لهم مصالح الشرطة الفرنسية ومصالح الشؤون الاجتماعية والمصالح البسيكولوجية، ورفضوا التعاون مع فرنسا أو تقديم شواهد الولاء والإخلاص لها.⁽¹⁾

لم يمنع السجن مجاهدي ومناضلي جيش وجبهة التحرير الوطنيين من المشاركة في العمل الثوري، فقد حرص قادة الولاية الرابعة على إشراكهم في ميدان الكفاح وذلك عن طريق:

* الدفاع عن كرامتهم من خلال إعلانهم عن القيام بإضرابات الجوع اللامحدودة أو المحدودة، فضلا عن تقدي الاحتجاجات الشفوية والمكتوبة، والتشهير والتنديد بمعاملات السلطات القمعية.

* تنظيم حياة المساجين داخل السجن بواسطة تمثيل العلاقة بين المساجين ومساعدة بعضهم البعض إذا تعذرت مساندة الولاية لهم في الظروف الصعبة.

* تقديم المساعدات والإعانات المالية لعائلات المساجين والمعتقلين والمختطفين من المناضلين.

* الحرص على تكوين المساجين تكويناً عقائدياً وثقافياً، عن طريق استيرتيجية محو الأمية مع تعليم القادرين على اكتساب مهارات التعلم، وتوسيع معلومات الذين كانوا يزاولون دراستهم قبل أن تلق السلطات الاستعمارية القبض عليهم.

* تزويد السجناء بالمناشير والأخبار، وخاصة ما تلك التي يتعلق منها بالقضية الجزائرية والسياسات الدولية.⁽²⁾

* التصدي للحملات الإعلامية التي تقوم بها أجهزة الاعلام الفرنسية والأجهزة النفسانية، التي كانت تعمل دائما على إضعاف الروح الثورية بالنسبة للجزائريين، عن طريق سياسة غسل الأمخاخ.

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع...، المرجع السابق، ص 177.

² - نفسه، ص ص 177، 178.

* تنظيم عمليات الهروب والفرار من السجون، لأنه لا يمكن تنظيم عملية الفرار مالم يطلب الاذن من قادة الولاية الرابعة، ومالم تكن الناحية والمنطقة على علم بذلك.⁽¹⁾

2- المعتقلات: عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على استحداث المعتقلات⁽²⁾ في الجزائر إبان الثورة التحريرية ابتداء من منتصف سنة 1955م، وذلك بعد فرضها لحالة الطوارئ يوم 30 أفريل من نفس السنة، بغية اعتقال وسجن كل مشتبه فيه سواء كان مساعدا للثورة أو متعاطفا معها.

كان أغلبية المعتقلين من المناضلين السياسيين الذين ينجون من الموت نتيجة التعذيب الوحشي ولم تثبت في حقهم أية تهمة فيساقون إلى المعتقلات، فضلا على المناضلين الذين يكملون مدة عقوبتهم، حيث كانوا يجدون عربات تنتظرهم لتأخذهم مباشرة إلى أحد المعتقلات عوض الالتحاق بمنازلهم.

تنقسم المعتقلات الفرنسية في الجزائر خلال فترة حرب التحرير الوطني إلى نوعين:

* **معتقلات سياسية:** والتي كانت تسير من طرف السلطات الإدارية عن طريق الوالي العام في الجزائر، والتي من بينهما معتقل البرواقية الذي كان مخصصا للمناضلين السياسيين الجزائريين وكان يضم ثمانين معتقلا، ومعتقل اللودي الواقع شمال غرب منطقة المدية والذي كان مخصصا للنقابيين الشيوعيين حيث ضم 170 معتقلا، وهو الأمر الذي أكدته بول تيتجن في مذكراته قائلا: "أعطى الحاكم العام أمرا بالبحث واعتقال أعضاء الحزب الشيوعي والنقابيين، فحددت قائمة المشتبه فيهم لاعتقالهم".⁽³⁾

* **معتقلات عسكرية:** كان هذا النوع من المعتقلات خاضعا لسيطرة الجيش مباشرة، الأمر الذي أدى إلى تزايد نسبة الاعتقال بشكل رهيب وكبير جدا، حيث بدأ هذا النوع في التطور منذ سنة 1957م بالموازاة مع اشتداد لهيب الثورة التحريرية في الولاية الرابعة التاريخية، وهو الأمر الذي جعل هذه المعتقلات تشهد تطورا ملحوظا، حيث يمكن تصنيفها إلى:⁽⁴⁾

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع...، المرجع السابق، ص178.

² - المعتقل: هو مكان يجمع فيه الناس ويقيدون من جميع حرياتهم، حيث يساق إليه كل شخص تسبب في فوضى عارمة، أو ساند الثورة التحريرية من دون أن يمر بمحاكمة، وتختلف حياة المعتقلين داخل المعتقل باختلاف الإدارة التي تسيرهم، كما أنهم لا يخضعون للباس معين على خلاف السجن، كما يمكنهم الاطلاع على الصحف والاستماع للإذاعة داخل المعتقل، (للمزيد من المعلومات أنظر: نادية نعلمان، **المعتقلات والمحتشدات إبان الثورة التحريرية (ولاية المدية أنموذجا)**، مجلة تاريخ العلوم، ع07، مارس2017م، ص53).

³ - نادية نعلمان، المعتقلات والمحتشدات...، المرجع السابق، ص53.

⁴ - نفسه، ص53.

- مركز الاعتقال للفرز والعبور: منحت سلطة تسيير مراكز الاعتقال للفرز والعبور⁽¹⁾ للعسكريين حيث حرر هؤلاء الآخرين من جميع الضغوطات القانونية فهي لم تكن خاضعة لمراقبة السلطة المدنية سواء كانت هذه الأخيرة إدارية أم قضائية، الأمر الذي مكنهم من إقامة معسكرات بتسميات مختلفة حسب البعثات التي كلفوا بها.

وجهت المراكز العسكرية للفرز والعبور أو كما يطلق عليها بعض الباحثين المراكز العسكرية للعبور والانتقاء إلى المتمردين الذين قبض عليهم مسلحين أثناء الاشتباكات، حيث حدد لهم السجن بهذه المراكز بمدة شهر واحد، غير أنه عادة ما كان يمكث المعتقل فيها من ثلاثة أشهر إلى غاية سنة كاملة أو ثلاثة عشر شهرا، وقد تكون أكثر من ذلك، فحسب الهيئة الدولية للصليب الأحمر فقد كان يطلق سراح ثلث المساجين بصفة عامة، أما الثلث الثاني فكان يوجه للامتنثال أمام المحكمة، في حين ينتقل الثلث الثالث إلى السجن.⁽²⁾

لا توجد قائمة شاملة لمراكز الاعتقال للفرز والعبور سواء بالجزائر أو بالولاية الرابعة التاريخية، كما لا نملك أية قائمة للأشخاص الذين أقاموا بهذه المراكز أو للذين ماتوا بها، وحول هذا الموضوع يتحدث المؤرخ الفرنسي جيلبرت مويني عن المجازر اللاقضية المسماة من طرف العسكريين الفرنسيين "صخرة

¹- ساهم تسارع الأحداث الداخلية التي شهدتها الثورة التحريرية في انتفاضة الشمال القطاع القسنطيني يوم 20 أوت 1955م في سقوط حكومة إدغارفور في ديسمبر من نفس السنة، لتحل محلها حكومة غيمولي والتي منحتها البرلمان الوطني الفرنسي كل الصلاحيات لاتخاذ كل الاجراءات الاستثنائية بهدف إرساء الأمن العام وحماية الأشخاص فضلا عن المحافظة على إقليم الجزائر الفرنسية يوم 16 مارس 1956م، وقد نص المرسوم المؤرخ في 17 مارس من نفس السنة على إعلان الحكومة العامة في الجزائر للإقامة الجبرية، وهو ما فتح باب التجاوزات للاستعمار لفرنسي بالجزائر، كونه أباح للسلطات الفرنسية بخرق جميع القوانين الدولية عن طريق إخضاع مراكز الاعتقال للصبغة الرسمية، وبهذه الطريقة فوض الوالي العام وهران سلطاته للعمداء بالفرقة العسكرية الثالثة والتسعة عشر بتاريخ 20 ماي 1957م لإرساء الإقامة الجبرية بمراكز العبور والانتقاء الموجودة بقطاع وهران، ليتبعه في ذلك والي تيارت الذي سخر هو الآخر سلطاته للعميد الرائد بالفرقة العسكرية المكننة الرابعة بتاريخ 01 أوت 1957م، ثم والي مستغانم الذي فوض نفس السلطات للعميد الرائد بالفرقة العسكرية الخامسة بتاريخ 31 ماي 1957م، لتسير باقي القطاعات المدنية في الجزائر الكولونيلية على نفس المنوال، والتي جعلت مراكز الاعتقال للفرز والعبور مساحات للإقامة الجبرية لكل مشتبه فيه أو شخص أنهى مدة اعتقاله، (للمزيد من المعلومات أنظر: مصطفى خياطي، معسكرات الرعب أثناء حرب الجزائر من خلال أضيابير اللجنة الدولية للصليب الأحمر، تر، قندوز عباد فوزية، الجزائر: دار هومة، 2015م، ص ص 22- 23).

²- نفسه، ص 29.

الخشب"، والتي وقعت أغلبها بمراكز العبور والانتقاء، حيث يشير إلى رقم 21132 معتقلا مقتولا بنفس المكان.⁽¹⁾

كانت مراكز الاعتقال للفرز والعبور موجودة في الجزائر عامة والولاية الرابعة التاريخية خاصة منذ سنة 1956م، بالرغم من أن القانون الذي ينظمها وينص على استغلالها كمكان للإقامة الجبرية قد أمضي من طرف الوزير المقيم بتاريخ 11 أفريل 1957م، إلا أن سلطات الجزائر العاصمة كانت قد أخفت ذلك على اللجنة الدولية للصليب الأحمر، حيث تعاملت معها بحرص وحذر شديدين وكانت قد سمحت لممثليها بزيارة السجون فقط سنة 1955م.⁽²⁾

وجدت أسماء بعض المعتقلات بالولاية الرابعة في أضاير اللجنة الدولية للصليب الأحمر والتي نذكر من أبرزها:

- معتقل أولاد معرف والذي يقع بالناحية الأولى من المنطقة الخامسة بضواحي عين بوسيف، أنشئ سنة 1956م، وضم أكثر من ثلاثين معتقلا.
- معتقل البرج والذي يقع بالناحية الأولى من المنطقة الخامسة بضواحي قرية عين بوسيف، أنشئ سنة 1956م وضم أكثر من خمسين معتقلا.
- معتقل حوش موسكوني: والذي يقع بالقسم الثالث من الناحية الثانية في المنطقة الثانية، ضواحي العمارية في المدينة، والذي ضم حوالي عشرين معتقلا.
- معتقل حوش فولوفيقس: والذي يقع في القسم الثالث من الناحية الثانية بالمنطقة الثانية ضواحي قرية أولاد إبراهيم بالعمارية في المدينة، حيث تراوح عدد المعتقلين فيه بين عشرة وخمسة عشر معتقلا.
- معتقل حوش مرفال جوانيس: والذي يقع في القسم الثالث من الناحية الثانية بالمنطقة الثانية في قرية أولاد إبراهيم بالعمارية في المدينة، والذي تراوح عدد المعتقلين فيه بين ستين وسبعين معتقلا.
- معتقل بوسكن: والذي يقع في المنطقة الخامسة بقرية بوسكن ضواحي سيدي سليمان، أنشئ سنة 1956م وضم مائة وخمسين معتقلا.
- معتقل العوينات: يقع هذا المعتقل بالناحية الأولى من المنطقة الخامسة بقرية العوينات ضواحي عين بوسيف، أنشئ سنة 1957م، وضم أكثر من ثلاثين معتقلا.⁽³⁾

¹- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص23.

²- نفسه.

³- نادية نعلمان، المعتقلات والمحتشدات...، المرجع السابق، ص54.

- معتقل البواعيش: ويقع هذا المعتقل بالمنطقة الخامسة بقرية البواعيش ضواحي الشهبونية، أنشئ سنة 1958م، ضم عشرة معتقلين.
- معتقل الكروشة: ويقع هذا المعتقل بالمنطقة الخامسة في قرية الكروشة ببني سليمان في المدينة، أنشئ سنة 1958م، وضم ثلاثمائة معتقل.
- معتقل حوش ليشار: ويقع هذا المعتقل بالقسم الثالث من الناحية الثانية في المنطقة الثانية بأولاد إبراهيم ضواحي العمارية في المدينة، تراوح عدد المعتقلين فيه ما بين خمسين إلى ستين معتقلا.
- معتقل حوش قليمه: ويقع هذا المعتقل بالقسم الثالث من الناحية الثانية في المنطقة الثانية بأولاد إبراهيم ضواحي العمارية في المدينة، تراوح عدد المعتقلين فيه ما بين ثلاثين إلى أربعين معتقلا،⁽¹⁾ بالإضافة إلى معتقل زالدة، معتقل دلس، معتقل تيبازة، معتقل أوريونفيل (الشلف حاليا)،⁽²⁾ ومعتقل الجبابسة بمطحنة سبورتيش التي شيدت بالكدية الحمراء في طابلاط بالمدينة، والتي أطلقت عليها أيضا تسمية 602، وقد اختصت في تنفيذ حكم الإعدام على المعتقلين من دون توجيههم إلى المحكمة أو عرض قضيتهم وتهمهم على السلطة القضائية، فضلا عن معتقل الزمالة بالبرواقية ومعتقل بيرحمو بقصر البخاري، ومعتقل عين قروميت بالشمال الشرقي في قرية ميهوب بالشمال الشرقي من الولاية، وأيضا معتقل عين الريش بضواحي البرواقية.⁽³⁾
- مراكز الاعتقال العسكري: استمدت المراكز العسكرية للاعتقال تنظيمها وطريقة تسييرها من المراكز العسكرية للفرز والعبور، حيث استمدت فكرة إنشائها من اتفاقية جنيف، فقد قررت السلطات الاستعمارية الفرنسية منح المعتقلين الجزائريين المنضبطين معاملة مختلفة نوعا ما عن البقية، بشرط أن يتبين أن هؤلاء المقاومين غير مقتربين لأعمال إرهابية، كون أن فرنسا لم تعترف أبدا بسمة الحرب في النزاع الجزائري، بل اعتبرت الوضع في الجزائر عبارة عن اضطراب ضد القانون العام والذي لا يقوم به سوى الإرهابيون، يعود أصلها إلى بداية تفجير الثورة التحريرية، وبالتالي فإن عناصر جبهة وجيش التحرير الوطنيين يطلق في حقهم حكما قاسيا بمجرد القبض عليهم سواء كان السجن المؤبد أو الإعدام.⁽⁴⁾

¹- نادية نعلمان، المعتقلات والمحتشدات...، المرجع السابق، ص54.

²- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص26.

³- نفسه، ص29.

⁴- نفسه، ص239.

فتحت المراكز العسكرية للاعتقال لاستقبال المقاومين الذين قبض عليهم مسلحين، وتحدد إقامتهم فيه لمدة شهر واحد، وهي المرحلة التي يجرى من خلالها تحقيق حول المعتقلين، ثم تتخذ القرارات في حقهم من قبل السلطات العسكرية بعد انتهاء عملية التحقيق، فإذا تبينت صحة التهمة المنسوبة للمعتقل اتخذت ضده أحكاما عقابية، وإذا ثبت عنه العكس فإنه ينقل إلى مركز إقامة جديد أو يطلق سراحه.

استمد هذا الإجراء من قانون سجناء الحرب، إلا أنه لا يتماشى ومواد اتفاقية جنيف، كونه مبني على التمييز السياسي القائم بين المعتقلين، غير أن ظاهره يبدوا طبيعيا كونه يفصل بين المعتقلين شبه البريئين وبين العصاة الذين لا يمكن تعديل سلوكهم حسب الفكر الاستعماري الفرنسي، وبالتالي يعزل هؤلاء الأخيرين ويجمعون بمخيم عسكري للمعتقلين المختصين أو بفئة المختصين بالمركز العسكري للاعتقال.⁽¹⁾

تأسس مركزين عسكريين للاعتقال بالولاية الرابعة التاريخية إبان السنوات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية، وتحديدًا كانا متمركزين بقطاع الجزائر العاصمة وهما:

- **معتقل تيقزيرت:** أوردت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تقريرها الذي حررته نتيجة لزيارتها لمعتقل تيقزيرت يوم 10 ديسمبر 1958م معلومات هامة حول هذا المعتقل، بعد أن التقت بشهود من فوج يضم خمسة معتقلين، كانوا من الذين قبض عليهم مسلحين، وكان من بينهم ممرض، فأدلو بشهاداتهم من دون أن يبد أي تظلم إذ وضحت بأن المعتقل كان تحت مسؤولية النقيب سننوني، ويتسع لـ 420 معتقلا، من بينهم خمسين معتقلا من الذين قبض عليهم مسلحين، كما وجدت معتقل واحد بمستشفى الجزائر العاصمة، وأيضا سجلت المدة التي مكثها أقدم معتقل بالمعتقل والمحددة بأربعة عشر شهرا.⁽²⁾

يجمع السجناء المؤهلون من الذين قبض عليهم مسلحين، وقد كانوا جميعهم مطالبون بممارسة الأعمال الشاقة من تلبيط، نجارة وبناء، في حين يسمح لهم مراسلة عائلاتهم تحت المراقبة مرة واحدة في الشهر، كما أنه يمكنهم الترفيه عن أنفسهم من خلال إجراء جولة بلعبة الدومينو، أو التردد على المكتبة التي تحوي مائة وخمسين كتابا، فضلا على انتشار صوت المذياع عن طريق مكبرات الصوت، ويستقنون من حصتين سينمائيتين في الأسبوع.

¹ - مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 239 - 240.

² - نفسه، ص 255.

لم يكن مخيم تيقزرت معتقلا عسكريا للاعتقال فحسب بل مزج بين الذين قبض عليهم غير مسلحين بمعتقلي مركز إعادة التربية، كما أنه كان منظما على شكل هرمي ابتداء من قائد المخيم، قائد الخيمة، قائد الورشة، حيث كان الكل مراقبا من طرف متمرنين ببيكولوجيين.

تم وضع برنامج يومي للمعتقلين في مخيم تيقزرت على النحو التالي:

* الإيقاظ على الساعة السابعة صباحا.

* النداء للعمل على الساعة السابعة والنصف صباحا.

* الفترة الصباحية للعمل من الساعة الثامنة إلا ربع إلى غاية الساعة الحادية عشر ونصف.

* الحصة البيكولوجية من الساعة الواحدة والنصف ظهرا إلى غاية الساعة الخامسة والنصف مساء في فصل الشتاء، ومن الساعة الثانية زوالا والنصف إلى الساعة الرابعة والنصف مساء في فصل الصيف تحسبا للعودة إلى العمل.

* تطفأ الأضواء في فصل الشتاء على الساعة الثامنة مساء، وعلى الساعة التاسعة والنصف مساء في فصل الصيف.⁽¹⁾

- **معتقل بوغار بالمدينة:** أنشئ معتقل بوغار يوم 03 ديسمبر 1958م داخل مخيم موران العسكري، وتصله عنه الأسلاك الشائكة، كما أنه يحتوي على بنايات قديمة عسكرية هشة غير أنها رمت بسرعة، كما يبعد ب45 كلم جنوب غرب البرواقية، وزاره الممثلون الدوليون للهيئة الدولية للصليب الأحمر أربع مرات، كانت الزيارة الأولى مؤرخة في 13 ديسمبر 1958م، بينما أرخت الزيارة الثانية في 22 أكتوبر 1959م، في حين أرخت الزيارة الثالثة في 28 جانفي 1961م، وكانت الزيارة الرابعة مؤرخة في 29 نوفمبر 1961م.⁽²⁾

حررت الهيئة الدولية للصليب الأحمر تقريرا عن معتقل بوغار في زيارتها الأولى والتي كانت يوم 13 ديسمبر من سنة 1958م، حيث التقت مع أربعة شهود معتقلين من بينهم نقيب قديم بجيش التحرير الوطني، وأكدوا بأنهم بقو مدة طويلة في مراكز العبور والانتقاء قبل ترحيلهم إلى معتقل بوغار العسكري واشتكوا من حالتهم السيئة داخل المخيم حيث أكدوا بأن هذا الأخير لا يتوفر على كمية أكل كافية وخاصة الخبز، كما أن الماء الصالح للشرب كان قليلا جدا، بالإضافة إلى علاج طبي ناقص فقد عثر ممثلوا اللجنة الدولية للصليب الأحمر على مريض مبتور داخل المعسكر في حالة صحية يندى لها

¹ - مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص256.

² - نفسه، ص257.

الجبين، كما شهدوا بأنهم لا يمتلكون الصابون لغسل ثيابهم فضلا عن ليس لهم الوقت لغسلها نتيجة تكاثف الأعمال اليومية عليهم بالرغم من توفر المكان المخصص لغسلها، وطلبوا أيضا من الممثلين أن يتوسطوا لهم عند مسئول المعسكر من أجل أن يسمح لهم باقتناء مشتريات المطعم، واشتكوا من كونهم تعرضوا للضرب من طرف العسكريين خلال عملهم خارج المعسكر.⁽¹⁾

إن المعسكر خلال هذه الفترة كان تحت حكم الرائد كابديفيل، وتتسع قدرة استيعابه لمائتي شخص، كما كان يحضر لإنشاء خمسمائة بنايات جديدة من أجل استيعاب عدد المعتقلين الوافدين، وكان يحيي يوم زيارة ممثلي اللجنة الدولية للصليب الأحمر على خمسة وستين معتقلا.

يتسم معتقلوا مركز بوغار العسكري بارتداءهم لزي عسكري موحد كونهم يعتبرون أسرى حرب، متمثل في معطف مقلنس، كساء، سروال وحذاء، غير أنه لم يكن يحتوي على قاعة علاج، وإنما يمارس هذا الأخير من طرف الطبيب العسكري، كما كان كل معتقل ينام على حصير وكيس مخصص للنوم من الكتان، ويملك غطاءً أرجل، أما فيما يخص الماء الصالح للشرب فقد كان يوزع على المعتقلين عبر شاحنة خاصة، في حين يأخذ ماء الغسيل من الوادي، وبرنامجهم اليومي شبيه ببرنامج معتقل تيقزيرت.⁽²⁾

وضع المسجونون من رجال بلونيس⁽³⁾ -والذين تعرضوا للاعتقال في ظروف غامضة- بعد خدمة فرنسا في مخيم بوغار، وذلك من أجل تثبيط عزيمة المجاهدين وإدخال الشك فيما بينهم، وجعلهم يعيشون دائم في حالة خوف مستمر من وشاية رجال بلونيس الذين كانوا حائرين من أمرهم ومتذبذبين في ضمائرهم بعد إدراكهم لخطورة الجرائم التي ارتكبوها ضد الثورة التحريرية، حيث أدت هذه الحالة إلى انعدام جو الثقة داخل المعسكر، وبذلك تمت عرقلة كل عملية جادة ضد إدارة المعتقل.⁽⁴⁾

كانت الأعمال الشاقة إجبارية طيلة اليوم والمتمثلة في كسر الحجارة تحت خشونة وشتم وضرب العسكريين الفرنسيين، أو منحصرة في أعمال البناء ووضع الأسلاك والصيانة والخدمات المختلفة، فضلا عن عمل شاق وخطير آخر والمتمثل في جلب الرمال من منطقة "بوغزول"، فترجع خطورة العمل لكونه يتم خارج المخيم، ويعين لأجله كل غير منضبط حسب مسؤولي المركز، مما يعرض المجاهدين في

¹ - مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص ص 257 - 258.

² - نفسه، ص 257.

³ - نحن بصدد تعريفه في المبحث الموالي.

⁴ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع...، المرجع السابق، ص 181.

العديد من الأحيان إلى القتل الجماعي والذي برره المستعمر بأنه مجرد رد فعل طبيعي لقمع محاولة الفرار.⁽¹⁾

استحدث المجاهدون نظاما سريا يبقي المجاهدين الأسرى في صفوف الثورة، ويجبرهم على الإيمان بحتمية انتصارها والتصرف بكرامة إزاء استفزازات الجيش الفرنسي، ويجعلهم يتحينون الفرصة للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني من جديد إما عن طريق الفرار أو عند إطلاق سراح البعض.⁽²⁾

أحيط التنظيم بالسرية التامة لأن الأوضاع المحيطة بالمعتقل كانت تفرض ذلك، فقد كان محاطا برجال بلونيس من جهة، والمتخاذلين الذين نجحت الإدارة الاستعمارية في استمالتهم من جهة أخرى، حيث قام المجاهدون بتعيين شخص واحد في كل غرفة يكون متصلا بجهة التحرير الوطني بحيث لا يعرف أي مسؤول مسؤولا آخر ولا يعرف من هم زملاءه في نفس الوقت ليعرفه زملاءه.

- فرض النظام السري جوا أخويا وتضامنيا داخل المعتقل وهو أساس العمل الثوري، ومن بين الأشياء التي فرضها نذكر ما يلي:

* عدم اللجوء إلى اللهو في الوقت الذي يموت فيه أفراد الشعب الجزائري يوميا تحت ضربات العدو الفرنسي.

* تقسيم الزاد الذي يتلقاه بعض الأسرى من أقاربهم.

* تعليم البعض اللغة العربية من طرف البعض الآخر.

* نشر الأخبار عن طريق المسئول السري الذي عين في كل غرفة وقد كان يتلقاها بصورة شفاهية أو مكتوبة.⁽³⁾

قرر التنظيم السري أن يبلغ للرأي العام الخارجي بحقيقة أوضاع اللاإنسانية التي تجري داخل المعتقل، فأرسلت القيادة النظامية رسالة نشرت في جريدة "Le Monde" الفرنسية، وهو الأمر الذي سبب حالة من الاضطرابات في صفوف العدو، الذين لجأوا إلى فرض تحقيق شامل شمل كل من بوعلام بن حمودة، معمر السنوسي، مصطفى خالف، مصطفى ليام، وآخرون، ولكنه لم يسفر عن أية نتيجة واضحة.⁽⁴⁾

¹ - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع...، المرجع السابق، ص 182.

² - نفسه، ص 183.

³ - نفسه، ص 184، 185.

⁴ - نفسه، ص 185.

استطاع عشرون مجاهدا الفرار من المخيم شهر أوت من عام 1960م من مجبر بعد أن حصلوا على اثني عشر رشاشة، فقام الجيش الفرنسي بعملية تقتيش واسعة في المنطقة عملية قمع شديدة بالمخيم، وأتى بجثث عدد من الشهداء من بينهم ثلاثة فارين ودعى الأسرى لمشاهدتهم، وقبلهم شهد المعتقل فرار ثلاثة أسرى سنة 1959م إلا أنه تم العثور عليهم في بوسعادة وقتلهم من قبل الجيش الفرنسي.

قام الأسرى كذلك بعملية الاضراب عن الزيارات لتحسيس الرأي العام الجزائري بوضعهم داخل المعتقل، وهو مادفع بعائلاتهم إلى الوقوف أمام المخيم وتكوين تجمع احتجاجي كبير استطاع أن يخيف العدو الفرنسي، وهو ماجعله يشكل ردا عنيفا ضد هؤلاء الأسرى.⁽¹⁾

قامت الإدارة الاستعمارية بإطلاق سراح بعض الأسرى مدعيا أنهم تابوا أو أن الحرب قد انتهت بهدف مغالطة الرأي العام العالمي، إلا أن هذا الإجراء لم يكن في صالح العد الفرنسي أبدا فقد أوصاهم التنظيم السري داخل المخيم بالالتحاق بجيش التحرير الوطني، فأصبحوا بذلك وسيطا بين هذا الأخير والمعتقلين، ومن بين الأسرى الذين استشهدوا في معسكر "بوغار" تحت رصاص الجيش الفرنسي نذكر: محمد زميري، طاهر زيدان، قدور مزيان، علي مزيير، عبد القادر زقرا المدعو قشيش، معمر سنوسي، أحمد سلام، مصطفى خالف، الشعامبي بوسنة، شراطي شيخي، وعبد الرحمان مدني.⁽²⁾

ب- التعذيب:

تعتبر ممارسة التعذيب عقيدة مترسخة في الموروث الثقافي والحضاري للدول الاستعمارية، وممارسة باركتها الكنيسة في مرحلة تاريخية معينة، بمعنى آخر أنها ليست وليدة الظروف والأزمات، وقد ساهمت الدول الاستعمارية في تطوير تقنيات التعذيب وتصديرها إلى الدول المستعمرة، حيث كرست هذه الممارسات اللاإنسانية من أجل فرض هيمنتها على هذه الشعوب وإخضاعها لها.⁽³⁾

لم تكن ممارسة التعذيب⁽⁴⁾ من طرف الفرنسيين على الجزائريين وليدة الثورة الجزائرية، بل تعود إلى سلوك قديم وشبه آلي بالجزائر، كما ارتبط ارتباطا وثيقا بأعمال العنف والاضطهاد والإبادة التي تقنن في

1- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع...، المرجع السابق، ص185.

2- نفسه، ص186.

3- حسني بوالديار، التعذيب كظاهرة استعمارية، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، ع08، ج02، الجزائر، جوان 2017م، ص805.

4- سياسة التعذيب: عرفت سياسة التعذيب على أنها ممارسة وسلوك فعلي يمارس على الفرد، يقوم به جهاز من أجل الاستئطاق أو بدافع العقاب أو الانتقام، حيث تترتب عليه أضرار جسدية ومعنوية، كما عرفت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1984م التعذيب على أنه عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسديا كان أم عقليا، يلحق عمدا بشخص

تجسيدها ضباط الجيش الفرنسي أمثال Bugeau ، Pellisier ، Arnaud على الفئة المقاومة من الجزائريين لمنعهم من إجراء أية محاولات أخرى هادفة للقضاء على الاحتلال الفرنسي بالجزائر، ليصبح التعذيب ضرورة حتمية واستراتيجية واضحة متبعة من الإدارة الاستعمارية في الجزائر ولتتمكن هذه الأخيرة من الاحتفاظ بمقاطعة الجزائر الفرنسية، خصوصا مع تنامي الوعي الوطني لدى الجزائريين الذي أعقب فترة الحرب العالمية الثانية (1939م-1945م).⁽¹⁾

عرفت الثورة الجزائرية انتشارا واسعا في مرحلتها الأولى وذلك عن طريق اشتداد الهجمات العسكرية التي نفذها جيش التحرير الوطني، وخلايا جبهته بالمدن، فقررت فرنسا إنزال كل قواتها العسكرية إلى الجزائر، والمقدرة عددها بأربعة مائة ألف جندي، كما تم تمديد مدة الخدمة العسكرية إلى سبعة وعشرين شهرا بهدف محاصرة الثورة والقضاء عليها، ولأجل ذلك طبقت سياسة القتل والتعذيب على جميع فئات المجتمع الجزائري من قبل المظليين والإرهابيين الفرنسيين، فقد كان على الجيش الفرنسي تحقيق الانتصار لإعادة الاعتبار لمركز فرنسا العسكري والسياسي في المحافل الدولية، فتعرض كل جزائري للاعتقال والتعذيب لمجرد الشك.⁽²⁾

أصبح التعذيب مباحا في الجزائر عامة إبان الثورة التحريرية وفي الولاية الرابعة التاريخية خاصة بأوامر من السلطات الفرنسية العليا، وهذا ما أكدته الرقيب في الجيش الفرنسي سيرفان شريبان سنة 1957م في قوله: "إن التعذيب في الجيش الفرنسي كاد أن يصبح أفعالا شرعية"، كما اتخذ من التعذيب أسلوبا مهما في مواجهة الثورة الجزائرية من أجل الحصول على المعلومات المهمة الخاصة بجنود جيش التحرير الوطني من جهة، ومن أجل نشر الرعب والخوف في أوساط الجزائريين من جهة أخرى، وهذا كله بغية قطع الصلة الوثيقة التي كانت تجمع الشعب الجزائري بثورة قضيته الوطنية.⁽³⁾

ما بقصد الحصول من هذا الشخص أو من شخص ثالث على معلومات أو اعتراف، أو معاقبته على عمل ارتكبه، أو يشتبه في أنه ارتكبه هو وشخص ثالث، أو تخويفه هو أو أي شخص ثالث، حيث يقوم هذا التصرف على التمييز أيا كان نوعه سواء حرض عليه أو ووفق عليه أو تغاضى عنه أي موظف رسمي أو أي شخص كان بغد النظر عن صفته الرسمية، (للمزيد من المعلومات أنظر: ريم بلال، نورية سولمية، رؤية نفسية لتعذيب الفرنسي في الجزائر، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص، الجزائر، ديسمبر 2012م، ص 89).

- ¹ - الغالي غربي، التعذيب خلال الثورة التحريرية - دراسة في الممارسات والمؤسسات -، (د.م)، (د.ت)، ص 203.
- ² - خديجة بختاوي، أساليب التعذيب الفرنسية خلال الثورة الجزائرية، مجلة المرأة، ع 04، ديسمبر 2015م، ص 160.
- ³ - رشيد زبير، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956م-1962م)، الجزائر: دار الحكمة، 2012م، ص 19-20.

أكدت اعترافات جينرالات فرنسا الاستعمارية بوحشية الممارسات الفرنسية التي طبقتها إبان الثورة الجزائرية، وهذا ما يشهد به اعتراف ماسو في كتابه معركة الجزائر واعترافات بول أوساريس في كتابه المصالح الخاصة في الجزائر (1955م-1957م)، وماهما سوى نموذجين بسيطين على غرار جلادين آخرين أبدعو في فن التعذيب وطوروا وسائله، كما أنهم جعلوه مادة تكوينية للضباط العسكريين الفرنسيين.⁽¹⁾

كشفت معركة الجزائر للرأي العام الفرنسي والدولي طرق التعذيب التي كان يستعملها الجيش الفرنسي بالجزائر، كالتعذيب بالأسلاك الكهربائية والحوض المائي والتصفية الجسدية، فضلا عن اختفاء المتهمين والمشتبه فيهم في ظروف غامضة، كما أن عملية التعذيب لم تطل فقط مجاهدي جيش التحرير الوطني أو المشتبه فيهم فقط، بل تعدت لتشمل المثقفين من الفئة الجزائرية كالمحامي علي بومنجل، والأوروبيين الداعمين للقضية الجزائرية كموريس أودان وهنري علاق على سبيل المثال لا للحصر،⁽²⁾ فقد شهدت الأشهر الأولى من عام 1957م انتشارا واسعا للتعذيب من خلال معركة الجزائر، حيث اعتبر هذا الأسلوب طريقة ناجعة في إفتكاك المعلومات من الأسرى والمعتقلين، كما كان ضباط الصف التابعين لبول أوساريس يمرون يوميا بأماكن الاستتطاق لجمع المحتضرين وجثث الموتى بعد التأكد من أنهم قد ماتوا مستعملين في ذلك المسدسات والخناجر للقضاء عليهم نهائيا، ثم يقومون بدفن الجثث في مقابر جماعية، وحول هذا الصدد يضيف الصحفي المندد للتعذيب جاك دوكسن في صحيفة "لاكروا" اليومية أن أغلب المفقودين يكون قد قذف بهم في البحر من الطائرات المروحية حيث ربطت بأرجلهم كتلة من الخرسانة المسلحة، ويرجح عدد المفقودين إلى 3000 مفقود، وهو ماكثر تداوله في مدينة الجزائر منذ صائفة 1957م، لكن البعض تكلم عن 4000 بل عن 5000 مفقود.⁽³⁾

نشر كل من جاك فيرجاس وميشال زفريان وموريس كوريجي -محامون لدى مكتب باريس- وثيقة معنونة ب"الدفتر الأخضر" سنة 1959م، تضم قائمة تحوي 175 حالة اختفاء لجزائريين مسلمين، خاصة

¹- رشيد زبير، المرجع السابق، ص20.

²- باتريك إيفينو وجون بلانشايس، حرب الجزائر "ملف وشهادات"، تر: بن داود سلامنية، تصوير: أحمد ياسين، الجزائر: دار الوعي، 2013م، ص244.

³- موهوب مبروك، بوعزة بوضرساية، جرائم التعذيب إبان معركة الجزائر من خلال مذكرات مصالح خاصة (1955م-1957م) لبول أوساريس، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج07، ع03، ماي 2022م، ص445.

بعدما قام جاك فيرجاس بجمع شهادات لزوجات وأمّهات المفقودين، وهو الأمر الذي كان يوجب مراجعة مصلحة الحالة المدنية، مكتب الجنرال سالان، الجنرال ماسو، ومحافظة الجزائر.⁽¹⁾

تم توقيف رجال في الجزائر العاصمة من قبل مظليين (القبعات الحمراء من المستعمرة، القبعات الخضراء من الفيلق، القبعات المسطحة) التابعة لقوات الجنرال بيجار، فضلا عن قوات القبعات الزرق، وأحيانا كان يتم اعتقالهم من قبل قوات الدرك والشرطة الفرنسيين، وتكون عادي العائلة قد تلقت أخبارا حول الحادثة، لتأتي وتتمكن من رؤية سجينها لبضعة أيام أو بضع أسابيع، وبعدها فجأة يسود الصمت، وفي أغلب الأحيان لم يكن لعائلة السجين أي علم بما يجري له.

صرحت السلطات الرسمية الفرنسية في عدد كبير من الحالات بأنه تم إطلاق سراح المعني يعد بضعة أيام أو بضعة أسابيع من الاعتقال، ولكنها لم تقدم أية وثيقة تتوافق مع إجراءات الإفراج عن السجين كما هي الحالة العادية في السجون، بحيث يجب على السجين أن يوقع وثيقة تكون دليلا على مغادرته السجن.⁽²⁾

يقول الجنرال ماسو أنه في بعض الأحيان يتم توقيف أشخاص من دون أن ير اسمهم في سجل السجناء، ثم يطث سراحهم بعد مدة وجيزة، كما هو الحال بالنسبة للسجين عبد القادر بشار الذي اعتقل يوم 01 جوان 1957م وأطلق سراحه في السابع من نفس الشهر، كما يمكن أن ينقل المعتقلون إلى محتشدات بعد إطلاق سراحهم كما هو الحال بالنسبة لبركات عبد القادر وصافدي خالد.⁽³⁾

عانت الولاية الرابعة التاريخية خلال فترة الدراسة من التعذيب لأهميتها الاستراتيجية في الثورة التحريرية، فأصبحت فضاء للإبداع الوحشي الهمجي للإنساني، خاصة بعد أن طور الفرنسيون أساليب التعذيب من خلال تحديث وسائله وتعييدها تزامنا مع اشتداد الثورة خلال هذه المرحلة واتساع نطاقها، معتمدين في ذلك على سفاحين وجلادين كانوا منتقلين إلى مختلف أجهزة القمع الاستعمارية في أساليب التعذيب، فمنهم من تدرب على يد النازيين ومنهم من تخصص في أنواع التعذيب خلال الحرب الاستعمارية في الفيتنام، وهناك من كانت مهنته الإجرام والتكيل بالبشر في الشعوب المستعمرة، وهناك

¹ - بيار فيدال ناكي، في مواجهة داعي المصلحة العليا للدولة مؤرخة في حرب الجزائر، تر: أسماء عزي الجزائر، دار سيديا، 1989م، ص 142.

² - نفسه، ص 143.

³ - نفسه، ص ص 143، 144.

من كان يعذب فقط من أجل السادية⁽¹⁾ كما جاء في تصريح جاك دو كاسن،⁽²⁾ فيقول ياسف سعدي حول هذا الموضوع: "قسم الجلادون أنفسهم إلى ثلاث مجموعات فريق منهم يقوم بعملية "الشنق"، وفريق يقوم بعملية "الأحواض" وآخرون يقومون بعملية "توصيل الصدمات الكهربائية" إلى هذه الأشباح الآدمية التي أصبحت أقرب للموت منها إلى الحياة".⁽³⁾

تعد وسائل التعذيب في نظر السلطات الاستعمارية بمثابة وسائل ضرورية متواجدة في كامل مراكز التعذيب وتصاحب المعذبين أثناء تنقلهم ومن أهم هذه الأساليب نذكر:

1. التعذيب بواسطة الكهرباء: أكد جون بلانشايس على استعمال طريقة الأسلاك الكهربائية في التعذيب والضرب المبرح الخطير جدا، وذلك بالموازاة مع عمليات التصفية الجسدية والتي كانت تنفذ في المساجين خارج الثكنات والسجون العسكرية، حيث بدأت هذه التقنيات تتطور بالموازاة مع العمليات الهجومية التي كانت تقوم بها جبهة التحرير الوطني داخل المدن في الفترة الممتدة ما بين نهاية عام 1956م إلى بداية عام 1957م بمدينة الجزائر.⁽⁴⁾

يعتبر التعذيب بواسطة الكهرباء أحد الأساليب الأكثر استعمالا في تقنيات التعذيب، لأن عمله سهل ويكون أكثر نجاعة حيث يؤدي بالكثير إلى البوح بالمعلومات وتم اختراعه وتجريبه لأول مرة في الهند الصينية، كما سمحت به السلطات الفرنسية في الجزائر، ويعد من أهم الدروس التكوينية للضباط والتي كانوا يتلقونها في مدرسة تكوين صف الضباط "جان دارك" بسكيكدة،⁽⁵⁾ ويقول الجينرال ماسو حول هذه

¹ - السادية: هو مرض نفسي يتمثل في التلذذ بإحداث الألم في الغير.

² - رشيد زبير، المرجع السابق، ص ص 20 - 21.

³ - ياسف سعدي، ذكريات معركة الجزائر، المرجع السابق، ص 39.

⁴ - باتريك إيفينو وجون بلانشايس، المرجع السابق، ص 245.

⁵ - مدرسة جان دارك بسكيكدة: تتفق المرجعيات التاريخية على أن شهر ماي 1958م هو تاريخ الافتتاح الرسمي للمدرسة من طرف السلطات العسكرية الاستعمارية لفرنسية بوسط مدينة سكيكدة، وأطلق عليها اسم القديسة جان دارك حيث تحتل هذه الأخيرة مكانة مميزة في الذاكرة الفرنسية، وذلك لكونها بطلة ورمزا من رموز الشجاعة والتحدي، من خلال مساعدتها للملك الفرنسي شارل السابع في حروبه ضد خصومه، وفي خضم هذه الحروب ألقى عليها القبض وتعرضت لأبشع أنواع التعذيب أثناء عملية استنطاقها، وعندما رفضت الإدلاء عن أية معلومة أحرقت في مقبلة العمر بمدينة روان، وقد أطلقت هذه التسمية على المدرسة من أجل تحفيز الجنود الفرنسيين على التمسك بمبدأ تحقيق النصر مهما كانت التضحيات من خلال اقتنائهم بجان دارك التي صبرت أشد أنواع التعذيب من جهة، ومن جهة أخرى هي رسالة واضحة للجنود الفرنسيين بضرورة اتباع منهج الانجليز في تعذيب واستنطاق الجزائريين، وفق طرق وأشكال متعددة يتم تلقينها لهم في هذه المدرسة من طرف ضباط متخصصين في التعذيب، كما أسندت قيادة هذه المدرسة إلى السفاح بيجار، (للمزيد من المعلومات

التقنية: "أنا والبعض من القيادة العليا العسكرية جربنا المولد الكهربائي بمكتبي"، ومن جهته الحاكم العام بالجزائر لأكوست يقلل من آثار التعذيب بالكهرباء ويعتبره أسلوبا بسيطا جدا فيقول: "ماهي إلا إيصال أسلاك كهربائية فقط".⁽¹⁾

أباحث بعض الشخصيات الفرنسية ممارسة التعذيب بالكهرباء على أساس أنها لا تقتل وأقل ضررا أمثال "ماسو" و"لاكوست"، إلا أن الحقيقة كانت عكس ذلك، حيث رد "جول روي" صاحب كتاب "أتهم الجنرال ماسو" قائلا: "تظاهروا بالليوننة مع الضابط ولم يتم تحريك المولد بسرعة، ومن جهة أخرى لم يتم وضع أسلاك التيار"، ويقول أحد المجندين الفرنسيين على المولد الكهربائي: "الطريقة سهلة، سلك في الخصية، والآخر في الأذن ويتم تسليط التيار الكهربائي"، في حين جاء في إحدى شهادات "بيار لوليات" وهو جندي فرنسي بالجزائر خلال هذه الفترة: "مجرد سلك كهربائي يتم وصله بالمنشب الكهربائي الموجود في أسفل الحائط، فلا نحتاج إلى المولد الكهربائي الذي يستعمل في المناطق الريفية وإنما هنا توجد الكهرباء"،⁽²⁾ لأن مصادر الكهرباء في القرى والمدن كانت منعدمة، ولهذا الغرض لجأ القائمون على عمليات التعذيب إلى استعمال آلة الراديو كمصدر للكهرباء وذلك لكون هذه الآلة تحتوي على المولد الكهربائي (Génératrice)، وما الكلمة التي أطلقت على تسمية التعذيب ما هي إلا تصغير لأصل التسمية.⁽³⁾

كانت الفرقة العاشرة للمظليين التابعة للجنرال ماسو بمدينة الجزائر تقوم بمحاصرة وتمشيط المنطقة أثناء بحثها عن واضعي القنابل، كما قاموا بإعداد مراكز للاستتطاق داخل كثير من الفيلات التي كان التعذيب فيها مستمرا ليلا ونهارا، ولم يكن التعذيب مقتصرًا فيها على الجزائريين فقط، بل تعداه إلى الأوروبيين المشكوك في أمرهم، ففي ليلة 11 إلى 12 جوان 1957م اعتقل أحد المتعاونين بجامعة العلوم بالجزائر يدعى موريس أودان وعذب عذابا أليما، ومنذ ذلك التاريخ اختفى هذا الأستاذ ولم يظهر له أثر، لكن اختفائه أثر كثيرا في الأوساط الجامعية الذين عبروا عن استنكارهم لاختطافه، كما انتاب نفس الإحساس الرأي العام أمام إلقاء جثة الأستاذ علي بومنجل من النافذة بعد عملية استنطاق طويلة،⁽⁴⁾ بعد

أنظر: محمد السعيد قاصري، مدرسة جان دارك بسكيكدة وفنون التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر (1958م-1962م)، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع15، الجزائر، 2017م، ص216).

¹ - رشيد زبير، المرجع السابق، ص22.

² - نفسه، ص23.

³ - باتريك إيفينو وجون بلانشايس، المرجع السابق، ص249.

⁴ - نفسه، ص246.

أن تم القبض عليه قبل بضعة أيام قليلة من اعتقال بن مهدي، وبالرغم من أنه صرح بدوره في اغتيال ثلاثة فرنسيين جنوب العاصمة من دون تعرضه للعنف أو التعذيب، حيث قام بإعارة منفذها مسدسه الخاص من طراز (7.65)، وقد منعت شكوك كلا من ماسو وأوساريس على تسليم المحامي علي بومنجل إلى العدالة ظنا منهما من أنه سوف يطلق سراحه بمجرد مثوله أمام القضاء بعد أن يجري أخاه باعتباره محاميا أيضا- بعض المكالمات الهاتفية، الأمر الذي جعل أوساريس يكلف أحد ضباطه برميهِ من أعلى الجسر من الطابق السادس للمبنى الذي كان محتجزا فيه بعد أن قام بصرعه بضربة مقبض قاذوم وجهه صوب قفاه.⁽¹⁾

أنجزت عملية التعذيب بواسطة الكهرباء بدقة فائقة على المساجين والمعتقلين، حيث كان يمدد المتهم عاريا على طاولة العمليات وتفيد رجلاه ويداه جيدا، ثم يفرغ على جسمة وعاء من الماء لتعميم إيصال التيار الكهربائي لكافة أنحاء الجسم عند إرساله، وكان يسلط هذا الأخير على الأعضاء الحساسة في جسم الإنسان سواء كان رجلا أو امرأة، وهي الأذنان، اللسان، الأعضاء التناسلية، والتهدان، فتبلغ الآلام درجة من الشدة والوحشية، فيصبح المعضب يتخبط ويتلوى من شدة الصدمة الكهربائية رغم قيوده المحكمة. تجرى عملية التعذيب بواسطة الكهرباء أيضا عن طريق ربط الجسم إلى سلم مغمور في صحن من الماء، بالموازاة مع وضع الخيط الكهربائي على مختلف الأعضاء، وهو نفس الأسلوب الذي عذبت به المناضلات في فيلا "سوزيني"، كما كان يوضع الشخص عاريا داخل أنية مقوسة مقيدة اليدين والرجلين، مع العلم أن هاتين الأخيرتين تكونان مغمورتان في المياه، ليأتي الجلاذ بقفازين من مطاط وقباقيب من خشب، فيرسل التيار الكهربائي بواسطة قلم حديدي مسنون يغرزه في اللحم، حيث كانت هذه الطريقة من التعذيب تستعمل في مركز قيادة الأبيار، مع العلم أن هذه الطريقة تترك آثارا تبقى ظاهرة أكثر من عشرين يوما في بعض الأحيان.

تبقى طريقة إدخال الشخص في حوض مملوء بالماء وإرسال التيار الكهربائي في الماء لإغراق الجسد كله في الماء المكهرب أقصى ألوان التعذيب بالكهرباء، كما ينبغي التنبيه على أن المعذبين لا يطلق سراحهم في الحال بعد تعذيبهم، إلا بعد أن يعالجوا من آثار التعذيب الواضحة على أجسادهم.⁽²⁾

¹- الجنرال أوساريس، شهادتي حول التعذيب "مصالح خاصة الجزائر 1957م-1959م"، تر، مصطفى فرحات، الجزائر: دار المعرفة، 2004م، ص ص 142، 143، 144.

²- جريدة المجاهد، التعذيب الاستعماري في الجزائر: فنونه وأساليبه الوحشية، ع08، 08/15/1957م، ص09.

تعرض هنري علاق السياسي الفرنسي ذو النزعة اليسارية إلى التعذيب بواسطة التيار الكهربائي من طرف المظليين، وحول هذه الحادثة يقول: "يقرب أذني أحسست بالتهاب كبير، أما في بطني فقلبي يرفرف"، ونفس الوصف جاء على لسان أحد الجنود عن مدى تأثير المولد الكهربائي بعدما تم تسليطه على طفل جزائري فيقول: "إن صيحات الخنزير الذي يذبح، والتي سمعناها بالأمس على الساعة التاسعة مساء كانت من صبي تعرض للتعذيب بواسطة المولد الكهربائي"، ويقول جندي فرنسي آخر: "دورية عسكرية تلقي القبض على أربعة مشتبه فيهم، اثنان منهما تعرضا للتعذيب بالكهرباء سمعنا صيحاتهم في الليل".⁽¹⁾

استعمل التعذيب بالكهرباء عبر كامل القطر الجزائري إبان الثورة التحريرية، وقد مس مختلف الفئات من السكان (نساء، رجال، شيوخ، وصبيان)، حيث يتم وضع الأسلاك الكهربائية في الأماكن الحساسة في جسم الإنسان (الأذن، الأعضاء التناسلية للمرأة والرجل على حد سواء، اللسان، الشفتين، والبطن)، وهي أداة قاتلة في الاستتطاق توجد في كل أماكن التعذيب بالولاية الرابعة حيث أنها كانت تنقل مع الجيش الفرنسي أثناء تحركاته العسكرية، وشهادات المعذبين في هذه المنطقة تثبت استعمال هذا الأسلوب، وعلى سبيل المثال لا للحصر فقد تعرضت المجاهدة مليكة قريش⁽²⁾ للتعذيب بواسطة الكهرباء بعد أن اعتقلت يوم 07 أوت 1957م من طرف قوات المظلي "ماسو".⁽³⁾

ظلت عمليات التعذيب متواصلة داخل مخابر حقيقية لهذا الغرض وسط المفرزات العسكرية المتخصصة التي تعرف بتسمية "دوب" على الرغم من تدمير مجموعة من الصحف والتدديدات الدقيقة

¹ - رشيد زبير، المرجع السابق، ص 24.

² - **مليكة قريش**: هي مناضلة في صفوف جيش التحرير الوطني، اعتقلت يوم 07 أوت 1957م من قبل قوات المظلي "ماسو"، ثم حوت إلى مدرسة "ساوري" الواقعة بالقصبة لتبدأ عملية الاستتطاق من طرف ضابطين، أحدهما الملازم الأول "موريس سميث" دون استعمال العنف فقد تظاهر معها بالليوننة في بادئ الأمر وعندما رفضت الإدلاء بالمعلومات التي بجعبتها أعطى الضابطان الضوء الأخضر لثلاثة جنود للاستمرار في الاستتطاق فقاموا بتجريدها من ملابسها وألقوها على الأرض ثم أبعدها ساقها عن بعضهما البعض، ووضعوا أسلاك الكهرباء واحد في الفرج والآخر في الثدي لتبدأ عملية تسليط الكهرباء، فارتج جسدها بالكامل وتصببت بالعرق، وعندما طالبت بشرب الماء قام أحد الجنود بالتبول على وجهها، ليستمر تعذيبها بهذه الطريقة البشعة مدة خمسة عشر يوما ابتداء من الساعة الحادية عشر ليلا إلى غاية الساعة الثالثة صباحا، (للمزيد من المعلومات أنظر رشيد زبير، المرجع السابق، ص 286-287).

³ - رشيد زبير، المرجع السابق، ص 24.

والمتكررة للمؤرخ "بيار فيدال ناكي"، وبالرغم من كون هذه العمليات مسيئة للبشرية فقد اعتبرت السلطة جزء لا يتجزأ من الحرب الثورية.⁽¹⁾

يروي أو.ن (EF) -وهو جندي من جنود الجيش الفرنسي بمدينة الجزائر- بعض المعلومات عن تقنية التعذيب بواسطة الكهرباء في شهادته قائلا: "في يوم 24 سبتمبر 1960م...إن نظام الاستخبارات السري والفضيع بعد أن تحرك اكتشف مشبوها قد سمح باعتقال ثلاثة آخرين، تم اقتيادهم إلى المركز واستنطقوا ولكنهم لم يقولوا شيئا، ثم أخذوا إلى عين المكان ليعيدوا العملية، ولكن عندما وصلوا هنا فإنهم رفضوا التقدم أكثر، وهكذا فإن الاستنطاقات الجادة قد بدأت: فمروا إلى "لاجيجان" وضربوا، لم يعد لأحدهم أسنان عند خروجه، وإن وجوههم كانت متورمة، والآخر كانت أذنه نصف منزوعة، ولكنهم لم يتكلموا، وعندما اقتيدوا إلى الأماكن التي وقع فيها الانفجار، حاولوا الفرار، وهم يظنون أنهم سيقتلون، وصرح أحدهم: "أقتلونا، لم نعد نريد الحياة"، وفي الصباح وجد الآخر مشنوقا بعمامته، لقد فضل الموت".⁽²⁾

يواصل الجندي الفرنسي ذكر تفاصيل عملية التعذيب والاستنطاق بواسطة الكهرباء قائلا: "صعدت حراسة المركز من عين الطيب وسمعت حكاية جديدة قد أعطتني لمحة عن منهج عام، تم إيقاف أسرى وأبقوا في الأسفل: لقد تعاونوا مع الثورة وساعدوها بكيفيات مختلفة، تم استنطاقهم، فالذين يتكلمون يعاملون معاملة جيدة ويطعمون جيذا، ثم يصيرون حرك...، ولمن الذين لا يقولون شيئا أو يقولون أشياء يبدوا أنها غير صحيحة فإنهم يوضعون على حدى ويستنطقون بالوسائل الكبرى، سيمرون على 220 فولت، وعندما يصعدون من القبو فإنهم في حالة يرثى لها، ولكن العمل متقن هنا، إنهم لا يحملون آثارا للضرب، هناك فقط زيد أبيض على الشفاه أو في زاوية من الفم".⁽³⁾

لم يكن طريقة التعذيب بالكهرباء مقتصرة على سجن دون آخر بل -كما وسبق لنا الذكر- كانت معممة عبر كل مراكز التعذيب والسجون الاستعمارية وفي هذا الصدد يقول الرائد عز الدين الذي تم اعتقاله شهر نوفمبر من عام 1958م⁴: "تم اعتقالي وأخذي إلى سجن تابلاط، إنها المرة الأولى في حياتي

¹ - باتريك إيفينو وجون بلانشايس، المرجع السابق، ص 247.

² - إيف سالفات، حرب العار "التعذيب في حرب الجزائر 1954م - 1962م"، تر: محمد المعراجي، الجزائر: دار سيديا،

2010م، ص 50.

³ - نفسه.

⁴ - Jaques Massu, Alger, Le torrent et la digue -Du 13 Mai Au Barricades, Edition du Rocher, 1972, p214.

التي أشعر فيها بالخوف، بقدر شاهدت التعذيب، رأيت بأمر عيني السجناء وهم يتعرضون للضرب والتعنيف بالأرجل واللكمات، رأيت أشخاصا يتعرضون للتعذيب بواسطة الكهرباء إما عن طريق الماء، أو برط أسلاك لاجيجان في مختلف الأعضاء الحساسة للفرد بما في ذلك نهدي النساء، كانوا كالأسماء التي أخرجها الشاطئ بأفواههم المفتوحة والمنهكين نتيجة التعذيب، إنها جهنم الحقيقية...، أخبرني الضابط قائلا: "عز الدين هنا سيحين دورك، أنت لا تتذكر والديك، لكن هنا ستتذكر كيف أنجبتك أمك بعد أن نشعل أسلاك الكهرباء... كانت يتقوه بأي كان لكنه كان محقا".⁽¹⁾

لم يقض الجينرال ديغول على هذه التجاوزات اللإنسانية بوصوله إلى سدة الحكم عام 1958م، حيث بقي مئات الآلاف من الجزائريين محتجزين داخل معسكرات التعذيب التي كانت تتعدم فيها تماما شروط العيش البسيطة والضرورية، بالموازاة مع المعاملة السيئة لهؤلاء المحتجزين حسب ما أفاد به تقرير الهلال الأحمر الدولي الذي نشر سنة 1960م.⁽²⁾

بلغت عمليات التعذيب شدتها بالمراكز المخصصة لها بما في ذلك الفيلات كفيلا سيزيني أو ما يعرف بمركز الفرز في الأبيار بالجزائر العاصمة وفيلا الأبراج الصغيرة بضواحي الجزائر العاصمة،⁽³⁾ أو بالمزارع والغابات كغابة سيدي فرج، أو حتى في الشقق المؤجرة من طرف بعض الوحدات، فعملية التصفية الجسدية كانت دائما تأتي بعد عمليات الاستنطاق، حيث يتم إخفاء المتهم والقضاء عليه في ظروف غامضة، أما إذا استطاع اللوذ بالفرار فكان يستعمل غالبا السلاح للقضاء عليه، وتروج إشاعات في حقه بأنه انتحر كما حدث مع قضية الشهيد محمد العربي بن مهدي،⁽⁴⁾ وحول هذا الصدد يقول بول أوساريس: "وبمجرد إدخال بن مهدي إلى الغرفة، قمنا بتقييده وشنقه بطريقة ت

فتح المجال لاحتمال حدوث عملية انتحار، وعندما تأكدت من موته قمت بإنزاله ونقله إلى المستشفى، وبناء على أوامري ترك ضابط الصف المكلف بنقله المحرك مشغلا ولم يوقفه، وذلك حتى يتسنى لنا الانطلاق مباشرة وبسرعة كي لانقدم أدنى تفسير إذا حضر الطبيب مصالح الاستعجالات، وكنا في

¹- Commandant AZZEDINE, Les FELLAGAS. OP- Cit, p77.

²- باتريك إيفينو وجون بلانشايس، المرجع السابق، ص247.

³- فيلا الأبراج الصغيرة: كانت الفيلا كبيرة متكونة من طابقين فوق القبو، ومحاطة بحديقة مهجورة، وكان هناك أربع غرف في كل طابق، وكان اسم الفيلا يدل على أنها كانت موجهة إلينا أساسا (فيلا ذات الأبراج الصغيرة)، وهي تحمل إسم نفس الكتنة الباريسية التي تحوي مصلحة التوثيق الخارجي والتجسس المضاد حيث كان يتم في هذا المكان استنطاق المساجين والمعتقلين، (المزيد من المعلومات أنظر: الجينرال أوساريس، المرجع السابق، ص118).

⁴- باتريك إيفينو وجون بلانشايس، المرجع السابق، ص251.

منتصف الليل تقريبا وناديت مباشرة بعدها الجنرال ماسو وقلت له: "حضرة الجنرال، إن بن مهدي أقدم على الإنتحار وجثته موجودة في المستشفى، وسأقدم لك تقريراً غدا صباحاً".⁽¹⁾

كان يتم اقتياد المجاهدين من فيلا الورود بشارع قاليني إلى غابة سيدي فرج ليعرضوهم إلى أشد أنواع التعذيب والتككيل،⁽²⁾ حيث كانت هذه الأخيرة محاطة بالأسلاك الشائكة في كل الأماكن وحتى في الطبيعة، فضلا عن خيمات المراقبة التابعة لهذا المعتقل -الخاضع لحكم جلادي العقيد بيجار التابعين للفريق ماسو- عبر كامل طريق متيجة، وكان أسرى جيش التحرير الوطني يوضعون في أقفاص كانت في وقت مضى مخصصة للقردة المصطادة على مستوى المرتفعات المجاورة.⁽³⁾

تعرض أفراد جيش التحرير الوطني إلى أشكال متنوعة من التعذيب وأبرزها كسر الفك بواسطة اللكمات الأميركية والضرب المبرح، إضافة إلى الغطس في الماء⁽⁴⁾ وإخضاع المعتقلين لعدة شحنات كهربائية في اليوم (لاجيجان) كما يحلو للقبعات الحمر تسميتها، أما أصحاب القبعات الخضراء فكانوا يطلقون عليها تسمية "تيلفيزيون"،⁽⁵⁾ فكثيرا ما كان يتم وضع الأقطاب الكهربائية على فض أذنيه إلى غاية احتراق اللحم، كما تم ربط بعضهم إلى كرسي وتفرغ البنزين عليهم وإضرام النار على أكتافهم وظهورهم، وبالضبط هناك سبعة أشخاص تم حرقهم بهذه الطريقة وهم المعروفون بـ "المحروقين الجزائريين السبعة"، وكان أحدهم قد تمت عملية علاجه بالرغم من صعوبة إخفاء آثار الحروق من الدرجة الثالثة قبل إطلاق سراحه، بينما ألقى المظليون بالبعض الآخر في شاحنة ونقلوهم إلى الصحراء وتركوهم تحت أشعة الشمس الحارقة،⁽⁶⁾ وحول هذا الموضوع يقول روبر جينين مجند في الجيش الفرنسي: "كنت في الفرقة الثالثة عندما وصلنا إلى السرية كنا أربعة، وكأنه بالصدفة جعلونا نحضر حصة جيجين، كان ذلك في نوفمبر 1958م، كنا راجعين من عملية في القاعدة الخلفية، إن مركز قيادة كتيبتي كان في مارنغو في سجن البليدة، وأظهر لنا ضابط كيف نجعل الناس يتكلمون: منفذ كهربائي على الأجزاء الجنسية، هذا شنيع، كل عمليتي الأولى جرت في أخاديد الشفة، ولإن الطيران هو الذي خلصنا".⁽⁷⁾

1- الجنرال أوساريس، المرجع السابق، ص 140.

2- آسيا سعدون شايب الذراع، أقفاص القردة بسيدي فرج، تر: دراجي بن داود، الجزائر: دار رافار، 2012م، ص 141.

3- آسيا سعدون شايب الذراع، المرجع السابق، ص ص 144، 145.

4- نفسه، ص 147.

5- جريدة المجاهد، التعذيب الاستعماري في الجزائر: فنونه وأساليبه الوحشية، ع08، 15/08/1957م، ص 09.

6- آسيا سعدون شايب الذراع، ص ص، 147، 148.

7- إيف سالفات، المرجع السابق، ص 73.

2. **التعذيب بواسطة الماء:** تعتبر طريقة التعذيب بواسطة الماء من الأساليب الأكثر استعمالاً إلى جانب الكهرباء، وقد كانت هذه الطريقة الأكثر تفضيلاً لدى الجلادين، حيث جاء في تقرير الأمين العام "روبرت وليوم" عن التعذيب المؤرخ في مارس من عام 1955م أن "أنبوب الماء أكثر استعمالاً والأكثر تفضيلاً لدى البوليس"، وذلك لأنه لا يترك آثاراً جسدية بعد إطلاق سراح المعتذبين من جهة، ومن جهة ثانية أنه يجبر صاحبه على الاعتراف، وإن كان لا يترك آثاراً جسدية، ولكنه يترتب عنه مخاطر عدة، حيث بإمكانه أن يؤدي بصاحبه إلى الوفاة أو الجنون.

تطرق هنري هلاق في كتابه La Question إلى كيفية التعذيب التي تطرق لها بواسطة الماء قائلاً: "بعدما تم ربطني في لوحة مستوية، أخذوني إلى الحنفية ووضع الأنبوب المطاطي في فمي بعد إيصاله بالحنفية، ثم تغطية وجهي بمنشفة وفتح فمي بواسطة قطعة من الخشب حتى لا أتمكن من غلقه أو أسقط الأنبوب، وعندما أصبحت جاهزاً للعملية فتحوا الحنفية والماء يسيل في كل اتجاه في أنفي، فمي ووجهي، فشعرت كأنني أغرق في غيبوبة، وهي الموت بذاتها".⁽¹⁾

توجد طريقة أخرى إلى جانب الأنبوب المطاطي والحنفية وتتمثل في غطس رأس المعتذب لمدة طويلة في مغطس أو دست أو دلاء مملوءة بالماء المتعفن ذي الرائحة الكريهة، حيث جاء في شهادة أحد الجنود الفرنسيين ما يلي: "بعد تعب الجلاد نتيجة الضرب، يغطس رؤوس الملقى عليهم القبض في صهريج من الماء معفن بالصابون"، كما يؤكد "جيل روي" التعذيب بالماء في كتابه (J'accuse Massu) في مخاطبته للجينرال ماسو قائلاً: "هل تظن أن المصالحة تتم بواسطة دلاء الماء"، كما جاء في رسالة لجندي فرنسي آخر يقول فيها "في 03 سبتمبر 1956م مساءً، استدعي جنود فرنسيون من طرف الجندرمة لحضور مهرجان عملية تعذيب جزائريين تم إلقاء القبض عليهما في مساء الأمس، فالمرحلة الأولى من التعذيب: بعد ربطهما من الأيدي والأرجل عاريين كلياً، ثم غطس رأسهما في دلو من الماء لمدة طويلة"،⁽²⁾ كما ذكر الجندي الفرنسي أو.ن (EF) تفاصيل هذه العملية قائلاً: "يوم 12 أكتوبر 1960م: نهار شنيع، دائماً هناك الطفل نفسه، والذي هو أصل كل شيء بدون شك، وشابان آخران، 18، و20 سنة تقريبا وآخر له 16 سنة تقريباً، سجن اثنان، والآخر يعمل في البناء، على التاسعة جاء فريق من المستنطقين: ملازم يسمى بريكار ومسلم متطوع مع القائد الذي هو في كل أحواله (من الغضب) وذهبوا للاستنطاق، سمعت الصياح والصفعات....، عدة مرات سمعت صياح الصحية، ودام ذلك

¹ - رشيد زبير، المرجع السابق، ص25.

² - نفسه، ص25.

إلى غاية منتصف النهار، وعلى الثانية والنصف تم استئناف الحصة، وجاءت جيب جديدة من ال334 حاملة للملازم، ونحو الرابعة، حملوا الضحية، دائماً هي نفسها في قاعة أخرى حيث وضع حوض كبير مملوء بالماء، وتم تعليق المسلم من رجليه في عارضة من خشب، ثم يتركونه يسقط، الرأس في الماء، ثم يرفعونه، وذلك مدة ساعة على الأقل، عليه أن يعترف بعدة أشياء، صحيحة أو خاطئة...، إنه جالس على الأرض والعينان جاحظتان، والخدان والشفتان منتفخة، أمر بالوقوف فحاول ذلك عدة مرات، ثم عندما صاروا وراءه تمايل ثم سقط وكأنه سكران، لن أنسى أبداً وجهه المعذب".⁽¹⁾

تم التعذيب بواسطة الماء أيضاً عن طريق قمع، حيث كان يوضع هذا الأخير في فم المعذب ليتم تقريغ الماء فيه حتى ينتفخ بطنه، فقد صرح أحد أعضاء أجهزة التعذيب قائلاً: "إذا لم تثمر المرحلة الأولى من التعذيب، لنا طرق أخرى في الاحتياط مثل شرب الماء: سبعة لترات أو عشرة لترات من الماء تذهب إلى المعدة بواسطة قمع".⁽²⁾

اعتبرت طريقة التعذيب بواسطة الماء هي الوسيلة الأكثر استعمالاً في الاستتطاق من طرف الجلادين، وذلك لفعاليتها من جهة، ولكونها لا تترك أثراً في جسم الأسير من جهة أخرى وشهادة عبد الله محجوبي عبد القادر -على سبيل المثال لا للحصر- عن كيفية تعذيب والده بالماء سنة 1959م أبرز مثال على ذلك.⁽³⁾

مارست السلطات الاستعمارية عملية التعذيب بالماء عن طريق اتباع طريقة القماط إلى جانب طريقتي المغطس وإفراغ الماء كلياً في فم المعذب، حيث كان يربط جسم المعذب كما يربط الرضيع المقمط ويعلق من رجليه بحبل، يدلى بعجلة من الطابق الأول إلى ماء البحر فيبقى غارقاً عدة ثواني، ليخرج مرتعداً من

¹ - إيف سالفات، المرجع السابق، ص ص51، 52.

² - رشيد زبير، المرجع السابق، ص26.

³ - يورد عبد الله محجوبي عبد القادر تفاصيل الحادثة مفصلاً أنه بعد أن انتقلت القوات الخاصة المتمركزة بالكريمة (لامارتين سابقاً) مدعمة بأفراد من الحركة إلى مكان إقامتهم الكائن بتبركانين (دائرة العطار ولاية عين الدفلى حالياً)، عندما وصلتهم أخبار مفادها أن هناك مخبأً للثوار بببنتهم، فألقوا القبض على صاحب البيت ثم سألوه عن المخبأ ولما تجاهل سؤالهم، أحضروا عمودين فأجلسوه جاثياً، وهنا وضعوا العمود الأول تحت ركبتيه، بينما لف بالعمود الثاني ذراعيه، وهنا أدخل رأسه في حوض بلاستيكي به ماء معفن، فغمس رأسه في السائل القذر كلما أنكر، وعندما ينتفخ يقفز عليه الجنود من مكان عال على بطنه ليتناثر الماء من كل مخرج، وتكرر هذا الإجراء عدة مرات، ثم نقل إلى مقر ضابط المخابرات بالكريمة، (المزيد من المعلومات أنظر، رشيد زبير، المرجع السابق، ص ص287 - 288).

البرد ويستأنف عملية الاستتطاق، وتكرر هذه العملية حتى يقر المعذب بالمعلومات التي بحوزته، أو يموت، واستعملت هذه الطريقة كثيرا في عمارة "كراند تيراس" بشاطئ "دوملان" بالعاصمة.⁽¹⁾

3. أساليب أخرى من التعذيب: لجأ الجلادون إلى أساليب أخرى في التعذيب كانت الأكثر ضررا وقسوة وألما حتى وإن كانت تخلف آثارا في الجسم أو تؤدي بصاحبها إلى الموت أو الإصابة بمرض عقلي، وقد كانت هذه الأساليب هي الأكثر شيوعا بمراكز التعذيب الموجودة في المناطق الريفية، القرى أو المدن الصغرى بعيدة عن عيون الصحافة اليسارية والدولية والمنظمات الإنسانية، ومن بين أهم هذه الأساليب نذكر: خلع أجزاء من الجسم كاللحم، الأسنان، والأظافر، حشو أدوات صلبة في الجسم كقارورة زجاج في مخرج المؤخرة أو إبر ومسامير في الأصابع، وضع المعذب في دهاليز ومطامر وحفرة عميقة أو في قبور الخمر، والضرب والشد بالحبل والكي بالنار.⁽²⁾

تعتبر طريقة التعذيب بالنار من أشد أنواع التعذيب قسوة والتي تسبب أعراضا نفسية خطيرة لدى المعذب، فقد كان يجلس المعذب على كرسي يوثقه بظهره الجلادون وهو عاري الصدر، ثم ينفخ الجندي الذي يستنطقه على عينيه دخان التبغ ثم يطفئ لفافته المشتعلة في صدره ونهديه، وفي أحيان كثيرة كان يوثق المعذب ممدودا على طاولة العمليات وهو عاري الصدر ثم يبيل بالبنزين وتشعل فيه النار، وهو ما يسبب له حروقا تبلغ درجة الخطورة، وفي هذه الحالة كان يعالج المعذب طبيا قبل أن يطلق سراحه، وبالموازاة مع ذلك كان يتعرض المعذب إلى شد رجليه وهما عاريتين فتوضع تحتها شمعة موقدة، وهو ما سبب ثقوبا غائرة في أرجل المعذبين.⁽³⁾

لم يتغاض فنانو التعذيب الاستعماريين عن الاعتماد على الحديد كطريقة ناجعة في استتطاق المعذبين، وذلك بعد أن يحرق صدر المعذب وذراعه وأصابع رجليه بالمكواة، كما كان يجلس على كرسي وهو عاري الصدر والظهر فيعضه الجلاذ بكلايب، ويقشط اللحم من الظهر والنهدين والشفنتين. يقطع الجلاذ بسكين حادة مسنونة قطعا من لحم المعذب ثم يوسع الجراح ويحكها بالملح الحجري، وفي كثير من الأحيان كانت توضع كفا المعذب على الأرض ويضرب الجلاذ ظهرهما بمتون الخناجلر وأيدي الفؤوس.⁽⁴⁾

¹ - جريدة المجاهد، التعذيب الاستعماري في الجزائر: فنونه وأساليبه الوحشية، ع08، 15/08/1957م، ص09.

² - رشيد زبير، المرجع السابق، ص28.

³ - جريدة المجاهد، التعذيب الاستعماري في الجزائر: فنونه وأساليبه الوحشية، ع08، 15/08/1957م، ص09.

⁴ - نفسه.

لم يتوان الاستعمار الفرنسي على تطبيق أي فن من فنون التعذيب، سواء تلك التي تدرب عليها في المدارس العسكرية، أو تلك التي راودت مخيلته، وهذا كله بغية النجاح في عملية الاستتطاق أولاً، والتسبب في جنون وموت المعتذب ثانياً، وكانت طريقة التعذيب بالحديد أبرز مثال على ذلك، حيث كان يعتمد على ثلاث طرق نوردها كآتي:

* **عملية الجراب:** كان يوثق المعتذب من رجليه ويديه مجموعة بحبل كالماشية، ثم يعلق ويرفع بالعجلة نحو السقف، وهناك يطلق الحبل فيهبى المعتذب إلى الأرض واقعا على رأسه وظهره كالجراب، وتكرر العملية مادام المتهم لم يعترف ولو كذبا أو لم يدل بأسماء تملئ عليه ليلقى القبض على أصحابها، فإذا امتنع من ذلك يعذب حتى يموت ضحية ثباته وجنون معذبيه.

* **عملية الخنق:** يوثق المعتذب جالسا على كرسي يشد عنقه بحبل دقيق، ثم يجذب اثنان من الجلادين طرفا الحبل حتى يغض المعذ أو يموت شنقا.

* **عملية الربط على الأرض:** يمدد المعتذب على الأرض الباردة الرطبة في بعض الكهوف بضاحية العاصمة وهو على هيئة الصليب وتشد رجلاه ويده بأوتاد مضروبة في الأرض، ليترك السجين هكذا أياما وليالي في المكان المظلم، وقد جن كثير من المعذبين الذين سلط عليهم هذا النوع من العذاب.⁽¹⁾

يعترف أحد الجلادين بأنه أصبح يعرف الحالة التي يكون فيها المعتقل مرهقا، واللحظة التي لا يستطيع بعدها المقاومة، وذلك بعد خبرته الطويلة في ممارسة التعذيب على المعتقلين، وفي هذا الوضع كان لا يتخلى عنه أبدا كما كان عليه استعمال كل الأساليب اللازمة ليسحب المعلومة منه عن طريق الضرب أو التهديد بالموت بواسطة مسدس في يده.⁽²⁾

قام متطوع في الجيش الفرنسي بإجبار معتقل على حفر قبره، ليضعه على ركبتيه أمام القبر، وينزع كل أمعاءه، ثم رفسه برجليه في القبر، ويقول أحد المجندين الفرنسيين حول هذا التصرف: "فكل تعليق غير مجد، ولست في حاجة إلى إضافة".⁽³⁾

كشفت اللجان الدائمة لحماية الحقوق والحريات الفردية التي نصبت من طرف مجلس الحكومة الفرنسية والتي شرعت في عملها بالجزائر في ماي 1957م عن مايلي: "إن واحدا وعشرين لقوا حتفهم باختناقهم في قبور الخمر بموزاية من بين واحد وأربعين مشتبه فيه يوم 27 جوان 1957م"، كما يقول

¹ - جريدة المجاهد، التعذيب الاستعماري في الجزائر: فنونه وأساليبه الوحشية، ع08، 15/08/1957م، ص09.

² - رشيد زبير، المرجع السابق، ص29.

³ - إيف سالت، المرجع السابق، ص51.

أحد الجلادين: "علمت أن الذين يقومون بالاستنطاق يمارسون أساليب مملّة: ملحام مشعول تحت أقدام المشتبه فيه، سيجارة فوق الثدي، كما يلجأ البعض إلى خلع الأظافر والتعذيب بالقطرات المائية".⁽¹⁾

لم يقتصر الاستعمار الفرنسي على الاعتماد على أسلوب التعذيب الجسدي من أجل الوصول إلى المعلومة فقط، بل تعداه إلى اتباع أسلوب التعذيب النفسي، والذي هدف إلى إحداث جو من الرعب الدائم في نفوس المعتقلين، خاصة وأن هذا النهج كان يتم تطبيقه ليلاً، كما تم الاعتماد على ضباط وأطباء بسلوكيين في إنجاح هذا النوع من التعذيب، وهو ما اعتبر من أخطر الوسائل تدميراً لنفسية السجين، حيث تسببت هذه الطريقة في إصابة العديد من الأشخاص بخلل عقلي.⁽²⁾

اعتمد على طرق متعددة ومختلفة لإنجاح سياسة التعذيب النفسي، ونذكر منها:

- طريقة الإيقاف المخيفة والتي كانت تتم عادة بعد منتصف الليل إلى حدود الساعة الرابعة صباحاً، وهي الفترة المحددة لحظر التجوال بالجزائر، حيث يدخل الجنود الفرنسيون وهم حاملون أسلحتهم بأيديهم إلى بيت المعني بطريقة هستيرية، فيقومون بضرب وسب وشتم كل من بالبيت بما في ذلك النساء والأطفال، في جو يتملكه الرعب والخوف بالنسبة للموقوف والمُشاهدين للمنظر على حد سواء، ثم يقاد الموقوفون إلى السيارة العسكرية التي تنطلق بهم نحو مكان مجهول، وفئة قليلة منهم فقط من يعرفون مصيرهم بعد هذا الاعتقال.

- قيام القوات الفرنسية بقتل مجموعة من المجاهدين والتكّيل بجثثهم، ثم يجمع كل سكان القرية التي ينتمي إليها هؤلاء الآخرين ليشاهدوا ذلك المنظر الشنيع، كما لجأ الاستعمار الفرنسي إلى تعذيب الموقوفين علناً أمام أعين السكان بكامل فئاتهم المختلفة بما في ذلك النساء، بهدف إجبارهن لإراديته على منع أزواجهن وأولادهن من الالتحاق بالثورة، فضلاً عن الاتيان بزوجة المعتقل أو ابنته أو أخته ويخبرونه بين الاعتراف أو اغتصابها تحت سمعه وبصره، وهذا ما يؤدي إلى انهياره.⁽³⁾

- إجبار المعتقلين على تعاطي المخدرات لإجبارهم على الاعتراف بالمعلومات التي يعرفونها، وهذا ما سيجعلهم لاحقاً يلصقون التهم بهم وببعض قادة الثورة السياسيين لاستخدامها كحجج ضدهم في

¹- رشيد زبير، المرجع السابق، ص30.

²- سمير شوقي، التعذيب كأسلوب ممنهج أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، حوليات جامعة الجزائر 1، ع33، ج02، جوان 2019م، 369.

³- نور الدين مقدر، التعذيب من أشكال القمع الاستعماري في مواجهة ثورة التحرير الجزائرية، المجلة التاريخية الجزائرية، مج06، ع01، الجزائر، 2022م، ص1138.

المحاكمات، وهو ما حدث تماما مع جميلة بوعزة التي أصيبت باختلال عقلي تحت تأثير المخدرات التي كانت تحقق بها أثناء عملية الاستتطاق.⁽¹⁾

حاول الفرنسيون في بداية الأمر عدم الاعتراف بممارسة التعذيب في الجزائر، بل وأنكروا وجوده إطلاقا، لكن فندت بعض تقارير الجهات تصريحات الجهات الرسمية، ومن بينهما: تقرير "ويليوم" وتقارير "مايراي"، إضافة إلى مختلف التقارير التي أوردتها المنظمات الإنسانية الدولية، كما بدأ التنديد بالتعذيب بعد شهرين من اندلاع الثورة، فقد ندد كل من "كلود بوردي" وفي فرانس أفسرفاتور وفرانسوا موريالك في جريدة ليكسبراس بالتجاوزات الممارسة في حق الجزائريين، وقد وجه "سيكالدي" مندوب الحزب الاشتراكي بالعاصمة وهذا في أواخر ماي وأوائل جوان 1957م رسالة إلى غي موللي، يؤكد له فيها عن عمليات التعذيب التي ارتكبت تحت إشراف الحاكم العام روبير لاكوست.⁽²⁾

¹ - نور الدين مقدر، المرجع السابق، ص 1139.

² - سليم بعلوج، التعذيب في فلسفة الاستعمار الفرنسي بالجزائر (1954م-1962م) "المبدأ والممارسة"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 03، ع 03 (عدد خاص)، نوفمبر 2021م، ص 180.

ثانياً - عزل الشعب عن القاعدة الثورية:

أ - المناطق المحرمة والمحتشدات:

عمدت قوى الاستعمار الفرنسي إلى ترحيل المواطنين عبر القرى والمداشر والدواوير لأماكن قريبة من الثكنات والمراكز العسكرية للعدو، بهدف إبعادهم عن دعم الثوار بعد احتضانهم للثورة في محاولة منهم لتطبيق نوع من الحصار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي على جيش التحرير الوطني، الأمر الذي أدى إلى تفكير الشعب الجزائري من جهة بعد تهجيده من أرضه التي تعتبر مصدر رزقه الأساسي والوحيد، وصعوبة تمويل الثورة وتموينها في هذه المناطق لتعسر الاتصال بين الشعب وعناصر جيش التحرير الوطني من جهة أخرى.⁽¹⁾

أعلنت جميع الأقاليم الجبلية مناطق محرمة، حيث جسدت هذه الأخيرة بموجب قرار صادر عن مجلس الوزراء الفرنسي بتاريخ 19 فيفري 1958م، وهي عبارة عن مناطق على شكل ميدان رمي لتسهيل رقابة القوات الفرنسية، وتكون مهجورة من السكان حيث منعت الإقامة فيها أو العبور بها، وقد أنشئت على المناطق الاستراتيجية لجيش التحرير الوطني لتجبره إما عن التخلي عنها أو الدخول في مواجهة بها مع القوات الاستعمارية الفرنسية،⁽²⁾ وعليه فإن كل كائن حي يشاهد فيها ليلاً أو نهاراً مصيره الموت آنذاك، كما قام في تلك الفترة الجنرال ديغول بتعيين "بيير مسمير" وزيراً للحرب.⁽³⁾

ادعت فرنسا أنها أنشأت المناطق المحرمة لحماية السكان المدنيين من الوقوع بين فكي الجيشين والأصل هو تسهيل عمليات القوات العسكرية الفرنسية الأرضية والجوية لمطاردة جيش التحرير الوطني وذلك كون أن الرادارات لا تستطيع الرؤية على الأرض، إلا أنها أصبحت في حقيقة الأمر مخابئ الثوار لإيداع الأسلحة ومراكز لصناعة القنابل وعلاج المرضى، إذ أن القوات الفرنسية لا تدخلها إلا في عمليات واسعة النطاق.

¹ - سليمان الغول، المرجع السابق، ص 35.

² - لمياء بوقريوة، تطور الثورة التحريرية الجزائرية والاستراتيجية الفرنسية للقضاء عليها (1958م-1959م)، الجزائر:

دار الهدى، 2013م، ص 48.

³ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 77.

اعترفت القوات الفرنسية بأنها مناطق محرمة عليها وليس على المجاهدين والسكان المدنيين، فراحت تستخدم القنابل لمواجهة تلك المناطق والتي تستعمل حتى نيران النابالم والغازات الخانقة، وطائرات موران المجهزة بالرشاشات والطائرات النفاثة، كما زرعت الألغام بهدف القضاء على كل من يمر بالمنطقة.⁽¹⁾ قام الجيش الفرنسي بعد تهجير سكان القرى والمداشر بتخريبها بالطائرات والمدافع في المراكز العسكرية المجاورة، وبواسطة البواخر بالنسبة للقرى الساحلية، حتى لا يتسنى لقوات جيش التحرير الوطني التواصل معها أو الاستعانة بها، وذلك عن طريق مبدأ إطلاق النار على كل من يتحرك فيها أو يتجول بها، لذلك أطلقت عليها تسمية "المناطق المحرمة".⁽²⁾

انتشرت المناطق المحرمة بالولاية الرابعة التاريخية بداية من صيف 1955م وتطورت بعد مجيء ديغول إلى السلطة سنة 1958م، وقد أدى انعدام توفر الغذاء بهذه المناطق إلى تدهور الوضع الصحي للمجاهدين، حيث اكتفوا بأكل الحشيش والحبوب على طبيعتها، فضلا على النباتات غير السامة وبعض ثمار الأشجار الطبيعية، وفي أحيان كثيرة كانوا يضطرون للصوم.⁽³⁾

تطورت المناطق المحرمة بالموازاة مع ظهور المحتشدات،⁽⁴⁾ حيث استعانت سلطات الاستعمار الفرنسي بهذه الأخيرة من أجل القضاء على الثورة الجزائرية، خصوصا وأنها قد عرفت أوج عظمتها ونجاحها مع مطلع سنة 1957م بالولاية الرابعة، ولأن هذه الأخيرة كانت تتسم بموقع استراتيجي كونها تتوسط البلاد وتعتبر منطقة عبور بين الولايات التاريخية الأخرى، ولأنها تحتوي على إقليم مهم جدا في

¹ - لمياء بوقريوة، المرجع السابق، ص 49.

² - صليحة علامة، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830م إلى 1962م * عمالة الجزائر نموذجا * -دراسة تاريخية-، إشراف، مبخوت بودواية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2016م - 2017م، ص 479.

³ - نفسه، ص 480.

⁴ - المحتشدات: هي عبارة عن أماكن يجمع فيها السكان تحيط بها أسلاك شائكة ويحرسها الجنود، وتكون قريبة من الثكنات العسكرية والطرق الرئيسية، أقامت سلطات الاستعمار الفرنسي بالجزائر منذ اندلاع الثورة التحريرية، حيث شهدت هذه المحتشدات عائلات بأكملها هجرت من قراها ومنازلها، بهدف قطع التواصل بينها وبين المجاهدين وبذلك وضعت حدا للقاعدة الثورية المتكونة أساسا من الشعب، عن طريق مراقبتهم وإخضاعهم للعامل البسيكولوجي، حيث اقتبست هذه الاستراتيجية من النازيين الذين استخدموها على الشعوب التي احتلوها، وقد أطلقت السلطات الاستعمارية الفرنسية على هذه المحتشدات تمويها تسمية "مناطق الأمان"، (للمزيد من المعلومات أنظر: نور الدين مقدر، المحتشدات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة التحريرية (1955م - 1962م)، مجلة دراسات، مج 07، ع 01، الجزائر، 2020م، ص 10-11).

نظر السلطات الاستعمارية وهو إقليم مدينة الجزائر العاصمة، فقد أولتها عناية خاصة بغية إخماد نار الثورة بها، خاصة بعدما تأكدت بأن العامل العسكري لم يعد يجد نفعا لوحده، في الوقت الذي كانت فيه الثورة التحريرية تستمد قوتها من القاعدة الشعبية، فكان حلها هو اللجوء إلى فصل هذين الأخيرين ومنع تواصلهما بشتى الطرق والوسائل القمعية المتاحة.⁽¹⁾

تحاط المحتشدات بأسلاك شائكة وتقام حولها أبراج للمراقبة، كما يسهر على مراقبتها فرق الحركة والقومية والمصالح الإدارية المتخصصة، وكانت فرنسا تطلق على هذه الأماكن تسمية "مراكز التجمع"، في حين أطلق عليها الجزائريون تسمية "المحتشدات".⁽²⁾

يتم تجميع السكان في هذه القرى المجمع كما أطق عليها سلطات الإدارة الفرنسية في الجبال والأرياف، ويحاطون بسيجات من الأسلاك الشائكة في المشاتي من اللوح والتراب، كما منع عليهم الخروج إلا في أوقا محددة، من أجل الإفلاح في بعض المساحات الترابية التي لا توجد في المناطق المحرمة، آخذين معهم بعض الماعز والبقر للرعي، أما فيما يخص زيارتهم للمدينة من أجل قضاء حوائجهم، فلا بد عليهم الحصول على رخصة من المركز العسكري المشرف عليهم، كما كان جائرا في المنطقة المحرمة بالعرفون ضواحي البليدة.

تخضع هذه المناطق لرئيس مسلم تعينه السلطة العسكرية، باعتباره الناطق الرسمي للمركز باسمهم، هذا من جهة ومن جهة ثانية تقوم مجموعة الدفاع الذاتي بحماية القرية ضد هجومات المجاهدين على حد تعبيرهم، ويقودها رئيس القرية رفقة خمسة إلى ستة رجال مسلحين ببنادق صيد.⁽³⁾

تظاهرت السلطات الاستعمارية بأنها تقوم بترحيل السكان إلى أماكن خاصة خلال الثورة التحريرية لأسباب إنسانية وظروف أمنية، حيث هدفت من خلال هذه الاستيراتيجية إلى تحرير السكان من إرهاب الثوار وحمايتهم مما قد ينجر عنهم، عن طريق حمايتهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية، غير أن حقيقة الفعل عكس ذلك تماما،⁽⁴⁾ فقد حرص الاستعمار الفرنسي على منع جيش التحرير الوطني من الاتصال

¹ - نور الدين مقدر، المرجع السابق، ص10.

² - نفسه، ص14.

³ - إيف سالفات، المرجع السابق، ص ص62، 63.

⁴ - أحسن بومالي، مراكز الموت البطيء وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية، مجلة المصادر، ع08، الجزائر، ماي 2003م، ص37.

بالسكان من جهة،⁽¹⁾ ومن جهة أخرى قربت مراكز التجمع المستحدثة من التكنات العسكرية كي تجعل منها دروعا بشرية لصد العمليات العسكرية التي تشنها وحدات جيش التحرير الوطني، وبذلك فقد سعت لبعث الأمن لجنودها.

وصل عدد الجزائريين الذين تم وضعهم في المحتشدات إلى مليون و157 ألف جزائري وهو ما يعادل ربع الشعب الجزائري، فقد وصل عدد المحتشدين بمقاطعة المدية إلى 80000 نسمة، في حين بلغ عدد محتشدي الولاية الرابعة آنذاك 504000 نسمة، وهذا يعني أن منطقة المدية كان لها نصيب 16% من محتشدات الولاية.⁽²⁾

ساهمت المحتشدات في فك الروابط الأسرية التي كانت تربط العائلات الثورية ببعضها البعض، كما أدت إلى تقفير المرتحلين بعدما حرمتهم من أراضيهم ومواشيهم، وهو الشي الذي تسبب في خلق حواجز نفسية بين المقيمين في المحتشدات وباقي السكان الذين بقوا في منازلهم، نتيجة صعوبة الاتصال فيما بينهم.

ساعدت المحتشدات سلطات الاحتلال الفرنسي على إنشاء فرق جديدة من الحركة و فرق الدفاع الذاتي، وذلك نتيجة وجود هؤلاء السكان في متناول الجيش الفرنسي داخل الحشيدات، كما أمكنهم استعمالهم في عملية الانتخاب عن طريق إجبارهم إلى الانحياز التام إلى جانب فرنسا، لأن عملية حشدهم ما هي في حقيقة الأمر إلا خطة حربية بذية هدفت أولا وآخرا إلى إجبار المحتشدين على التصويت على أي انتخاب أو بيان تصدره السلطات الاستعمارية الفرنسية.⁽³⁾

كان سكان المحتشدات يسكنون أكواخا حقيرة، ويعيشون حياة تعيسة نتيجة إخضاعهم لإجراءات قاسية ومهينة بصفة دائمة من طرف قوات الاستعمار الفرنسي ومساعدتها من فرق الحركى والقومية وضباط المكاتب الإدارية المتخصصة (La S.A.S)، حيث كانوا يتعرضون للرقابة والتفتيش بين الفينة والأخرى عن طريق مراقبة عدد السكان وإحصاء عدد المنازل، كما قامت الإدارة الاستعمارية بضبط

¹- أحسن بومالي، استيراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى (1954م - 1956م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،

الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهر، 1999م، ص 179.

²- نعلمان نادية، المعتقلات والمحتشدات...، المرجع السابق، ص 55.

³- أحسن بومالي، مراكز الموت البطيء...، المرجع السابق، ص 37-40.

تحركات السكان داخل المحتشدات وإيواء القادمين إليهم من خلال منحهم رخصا للخروج والدخول، فعدم إعلام عائلة معينة المصالح الإدارية المتخصصة باستضافتها لوافد جديد يعرضها لعقوبات قاسية.⁽¹⁾ لم تكتف سلطات الاستعمار الفرنسي بتطويق مراكز التجمع داخل القرى والمدن بالأسلاك الشائكة حسب، بل تعدتها إلى تطويق الأحياء والشوارع داخل المدن، وذلك بترك مدخل واحد فقط، حيث غلقت جميع المنافذ بالأبواب الحديدية والأسلاك الشائكة وبذلك أصبحت هذه المدن الكبرى تشبه في حالها السجون تماما.⁽²⁾

تدهور الوضع الاجتماعي والمعيشي للسكان داخل المحتشدات، فبعد أن فقدوا موارد عيشهم من مواشي وخيول وأراضي فلاحية، انعدمت لديهم المواد الغذائية التي كانوا يحصلون عليها عادة بطريقة طبيعية وبصفة ذاتية كالحليب والبيض واللحوم، وبواسطة هذا الإجراء القمعي الفرنسي ساء الوضع كثيرا، فقد أصبحت المصالح المختصة توزع عليهم المواد الغذائية بكميات ضئيلة جدا عكس ما كانوا يحصلون عليها بكميات جد كافية سابقا، بحيث لا يتجاوز في بعض الأحيان 11 كلغ من الشعير شهريا لصاحب العائلة المطالب بإعالة عدد من أفراد عائلته، فضلا على أنها لا توزع بطريقة منظمة، فقد كانت تتوقف لكثير من الأحيان ولمدة غير محددة، بالرغم من أنها كانت المورد الوحيد لكثير من عائلات المحتشد. جاء في كراس ملاحظات الأسقف "جاك بومون" بتاريخ 14-29 أكتوبر 1959م: "...وبالقرب من مدينة الأصنام (الشلف حاليا) رأيت تسع عائلات جمعت في إسطنبول كبير، كما كانت هناك عائلة تتكون من ثلاثة أشخاص استلمت في مدة شهرين 06 كلغ من القمح و12 كلغ من الشعير".⁽³⁾

تدهور الوضع الصحي لدى سكان المحتشدات نتيجة نقص المواد الغذائية والألبسة والأدوية، كما انقطعت عملية توزيع الكميات الضئيلة من الشعير أو السميد، وهو ما جعلهم يعيشون حالة من الموت البطيء، وشيئا فشيئا انتشرت الأمراض المختلفة في أوساط السكان كمرض السل الذي انتشر بشكل كبير بينهم وقتل العديد من الأطفال، فضلا عن العديد من الأمراض المعدية والعقلية، وحول هذا الموضوع يقول "جاك بومون": "رأيت أطفالا يموتون من الجوع، إنهم أطفال برزت عظامهم من تحت البشرة، وأصابتهم الأمراض والحمى المختلفة، ولم يجدوا لها أي علاج، إنهم أطفال ألهكتهم الحمى والبرد فلم يكتمل نموهم، ورافقهم الشحوب والهزل وأكلتهم الأمراض المختلفة، دون أن يجدوا فرصا لإيقاف هذه

¹ - نور الدين مقدر، المرجع السابق، ص17.

² - نفسه، ص ص 17-18.

³ - نور الدين مقدر، المرجع السابق، ص18.

الحمى، لقد رأيتهم يرتجفون من الحمى وهم راقدون على الأرض بدون غطاء، لقد زرت الكثير من المراكز التي لا يوجد بها غطاء واحد، وإذا وجد في بعض الأحيان فهو غطاء واحد لثلاثة عشر شخصا يتغطون به جميعا في خيمة واحدة".⁽¹⁾

يوضح الجدول التالي أهم المحتشدات التي كانت بالمنطقة الخامسة (المدينة) من الولاية الرابعة التاريخية:

اسم المحتشد	مكان وجود المحتشد	عدد أبراج المراقبة	عدد جنود الجيش الفرنسي
محتشد الكاف لخضر	دائرة عين بوسيف، بلدية الكاف لخضر، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة 1956م.	03 أبراج	حوالي 400 جندي فرنسي
محتشد عين بوسيف	دائرة عين بوسيف، بلدية عين بوسيف، قرية عين بوسيف، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة 1957م.	05 أبراج	500 جندي فرنسي
محتشد سيدي قويدر	دائرة القلب الكبير، بلدية بئر بن عابد، المنطقة الخامسة، الناحية الثانية، أنشئ سنة 1959م.	03 أبراج	فصيلة من جنود الجيش الفرنسي
محتشد بوسكن	دائرة بني سليمان، بلدية بوسكن، قرية بوسكن، المنطقة الخامسة، الناحية الثالثة، أنشئ سنة 1956م.	04 أبراج	500 جندي فرنسي
محتشد عين بورغو	دائرة القلب الكير، بلدية بئر بن عابد، المنطقة الخامسة، الناحية الثانية، أنشئ سنة 1959م.	04 أبراج	فصيلة من جنود الجيش الفرنسي

¹ - نور الدين مقدر، المرجع السابق، ص20، و نعلمان نادية، المعتقلات والمحتشدات...، المرجع السابق، ص55.

السياسة الفرنسية تجاه الولاية الرابعة التاريخية (1956م-1960م)

محتشد أولاد طريف	دائرة العمارية، بلدية أولاد إبراهيم، قرية أولاد طريف، أنشئ سنة 1956م.	04 أبراج	من 300 إلى 500 جندي فرنسي
محتشد بواغيش	دائرة الشهبونية، بلدية البواغيش، المنطقة الخامسة، الناحية الرابعة، أنشئ في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1960م - 1961م.	برجين	40 جندي فرنسي
محتشد أولاد عمر	دائرة القلب الكبير، بلدية بئر بن عابد، المنطقة الخامسة، الناحية الثانية، أنشئ سنة 1959م.	04 أبراج	فصيلة من جنود الجيش الفرنسي
محتشد العوينات	دائرة عين بوسيف، بلدية العوينات، المنطقة الخامسة، الناحية الأولى، أنشئ سنة 1956م.	03 أبراج	حوالي 300 جندي فرنسي
محتشد الكروشة	دائرة بني سليمان، قرية الكروشة، المنطقة الخامسة، أنشئ سنة 1958م.	04 أبراج	500 جندي فرنسي ⁽¹⁾

وفيما يلي جدول يوضح أهم المحتشدات بالمنطقتين الثانية والرابعة (ولاية تيبازة حاليا) من الولاية الرابعة التاريخية:

مكان المحتشد	عدد المحتشدين
محتشد الساحل ببلدية بورقيقة	400 نسمة
محتشد جنوب بلدية بورقيقة	500 نسمة
محتشد سيدي راشد (حي نجار بلقاسم حاليا)	200 نسمة
محتشد سيدي راشد (حي الطيب بن زينب حاليا)	100 نسمة
محتشد سيدي أعمر (مقر البلدية حاليا)	120 نسمة

¹ - نعلمان نادية، المعتقلات والمحتشدات...، المرجع السابق، ص56.

السياسة الفرنسية تجاه الولاية الرابعة التاريخية (1956م-1960م)

محتشد حي الفرنان بسيدي أعر	130 نسمة
محتشد سويلاس بشرشال	800 نسمة
محتشد مزرعة مرسللي بشرشال	400 نسمة
محتشد الحامدية بشرشال	300 نسمة
محتشد الحامدية على شاطئ البحر	300 نسمة
محتشد سيدي سميان جنوب الوالي الصالح بسيدي سميان	حوالي 500 نسمة
محتشد غردوس شرق سيدي سميان	حوالي 800 نسمة
محتشد تيزي وين	/
محتشد القرمود بسيدي غيلاس	حوالي 600 نسمة
محتشد حجرة النص	حوالي 100 نسمة
محتشد قوراية	حوالي 600 نسمة
محتشد واد السبت بقوراية	حوالي 500 نسمة
محتشد المهابة بقوراية	/
محتشد ابن علي	/
محتشد مسلمون	حوالي 250 نسمة
محتشد بوزيرو بمسلمون	/
محتشد متيزي لعزيب بأغبال	حوالي 50 نسمة ⁽¹⁾

ب- التمشيط والعمليات العسكرية:

قام الحاكم العام في الجزائر روبير لاكوست بإصدار أوامر خاصة لقواته بتفجير حي من أحياء أسفل القصبة يوم 10 أوت 1956م، حيث جاء هذا بعد بضعة أيام من التفجيرات التي شنها إرهابيو جبهة التحرير الوطني -على حد قوله- في حي باب الوادي.⁽²⁾

¹ - مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، الدليل التاريخي لثورة التحرير...، المرجع السابق ص- ص، 66- 132.

² - La France contemporaine -La guerre d Algérie- 1956, p780.

يعود سبب اختيار الجنرال ديغول للجنرال شال⁽¹⁾ من أجل قيادة القوات الفرنسية بالجزائر لتخليص الجيش الفرنسي من الخمول والحالة النفسية السيئة التي كان يمر بها في خضام حرب دولته ضد الجزائر، ولأن هذا الأخير كان يعلم منذ أن كانت الحرب في الهند الصينية والسويس والجنود الفرنسيون يفكرون بأنهم يموتون من أجل اللاشيء، وهو شعور نفسي بقي عالقا في ذهنية الجندي الفرنسي، هذا من جهة ومن جهة ثانية جاء اختياره كي ينفذ استراتيجية ديغول الجديدة والتي جاء بها بعد انقلاب 13 ماي 1958م والمتعلقة أساسا بالجانب العسكري.⁽²⁾

تميز مخطط شارل بالهجوم على إقليم جغرافي معين ومحدد وبصورة شاملة، ثم الانتقال إلى إقليم آخر، وذلك لتدمير طاقات جيش التحرير وإرهاقه بالإقليم نفسه، وبالمقابل بدأ يستعمل تكتيكاً مضاداً لحرب العصابات، ولأجل هذا دعم قواته بالمدرعات والمدفعية والطيران ووحدات المشاة المكلفة بالتقدم والزحف نحو المرتفعات والجبال للقيام بالتطويق، كما نقلت الطائرات العمومية وحدات متعودة على ممارسة القتال بعد وصولها إلى قمة الجبال التي احتلت مناطق شاسعة ومكثت فيها في أطول العمليات.⁽³⁾

أدرك الجنرال شال الأهمية الاستراتيجية للحدود الشرقية والغربية كمنافذ رئيسية لتسريب الأسلحة والذخيرة، فتصبح بذلك قواعد خلفية لجيش التحرير الوطني، ولهذا دعم خط موريس بخط آخر أطلق عليه اسمه الذي أقيم خلف الخط الأول من الشمال وتتراوح المسافة بينهما بين سبعين وتسعين كيلومتراً تتسع أحيانا وتضيق أحيانا أخرى، وهذا الخط كان يحمل تياراً كهربائياً قوته ثلاثين ألف فولط، يتكون من خمسة أسلاك تفصلها عوازل يبلغ ارتفاعها حوالي مترين وتغطيها أسلاك شائكة لحماية الدبابات من قذائف

¹ - الجنرال شال: هو الجنرال شال موريس، ولد يوم 05 سبتمبر 1905م بشمال فرنسا، هو طيار عسكري، شكل فريقاً موحداً مع المندوب العام الجديد في إدارة في الجزائر للقضاء على الثورة وإبقاء مشروع الجزائر الفرنسية، جاء إلى الجزائر ضمن الإمدادات العسكرية التي أقرتها الحكومة الفرنسية سنة 1955م بعد إعلان حالة الطوارئ نتيجة ضربات جيش التحرير الوطني المتتالية خلال فترتي (1954م-1956م)، ثم انسحب سنة 1956م للتفرغ للعدوان الثلاثي على مصر إثر مشروع تأميم قناة السويس الذي أقامه الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ليعود بعدها إلى الجزائر ويعين قائداً عاماً للقوات الفرنسية في الجزائر محل الجنرال صالان، من أجل تنفيذ مخططه الذي يحمل اسمه، حيث قام بتطويره وتكثيفه مادياً وبشرياً للقضاء النهائي على الثورة الجزائرية، (للمزيد من المعلومات أنظر: بن شرقي حليلي، **الولاية الرابعة ومخطط شال**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر والثورة، إشراف، حباسي شاوش، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، ص 68).

² - بن شرقي حليلي، **مخطط شال خلال الثورة التحريرية الجزائرية (1958م-1959م)**، (د.م)، (د.ت)، ص 233.

³ - حليلي بن شرقي، **الولاية الرابعة ومخطط شال**، المرجع السابق، ص 71.

البازوك، هذا العمل كان موازيا لاستعمال قوات الدفاع الجوي عن الإقليم لملاحقة كتائب الثوار والكشف عنها، مع استمرار المراقبة البحرية التي تقوم بها البحرية الفرنسية، فضلا عن عمليات التمشيط التي رافقتها إقامة مراكز لتنظيمات سياسية وإدارية خاصة (SAS) التي وصل عددها إلى ما يقارب 600 مركزا، مهمتها تهديم النظام الإداري والسياسي لجبهة التحرير الوطني، يقودها ضباط مختصون في العمل النفسي يحسنون اللغة العربية بسبب إحاطتهم بعملاء جزائريين يمارسون مختلف أنواع التعذيب، صنف إلى ذلك محاولة هذه التنظيمات عزل الثورة عن الشعب ومحاولة استقطاب الجزائريين إلى جانب فرنسا.⁽¹⁾ انطلق المخطط العسكري من الولاية الخامسة أولا باعتبار أنها كانت ضعيفة من حيث العمليات العسكرية في نظره، حيث اعتبر أن مخططه عبارة عن كرة ثلج تبدأ صغيرة ثم تكبر شيئا فشيئا، وهي الفكرة التي أخذها من خلال حروب فرنسا مع الهند الصينية.⁽²⁾

تقوم وحدة عسكرية مدرعة تتكون من ثلاث فيالق لكل فيلق 107 جنديا بالإضافة إلى وحدات تضم الحركي وكوموندوس قناصة ومطارد بعمليات التمشيط - في القطاع الذي تنشط به التنظيمات السياسية والإدارية لجبهة التحرير الوطني، فضلا عن كتائب جيش التحرير الوطني - التي تكون واسعة تتم بالتدرج فيما بعد لتتسع حسب الإمكانيات المتوفرة لدى الجيش الفرنسي.⁽³⁾

ينفرد كل فيلق بناحية واحدة يقوم بالزحف للبحث عن الثوار وملاحقتهم، ليقوم بتصفية المنطقة منهم، لتؤسس فيما بعد تنظيم إداري وسياسي (SAS)، أما فرق الجندرية فتبقى تقوم بمهمتها العادية تنتظر استدعاءها للإمداد في الحالات الاضطرارية، وهكذا دواليك حتى تتسع عملية انتشار الفرق الإدارية الخاصة عبر كامل قطر الجزائر.⁽⁴⁾

يهدف مخطط الجينيرال شال العسكري إلى:

- * غلق مناطق الحدود الشرقية والغربية بخط شال، والذي يمنع اتصال الثوار بالعالم الخارجي.
- * فصل الشعب عن جبهة التحرير الوطني، وذلك بعزله في المحتشدات والسجون وإقامة إدارة مخصصة لفرنسا.

¹ - حليبي بن شرقي، المرجع السابق، ص ص 72، 73، 74.

² - Henry Alleg : **La guerre d'Algérie**, T3, Temps actuels, Paris, France, 1983, p125.

³ - Maurice Challe, Notre révolte, press de la cite, Paris, France, 1968 , p140.

⁴ - Maurice Challe, Op-Cit, p140.

* القضاء على جنود جيش التحرير واحتلال المناطق التي يتركزون بها، وفق سياسة تطهير المنافذ بدءاً بمناطق الغرب وانتهاء بمناطق الشرق.⁽¹⁾

* تعديل تحصين الحدود عن طريق إدخال تقنيات ووسائل جديدة.

* متابعة الكتائب والقضاء عليها بواسطة تطبيق خطة عسكرية محكمة.

* المسح والقضاء على التنظيمات السياسية والإدارية لجبهة التحرير الوطني من خلال التحقق من تلاشيها نهائياً.

* إقامة المكاتب الإدارية المتخصصة (SAS) والدفاع الذاتي بفضل امتصاص القوات الشعبية إلى جانب السلطات الفرنسية، وبهذا الشكل يكون الجنرال شال قد قضى على الثورة الجزائرية، وأبقى الجزائر مقاطعة فرنسية في نظره.⁽²⁾

تعرضت الولاية الرابعة التاريخية إلى عدة عمليات عسكرية قبل مخطط الجنيرال شال إلا أنها لم تؤثر عليها كونها لم تشمل جميع مناطقها، أمثال عملية "Lambiance" التي قادها الجنيرال بيجار في 1957م بالأطلس البلدي، وعمليات التاج الأولى بناحية الأخضرية في نوفمبر 1958م، عكس عمليات مخطط الجنيرال شال العسكري الذي لم تر الولاية مثيلاً له في السابق، وكان نصيبهما من هذا المخطط عمليتي التاج والرباط اللتان كانت لهما أثراً بالغاً عليها، فقد كبدت جيش التحرير الوطني خسائر فادحة في العتاد والعدة، فدمرت بذلك فاعلية الكفاح الداخلي للثوار، وأفرغت الجبال منهم، وبذلك تحولت الولاية الرابعة إلى أفواج متنقلة بوحدتين وفقاً للضرورة، وهذا الوضع خلق اضطرابات في صفوف جيش التحرير الوطني، فلم يعرف الاستقرار حينها إلى غاية 1960م،⁽³⁾ حيث خسر فيها ما يقارب ثلث قواته،⁽⁴⁾ وفي هذا الصدد يقول أعمار أوعمران مسؤول عن التمويل العام في جبهة التحرير الوطني: "تكبد جيش التحرير خسائر كبيرة في العدة والعتاد، حيث سقط 6000 جندي في ظرف شهر في منطقة دوفيفي (بوشقوف حالياً)، فالحصار المضروب من خلال الحواجز التي أقامها مخطط شال العسكري خلق أزمة في إدخال

¹ - صالح بلحاج، مخطط شال وأثره في تطور حرب التحرير الوطني، مجلة المصادر، ع12، الجزائر، 2005م، ص-ص 218، 185.

² - حليلى بن شرقي، المرجع السابق، ص79.

³ - Mohamed TEGUIA, L armée de libération nationale en Wilaya4, préface de Madeleine Rebérioux, Algérie : Edition Casbah, pp 116, 117.

⁴ - يوسف الخطيب، قضية الاليزي، مجلة أول نوفمبر، العددان 116، و117، الجزائر، ماي-جوان، 1990م، ص18.

الأسلحة إلى الداخل، إلى جانب الخسائر في صفوف الإطارات السياسية للثورة الذين لم يكن لهم بديل لمواجهة الوضع".⁽¹⁾

انطلقت عملية الرباط من 18 أفريل 1959م إلى 19 جوان 1959م جند لها الجينيرال شال قوات قوامها 40000 عسكري من مختلف الوحدات والأولوية، كما استعان بفرق الهندسة العسكرية لتهيئة الدروب والممرات عن طريق شق الطرق لتمكين مختلف الوحدات من الوصول إلى الأهداف المحددة.⁽²⁾ امتد مسح عملية الرباط على طول مساحة الغرب الجزائري وصولاً إلى مواقع الولاية الرابعة في الوسط، بحيث شملت جبال الظهرة والتيطري والأطلس البلدي، وهي امتداد لعملية التاج"، التي بدأت من جبال الونشريس والتي شملت جزءاً من الولاية الخامسة، حيث مست المنطقة الرابعة والسابعة، مما أدى إلى انسحاب أربع كتائب من الولاية الخامسة إلى الناحية الأولى من الولاية الرابعة.⁽³⁾

نفذت العملية من خلال محاصرة المنطقة ثم الهجوم عليها هجوماً كاسحاً ومركزاً ، لدرجة أنه لم يترك مجالا أو فرصة لوحدة جيش التحرير أن تعيد تنظيم قواتها لاستئناف المعارك، وهي الخطة التي أراد بها الجينيرال ديغول أن يضع حداً لحرب العصابات،⁽⁴⁾ كما لجأ إلى إجراء القمع الذي تمثل في تهجير السكان إلى القرى والمداشر وإجبارهم على التجمع في المحتشدات التي أحيطت بالأسلاك الشائكة معززة بوحدات عسكرية تابعة للفرق الإدارية الخاصة لعزلهم عن الثورة، وبالتالي قطع المؤن والذخيرة والمعلومات عنها وهو ماسيؤدي إلى إضعاف قوات جيش التحرير الوطني مما يمنعه من الإستمرار ومواصلة الكفاح،⁽⁵⁾ فقد أقيمت بهذه الأخيرة كل أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، حيث ارتفع عدد المحتشدين سنة 1960م إلى 342000 محتشد بالولاية الرابعة، وتأتي مقاطعة الشلف في المركز الأول بـ 240000 محتشد، وهي من أكبر المحتشدات نظراً لطابعها التضاريسي الذي يتميز بكثرة المرتفعات المتمثلة في، جبال الونشريس، الظهرة واللوح ثم المدينة بـ 80000 محتشد وأخيراً مقاطعة الجزائر بـ 40000 محتشد.⁽⁶⁾

¹ - حليبي بن شرقي ، المرجع السابق، ص 82.

² - المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة التحريرية للولاية الرابعة 1959م/1962م، التقرير السياسي، ج 1، د.ت، ص 130.

³ - حليبي بن شرقي، المرجع السابق، ص 83.

⁴ - لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص 13.

⁵ - Benjamin Stotra, Histoire de la guerre d'Algérie 1954/1962, Edition la découverte, paris, France, 1955, p54.

⁶ - Mustapha Lachraf , L'Algérie nation et société, Maspéro, Paris, France, p259.

بدأ الجنيرال شال أول هجومه على الولاية الرابعة في 27 مارس 1959م بغرب الونشريس، والهجوم الذي كان ضمن عملية "التاج" المسطرة على القطاع الغربي (الولاية الخامسة) بقيادة الجنيرال قامبيز في المنطقة الرابعة المتاخمة للمنطقة السابعة من الولاية الخامسة بجبال ساعدة حيث سلسلة الونشريس بالمنطقة الرابعة، تصدت لها كتيبة من المنطقة الرابعة للولاية الرابعة،⁽¹⁾ والتي انتهت في 28 مارس من نفس السنة، حيث وقعت أول معركة بين الطرفين الفرنسي والجزائري ما بين 22 و 23 فيفري كان من نتائجها استشهاد حوالي 123 مجاهد وأسروا 22 آخرين، من خلالها صرح الجنيرال شال أنه قضى على حوالي نصف كتائب جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة، وأنه استرجع كمية هائلة من الأسلحة والذخيرة تراوحت ما بين 40 إلى 50%.⁽²⁾

خصصت عملية "الرباط" للقضاء على الثورة بالولاية الرابعة، حيث انطلقت في 18 أفريل بعد الإنتهاء من عملية "التاج" بقيادة الجنيرال Massu ونائبه الجنيرال قراسيو، والتي انتهت في 18 جوان من نفس السنة، وتبين التقارير أن الولاية الرابعة خرجت من هذه العملية في حالة جد مزرية، بعد أن فقدت مايزيد عن 3000 مجاهد و 3860 قطعة سلاح، كما اكتشف الفرنسيون وثائق هامة عن وضعية الولاية الرابعة، وحسب المؤرخ Henri Lemire فإن هذا كان نتيجة وشاية أحد الأسرى، وعليه صرح النقيب كالوس أن الولاية الرابعة خسرت أكثر من 40% من قواتها، وأكد كذلك أن المقاومة بالولاية الرابعة كانت أكثر شدة مقارنة بالولاية الخامسة، وسارت هذه العملية على شكل حزام دائري لذلك سميت بعملية "الحزام" أو "الرباط La courroie".⁽³⁾

تحدى الجنيرال شال جيش التحرير الوطني من خلال عقده لندوة صحفية صرح خلالها لمراسل جريدة Le monde الفرنسية في 21 أفريل 1959م الآتي، "أنه من الممكن أن يتحقق حل عسكري للقضية الجزائرية في أقرب وقت ممكن، وإليك نموذج في عملية واحدة حسبت لها كل الحسابات، كان من نتائجها 2462 مابين قتل وأسير من المتمردين"،⁽⁴⁾ وفي السياق نفسه صرح الجنيرال تراسيو أنه قضى على حوالي 50% من وحدات جيش التحرير بعد شهرين من انطلاق العملية بالولاية الرابعة.⁽⁵⁾

¹ - أحمد مسعود سيد علي، برنامج شال في مواجهة الثورة الجزائرية 1959م/1961م، جامعة المسيلة، الجزائر، (د.ت)، ص138.

² - Maurice Challe , Op- Cit, p105

³ - SHAT, 1H1949, dossier1, bilan des opérations courroies et jumelles 1959-1960.

⁴ - لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص11.

⁵ - حليلى بن شرقي، المرجع السابق، ص86.

بين الرائد السي لخضر بورقعة أن تأزم الوضع الثوري في الولاية الرابعة راجع لسبب المخطط العسكري المفاجئ لشارل ديغول الذي جاء في فترة كان فيها الثوار في حاجة ماسة إلى السلاح، خصوصا وأن الوفد الخارجي كان قد عجز عن الإمداد والتموين بسبب خطي شال وموريس اللذان تسببا في انقطاع الاتصال بين الداخل والخارج،⁽¹⁾ الأمر الذي دفع بقيادة الولاية الرابعة إلى تشكيل دوريات من مائة جندي للذهاب إلى المغرب وتونس لأجل قضية السلاح، لكن العملية فشلت بسبب مراقبة القوات الإستعمارية للثوار ومهاجمتهم بعدها، ولعل أكبر ضربة دفعتها الولاية الرابعة خلال هذه العمليات هي استشهاد العقيد أحمد بوقرة يوم 05 ماي 1960م بناحية المدية.⁽²⁾

قامت المصالح الفرنسية بممارسة الحرب النفسية والعمل السيكولوجي خاصة بعد إنشاء المكتب الخامس، الذي اهتم بمراقبة الحالة الذهنية والنفسية لكل من السكان والجيش الفرنسي، وحاول زرع وبث الشكوك في أذهان الثوار عن طريق المراسلات المزيفة والأخبار الكاذبة التي راح ضحيتها أحسن إطرارات الثورة وخاصة الطلبة،⁽³⁾ نتيجة لكثرة الشكوك وانتشار الإشاعات حول تواطئ قادة الثورة مع السلطات الفرنسية، وهو ما أدى بقائد الولاية الرابعة السيد أحمد بوقرة إلى تنصيب لجنة تصفية مست حوالي 486 جندي، وعرفت هذه الأزمة بمؤامرة الزرق، وتذكر بعض التقارير أنه حوالي 200 جثة وجدت في جبال الولاية الرابعة خاضة جبل بيصة واللوح، من بينهم 37 طالب كانوا من المناصرين لسلم الشجعان، الأمر الذي أكدته رجل المخابرات R. Trinquier مصرحا أن الجيش الفرنسي أسس جهاز استخبار قادر على العمل في مدة قصيرة، وهذا الجهاز يضم أحسن العناصر وأكفأهم من الجزائريين.

قامت نفس المصالح بمحاولة تهدئة الجو واحتواء السكان من خلال الفرق الإدارية المتخصصة، التي عملت على استمالة السكان وإقناعهم بضرورة الوقوف إلى جانب السلطات الفرنسية ومحاولة منعهم من الالتفاف حول الثورة التحريرية.⁽⁴⁾

¹ - لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص ص10، 11.

² - حليلي بن شرقي، المرجع السابق، ص88.

³ - قام النقيب (Hoeux) بإرسال برقيات مزورة إلى قيادة الولاية الرابعة فنتجت بذلك عنها عدة خلافات حادة بين قادتها، (للمزيد من المعلومات (للمزيد من المعلومات أنظر: مختار فيلاي، أساليب القمع والتعذيب الوحشي والحرب النفسية ضمن مخطط القضاء على الثورة الجزائرية، محاضرة أقيمت بمناسبة الملتقى الوطني الثاني للثورة، عن كتاب أحداث وتأملات، الجزائر، 1994م، ص ص88، 89).

⁴ - حليلي بن شرقي، المرجع السابق، ص90.

تحدث الضابط ومسؤول الإعلام بالولاية الرابعة لدى الرائد السي محمد تقيّة عن عمليات الجينيرال شال بالولاية الرابعة قائلا: "إن الوحدات التي تعرضت لأقل عدد من الضحايا هي الوحدات التي ذهبت إلى الولايات المجاورة، أو بكل بساطة إلى حيث لم يكن من المنتظر أن توجد أي في السهول مثل وادي الشلف وسهل متيجة⁽¹⁾

تسببت عمليات التمشيط في جبال الأطلس، والتي سميت "جوميل"، و"روبي"، و"كورون" (التاج)، و"إمرود" (الزمردة)، و"بيار بيرسيوز" (الأحجار الكريمة) بخسائر هائلة في صفوف جيش التحرير الوطني، وعلى غرار الولايات التاريخية الأخرى فقدت الولاية الرابعة عددا كبيرا من الجنود والمسؤولين.² استمرت عمليات التمشيط في الونشريس ثلاثة أشهر، وكان الجينيرالات ماسو وصالان وبيجار يديرون العمليات من طائرات الهليكوبتر، وعلى مدار سنة 1959م تم تمشيط كل الأطلس التلي من الغرب إلى الشرق شبرا شبرا، صرح ديغول في شهر أوت من نفس السنة قائلا: "مادمت حيا، لن يرفرف علم جبهة التحرير الوطني فوق أرض الجزائر".⁽³⁾

قرر الجيش الاستعماري محاربة الكتيبة الحمدانية بانتهاج استراتيجيتها الخاصة، المتمثلة في تنصيب الكمائن ليلا ونهارا تحت مسمى محاربتك بسلحك، وكان الحركي الذين يعرفون المنطقة جيدا يدلون رتل المشاة عبر طرق المضائق الجبلية والأودية لرصد تحركات جنود جيش التحرير الوطني، فكم من مرة طوقوا من طرف القوات الفرنسية على حين غرة في قطاع تمزغيدة وسيدي المدني ومعسكر Camps des chène ولولا أنهم كانوا متقنين لتلك المكائد وتجنبوها بفضل المسبلين الذين يترصدون أي حركة للعدو ليلا ونهارا، لكانت الكتيبة الحمدانية قد تم محيها نهائيا من التاريخ.⁽⁴⁾

استشهد المجاهد بوعلام مع اثنين من رفاقه في مثل هذه الكمائن "ببني زيوي"، وهو مسئول سياسي وعسكري للمنطقة، حيث تم القبض عليه وترصدهم عن طريق مراقبة العناصر المنعزلة في محاولة للإمساك بهم أحياء، لكنهم غالبا ما كانوا يصطدمون بمقاومتهم المستميتة، كما استشهد الممرض بن قوفة الحاج المنحدر من العطاف إثر كمين نصب له هو ورفيقه ساعد المنحدر من العفرون من طرف الحركي

¹ - صالح بلحاج، مخطط شال وآثاره في تطور حرب التحرير الوطني، مجلة المصادر، ع12، الجزائر، د.ت، ص183.

² - SHAT, Service historique de l'Armée de terre, Vincennes.

³ - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص ص 78 - 79.

⁴ - نفسه، ص88.

وحراس الإقليم أواخر سنة 1959م، أثناء إرسالهما في مهمة لاسترجاع أحد المصابين وعلاجه، أما رفيقه ساعد فقد نجا بأعجوبة.⁽¹⁾

تولى الرائد أحمد زعموم المدعو السي صالح⁽²⁾ قيادة الولاية الرابعة بعد استشهاد العقيد أحمد بوقرة، حيث عرفت الولاية في عهده مشاكل عديدة أثرت على مسيرة الكفاح المسلح، أهمها شغور محلي قيادة الولاية خاصة بعد خروج أمير أوصديق والرائد عز الدين إلى الخارج بالموازاة مع مشكل نقص الأسلحة واشتداد عملية الحصار، مما جعل قيادة الولاية الرابعة تعزم إلى عقد اجتماع في 14 جانفي 1960م ببوغار، للنظر في شؤون الولاية الرابعة على ضوء التجربة السابقة والأوضاع المستجدة، بحيث تم في الأخير تعيين أعضاء مجلس الولاية، فكان التنظيم الجديد كالآتي:

* العقيد السي صالح زعموم قائد الولاية الرابعة.

* الرائد محمد بونعامة نائبا عسكريا.

* الرائد لخضر بوشامة نائبا مكلفا بالاتصالات والاستعلامات.

* الرائد عبد الحليم نائبا سياسيا، كما تم ضم المنطقة الخامسة إلى الولاية الرابعة بعدما كانت تابعة للولاية السادسة، فضلا عن إرسال مبعوثين إلى الولايات الأخرى للنظر في شؤون قرارات اجتماع العقداء.⁽³⁾ سلمت الحكومة المؤقتة محضر اجتماع العقداء⁽¹⁾ في 12 مارس 1959م، واستمعت إلى شرح الرائد أمير أوصديق حول عملية التعذيب والتقتيل التي استهدفت إطارات الثورة خاصة في الولايتين الثالثة والرابعة نتيجة لنشاطات مكاتب العمل السيكولوجي والاستعلامات الفرنسية.

¹- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص 88.

²- السي أحمد زعموم: هو أحمد زعموم المدعو السي صالح، ولد يوم 29 نوفمبر بعين طاية، كان كاتباً ببلدية إغيل إيمولا أصبح عضواً في المنظمة الخاصة ومسئولاً عن بعض خلاياها بدلس وبغلية وذراع الميزان، أُلقي عليه القبض من طرف الشرطة الفرنسية ومُورس عليه التعذيب، ثم أُخلي سبيله سنة 1954م، شارك في التحضير للثورة وانطلاقها من منطقة القبائل مع كريم بلقاسم وأمر أوعمران، وحُكم عليه بالإعدام غيابياً، أصبح عضو مجلس قيادة الولاية الرابعة سنة 1956م، وفي سبتمبر 1957م عين نائبا للهواري بومدين لقيادة الأركان بالغرب بعدما ذهب إلى المغرب لكنه لم يلتحق بهذا المنصب، بسبب ذهابه إلى تونس لجلب السلاح والذخيرة للولاية الرابعة، باعتباره عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية آنذاك، وأصبح قائدا للولاية الرابعة بعد استشهاد العقيد أحمد بوقرة، عرفت الولاية الرابعة في عهده قضية ما يسمى قضية السي صالح زعموم، حيث التقى مع الجينيرال ديغول يوم 10 جوان 1960م، استشهد يوم 20 جويلية 1961م بناحية البويرة، (المزيد من المعلومات أنظر: Benjamin Stora : Dictionnaire biographie de militants nationalistes algériennes, ONA, PPA, MTL, 1954- 162, Ed : Harmattan, Paris France, 1985, p186).

³- لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص 12، 13.

مني اجتماع العقداء العشر بالفشل حسب الرائد لخضر بورقعة، وذلك لتراكم العديد من الأسباب أبرزها: تخلف الولاية الخامسة عن الحضور، عدم مشاركة الولاية الثانية مشاركة فعلية، غياب القيادة الخارجية عن الاجتماع، واستشهاد العقداء أعميروش، السي الحواس وأحمد بوقرة.⁽²⁾

لجأ الجنيرال شارل ديغول إلى البحث عن طريقة لإيجاد اتصالات محلية داخلية بعد الإعلان عن مشروع سلم الشجعان، والذي توج في الأخير بنتائج ملموسة ظهرت من خلال قضية السي صالح بن زعموم، والتي تعد إحدى القضايا الشائكة التي عرفت الثورة في سنواتها الأخيرة، وهي لجوء السي صالح قائد الولاية الرابعة رفقة مساعديه إلى الاتصال بالسلطات العليا الفرنسية من أجل التفاوض لتسوية القضية الجزائرية، فكان موعد لقاء الجنيرال ديغول مع السي صالح يوم 10 جوان 1960م بقصر الإليزي، وعرفت هذه القضية بقضية "تلسيت"، والتي انتهت في الأخير بالفشل لأسباب لازال يكتنفها الغموض لحد الآن.⁽³⁾

تكاثفت جملة من الظروف الداخلية والخارجية الخطيرة حول الثورة في الولاية الرابعة، فجعلت هذه الأخيرة تفكر في تسوية القضية الجزائرية بشكل إنفرادي، وعلى رأسها: خروج لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج بعد إضراب 1957م، إنقطاع الاتصال بين الولاية الرابعة والقيادة في الخارج ووجود شكوك نحو نواياهم خاصة بعد إغتيال عبان رمضان، عدم دخول جيش التحرير الموجود على الحدود إلى الداخل بعدما نص على ذلك اجتماع العقداء في ديسمبر 1958م، بالإضافة إلى أزمة السلاح وخطورة العمليات

¹ - اجتماع العقداء العشر: عقد اجتماع العقداء في الفترة الممتدة ما بين 06 و 12 ديسمبر 1958م بالولاية الثانية من طرف قادة الداخل، كان صاحب الدعوى العقيد أعميروش قائد الولاية الثالثة، حضر كل من العقيد عبيدي الحاج لخضر قائد الولاية الأولى، العقيد بن عبد الرزاق المدعو السي الحواس قائد الولاية السادسة والعقد بوقرة، في حين لم يستجب للدعوى العقيد لطفي قائد الولاية الخامسة، واعتذر عن المشاركة العقيد علي كافي قائد الولاية الثانية، أُرسل محضر الاجتماع إلى الحكومة المؤقتة بواسطة الرائد عمر أوصديق، وتضمن هذا المحضر نقدا للطريق الذي تم به تأسيس الحكومة المؤقتة، ولتقاعسها وتهاونها في عملية جلب السلاح التي توقفت نهائيا بعد إنشاء خطي شال وموريس، فضلا عن الإشارة إلى ضرورة العودة إلى مبادئ مؤتمر الصومام لاسيما منها مبدئي أولوية الدخول على الخارج والقيادة الجماعية، وضرورة وضع خطة موازية للقضاء على استيراتيجية الجيش الفرنسي فيما يخص خطي شال وموريس، للمزيد من المعلومات، (أنظر: محمد عباس، ثوار عظماء، المرجع السابق، ص232).

² - حليلي بن شرقي، المرجع السابق، ص93.

³ - نفسه، ص94.

التي نفذت من خلال مخطط شال العسكري، الأمر الذي اعتبره قادة الجيش الفرنسي إقرارا بهزيمة الثورة في الولاية الرابعة.⁽¹⁾

يفند العقيد يوسف الخطيب هذا القول بتصريحه التالي: "إن قادة الولاية الرابعة لم يريدوا التفاوض مع السلطات الإستعمارية كما يروج عنهم، بل طلبوا من الجينيرال ديغول الاتصال بالمساحين والحكومة المؤقتة للتفاوض، أما عن إلقاء القبض على مساعدني السي صالح وإعدامهم فلم يكن بسبب الخيانة وإنما بسبب عدم الانضباط وعدم استشارتهم لبقية القادة، فكان هذا التصرف بهدف أن يكونوا عبرة لغيرهم، وكذلك خوفا من تمردهم، فلو كان السي صالح ورفقائه فعلا خونة لسلموا أنفسهم إلى السلطات الإستعمارية"، وهذا التصريح يؤكد كلاً من الرائيين لخضر بورقعة ويوسف بن خروف والنقيب السي مراد.⁽²⁾

يذكر فرحات عباس أن المقابلة التي تمت بين الطرفين كان يهدف من خلالها الجينيرال شارل ديغول إلى ضرب وحدة الصف الجزائري، أما عن السي صالح فقد أرسل إلى الحكومة المؤقتة في الخارج ليحاكم هناك لأنه عضو مجلس الثورة، وخلال الطريق استشهد بالولاية الثالثة برصاص الجيش الفرنسي ناحية البويرة يوم 20 جويلية 1961م.⁽³⁾

شكل أمحمد ونعامة مجلسا تنفيذيا عسكريا مكونا من قادة جدد لمواجهة الجيش الفرنسي، حيث أصدر منشورا أعلن فيه عن تشكيل هذا المجلس الجديد، وأرسله إلى الحكومة المؤقتة متكونا من: بلقاسم هني قائد المنطقة الأولى، يوسف الخطيب قائد المنطقة الثالثة، يوسف بن خروف قائد المنطقة الرابعة، وإلياس قائد المنطقة الخامسة.⁽⁴⁾

¹ - أرسل السي صالح كلا من لخضر بورقعة والسي عبد اللطيف إلى القيادة في الخارج لتبنيها بخطر الوضعية التي يتخبط فيها ثوار الولاية الرابعة، وفي طريقهما إلى هناك سمعا بأن الحكومة المؤقتة عينت الرائد عمر أوصديق المدعو السي الطيب سفيرا لها في الصين، وهو الأمر الذي لم يقبله قائد الولاية الرابعة، بعدما أرسلوا هذا الأخير والرائد عز الدين إلى القيادة في تونس لينالا عقابهما بسبب تورهما في مؤامرة حصلت في الولاية الرابعة، وهكذا بدأت الشكوك تراودهما حول القيادة في الخارج، (للمزيد من المعلومات أنظر: مذكرات النقيب السي مراد، عبد الرحمان كريمي: **ومنهم من ينتظر**، تحرير، الجيلالي حلفي، الجزائر: دار الأمة، 2005م، ص ص 128، 129).

² - حل محمد بنوعامة مجلس الولاية وعين لجنة عسكرية للتعاون والتنفيذ (CMCE) برئاسة، وفي 22 جويلية أعدم لخضر بوشامة في 11 أوت أعدم عبد اللطيف (عثمان محمد بوطلي)، وفي نهاية سبتمبر أوبداية أكتوبر حكم على عبد الحليم، (للمزيد من المعلومات أنظر: يوسف الخطيب، المرجع السابق، ص ص 21، 22).

³ - حليلي بن شرقي، المرجع السابق، ص 96.

⁴ - يوسف الخطيب، المرجع السابق، ص 22.

تحول العمل الثوري في الولاية الرابعة إلى اصطدامات مستمرة ومواجهات عنيفة ومعارك ضاربة شهدتها مدينة الجزائر، وجبال الزيرير وبوزقزة ومضايق العفرون وجبال الونشريس والظهرة ومرتفعات الأطلس البليدي والتلي، وصولاً إلى كابلاب ومنطقة أسوفلات وغيرها من المدن والقرى.

امتد العمل الثوري بشقيه السياسي والعسكري في أواسط الشعب الجزائري، ولتحقيق هذا الغرض اتخذت الولاية الرابعة إستراتيجية جديدة تناسب الوضع الجديد الذي آلت إليه،⁽¹⁾ -خاصة وأن السلطات الفرنسية كانت ترفع شعار "التهدة" مستعملة وسائل دعائية قصد تثبيط معنويات الشعب وإبعاده عن الثورة-، فاعتبرت العمل العسكري مكمل للتنظيم السياسي الذي يعبئ مختلف الإمكانيات واستغلالها في العمل المسلح، خصوصاً وأن الولاية الرابعة اعتمدت على الفئات الشعبية لتموينها وتدريب فرقها وحصولها على الأسلحة خاصة بعد غلق الحدود وتوقيف البعثات والدوريات تجاه الشرق والغرب.⁽²⁾

حاولت قيادة الولاية الرابعة إيجاد خلايا سياسية تابعة لجبهة التحرير الوطني على مستوى كل المناطق والنواحي والأقسام التابعة للولاية بغية التحكم الجيد في تسيير الثورة، وعلى إثر هذا قامت بإحداث عدة تغييرات تخص التنظيم الهيكلي للولاية، فقامت بإنشاء منطقة خامسة تضم الشريط المحاذي للولاية السادسة، ويشمل نواحي قصر البخاري، وعين بوصيف وسيدي عيسى وسور الغزلان جنوباً، وكلفت هذه المنطقة بالإضافة إلى عملها العسكري العادي إلى التنسيق مع الولاية الثالثة عبر ناحية الأخضرية، وإنشاء قاعدة خلفية لجيش التحرير الوطني في مناطق الديرة، بوقعدون، الكاف لخضر لتخفيف ضغط مخطط شال على الونشريس والأطلس البليدي وتابلان.

قامت الولاية الرابعة أيضاً باستحداث منطقة سادسة خاصة بمدينة الجزائر، التي فرض عليها الجيش الفرنسي حصاراً شديداً بعد إضراب الثمانية أيام، وهو الأمر الذي صعب مهمة جيش التحرير فيها، إلا أن موقعها الجغرافي في قلب الولاية الرابعة دفع بقيادة هذه الولاية إلى تغطية الفراغ الناتج عن تفكيك نظام المنطقة الحرة التي كانت خاضعة له، وقسمت إلى ناحيتين، كل ناحية تضم ثلاثة أقسام، فالناحية الأولى تضم مدينة الجزائر الكبرى، والناحية الثانية تضم جزءاً من الساحل وجزءاً من متيجة، بحيث تمتد من وادي الحراش حتى واد مزفران غرباً ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الأطلس البليدي جنوباً،

¹ - السي أمحمد بونعامة، دليل الفدائي، تقرير شهيد لشهيد، جريدة الشعب، الجزائر، 16 و19 و20 جانفي 1985م.

² - حليلى بن شرقي، المرجع السابق، ص 97.

ممتدة من وادي موسى حتى وادي حمام ملوان، فتمكنت بذلك جبهة التحرير الوطني من إعادة نشر نظامها في المنطقة الحرة وتخفيف الضغط على المناطق الأولى والثانية والخامسة.⁽¹⁾

دفعت الولاية الرابعة بالعمل الثوري إلى الأمام من خلال دور المحافظ السياسي⁽²⁾ وتوسيع صلاحياته، بصفته همزة وصل بين جبهة التحرير الوطني والشعب الجزائري، كما مس التغيير طرق التموين ومصادره، فعكفت الولاية الرابعة على الإكثار من المخابئ التموينية المزودة بالمواد الغذائية والصحية، حتى يتمكن جيش التحرير الوطني من الصمود لفترة أطول، تحولت إلى مخابئ بالمناطق المحرمة ومخابئ بالتجمعات السكنية تستعملان لتنفيذ مهام عسكرية يقوم بها الأفواج،⁽³⁾ أما في الأماكن السكنية الكبرى كالشلف والمدينة والبليدة والجزائر فقد طبقت فيها سياسة التكتم التام لنشاط جبهة التحرير الوطني، وفرضت الأسماء الحربية بدل الأسماء الحقيقية وعدم الإكثار من التحركات، والامتناع عن وضع الإعلانات والبيانات في الأماكن التي توجد بالقرب من المخابئ تجنباً لعمليات التمشيط التي كان يقوم بها الجيش الفرنسي، وهذا النظام ازدادت أهميته بعد سنة 1959م.

لجأت القيادة في الولاية الرابعة إلى عدد كبير من المجاهدين والفدائيين في المدن والقرى، وذلك لتدمير البنية التحتية للسلطات الفرنسية من جهة ولرفع معنويات الشعب الجزائري من جهة أخرى، كما حاولت الاتصال ببعض الحركى والقومية ولاسيما فرق الدفاع الذاتي في بعض القرى لإقناعهم بالانضمام إلى الثورة، أو على الأقل إثنائهم من عملهم في الجيش الفرنسي، في الوقت نفسه عمدت إلى تكتيك جديد يخص توزيع الوحدات وتصغير حجمها مع تطبيق حرب العصابات المناسبة لمواجهة ترسانة عسكرية ثقيلة، وهو الوضع الذي فرض على الولاية الرابعة حيث تعتمد على استيرتاجية تقتضي التواجد في كل

¹ - حليلى بن شرقي، المرجع السابق، ص 98.

² - أسندت مهمة المحافظ السياسي لذوي الكفاءات في الميدان السياسي والتسيير، تهدف إلى توعية الجماهير وتنظيم الاتصالات والأخبار، وتجنيد الشباب في صفوف جيش التحرير والإشراف على جمع الأموال وتنظيم الحالة المدنية والصحية، كما نصت مهمته على تدعيم خلايا الثورة بأفواج من الفدائيين والمسلحين، بالموازاة مع شرح أهداف الثورة وإبراز البعد الروحي والحضاري للمجتمع الجزائري، والتصدي للحملة الدعائية التي كان يقوم بها ساسة الجيش الفرنسي في إطار مشروع الحرب النفسية، الأمر الذي ساهم في إبقاء فعالية الكفاح المسلح واستمراره في الولاية الرابعة، مع العلم أن دور المحافظ السياسي لم يكن منفصلاً عن دور القائد العسكري بل كان يحمل رتبة عسكرية سامية (عقيد، رائد)، ويشرف على الشؤون العامة بدائرة مسروليته، وبالتالي حافظت هذه الإزدواجية في المهام على وحدة القرار وعدم تضارب الآراء، (المزيد من المعلومات أنظر: عبد العزيز وعلي، دور المحافظ السياسي في ثورة التحرير، مجلة أول نوفمبر، ع 85، جويلية، الجزائر، 1987م، ص ص 48، 49.

³ - الأخضر بوطمين، نظام المخابئ وأهميته أثناء الثورة، مجلة أول نوفمبر، ع 130 و 131، الجزائر، 1991م.

مكان وزمان لإجبار الجيش الفرنسي على تشتيت قواته، من خلال ضرب المراكز المعزولة وتحطيم المنشآت القاعدية والاقتصادية، عن طريق عنصر المفاجأة من خلال توجيه ضربات خاطفة وسريعة مع إقامة كمائن مضمونة النتائج،⁽¹⁾ من خلال تطبيق حرب العصابات التي تتطلب تصغير الوحدات حتى يسهل تموينها وتغطيتها، كما أمرت القيادة إخراج المعطوبين والعنصر النسوي وجميع من لا يقدر على الكر والفر والصبر على المشاق إلى الحدود الشرقية والغربية.

قررت قيادة الولاية الرابعة الانسحاب من الجبال محط أنظار الجيش الفرنسي إلى السهول والمدن وضواحيها، الأمر الذي جعل الولاية تقلص حجم خسائرها البشرية، مجسدة استراتيجيتها في مواجهة الجيش الفرنسي عن طريق فرض التوازن، وضمنت سير الآلية الثورية بالتنسيق بين السياسي والعسكري والتتقل بين الولايات.⁽²⁾

¹ - لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص ص25، 26.

² - حليلى بن شرقي، المرجع السابق، ص102.

ثالثاً - الحركات المناوئة:

قام القادة الفرنسيون بخلق حركات مضادة للثورة⁽¹⁾ في إطار الحرب المضادة للحرب الثورية شكلوها من الجزائريين، البعض منها أطره ضباط فرنسيون والبعض الآخر وضعت تحت رقابة خفية لعناصر المصالح الخاصة ولكن قادتها كانوا من الجزائريين،⁽²⁾ حيث استند سوستال بخبرة نخبة القيادة العسكرية الفرنسية، بعد أن شرع في استقدام أشهر جينرالات وعقلاء الجيش الفرنسي من أمثال: سالان وبارلانج وفانوكسام ودوكونو من أجل الإسراع لوضع ترتيبات عسكرية ومخططات ومشاريع لإفشال حركة التمرد في الجزائر على حد تعبيرهم قبل استفحالها، وتصفية التمرد قبل أن يبلغ مرحلة التبويض على حد قول بارلانج نفسه.⁽³⁾

بدأت المكتب الخامس⁽⁴⁾ للجيش الفرنسي بتشكيل المجموعات المضادة والمناوئة للثورة الجزائرية ابتداء من عام 1955م، وإذا كانت عملية الطائر الأزرق⁽¹⁾ في منطقة القبائل قد فشلت فشلاً ذريعاً

1- الحركات المناوئة: لا نقصد بالحركات المناوئة للثورة تلك التي تتعلق بفرق "الحركة" ومجموعات الدفاع الذاتي أو المخازنية، أو المجموعات المتنقلة للحماية الريفية أو فرق القومية، لأن هذه التشكيلات كانت ملحقة بشكل علني ومكشوف بالجيش الفرنسي، ولم يكن هذا الأمر خافياً على أحد، وإنما يتعلق الأمر بمجموعات تبدو مستقلة ومعادية للفرنسيين، وتتظاهر بالدفاع عن التطلعات الوطنية، ولهذا اختارت دوائر الاستخبارات الفرنسية لقيادتها عناصر يعتقد السكان المسلمون أنها وطنية ملتزمة، كحركة بلونيس التي روج أنها تمثل إرادة مصالي الحاج، لاستثمار شعبية هذا الأخير لدى الجماهير المسلمة، وأحركة بلحاج الجيلالي عبد القادر العضو القيادي السابق في المنظمة الخاصة التابعة لحزب الشعب الجزائري، وفي الوقت نفسه كانت تحارب جبهة التحرير الوطني بدون هوادة وتضلل منتسبيها، زاعمة أنها تفعل ذلك لأن الجبهة مشكلة من عناصر إنتهازية أو شيوعية أو غير ذلك من الأقاويل، وهي بالضبط المهمة التي كلفت بإنجازها من قبل السلطات الفرنسية المختصة، (لمزيد من المعلومات أنظر: رمضان بورغدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول (1958م-1962م) -سنوات الحسم والخلاص-، الجزائر: منشورات بونا للبحوث والدراسات، 2012م، ص ص 127-128).

2- رمضان بورغدة، المرجع السابق، ص 127.

3- سعاد يمينية شبوط، الولاية الرابعة في مواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية (1954م-1962م)، الجزائر: دار الهدى، 2015م، ص 162.

4- المكتب الخامس: أنشأت وزارة الدفاع الفرنسية على مستوى قيادة الجيش الفرنسي بالجزائر في شهر مارس من عام 1956م مصلحة للعمل النفسي الإعلامي على عهد بورجوس مونوري، وعين القائد روشروي رئيساً لهذه المصلحة، حيث حددت مهامها في الإشراف على التكوين والإعلام وتدعيم مختلف الوحدات القتالية للجيش الفرنسي الموجودة بالجزائر، والتكفل بإدارة وتوجيه العمل النفسي الموجه للجزائريين وفصائل جيش التحرير الوطني، وفي شهر جانفي من عام 1957م تحول اسم هذه المصلحة إلى اسم "المكتب الخامس"، يخضع لأوامر القائد الأعلى للجيش الفرنسي بالجزائر، وتتمثل صلاحياته في الإشراف على كل ما يتعلق بالتهدة والقضايا الجزائرية، كما اختيرت مدينة الجزائر لتكون مقراً لهذا المكتب بالموازاة مع إنشاء عدد من المكاتب موزعة حسب التقسيم العسكري الفرنسي للبلاد، (لمزيد من المعلومات أنظر: الغربي

ومكنت جبهة التحرير الوطني من التزود بعدد هائل من الأسلحة، فإن حركات الباشا آغا بوعلام وبلونيس والسي الشريف العربي بن سعيدي قد شكلت تحديا خطيرا لجبهة التحرير الوطني، وتسبب الصراع معها بغرض تصفيتيها في تبديد طاقات كبيرة، كانت الثورة في أمس الحاجة إليها لمواجهة الإمكانات الهائلة التي جندتها السلطات الاستعمارية للقضاء عليها بل خلفت نتائج مأساوية أثرت بشكل كبير على مسار الثورة التحريرية في الولاية الرابعة التاريخية.⁽²⁾

أ. حركة بلحاج الجيلالي المعروفة بحركة بلحاجيست أو "Kobus":

اتفق بلحاج الجيلالي⁽³⁾ عبد القادر مع أحد محافظي الاستخبارات الفرنسية المسماة مديرية مراقبة الإقليم (D.S.T) على تكوين حركة مضادة للثورة لمحاربة جيش التحرير الوطني في منطقة الشلف (Orléansville)، وأصبح بلحاج الجيلالي يحمل الاسم الحربي كوبيس، وهو تحريف للكلمة العربية:

الغالي، فرنسا والثورة الجزائرية (1954م-1958م) -دراسة في السياسات والممارسات-، الجزائر: دار غرناطة، 2009م، ص، ص 03، 159، 160).

¹⁻ عملية العصفور الأزرق (Opération l'oiseau bleu): هي عملية قام بها الجيش الفرنسي بهدف خلق مقاومة مزيفة وهي القوة (ك- K) عن طريق تجنيد 300 مجاهد مزيف حدثت في ربيع 1956م، أحبط كريم بلقاسم علما بها من طرف أحد مفتشي إدارة أمن الإقليم (DST) ويدعى أوسمر، فأذن بالعملية تحت إشراف محمد يازوران والعقيد السعيد، ليعتقد الجيش الفرنسي فيما بعد أنه يتعامل مع مجاهدين مزيفين، في حين أنه كان يسلح في مجاهدين حقيقيين من خلال تسليمهم 400 قطعة سلاح حربي و400 بندقية صيد، واجهت القوة -K- قوات الجيش الفرنسي من خلال اشتباك وقع بينهما، فأطلقت النار على الجنود الفرنسيين ثم اختفت في الجبال، فوقعت المصالح الخاصة الفرنسية في موقف مضحك قرروا بعدها الانتقام عبر تدبير عملية لابلويت الشهيرة، (للمزيد من المعلومات أنظر: عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، تر، عالم مختار، الجزائر: دار القصة، 2007م، ص227).

²⁻ رمضان بورعدة، المرجع السابق، ص128.

³⁻ بلحاج الجيلالي المدعو كوبيس: ولد بلحاج الجيلالي عبد القادر عام 1921م في منطقة مليانة، ينحدر من أسرة تملك أراضي فلاحية، كان أبوه ضابطا احتياطيا في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد دراسة جيدة أصبح عبد القادر أمين بلدية مختلطة، لينضم بعد ذلك كعضو قيادي إلى الذراع العسكري السري لحزب الشعب الجزائري (المنظمة الخاصة)، حيث كلف بالإشراف على التكوين العسكري لعناصر المنظمة، غير أنه أُلقي عليه القبض عام 1950م بعد اكتشاف أجهزة الأمن الفرنسية للمنظمة الخاصة، ورغم الاعترافات المهمة التي أباح بها للمحققين الفرنسيين إلا أنه حكم عليه بثلاث سنوات سجن نافذا فقط، ليطلق سراحه قبل استئناف العقوبة بعد أن وافق على التحول إلى مخبر الشرطة تحت إسم "André" ضمن التنظيم المضاد لجبهة التحرير الوطني والذي شكله بالاتفاق مع أجهزة الأمن الفرنسية، مقنعا أصدقائه القدامى بأنه لم يكشف للشرطة الفرنسية المعلومات الثمينة الخاصة بمصلحة الاستعلامات التابعة للمنظمة الخاصة، إلا أنه في واقع الأمر كان قد أخبر مدير الأمن في الجزائر الوالي Jean Vaujour باحتمال قيام ثورة في الجزائر شهر نوفمبر من عام 1954م، (للمزيد من المعلومات أنظر، رمضان بورعدة، المرجع السابق، ص 129).

كابوس أي مسدس،⁽¹⁾ وهو الاسم الرمزي الذي أطلقه المكتب الثاني للجيش الفرنسي بالجزائر العاصمة عليه،⁽²⁾ وكان له بعض الأصدقاء المسلحين في هذه المنطقة التي حاول فيها الحزب الشيوعي الجزائري التنافس مع الحركة الوطنية ولكن محاولاته آلت بالفشل.

تم وضع مشروع دعم معقل كوبيس تحت الإشراف المباشر للمصالح الخاصة الفرنسية التي عينت على رأس 200 جندي ضابطا من ذوي الخبرة في الحرب النفسية والاستعلامات، حيث كان بلحاج الجيلالي على اتصال بالقوات الفرنسية مع Henti / cd قائد فرقة الحركى على مستوى منطقة بني بودوان، والذي كلف بأربعة مهام رئيسية وهي: احتواء عقل كوبيس ومنع أية صدامات مع فرق القومية التي كان يقودها الباشاغا بوعلام في منطقة بني بودوان في الشلف بالإضافة إلى تفعيل العمل السيكولوجي في صفوف إطارات كوبيس وتقديم عروض للتجنيد والتسليح والدعم،⁽³⁾ كما كان أيضا على تواصل مع Cap/Conille de la SAS de Lamartine وبلغ عدد قواته مع مطلع سنة 1957م حوالي 400 شخص حسب كما ذكره الكولونال H. Le Mire في كتابه التاريخ العسكري لحرب الجزائر، كما يضيف لومبير قائلا: "أنه في شهر ماي 1957م قام كوبيس بتقديم فرقته إلى Lieutenant Heux، وكانت مفاجأة كبيرة لهذا الأخير الذي اندهش من العدد الكبير لجيشه،⁽⁴⁾ الذي استطاع أن يجنده في فترة وجيزة، بعد أن استقدم العديد من شباب الأحياء الغربية للعاصمة كالشراقة وبئر خادم الذين انضموا إليه بتغريير من دعاية مضللة جعلتهم يعتقدون أنهم كانوا يلتحقون بجيش التحرير الوطني، كما نجح في مغالطة الكثير من المناضلين في نواحي الشلف، والأصنام، على اعتبار أنه سجين سياسي قديم ومناضل في الحركة الوطنية، فأوقع الكثير في شركه وجندهم في صفوفه مدعيا أنه سيصنع منهم النواة الصحيحة لثورة التحرير، تآزره ماديا ومعنويا أجهزة الاستخبارات الفرنسية.⁽⁵⁾

1- سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص169.

2- مصطفى بن عمر، الطريق الشاق إلى الحرية، الجزائر: دار هومة، 2007، ص222.

3- سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص169.

4- عبد العزيز بوكنة، المعالجة السياسية والعسكرية لبعض الحركات المناوئة للثورة التحريرية، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجيات الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البليدة يومي 24-25 أفريل 2005م، وزارة

المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص182.

5- لخضر بورقعة، المرجع السابق.

استفاد كوبيس من انضمام الحركى والقومية إلى صفوفه بتشجيع من الجيش والسلطات الفرنسية، التي طلبت من الباشاغا بوعلام إمداد كوبيس بمجموعة من المقاتلين قدرت بـ 150 فردا من الحركى الذين كان يشرف على قيادتهم النقيب هانتيك.⁽¹⁾

قدم الفرنسيون 300 بندقية ومسدس رشاش أشرف على تقديمها النقيب هانتيك عضو سابق في فيلق الصدمة 11، الذي كلف من طرف قيادة الجيش الفرنسي في العاصمة بمتابعة تطور معقل كوبيس، فأصبح هذا الأخير يضم أكثر من 400 رجل منتشرين في نواحي عين الدفلى وخميس مليانة والعطاف وحتى ضواحي واد الفضة.

ارتفع تعداد رجال كوبيس من ربيع 1957م إلى غاية شهر أوت من نفس السنة إلى مايقارب 600 رجل، واستفاد من دعم عسكري فرنسي بأسلحة ثقيلة وعربات، وفي المقابل طلب منه الفرنسيون رفع العلم الفرنسي في معاقله وفرض لباس عسكري وقبعات خضراء لجنوده من أجل تمييزهم عن الثوار، كما طلبوا منه إخضاع رجاله للتكوين العسكري على يد الخبراء الفرنسيين في حرب العصابات.⁽²⁾

تم تنفيذ اللمسات الأخيرة لعملية تصفية كوبيس في 28 أبريل 1958م، فاء أحداثها حسب الرواية الفرنسية كما يلي: في ظهيرة يوم 28 أبريل 1958م عاد كوبيس من العاصمة على الساعة الثالثة والنصف دقيقة، أين صادف انعقاد اجتماع لهيئة قيادة معقلة في مدينة العطاف، وبمجرد استعداده لركوب سيارته قام أحد مساعديه وهو إسماعيل رشيد رباب المدعو عبد المجيد بإطلاق النار عليه وتصفيته، ثم تبعتها عملية تصفية الـ 22 من ضباطه والمساعدين الموالين له.

التحق معظم رجال كوبيس بوحدات جيش التحرير الوطني للولاية الرابعة بأوامر من الإطارات التي قامت بتصفية كوبيس، أين تم تقسيمهم إلى مجموعات من عشرين فردا وتوزيعهم على نواحي ومناطق مختلفة، وتمت تصفية عدد من قادة تلك المجموعات خشية انقلابهم على جيش التحرير الوطني، ووفق ذات الرواية فإن كتيبة واحدة فقط من جيش كوبيس مشكلة من 150 رجل بقيادة النقيب زروقي رفضت الالتحاق بجيش التحرير الوطني.⁽³⁾

أوكلت مهمة القضاء على حركة البلحاجسيات حسب الرواية الجزائرية لكل من أحمد بوقرة قائد الولاية الرابعة وعمر أوصديق وقائد كوموندوس علي خوجة الرائد عز الدين بصحبة أحمد بن شريف قبل سفره

¹ - سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص 170.

² - نفسه، ص 172.

³ - نفسه، ص ص 175 - 176.

إلى تونس، بالإضافة إلى محمد بونعامة وفرقة كوموندوس جمال ورشيد بوشوشي، والملاحظ على أن هذه التشكيلة أنها تشكلت من سياسيين وعسكريين، تمحور هدفهم فيما يلي:

* القضاء على بلحاج الجيلالي عبد القادر وتصفيته جسديا حتى وإن كان اغتياله من قبل أقرب مساعديه، لأنه أدين بالخيانة العظمى، كما قيل عنه بأنه كان اختصاصيا في المراوغة والخيانة، كما قال عنه Yves courier: "لقد كان إنسانا سيئا جدا وكذابا".

* مصير جنود بلحاج الجيلالي وأسلحتهم وعتادهم الحربي بعد القضاء عليه.

* كيفية التشرف مع الضباط الذين كانوا في جيش البلحاجيست، حيث يرى الرائد عز الدين أن عددهم بلغ سبعة عشر ضابطا، أما المؤرخ الإنجليزي أليستر هورن فيرى أن عددهم بلغ اثنان وعشرين ضابطا، كما طرحت عليهم قضية مبدئية جاءت في أرضية الصومام، وهي في حالة التحاق مواطنين جزائريين بجيش التحرير الوطني والفارين من قوات العدو الفرنسي يحق لهم الاحتفاظ برتبهم العسكرية، لكن كانت معالجة هذا العدد كانت قاسية جدا، حيث تم إعدامهم جميعا من قبل قادة الولاية الرابعة، بما في ذلك الضباط الثلاثة الذين تعهدوا لقادة الولاية بتصفية بلحاج الجيلالي عبد القادر على أيديهم والذين كان من بينهم اسماعيل رشيد رابح.⁽¹⁾

ب- حركة بلونيس:

تطلق الكتابات التاريخية الفرنسية تسمية "عملية شجرة الزيتون" على قضية أو تجربة بلونيس⁽²⁾ في الفترة الممتدة ما بين (1956م-1958م)، وهي الفترة التي شهدت التحالف الخطير بين بلونيس وأتباعه مع الجيش الفرنسي في مواجهة جبهة وجيش التحرير الوطنيين، وتشكل تطورات هذه العملية فصلا من أهم فصول المشروع الاستعماري الرامي إلى خلق معازل مضادة للثورة في المناطق التي كانت تسعى إلى

¹ - عبد العزيز بوكنة، المرجع السابق، ص 185.

² - محمد بلونيس: ولد محمد بلونيس أو محمد بن لونيس سنة 1912م برج منايل، ينحدر من عائلة ثرية، التحق في صغره بالمدرسة الابتدائية الفرنسية، كانت ثقافته جزائرية محضة ولم يكن متبعا بالثقافة الفرنسية، كان مناضلا في صفوف حزب الشعب الجزائري، ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أدخل السجن سنة 1947م، ولوحظ عليه أنه كان ذا علاقة وطيدة برئيس البلدية الفرنسي الذي كان يتردد عليه كثيرا داخل السجن، وعندما أطلق سراحه تنقل إلى فرنسا ومكث بها إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية 1954م، عين نائبا لرئيس بلدية برج منايل سنة 1955م، وفي الوقت نفسه عهد إليه مصالي الحاج بقيادة المجموعات المسلحة المشكلة لجيش تحرير الشعب الجزائري، (للمزيد من المعلومات أنظر: إبراهيم لونيبي، الجناح العسكري للحركة الوطنية الجزائرية "حقيقة وأهداف"، أعمال الملتقى الوطني حول استيراثية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البليدة يومي 24 - 25 أبريل 2005م، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007م، ص ص 38-39).

الانتشار فيها كالولاية السادسة، وحتى تلك التي كانت تمثل بؤر ثورية نشيطة كالولايتين الثالثة والرابعة، وامتدادا للاتصالات التي تمت بين بلونيس والسلطات الاستعمارية قبل سنة 1956م، جرت اتصالات أخرى في 31 ماي 1957م في بني يلماح بضابط المخابرات الذي قدم من الجزائر العاصمة لهذا الغرض، وقد تمخض عن هذا اللقاء جملة من نقاط الاتفاق بين الطرفين تمثلت فيما يلي:

* محاربة جبهة التحرير الوطني والعمل على كشف خلاياه وطرق تموينها.
* تنفيذ مختلف العمليات تحت إشراف مصالح المخابرات الفرنسية وتسييرها المباشر بمساهمة ضباط لاصاص.

* وضع وحدات كوموندوس فرنسية خاصة في حالة استعداد دائم للتدخل عسكريا إلى جانب حركة بلونيس، وتزويد هذه الوحدات بأجهزة اللاسلكي ووسائل النقل، وتسليحها بأسلحة أمريكية الصنع للتضليل والتمويه.⁽¹⁾

* إنشاء شبكة مخابرات تتولى تزويد السلطات الاستعمارية بالمعلومات عن طرق جيش التحرير وتنظيماته وخلاياه في المدن والأرياف والعمل على القضاء عليها.
* تحديد منطقة نشاط هذه الحركة.⁽²⁾

ب-1- العلاقة بين جيش تحرير الشعب الجزائري وحركة بلونيس:

كانت مصالح الأمن الفرنسي تتابع باهتمام هذا النمو المتوازي الخلفي بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية سواء داخل الجزائر أو في فرنسا، مع احتمال احتدام التنافس بين الحركتين وتحوله إلى مواجهة مسلحة، فكان من البديهي أن تفكر في استغلال ذلك بكيفية أو بأخرى، ولما أدركت الحكومة الفرنسية ومصالحها البوليسية الفائدة التي يمكن أن تجنيها من الشقاق بين الوطنيين جبهة التحرير والحركة الوطنية، عملت كل ما في وسعها لإعطاء النزاع بين مصالي والجبهة أبعادا دولية، وحرصت على إبقاء سير الحركة الوطنية حتى بعد تفككها بهدف استغلالها وفق ما يخدم مصالحها، كما

¹- مبروك غريس، الياس نايت قاسي، حركة بلونيس المناوئة للثورة في الولاية السادسة التاريخية (1957م-1958م)،

مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج09، ع2022، 01، 311.

²- نفسه، ص312.

أصدرت جبهة التحرير الوطني تعليمات وأوامر تقضي بضم كل التشكيلات والفئات لجبهة التحرير الوطني وتصفية كل من يسلكون طريقا مضادا لها.⁽¹⁾

تأسس جيش تحرير الشعب الجزائري في مطلع سنة 1955م حيث عهد مصالي الحاج قيادته إلى محمد بلونيس، حيث تجند تحت لوائه أنصار مصالي الحاج في الجزائر، لتظهر وحدات هذا الجيش في بداية الأمر على حدود المنطقتين الثالثة والرابعة، وبعد تضيق الخناق عليها بشكل محكم من طرف قوات جيش التحرير الوطني داخل هاتين المنطقتين فرت الوحدات المتبقية بقيادة بلونيس إلى الولاية السادسة،⁽²⁾ وحول هذا الصدد يقول أعمار أوعمران: "لكن سرعان ما ما انكشف لنا وجه مصالي الحقيقي على ضوء النزاع المعروف، وانكشف القناع عن مضادي الثورة ومعاوني العدو، فلقد قابل مصالي الحاج الوزير المقيم لأكوست في الوقت الذي أوشكت فيه ثورتنا أن تبلغ أهدافها العاجلة ألا وهي استقلال الجزائر، وكان قبل ذلك في تنقلات استجمامية فاخرة وأخرى أفخر منها، يخفره بعض الموالين المجاذيب، وكل ذلك في ظهور وجاهر وتحت رعاية الحكومة الفرنسية وعطفها، وكان الوالي العام السابق سوستيل قال قبل ذلك للأستاذ ماسنيون: إن مصالي هو اللعبة الأخيرة التي بقيت بيدي"، وبرع مصالي بالأمس في فن التفرقة بين صفوفنا وهو يوجه مباشرة للمسيرين الصغار تقارير كثيرة يشتمل فيها من المساعدين المسؤولين دون أن يقيم عليهم أية حجة ذات أهمية.....، إن الحكومة الفرنسية عرت ماذا تصنع حيث أبقت "أسد الملعب" في قفصه، لأنه إذا انطلق منه لن يسكت الأسلحة كما يدعي، بل هي الأسلحة التي ستسكته"،⁽³⁾ حول هذا الموضوع يقول المجاهد محمد براشيد:⁴ "اكتشفت حقيقة المصاليين، خاصة وأنهم لم

¹ - حسين عبد الستار، الصدام المسلح بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية (المصاليين والجهويين) 1955م-1962م، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع10، 2016م، ص83.

² - ابراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص38.

³ - جريدة المجاهد، مصالي مضاد للثورة وخائن للوطن، ع02، 1956/07/01م، ص25.

⁴ - محمد براشيد: ولد المجاهد محمد براشيد سنة 1938م بالزيرية، لم يتلق أي نوع من التعليم واشتغل بجني العنب في منطقة بن شعبان بمزرعة السيدة "فيجو" بأولاد هدا، كان على تواصل دائم مع المجاهد المدعو السي عبد العزيز منذ اشتغاله بالفلاحة بالمنطقة، إلا أن لقاءهما الفعلي كان سنة 1956م، فر محمد براشيد من الالتحاق بصفوف الخدمة الوطنية، ليلتقي بموسى هدا مسؤول المصاليين، فمنحه مسدسا وانخرط معه ضمن فوج يتكون من 20 فردا سنة 1955م، اكتشف حقيقة المصاليين أثناء فترة مكوثه معهم فتخلّى عنهم وانخرط في صفوف جيش التحرير الوطني أثناء لقاءه بشخص له عليهم بمحض الصدفة، في فوج يضم كلا من الطيب الجفالي، رابح الجيالي، والمدعو السي عبد القادر، لقتل العناصر المصالية التي كان ضمنها محمد براشيد بعد فترة وجيزة من انخراط المجاهد بصفوف جيش التحرير الوطني،

يقوموا بشن أي عملية عسكرية ضد الاستعمار الفرنسي طيلة فترة بقائي معهم، بالعكس فقد كانوا يعذبون الجزائريين ويسرقون ممتلكاتهم".⁽¹⁾

قدر عدد عناصر جيش جيش تحرير الشعب الجزائري بـ 600 جندي شهر ماي عام 1955م، بالموازاة مع 1200 بندقية وسبعون ألف رصاصة، وهناك بعض المصادر حددت عناصر هذا الجيش بحوالي 3000 جندي، بينما تحدثت جريدة Le monde الفرنسية عن حوالي 4500 جندي.

جاء في تقرير الولاية الثالثة المقدم إلى الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة المنعقد بمدينة تيزي وزو يومي 07 و 08 فبراير عام 1985م، والذي جاء فيه أن اللقاءات التي جمعت جبهة التحرير الوطني بقيادة السي محمد بوقرة بوفد عن الحركة الوطنية الجزائرية في جويلية عام 1955م من أجل التنسيق المشترك تحت لواء جبهة التحرير الوطني قد فشلت بسبب إصرار المصاليين على العمل بعيدا عن الجبهة.⁽²⁾

شملت حلقة الصراع بين جبهة التحرير الوطني والحركة المصالية الجزائرية المنطقتين الثالثة والرابعة وبعضاً من نواحي المنطقة السادسة، فقد كانت المجموعات المسلحة لجيش بلونيس في البداية قد سبقت الانتشار في نواحي قنزات بضواحي سطيف شرقاً وحيزر بنواحي البويرة غرباً، لكن أمام ضغوط جيش التحرير الوطني اضطرت بعد الصدمات الأولى التي لك تكن في صالحها إلى معاودة الانتشار في النواحي الواقعة بين المنطقتين الثالثة والرابعة باتجاه الجنوب أين شهدت هذه المناطق مواجهات وصدامات عنيفة خلال سنتي 1955م و 1956م، وهو الشيء الذي أسفر على سقوط العشرات من القتلى بين الطرفين.

انتشرت قوات بلونيس في كل من سور الغزلان، عين الحجل، البيرين، الخميس، ثم توسعت في صائفة 1956م لتشمل البرواقية، قصر البخاري، فرنده، حاسي بحبح والمسيلة، ومع تزايد ضربات جيش التحرير الوطني لوحدة جيش بلونيس، اضطر قائده محمد بلونيس إلى مغادرة المنطقتين الثالثة والرابعة

للمزيد من المعلومات أنظر: منظمة المجاهدين لولاية المدية، شهادة المجاهد محمد براشيد، 2002/10/22م، مدة التسجيل 02 سا و 02د و 55 ثا).

¹ - منظمة المجاهدين لولاية المدية، شهادة المجاهد محمد براشيد، المرجع السابق.

² - إبراهيم لونيبي، المرجع السابق، ص 39.

على التوالي والاستقرار في المنطقة السادسة وتحديدا في المثلث المتكون من الجلفة، بوسعادة، وقصر الشلالة.⁽¹⁾

حاولت قيادة الولاية الرابعة الاتصال بالمصاليين في خريف سنة 1956م عن طريق إرسال فصيلة من المجاهدين تعدادها خمس وثلاثون رجلا حسب شهادة لخضر بورقعة، حيث كان الهدف من هذا الاتصال هو إنشاء المصاليين عن دورهم المعادي للثورة، والتفاوض معهم من أجل الوصول إلى اتفاق يخص التعاون بين المشترك بين الطرفين ضد جيش العدو الفرنسي، غير أن المصاليين غدروا بهم وقتلهم جميعا إلا واحدا استطاع أن يلوذ بالفرار وأخبر قيادة الولاية الرابعة بالمجزرة التي ارتكبت في حق فصيلة المجاهدين.⁽²⁾

عرفت قوات بلونيس حالة من التقهقر تحت تأثير ضربات جيش التحرير الوطني على مستوى الولاية الرابعة انطلاقا من المنطقة الأولى التي كانت تعرف قوة تنظيمية وحركية كبيرة تحت توجيهات قائدها السياسي والعسكري "السي لخضر"، وكذا المنطقة الثانية من نفس الولاية.⁽³⁾

أشاعت قيادة الحركة الوطنية الجزائرية في أوساط مناضليها بفرنسا عند اندلاع الثورة أن مصالي الحاج هو من يتزعم هذه الأخيرة، في حين كلف محمد بلونيس بقيادة شقها العسكري، وما يؤكد ذلك هو المناشير التي كان يوزعها جيش بلونيس والتي كانت دائما تختتم "بيحيى مصالي الحاج" وتحيى الحركة الوطنية الجزائرية، إلا أن محمد بلونيس أعلن سنة 1957م تخليه عن خم مصالي الحاج عندما تنقل إلى تراب الولاية السادسة التاريخية، وبالتالي كشف عن حقيقة تعاونه المباشر مع السلطات العسكرية الفرنسية.

أرسل مصالي الحاج مبعوثا عنه في ديسمبر 1957م ليحقق في أمر الاتصالات التي كانت تتم بين الجيش الفرنسي ومحمد بلونيس، وحول هذا الموضوع يقول في التقرير الذي أرسله إلى ندوة إدارات الحركة الوطنية الجزائرية في أبريل 1958م: "حتى يومنا هذا يجهل الحزب الوقائع التي كانت سببا في نشوب

¹ - حسين عبد الستار، الرجوع السابق، ص 85.

² - لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص 73-74.

³ - عامر عنان، مظاهر من الصراع العسكري والسياسي بين الجبهويين والمصاليين خلال الثورة التحريرية في الولايتين الرابعة والسادسة من خلال أرشيف ما وراء البحر "1956م-1962م"، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، مج 02، ع 02، 2020م، ص 58.

قضية بلونيس، وإذا اكتفينا بتصريحات الصحافة يلزم علينا أن نعترف بأن بلونيس كان ضحية تلاعب مصالح المكتب العربي للحكومة بالجزائر".⁽¹⁾

ب-2- حقيقة تعاون بلونيس مع الجيش الاستعماري الفرنسي:

تشوب قضية بلونيس الغموض بفعل التضارب في قراءة مواقفه، ففي الوقت الذي تقول فيه جبهة التحرير الوطني أنه عميل لصالح الاستعمار الفرنسي، لم يبرز مصلي الحاج أي موقف يخص القضية، ولم يدن عمله أبداً، وإنما اعتبره تصرفاً تكتيكياً، بالرغم من إدانة المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية لعمله، واعتبرت تصرفاته خارجة عن مبادئ الحركة، وكان عليه أن يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة يريد القيام بها، كونه لا يستطيع التصرف في الأمور السياسية والعسكرية لها إلا بأمر منها، وباعتباره قد خالف هذه القواعد فما عليه إلا التصل من إنتمائه للحركة الوطنية الجزائرية.

لم يتبن مصالي الحاج موقف المكتب السياسي للحركة الوطنية الجزائرية بخصوص محمد بلونيس، بل اعتبره شخصاً وطنياً تخلص منه الجيش الاستعماري خصوصاً بعدما اكتشف المناورة التكتيكية لبلونيس والمتمثلة في تجهيز المساعدات المالية والعسكرية للسلطات الفرنسية، ثم تسخيرها من أجل الحصول على استقلال الجزائر بعد التخلص نهائياً من جبهة وجيش التحرير الوطنيين.

اكتشف الاستعمار الفرنسي مناورة بلونيس عندما رفض السير في لطريق الذي رسمه له الجيش الفرنسي أولاً، وحينما رفض الانضمام إلى "لجنة السلام العام" التي أنشأها غلاة المستوطنين بعد الانقلاب العسكري ضد ديغول في 13 ماي 1958م ثانياً،⁽²⁾ وهذا ما جعله يفكر في خطة للتخلص منه، ولعل محاولة فرنسا لتخلصها من بلونيس ودعايتها المغرضة المصاحبة لذلك تعود لسببين أساسيين، يتعلق أولهما بالتخلص من شخص لم تضمن ولائه، وبإمكانه الانقلاب على الجيش الفرنسي في أي لحظة بحكم ماضيه الثوري في حركة لانتصار من أجل الحريات الديمقراطية، كون أن شخصيته كانت تبدو للعيان متقلبة الأطوار، وتصرفاته كانت منبثقة من ردود أفعال معينة، وثانيهما متعلق بإعادة التوازن بينهما وبين جبهة التحرير الوطني بعدما فقدت الحركة الوطنية الجزائرية شعبيتها بفعل قضية بلونيس، الأمر الذي يخدم استراتيجيات السلطات الفرنسية في القضاء على الثورة من خلال خلق فكرة أن جبهة التحرير الوطني

¹ - إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص ص 49 - 50.

² - رابح لونيسي، تحركات الحركة المصالية وتفسيرها، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجيات الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البليدة يومي 24 - 25 أفريل 2005م، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007م، ص 142.

ليست الممثل الوحيد والشرعي للشعب الجزائري كما جاء في ميثاق الصومام، بل يوجد عدة ممثلين بآرائهم المختلفة حول القضية الجزائرية.⁽¹⁾

كان لجبهة التحرير الوطني رأيا آخر، فقد اعترفت بأنها هي من قامت بتصفية بلونيس، بعد أن تسللت مجموعة من عناصر جيش التحرير الوطني إلى مركزه للتخلص منه، وقد انبثق عن تنفيذ حكم الإعدام فيه انضمام العديد من عناصره إلى جيش التحرير الوطني، وحول هذا الصدد يقول المجاهد بن عيشة: " أما جماعة بلونيس فقد التحقت عناصر كثيرة منها بصفوف جيش التحرير الوطني بأسلحتها، وعينت في مختلف النواحي ليسمح باختبارها فرديا ومراقبتها من طرف هذه الأخيرة".⁽²⁾

بعدما اعترفوا باكتشافهم الخيانة داخل الحركة المصالية، وبأنهم قد عادوا إلى رشدهم بعدم انخدعوا بالخطاب المصالي المغرض عن قضيتهم الحقيقية.⁽³⁾

أطلقت السلطات الاستعمارية سراح مصالي الحاج يوم 16 جانفي 1959م في إطار استراتيجيّة دىغول للقضاء على الثورة، حيث حاولت مساعدته بشتى الطرق والأساليب من أجل بعث حركته المصالية بعد موت محمد بلونيس، إلا أن خوف جبهة التحرير الوطني من محاولات مصالي الحاج في إعادة بناء الحركة والتي ستتسبب في تخريب كل الإنجازات التي وصلت إليها هذه الأخيرة، دفع بها إلى إجهاض كل محاولاته في إعادة إحياء الحركة المصالية، حيث قامت فيديرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا بإصدار كتاب خاص لها باللغتين العربية والفرنسية تندد فيه بخيانات الحركة المصالية للشعب الجزائري وثورته.⁽⁴⁾

ج- حركة الشريف بن سعيد:

لم تقتصر عملية مواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية في الولاية الرابعة على حركتي كوبيس في الفترة الممتدة ما بين (1954م-1958م) وبلونيس المصالية سنوات (1955م-1958م)، بل شهدت حركة مضادة أخرى تمثلت في حركة الشريف بن سعيد⁽⁵⁾ نسبة لقائدها المنشق عن جيش التحرير

¹ - راجع لونيبي، المرجع السابق، ص143.

² - بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص78.

³ - راجع لونيبي، المرجع السابق، ص ص143-144.

⁴ - نفسه، ص ص144-145.

⁵ - الشريف بن سعيد: ولد العمبري الشريف بن سعيد المدعو الشريف بن سعيد عام 1925م في دشرة أولاد عقون من عرش أولاد سلطان بقرية السواقي التابعة شمال شرق مدينة عين بوسيف، انخرط في الجيش الفرنسي في كتيبة القناصة الأفارقة عام 1946م، وبفضل ذلك شهدت تجربته في الجيش الفرنسي التتقل بين عدة محطات منها: ألمانيا ثم مدغشقر سنة 1948م، ثم أرسل إلى الهند الصينية والتي قضى فيها فترتين من خدمته العسكرية، كانت الأولى في الفترة الممتدة ما

الوطني إثر عمليات تصفية داخلية راح ضحيتها مجموعة من ضباط وجنود الولايتين الرابعة والسادسة سنة 1957م، نتيجة دعاية مغرضة وعصبية قبلية، الأمر الذي أعقبته عمليات التحاق بالجيش الفرنسي بعد اكتشاف خيوط مؤامراته من طرف قيادة الولاية الرابعة.⁽¹⁾

تمثل حركة الشريف بن سعيد نموذجاً مختلفاً كلياً عن باقي الحركات المضادة للثورة التحريرية في الولاية الرابعة، من حيث الخلفيات التاريخية التي تسببت في ظهورها، وذلك لأنها لم تشبه حركة بلونيس التي حاولت توظيف علاقتها بالتيار الاستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية من أجل كسب دعم الشعب الجزائري في حرب التحرير الوطنية، ولم تكن كحركة كوبيس والتي كانت قيادتها ذات ارتباط تاريخي وثيق بالنشأة الأولى للتيار الثوري والمتمثل في المنظمة الخاصة، كما تميزت حركة الشريف بن سعيد بفرغها من التوجهات والأبعاد السياسية الخاصة بها، حيث انحصرت جغرافياً في محيطها العشائري والقبلي الضيق، وهذا ما جعلها أكثر شبهاً بمجموعات الحركى والعملاء الذين كانوا تحت قيادة الباشا بوعلام في منطقة الشلف.⁽²⁾

واجهت عملية تنظيم منطقة الصحراء مطلع اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية، وهذا راجع إلى مجموعة من العوامل أهمها: اعتقال مصطفى بن بولعيد واستشهاده في مارس 1956م، وهو ما انجر عنه دخول منطقة الأوراس في وضع يسوده الارتباك والتوتر، خصوصاً وأن بن بولعيد كان على اتصال مع قادة الناحية الثالثة من المنطقة الأولى (نواحي أولاد جلال ومشونش بجنوب الأوراس) أمثال الحسين برحاييل وزيان عاشور وعمر إدريس والسي الحواس، وبفقدانه توقفت المنطقة عن تطور النظام السياسي

بين (1951م - 1953م)، بينما جرت الثانية خلال فترتي (1954م - 1955م)، لينتهي خدمته في صفوف الجيش الفرنسي سنة 1955م برتبة رقيب ثاني بعدما تدرج في جميع الرتب الدنيا، متحصلاً بذلك على أوسمة عسكرية منها وسام الاستحقاق العسكري، اتصل الشريف بن سعيد بالكتيبة الخامسة للصباحية الخيالة الجزائريين في سور الغزلان أواخر شهر رمضان من عام 1955م لتجنيدته مرة أخرى في الجيش الفرنسي والذي كان مقرراً تنفيذه بعد عيد الفطر المبارك، وبينما كان متجهاً نحو المنطقة وقع في أيدي الثوار حسب ماكتبه الباحث الفرنسي جو توسون في مجلة إستوريا، وفي رسالة تقدم بها الشريف بن سعيد إلى المكتب الثاني الفرنسي، صرح فيها بأنه مكث 18 شهراً في صفوف جيش التحرير الوطني، حيث قضى السبعة أشهر الأولى في نقل الأدوية والذخيرة، قبل أن تتم ترقيته إلى قائد فوج ثم تدرج إلى قائد فصيلة، (للمزيد من المعلومات أنظر: سعاد يمينه شبوط، المرجع السابق، ص 181).

¹ - نفسه، ص 177.

² - نفسه، ص 178.

والإداري للثورة خاصة فيما يتعلق بجانب التأييد والتسلح،⁽¹⁾ الأمر الذي جعل هؤلاء القادة معزولين ومحاولين مد نشاطهم غربا نحو المسيلة وبوسعادة والجلفة طيلة الفترة الممتدة ما بين (1955م-1956م)، مع العلم أن قيادة الثورة في العاصمة آنذاك لم تكن لها أية اتصالات أو تنسيق مع هذه المنطقة، ولأجل ذلك سعت كل من المنطقتين الثالثة والرابعة إلى مد نفوذهما نحو الجنوب في إطار حملتهما لمطاردة المصاليين أواخر سنة 1955م.

تقرر تشكيل الولاية السادسة التاريخية بمنطقة الصحراء وفقا لقرارات مؤتمر الصومام، وكلف علي ملاح بقيادتها والعمل على تطوير النظام الثوري بها عن طريق استعانه بإطارات جيش التحرير الوطني في كل من الولاياتين الثالثة والرابعة التاريخيتين.⁽²⁾

انتدب كوموندو علي خوجة للقيام بعدة عمليات عسكرية خارج المجال الجغرافي للولاية الرابعة التاريخية، حيث تم تقسيم وحداته إلى قسمين في ضحام الاجتماع الذي عقد في شهر سبتمبر من عام 1956م تحت إشراف كل من عمار أوعمران، وأحمد بوقرة، حيث احتفظ علي خوجة بقيادة قسم واحد، بينما تم تكليف الرائد علي ملاح بقيادة القسم الثاني والتوجه به نحو تراب الولاية السادسة التاريخية من أجل تدعيم جنودها في مناطق بوسعادة وغرداية، وذلك من أجل بث النظام الثوري بهما تطبيقا لقرارات مؤتمر الصومام.⁽³⁾

اتخذ علي ملاح من قرية أولاد عابد جنوب قصر البخاري مقرا لقيادته، ليقوم بعدها بتقسيم ولايته إلى منطقتين، حيث اختصت المنطقة الأولى بسور الغزلان والتي كان على رأسها الرائد عبد الرحمن جوادي، في حين اختصت المنطقة الثانية بقصر البخاري والتي عين على رأسها النقيب أحمد جفال المدعو "عمور الروجي"، والذي كانت العلاقة بينه وبين الشريف بن السعيد مليئة بالتوتر والمشاكل، وتذهب الكتابات الفرنسية إلى أن هذا الأخير هو من تسبب في انشقاق بن سعيدي عن جيش التحرير الوطني بحكم أنه لم يكن راضيا عن تصرفاته السيئة هو ورجاله الذين قدموا من الولاية الثالثة ضد سكان المنطقة، وهو ما

¹⁻ عبد النور خيثر، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية (1954م-1962م)، إشراف، شاوش حباسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر، 2005م-2006م، ص 298.

²⁻ سعاد يمينية شبوط، المرجع السابق، ص 183.

³⁻ عائشة حسيني، المرجع السابق، ص ص، 70-71.

أيده المجاهد عبد القادر خليف⁽¹⁾ المدعو "المدرّب"، فقد اعرف بأن النقيب عمار الروجي قد صدرت منه تصرفات غير لائقة سببت الكثير من الأذى والمشاكل لسكان المنطقة.⁽²⁾

تمكن علي ملاح خلال ثلاثة أشهر من توليه قيادة الولاية السادسة التاريخية من تشكيل فيلق مكون من 375 مجاهدا قسموا إلى ثلاثة كتائب، حيث كفوا بمطاردة أتباع بلونيس في معاقلهم بنواحي بوسعادة والجلفة ودار الشيوخ، كما أسندت قيادة هذه الكتائب إلى كل من الرائد عبد الرحمن جوادي، والنقيب عمار الروجي والملازم الشريف بن السعيد على التوالي.⁽³⁾

تواترت لدى العديد من المؤرخين الفرنسيين أمثال إيفس لاكوريير وهنري لومير وجيلبرت مويني وباك فاليت وجون توسون قضية خيانة الشريف بن سعيد المتعلقة بممارسة عمار الروجي السيئة لسكان المنطقة، كما اعتبروها ذريعة ومبرر لانقلابه على جيش التحرير الوطني، حيث استغلوا هذا المنعطف في سياق الثنائيات الوهمية التي روجت لها الدعاية الاستعمارية الفرنسية في حرب التحرير الجزائرية، ونذكر منها ثنائيات "الشمال ضد الجنوب"، "المسلحين ضد المثقفين"، "الداخل ضد الخارج"، "العرب ضد القبائل"، "القبائل ضد الشاوية" وغيرها.

أبدع مناصروا الكولونالية الاستعمارية في استفزاز الثورة التحريرية الجزائرية عن طريق إطلاق العديد من الدعايات المغرضة حول قضاياها، وعلى رأسها تلك المتعلقة بقضية الشريف بن سعيد، بالرغم من توفر المذكرات التاريخية التي تتضمن شهادات عديدة ومتعددة لمجاهدي وضباط الولايتين التاريخيتين الرابعة والسادسة حول هذه القضية، حيث فندوا هذا الأكاذيب التي أطلقتها تقارير المكتب

¹ - عبد القادر خليف: هو عبد القادر خليف المعروف باسمه الثوري "المدرّب"، ولد يوم 27 سبتمبر 1932م ببئر غبالو، تحصل على الشهادة الابتدائية سنة 1948م، ليحري بعدها تربص تكوين مدني بالحراش، انخرط في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أدى الخدمة العسكرية الإجبارية سنة 1954م بمستغانم، التحق بالثورة التحريرية عن طريق اتصاله ببعض المناضلين منهم عبد القادر خيرات، كلف بعملية جمع الأموال، ولما ألقى القبض على البعض من عناصر خليته، التحق بالمنطقة الأولى في 16 نوفمبر 1956م انطلاقا من الحراش إلى منطقة الأخضرية، أرسل ضمن كتيبة مكونة من 120 جندي لجلب السلاح من المغرب شهر مارس من عام 1957م، وبعد عودته في جانفي 1958م أرسل إلى كتيبة البرواقية، ثم أصبح مدربا لها، ولهذا الغرض أطلق عليه الاسم الثوري "عبد القادر المدرّب"، لينتقل إلى قيادة قسم سور الغزلان في نوفمبر 1959م، ثم عين كمسؤول عسكري في الناحية، وبعد إنشاء المنطقة الخامسة تم تعيينه قائدا للاحية سيدي عيسى، ثم قائدا للاحية سور الغزلان، وبعدها أصبح عضوا بقيادة المنطقة مكلفا بالأخبار والاتصال، (للمزيد من المعلومات أنظر: نظيرة شتوان، الثورة التحريرية...، ص 132).

² - سعاد يمينية شبوط، المرجع السابق، ص 184 - 185.

³ - نفسه، ص 184.

الثاني في الجيش الفرنسي، والتي اعتمد عليها المؤرخون الفرنسيون كثيرا في أبحاثهم خصوصا وأنهم كانوا قد احتكروا تدوين تاريخ حرب التحرير الجزائرية لفترة من الزمن.⁽¹⁾

وقعت مجموعة من الخلافات بين النقيب عمار الروجي والملازم الشريف بن سعيد، حيث أسفرت حسب إحدى الروايات الفرنسية عن إطلاق هذا الأخير النار على النقيب عمار الروجي بمسدسه في لحظة غضب ليسقط قتيلًا أمام جنود وإطارات جيش التحرير الوطني الذين كانوا بصدد عقد اجتماع لهم بمنطقة تعرف باسم "كرمة الشيخ"،⁽²⁾ ثم استغل بن سعيدي الاجتماع الذي عقده علي ملاح رفقة عدد من إطارات جيش التحرير الوطني بالولاية السادسة، ليقنع من خلاله بعض العناصر من مرافقتهم لتعريفهم بمنطقتهم، حيث قام بالغدر بهم في كمين كان قد دبّره لهم مسبقا قبل أن يشيع خبر قضائه على النقيب عمار الروجي.⁽³⁾

استقر الشريف بن سعيدي في منطقة عين بوسيف بعدما قام بتصفية الرائد عبد الرحمن جوادي قائد المنطقة الأولى للولاية السادسة، والتي أعقبها بتصفية جماعية لبضعة مئات من الجنود القبائل، ليلتحق الناجون الفارون منهم باتجاه الولايتين الثالثة والرابعة، ثم قام بعدها بمراسلة العقيد علي ملاح طالبا منه اللقاء به ليطلع على التطورات الهامة لهذا الوضع، وبالفعل تم اللقاء بين الرجلين فتمكن بن سعيدي من القضاء على علي ملاح ومرافقيه بالرصاص في دشرة "أولاد بجة" بنحواحي جبل شعون في كمين يوم 31 مارس 1957م، ثم أوهم سكان المنطقة بأنه قام بتصفية الحركي وأسرع في دفنهم كي لا يكتشف أمره.⁽⁴⁾ اختلفت الرواية الجزائرية في ذكر تفاصيل ظروف التصفيات التي قام بها الشريف بن السعيد عن ما تداولته الروايات الفرنسية، يث يذهب كل من محمد صايكي ولخضر بورقعة إلى توضيح أن بداية مؤامرة بن سعيدي كانت ضمن أعقاب فشله في المهمة الموكلة إليه والمتمثلة في جلب السلاح من الولاية الخامسة في بداية شهر مارس من عام 1957م، بعد أن عاد إلى تراب الولاية السادسة متذعرا بصعوبة المسالك والخطر الشديد الذي عرقل نجاح مهمته من خلال مراقبة الجيش الفرنسي للطريق عن طريق توزيع مختلف وحداته العسكرية بها، الأمر الذي جعل النقيب عمور يعنفه واعتبر تبريراته مجرد أكاذيب

1- سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص186.

2- محمد صايكي، مذكرات تائر من قلب الجزائر، ط1، الجزائر: دار الأمة، 2002م، صص 219-220.

3- لخضر بورقعة، المرجع السابق، ص93.

4- سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص187.

ليغطي بها تخاذله في مهمته، وفي الوقت نفسه توعده علي ملاح بالعقوبة في حال عودته فارغ اليدين، لأنه لم يتقبل فكرة أن يعجز جندي عسكري محترف مثل بن سعيدي في جلب السلاح والذخيرة.⁽¹⁾

ساهم تعيين علي ملاح لعمور الروجي على قيادة المنطقة الثانية (قصر البخاري) في مطلع نفس الشهر في زيادة التوتر بين القائد الجديد ونائبه الشريف بن السعيدي، الأمر الذي عجل بحدوث خلافات عمقت الفجوة بينهم ووصلت إلى درجة العداء الشخصي، وفي ضخام تطور هذه الأحداث بدأ بن السعيدي يفكر في تصفية قادة الولاية السادسة.⁽²⁾

قام مجاهدوا المنطقة الأولى من الولاية السادسة بإبلاغ قادة الولاية الرابعة بالشكوك التي كانت تحوم حول الدور المحتمل لبن سعيدي في انتشار مؤامرة داخلية بولايتهم، هذا بعدما تمكن هذا الأخير من نشر إشاعة اختفاء قادة الولاية من أجل تضليل حقيقة لوضع لأسابيع عدة.⁽³⁾

تدخلت الولاية الرابعة التاريخية لتحل المشكل الخطير الذي يهدد الولاية السادسة في ماي 1957م، حيث جاء ذلك عندما أرس قائد الولاية العقيد سليمان دهيليس نائبه الرائد أمين محمد بوقرة المحافظ السياسي، وسي لخضر المسئول العسكري مرفوقين بالنقيب رابح زراري على رأس كوموندو علي خوجة لتسوية الوضع في الولاية السادسة.

استدعي بن سعيدي من طرف قيادة الولاية الرابعة في اجتماعات عديدة حضرها أعيان من القرى والمداشر، إلا أن بن سعيدي كان قد نفى صلته باغتيال علي ملاح وغيره من إطارات الولاية السادسة، في الوقت نفسه كان أحمد بوقرة يقوم بعملية التحسيس والتوعية بحقيقة القضية الوطنية وأهمية ثورة التحرير في المنطقة، فضلا عن تنبيه السكان بأهمية الوحدة بينهم ونبذ الجهوية والعزلة لأنهما سببان رئيسيان في تفكيك المجتمع الجزائري، وهو ما سيبعده عن هدفه الحقيقي وهو مواجهة الاستعمار الفرنسي والقضاء عليه نهائيا بطرده من الجزائر المستعمرة.⁽⁴⁾

قام أحمد بوقرة بالاتصال بالشريف بن سعيدي وحدد معه لقاء بأولاد العقود بوسط عشيرته، وقد كان رفقة الكوموندو علي خوجة ورابح المقراني (السي لخضر)، فشرع بوقرة في استجواب بن سعيدي حول الاغتيالات التي جرت بالمنطقة عن طريق إيقاعه في مجموعة من الأسئلة المتتالية، والتي لم يتمكن

1- سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص 188.

2- نفسه.

3- محمد صايكي، المرجع السابق، ص 44-45.

4- سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص 190.

الشريف بن سعيدي من التملص منها، غير أنه وجد حيلة لربح بعض الوقت، والمتمثلة في إكمال النقاش بعد الانتهاء من وجبة العشاء.

أخبر الشريف بن سعيدي عن طريق رجل من أتباعه بأن أحمد بوقرة عازم على القضاء عليه بعد تناول وجبة العشاء بعد أن أشار إلى رفقائه بذلك،⁽¹⁾ وهو ما جعل هذا الأخير يفر ويجري اتصالات سرية مع أحد مراكز الجيش الفرنسي من أجل التحضير للانشقاق عن جيش التحرير الوطني رفقة 150 فردا من رجاله.

دعى أحمد بوقرة إلى عقد اجتماع ختامي في دوار أولاد "عقون"⁽²⁾ بهدف شرح الوضع وتسوية قضية الشريف بن سعيدي أمام القادة وممثلي القرى المجاورة، ثم طلب في ضحاح الاجتماع من كاتب بن سعيدي عرض تقرير عن الوضعية المالية للولاية السادسة أمام الحضور، فوقع في هفوة لما ذكر ماتم العثور عليه من أموال لدى القادة الذين قتلوا في التصفيات، وكان علي ملاح ممن ذكرهم ضمن قائمة أسماء موثقة في التقرير، فأثبت من غير قصد منه أن لبن سعيدي علاقة باختفاء قادة المنطقة.⁽³⁾

وردت في العديد من الشهادات التاريخية أمثال محمد صايكي ولخضر بورقعة وإيفيس لاكورير أن أحمد بوقرة قد ترك الشريف بن سعيدي يفر عمدا بعد تناول وجبة العشاء، لأن الهروب هو الدليل القاطع على الخيانة خصوصا وكأنه كان على مرأى من أتباعه وأبناء عشيرته، وعلى إثر هذا تحولت المنطقة الأولى من الولاية السادسة إلى الولاية الرابعة لتعرف باسم المنطقة الرابعة شهر جوان من سنة 1957م، وتولى قيادتها كل من: السيد عبد اللطيف بن يحيى كرئيسا لها، والسيد مسعود كمستول عسكري، والحاج بن عيسى ومحمد القاضي كعضوين.⁽⁴⁾

كان لحركة الشريف بن سعيدي نتائج سلبية وإيجابية على مسار الثورة بالمنطقة في آن واحد، حيث تتمثل سلبيتها في إلحاق الضرر بعدد من المجاهدين بالولاية السادسة، كما حرصت على منع تجنيد الشعب في الثورة بهذه المناطق، مما جعلها تصبح بؤرة للعديد من الدسائس، أما إيجابيتها فقد تمثلت في توضيح قوة الثورة على قهر العملاء واكتشاف خياناتهم بالرغم من الدعم الكبير الذي يتلقونه من قوات

¹ - أحمد بن جابو، حركة الشريف بن سعيدي في الولاية الرابعة، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البليدة يومي 24-25 أفريل 2005م، الجزائر: وزارة المجاهدين، 2007م، ص95.

² - محمد صايكي، المرجع السابق، ص222.

³ - سعاد يمينية شبوط، المرجع السابق، ص190.

⁴ - أحمد بن جابو، المرجع السابق، ص ص95-96.

العدو الفرنسي، كما استطاعت جبهة التحرير الوطني أن تثبت بأنها الممثل الشرعي والوحيد للعب الجزائري في الثورة التحريرية على الصعيدين الداخلي والخارجي، بالإضافة إلى دور الحركات المناوئة للثورة في إبراز روح التعاون والتنسيق بين الولايات التاريخية.⁽¹⁾

دعم الجيش الفرنسي بن سعيدي وجنوده بأسلحة حربية ثقيلة من بنادق رشاشة ومسدسات، كما اشترط على جنوده ارتداء بذلات عسكرية كاملة، وبالموازاة مع ذلك وضعوه تحت رقابة ضباط مكتب الفرع الإداري المتخصص في شلالة العذاورة.

انحصرت خدمات العميل الشريف بن سعيدي في الفترة الممتدة ما بين (1957م-1960م) في إعدام عناصر التنظيم المدني لجبهة التحرير الوطني، والمشاركة في الكمائن والاشتباكات ضد وحدات جيش التحرير الوطني، كما مارس بن سعيدي النهب والسلب المادي والعيني لسكان المناطق الممتدة من عين بوسيف وشلالة العذاورة وسور الغزلان وسعيدي عيسى ودوار جواب، وهي نفسها المهام التي كانت تقوم بها مجموعات الحركة في بقية مناطق البلاد.⁽²⁾

تميزت الولاية الرابعة التاريخية بموقع استراتيجي وذلك لاعتبارات اقتصادية وعسكرية، جعلها محل اهتمام كبير في الحسابات الاستعمارية الفرنسية، وهو ما دفع بها إلى إحياء تجاربها القديمة التي كانت قد طبقتها في الهند الصينية، من خلال تشكيل المعازل المضادة للثورة، بغية حماية اقتصادها وجعل من هذا المعقل حزاما أمنيا لحماية طرق مواصلاتها البرية والتي زادت أهميتها بعد اكتشاف البترول في منطقة إيجلي من عام 1956م.⁽³⁾

كان لحركتي كوبيس والشريف بن سعيدي نتائج وخيمة على الثورة التحريرية في المنطقتين الأولى والثالثة من الولاية الرابعة التاريخية، فقد كانتا سببا مباشرا في تعثر النشاط الثوري بهما، كما تغلغل نظام جبهة وجيش التحرير الوطنيين في الأماكن التي انتشرت فيها هاتين الحركتين، كما شتت الصفوف وزرعت الفوضى والاضطراب واستنزفت بشكل كبير قوى جيش التحرير الوطني، وهو الأمر الذي تسبب في تصفية مجموعة من المجاهدين والإطارات الثورية، وعلى رأسهم الرائد علي ملاح والنقيب عمار

1- أحمد بن جابو، المرجع السابق، ص 96-97.

2- سعاد يمينية شبوط، المرجع السابق، ص 193.

3- نفسه، ص 195.

الروحي والقائد عبد الرحمن جواوي والرائد بوقاسمي الطيب المدعو الطيب الجغلاي والذي لقي نفس المصير لاحقاً.⁽¹⁾

تميز الشريف بن سعيد بنوع من العصبية القبلية والخصوصية المحلية، وهو ما جعله يستغل أخطاء وهفوات النقيب عمار الروحي ليروج أفكاره الانقسامية ضد قادة الولاية الثالثة، الأمر الذي تسبب في إثارة الفتنة وإيقاظ النزعة الجهوية والتي أدت إلى تمزيق وحدة الصف وتوسيع دائرة المتاعب القيادية الثورية، الشيء الذي جعل هذه الحركة تتميز بنوع من الخصوصية عكس حركتي كوبيس وبلونيس.

نجحت قيادة الولاية الرابعة في إيجاد الحل المناسب حول قضية استيعاب جيش التحرير الوطني لمل يقارب 1000 عنصر من رجال كوبيس مرة واحدة، فما كان من العقيد بوقرة وأمر أوصديق إلا أن يقسما هؤلاء الجنود إلى مجموعات وتوزيعهم على مناطق مختلفة من تراب الولاية التاريخية الرابعة، مع الحرص على مراقبتهم الدائمة في حال ظهور شبهة حول تصرفاتهم.⁽²⁾

¹ - سعاد يمينة شبوط، المرجع السابق، ص 195.

² - نفسه، ص 196.

رابعاً - الحرب النفسية:

راهنّت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ احتلالها لجزائر على ورقة الحلول العسكرية ووسائل القمع والتكيل من أجل إخضاع الجزائريين إلى حقيقة الوجود الفرنسي بالجزائر، عن طريق إجهاد كل أنواع المقاومات المشكلة بشقيها العسكري والسياسي، وهي السياسة التي تدخل في إطار الاحتلال المباشر للأرض والإنسان معاً، فقد حرصت على بذل كل مجهوداتها من أجل تغييب الجزائري كليا وذلك بالحد من هويته وأصله وتاريخه، إلى غاية الوقت الذي قرر فيه هذا الأخير الانتفاض بالعمل المسلح كوسيلة مجابهة للقضاء على النظام الفرنسي القائم في الفاتح من نوفمبر عام 1954م.

استحدثت الإدارة الاستعمارية أساليب واستراتيجيات جديدة من أجل القضاء على الثورة المسلحة الجزائرية، بالموازاة مع هذا التحول الحاصل في طبيعة النظام السياسي والعسكري والذي قد فاجأ كثيراً سلطات الاستعمار الفرنسي، فاستخدمت الإشاعة والدعاية المغرضة كأسلوب حربي موازي للعمل العسكري من أجل اختراق الثورة الجزائرية من داخلها، وهو ما يدخل في إطار الحرب النفسية أو الحرب البسيكولوجية.⁽¹⁾

اعتمد الحاكم العام بالجزائر جاك سوستال أولى التجارب للقضاء على الثورة في منطقة الأوراس وذلك بتأسيس الفرق الإدارية المتخصصة، إذ جيء بالجنرال بارلانج ومجموعة من الضباط برتبة نقيب وملازم وملازم أول وانطلقت التجربة في ربيع سنة 1955م تحت إشراف سوستيل المختص في دراسات الشعوب القديمة في المكسيك، وبمساعدة الخبرة في شؤون المجتمع الأوراسي Germaine Tillon.⁽²⁾

¹- محمد محمدي، الحرب النفسية الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على الثورة الجزائرية: "مؤامرة لابلويت بالولاي الثالثة التاريخية 1958م- 1959م أنموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية، مج 10، ع2، جامعة الجزائر، 2021م، ص53.

²- جيرمان تيون (1907م-2008م): تنتسب جيرملن تيون لعائلة أرستقراطية كاثوليكية، اهتمت بعلم النفس، علم الآثار، التاريخ والإثنوغرافيا السوسيولوجية، زاولت دراستها في مدرسة اللوفر، تخرجت من المعهد العالي للدراسات الإثنوغرافية بالسوربون في فرنسا سنة 1932م، بقيت في منطقة الأوراس بالشرق الجزائري مدة 06 سنوات في مهمة إثنوغرافية، اشتهرت بمواقفها ضد حرب الجزائر والمناهضة للتعذيب كما نادى بالسلام. (للمزيد من المعلومات أنظر: Hauteur inconnu : Germaine Tillon, Libération des camps et découverte du l'univers concentrationnaire, 1945 crime contre humanité et génocide, la vie de Germaine Tillons,p5.)

اعتبر الضباط أن التمرد هو السبب الرئيسي للثورة، ولهذا الغرض رأت الإدارة الفرنسية أنه من الضروري تأسيس فرق إدارية متخصصة تحذو حذو المكاتب العربية،⁽¹⁾ وتحمل على عاتقها انشغالات المواطنين الاجتماعية، المتعلقة بالصحة والتعليم وتنظيم شؤون الأهالي في الأرياف.⁽²⁾

عين الجنيرال بارلانج قائدا عسكريا ومدنيا على منطقة الأوراس في السابع من ماي سنة 1955م ليتولى تجربة زرع الفرق الإدارية المتخصصة بالمنطقة، ليتم تعميم التجربة بداية من خريف نفس السنة، ورأى بارلانج أن مهمة إدارة الفرق الإدارية المتخصصة يجب أن تسند إلى ضباط مؤهلين يتم توزيعهم حسب أهمية وحساسية المناطق في الجزائر، فتمركز معظمهم في عمالة قسنطينة، وبعضهم في عمالة الجزائر، والبعض الآخر في عمالة وهران.⁽³⁾

أطلق الجيش الفرنسي على ضبط "لاصاص" ألقابا عديدة منها: الخوذات الزرقاء نظرا لارتدائهم القبعات ذات اللون الأزرق، أصحاب الأوهام لظنهم بأن الجزائر ستبقى فرنسية للأبد، وضباط الحلوى كونهم كانوا يستدرجون أطفال الأهالي في الأرياف بمنحهم الحلوى وقطع الخبز الشهية في سبيل إغرائهم، من أجل التقاط الأخبار والمعلومات حول تحركات ذويهم والمسبلين منهم داخل القرى والمشاتي والدواوير.⁽⁴⁾

1- المكاتب العربية: تزامن إنشاء المكاتب العربية مع بسط النفوذ الاستعماري بالجزائر بواسطة التقرب من الشخصيات المحلية، وتكليفهم بمراقبة السكان عن طريق آغا العرب، وكانت أول هيئة رسمية قد تم تأسيسها من طرف الجنيرال De Rovigo الحاكم العام للجزائر سنة 1833م، وأطلق عليها أيضا تسمية مصلحة الشؤون العربية، اعتمدت على مترجمين مختصين في الشؤون العربية للاتصال برؤساء القبائل في جميع أنحاء البلاد، وكانت أول شخصية استلمت هذا المنصب هي النقيب De Lamorcière الذي كان يجيد اللغة العربية، وحرص حرصا شديدا على الدعاية من أجل سياسة التوسع الاستعماري، وبقيت المكاتب العربية تتطور شيئا فشيئا إلى أن قرر الجنيرال بيجو شهرل فيفري 1844م تأسيس المكاتب العربية بصفة رسمية اتسمت بتقسيمها إلى إدارة الشؤون العربية على مستوى القيادة العسكرية، مجسدة في إدارات فرعية بمقاطعات الجزائر الثلاث، (للمزيد من المعلومات أنظر: عبد القادر سلاماني، دور المكاتب العربية في توطيد أركان الاحتلال الفرنسي بالجزائر، مجلة البدر، ع03، الجزائر، مارس 2011م، ص ص 70-71).

2- رياض بن مهدي، الفرق الإدارية المتخصصة SAS "1955م-1962م"، مجلة أول نوفمبر، الجزائر، فيفري 2021م، ص 27.

3- رياض بن مهدي، المرجع السابق، ص 28.

4- يذكر المجاهد عمر جناد الحافظي أنه بعد هجوم ناجح على إحدى "فرق لاصاص" تم استرجاع وثائق وتقارير مهمة يقول فيها قائد الفرقة: "إنني أستطيع بحبة حلوى، أن أغري طفلا صغيرا، ومعرفة معلومات وتوريط والد الطفل وكل سكان القرية، وتسخير كامل القرية في خدمة مصالح وأهداف لاصاص"، (للمزيد من المعلومات أنظر: رياض بن مهدي، المرجع السابق، ص 02).

استطاع ضباط لاصاص من خلال عمليات إحصاء السكان أن يعرفوا جيدا هوية الأشخاص والسكان المشكلين للقرى والمداشر، مما يسهل مهمة المراقبة بشكل أفضل، حتى أنها كانت المسؤولة عن توفير رخص المرور وجوازات السفر وشهادات الإقامة التي يجب أن تحمل الختم ومدة الصلاحية، كما شمل دور الفرق الإدارية المتخصصة أيضا جمع المعلومات حول مسارات الثوار والمخازن والخنادق ومصادر تموين وتمويل جيش التحرير الوطني، بالموازاة مع أسماء المكلفين بجمع التبرعات والكمائن الموجهة ضمن مخزن فرق لاصاص.

شكلت الدعاية ضد الثورة أحد أهم محاور مخطط الفرق الإدارية المتخصصة، لتثبيت العزائم وزرع الشكوك وكسر اتحاد جيش التحرير الوطني بشعبه، ودفع الناس إلى الكسل والملل تمهيدا للقضاء نهائيا على التضامن والمساندة القائمة بين الطرفين، عن طريق توزيع المناشير والإعلانات الكاذبة والتي تحمل أفكارا خاطئة ومغالطة لعمل الثورة التحريري وهدفها الحقيقي، باللغتين الفرنسية واللهاجة الدارجة الركيكة التي لا تعبر عن هوية المجتمع الجزائري، وأبرز عناوينها ما يلي: "الناس الكل يتكلموا ومجرم يحط سلاحه"، "الذئوبة تاكل بعضهم بعض"، "نعم لفرنسا، نعم لديغول"، "بعد سلم الأسلحات المساعدة"،⁽¹⁾ «وصل الوقت ولازمكم تحلوا عينيكوم»، "الفلاقة خسروا وانغلبوا، حلوا عينيكوم ما بقالكومش الوقت باه تختاروا"، "ساعة العدل وصلت"، "فرنسا تحن على من يرجع عن ذنوبه"، "تشيد جزائر الجديدة"، "الثورة انعدمت... وغيرها من الشعارات المستقرة للجزائريين.⁽²⁾

سعت السلطات الاستعمارية كل السعي من أجل تحطيم معنويات الجزائريين خلال معركة الجزائر، سواء كانوا مجاهدين أو من مؤيديهم، ولهذا الغرض وجه الجنرال ماسو أحد الضباك الأمريكيين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي إلى الرائد بيلاك، فطلب منه هذا الأخير إعداد نشرة أسبوعية تعنون ب"الحقائق" وتصدرها مصلحة الجيش العسكري، لكنها توزع بشكل عادي وكأنها جريدة عادية، تنحصر مهمتها في الرد على الأخبار التي يذيعها راديو القاهرة حول انتصارات جيش التحرير الوطني واستطاعته تطويق مدينة الجزائر ونقل الثورة إليها، من خلال دعاية كاذبة ومغلطة.⁽³⁾

¹ - رياض بن مهدي، المرجع السابق، ص 30.

² - SHAT, 1H 2408, 1H2509/d2.

³ - Ted MORGAN, OP-Cit.

تعد الحرب النفسية⁽¹⁾ من بين المؤامرات الاستعمارية التي أجت إلى تجنيد البعض من ضعاف النفوس والحس الوطني مشكلة بذلك مجموعات مسلحة تضرب ظهر الثورة، وقد وفرت لهؤلاء جميع الإمكانيات المادية والمعنوية وشكلوا فعلا حركة ضد الثورة التحريرية وجيش التحرير الوطني الذي أطلق عليهم تسمية "الحركي".⁽²⁾

أنشأت حكومة جاك سوستال الفرنسية في الجزائر أكثر من سبعمئة مكتب من هذا النوع تعمل تحت إمرة ضابط ويساعده لفييف من الملحقين والحركي يطلق عليهم اسم "المخازنيين"، مفاد عملهم أنه ليس لأي جزائري الحق في التنقل دون إذن بالمرور، وكان هناك من المكتب البسيكولوجي الخامس يعلمون الأطفال اللغة الفرنسية، ثم يأتون إلى الأب ليعرضوا عليه راتبا بعشرين ألف فرنك وبندقية ليحول إلى حركي غصبا عنه في كثير من الأحيان.⁽³⁾

قامت طائرات المراقبة "بيبر كوب" بالتحليق فوق جبال البلدية شهر فيفري 1957م وتحديدًا قرب دوار تادينارت، وألقت بمنشورات حطت فوق رؤوس وحدات كوموندو السي الزوبير وكتب عليها ما يلي: "إن القوات المسلحة الفرنسية دمرت إلى الأبد جماعة السي الزوبير المتمردة واسترجعت كل أسلحتها". كانت هذه المعلومة دعاية كاذبة نسجتها مصلحة الدعاية النفسية "لاصاص" التابعة للجيش الفرنسي بغية التأثير على معنويات الشعب الجزائري، لأن جماعة السي الزوبير كانت لا تزال موجودة وعازمة على القتال.⁽⁴⁾

تعززت قيادة أركان الناحية العسكرية العاشرة بمؤسسة أو تنظيم جديد عرف باسم "المكتب الجهوي للعمل النفسي" أو ما يعرف بالمكتب الخامس، بموجب القرار الوزاري المؤرخ في الفاتح من مارس عام 1955م، وقد شرع في العمل ابتداء من شهر جويلية من نفس السنة، حيث ضبظت مهامه في أمور

¹- الحرب النفسية: تنطوي الحرب النفسية ضمن تخصص علم النفس الاجتماعي علم النفس العسكري على حد سواء، ويعنى بها استخدام الدعاية والإشاعة والأساليب البسيكولوجية الأخرى بغرض التأثير على نفسية ومعنويات العدو وإحداث مشاعر معينة بين الجماهير بغرض زعزعة ثقتها بنفسها وبقادتها ومعتقداتها، وبتاريخها وهويتها، فضلا عن تقنيت عزيمتها وإضعاف إرادتها وإيجاد انشغاقات بينها، من أجل إشغالها عن قضيتها الأساسية لتسهيل الانقضاض عليها وإخضاعها لإرادته دون مقاومة، (للمزيد من المعلومات أنظر: عبد الحفيظ مقدم، الحرب النفسية والاستعمار الفرنسي للجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، ع10، جامعة الجزائر، 1997م، ص145).

²- سليمان الغول، المرجع السابق، ص35.

³- بلقاسم المتيجي، المرجع السابق، ص77.

⁴- نفسه، ص78.

دقيقة جدا وهي تلك المتعلقة بالتكوين الإعلامي، دعم وحدات الحفاظ على النظام العام، والاضطلاع بعمل سيكولوجي يستهدف الشعب من جهة والخارجين عن القانون من جهة ثانية.⁽¹⁾

أصدرت جريدة "نيويورك تايمز" في عددها الصادر يوم 04 أوت 1956م مقالا لمراسلها في الجزائر "ميتشل كلارك" تحت عنوان "الإرهاب ينتشر في الجزائر"، كما شهد بأن فرنسا تخبئ الهزائم العسكرية التي تتكدها في الجزائر من خلال تنفيذها لانتصارات جيش التحرير الوطني في ميدان المعركة، خاصة بعد أن صرح روبير لاکوست الوزير المقيم بالجزائر في الأسبوع الأخير من شهر جويلية أمام مجلس الوزراء بأن الثورة قد ردت، وأن حالة البلاد أصبحت في تحسن مستمر، بالرغم من أن الثوار كانوا قد قتلوا عددا كبيرا من الجنود الفرنسيين في المعارك خلال خلال شهر جوان، حيث عرف الجيش الفرنسي خلال هذا الشهر خسائر⁽²⁾ كبيرة قدرت بـ 32 قتيلا و 11 مفقودا و 73 جريحا، أما الخسائر الفرنسية التي سجلت خلال شهر جويلية فقد قدرت بـ 127 قتيلا و 06 مفقودين و 68 جريحا، بالموازاة مع تزايد عدد الكمائن والمعارك وعمليات التخريب وإفساد مزارع وغلات المستعمرين من قبل قوات جيش التحرير الوطني في شهر جويلية، حيث تضاعفت هذه العمليات مقارنة بشهر جوان من نفس السنة، وبهذا فقد كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تحرص كل الحرص على تغطية مجريات الحرب الحقيقية عن طريق بلاغاتها الكاذبة، وهذا كله بهدف زعزعة الجانب البسيكولوجي لدى الثوار الجزائريين.⁽³⁾

صرح الوزير المقيم "روبير لاکوست" أمام المجلس الوطني الفرنسي يوم 02 جويلية 1956م حول أهداف وأبعاد العمل النفسي الذي يقوم به المكتب الخامس قائلا: "إن عمل التهئية ليس عمل غزو عسكري مادي يكون بمنأى عن الأمن الذي يبحث عنه، إن العمل النفسي يتوخى جذب النفوس والقلوب وتحضير اتفاقات المستقبل، ذلك أننا نريد إنجاز جزائر جديدة، جزائر في الإطار الفرنسي".⁽⁴⁾

سعى روبير لاکوست من خلال استيراتيجية اصلاحاته التي نادى بها إلى تحقيق جملة من الأهداف الاستعمارية، وهي لا تختلف عن البرنامج الذي جاء به سابقه جاك سوستال إلا بإضافة تعديلات بسيطة، كالاستفادة من الدعم الحكومي لميزانية الجزائر في إطار ما يسمى بالإصلاحات الاجتماعية، وذلك

¹ - جمال قندل، مقاربات الاحتلال الفرنسي في التعاطي مع الثورة الجزائرية -الحرب النفسية أنموذجا (1954م-)

(1962م)، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ع19، جانفي 2018م، ص226.

² - جريدة المجاهد، صحافي أجنبي يشهد أن فرنسا تخبئ الهزائم العسكرية التي تتكدها في الجزائر، ع02، 1956/07/01م، ص16.

³ - جريدة المجاهد، صحافي أجنبي يشهد...، ع02، المرجع السابق، ص17.

⁴ - جمال قندل، المرجع السابق، ص226.

بغرض كسب أكبر عدد من الجزائريين، لغية إفراغ الثورة من محتواها الشعبي أو بعبارة أخرى فصل الشعب عن الثورة التحريرية.

كانت أولى الإجراءات المطبقة في إطار السياسة الاجتماعية الجديدة هي توفير فرص العمل والحد من البطالة بالنسبة للجزائريين عن طريق إدماجهم في سلك الوظيفة العمومية، وهو القانون الذي نص عليه المرسوم رقم 289 56 والمؤرخ في 26 مارس 1956م.⁽¹⁾

حرصت الإدارة الاستعمارية الفرنسية كل الحرص على القضاء على الثورة الجزائرية بالولاية الرابعة التاريخية باعتبارها منطقة مهمة جدا كونها تتوسط الولايات التاريخية الأخرى، وتضم إقليم مدينة الجزائر العاصمة الذي يحتوي على أكبر وأضخم المراكز الاستيطانية والاستعمارية الفرنسية، فعملت على اعتقال كل من يشوبة الغموض وتدور حوله الشكوك في انخراطه بجيش التحرير الوطني أو متعاطف معه، كما صاحبت عملية الاعتقال الخاصة بالمناضلين ومجاهدي جيش وجبهة التحرير الوطنيين عملية الاستتطاق والتعذيب والتي كانت تتم بصفة وحشية وباستعمال أشنع أنواع الأساليب والوسائل التي يند لها الجبين على مستوى الإنسانية، حيث تمت في السجون، المعتقلات، مراكز الاستتطاق، الغابات وكذا بعض الفيلات المؤجرة من كبار المستوطنين.

وضع الجنرال ديغول القضية الجزائرية ضمن برنامج المخطط بمجرد توليه السلطة بفرنسا، حيث استحدث جملة من الاستراتيجيات والأساليب للقضاء على الثورة وإخماد نيرانها بشكل نهائي، فكان لبرنامج هذا تأثير كبير وخطير جدا على مسار الثورة في الولاية الرابعة، خصوصا بعد أن فقدت العديد من إطاراتها في عمليات التمشيط التي شنها بالمنطقة، وكذا خلق فجوة بين قادة جيش التحرير الوطني من خلال عرضه لمشروع سلم الشجعان، والذي لاقى القبول من البعض والرفض من البعض الآخر.

لم تكتف فرنسا بالاعتماد على جنودها فحسب في مقاومتها للثورة في الولاية الرابعة، بل خلقت حركات مضادة للثورة يتزعمها قادة من الجزائريين، وكانت مختلفة التكوين عن فرق الحركى والقومية المعروفين سابقا، فقد عمل هؤلاء على تضليل الشعب الجزائري لمدة طويلة بخصوص مشروع الثورة الجزائرية، فادعوا أنهم أبطالهم ولم يعربوا عن نيتهم الحقيقية إلا بعد استفحال مهمتهم في مختلف مناطق الولاية الرابعة التاريخية، أمثال: الباشاغا بوعلام، محمد بلونيس، بلحاج الجيلالي، والشريف بن سعيدي.

¹ - نجا بية، الاستراتيجية الفرنسية في القضاء على الثورة الجزائرية، -الحرب النفسية للمصالح الإدارية المتخصصة (SAS) ما بين 1955م- 1962م -أنموذج-، مجلة تاريخ المغرب العربي، مخبر تاريخ الوحدة المغاربية عبر التاريخ، مج07، ع02، ديسمبر 2021م، ص93.

لم يقتصر اعتماد السلطات الفرنسية الاستعمارية على الأساليب القمعية في اختراق الثورة التحريرية، بل تعدته إلى استعمال أسلوب الحرب النفسية من خلال نشر دعايتها المغرضة والمغالطة لحقيقة الوضع الذي يجري في الجزائر، سواء على المستوى الداخلي والخارجي، وذلك نظرا لتجربتها في حروبها مع الهند الصينية واكتشافها مدى تأثير الجانب النفسي على حسن سيران مسار الحرب من عدمه، سواء على مستوى المستعمر أو المستعمر نفسه.

أثرت المشاريع الفرنسية بشكل كبير على تغيير مسار الثور في الولاية الرابعة وإحداث خلل واسع به، إلا أن هذا لم يثن من عزيمة قادتها، فواكبوا الوضع باستحداث استراتيجيات مضادة استطاعوا من خلالها تحويل عجلة الحرب لصالحهم من خلال شن العمليات الفدائية بالمدن لفك الحصار المفروض على القرى والأرياف، وتقسيم وحدات جيش التحرير الوطني إلى أفواج صغيرة ليسهل عليها التحرك والإفلات من مطاردة العدو، وغيرها من الأساليب المضادة للاستراتيجية الفرنسية.

الخاتمة

الخاتمة:

- خلصت دراستنا المتواضعة إلى مجموعة من النتائج نوردها فيما يلي:
- ساهمت أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في تسريع إرساء قواعد العمل المسلح.
 - أدى اكتشاف المنظمة الخاصة إلى تثبيط نفوس المناضلين الجزائريين، خاصة بالنسبة للعناصر التي كانت تنادب بتسريع شن الكفاح المسلح.
 - هدفت تفجيرات الفاتح من شهر نوفمبر 1954م إلى زعزعة الاستقرار الفرنسي بالولاية الرابعة، وذلك بالموازاة مع تخريب المصالح الاقتصادية والبنى التحتية للاستعمار الفرنسي.
 - كان التنظيم السياسي للثورة التحريرية الجزائرية دقيقا وصارما واستراتيجيا وعمليا جدا.
 - كان مناضلو جيش التحرير الوطني في حاجة دائمة إلى الذخيرة والأسلحة الثقيلة بالرغم من غنمهم مجموعة كبيرة من القطع في عديد العمليات العسكرية التي قاموا بها ضد الجيش الفرنسي في تراب الولاية الرابعة التاريخية.
 - حرصت الولاية الرابعة التاريخية على تبنيها لأسلوب العمل المزدوج منذ تفجير الثورة التحريرية، جامعة في ذلك بين العمل الثوري وتدعيم الولايات الأخرى بالسلاح والمؤونة، نظرا لموقعها الجغرافي الذي يتوسط الولايات الثورية من جهة، ولاحتواءها على مدينة الجزائر التي كانت تعد القلب النابض للاستعمار الفرنسي من جهة أخرى.
 - إن حرب العصابات التي كان يخوضها جيش التحرير الوطني تعتمد أساسا في استراتيجيتها على الخفة اللوجيستية، عنصر المباغته، العمل الخاطف، والانسحاب السريع، حيث تعد هذه النقطة الأخيرة الأكثر أهمية في خطة العمل العسكري، لأن وسائل المجاهدين في مجال الأسلحة والعنصر البشري كانت محدودة جدا مقارنة بقوات الجيش الفرنسي.
 - حرصت قوات جيش التحرير الوطني قبل خوض أية معركة أو عملية عسكرية كل الحرص على توفير أحسن الظروف لانسحاب الجنود، تجنباً للخسائر البشرية في صفوفهم، كما أنهم كانوا يتفادون الهجوم إذا تأكدوا بأن حظوظهم في النصر أقل من ثمانين بالمائة.
 - ظلت تدعي المصالح البسيكولوجية التابعة للجيش الفرنسي (SAS) بأن المجاهدين الجزائريين بالجبـال ليس غير مجرد أساطير تداولتها ألسنة السكان، إلا أن العمليات العسكرية التي نفذتها قوات جيش التحرير

الوطني في الجزائر عامة والولاية الرابعة التاريخية خاصة تركت الرأي العام الداخلي والخارجي يكون لنفسه فكرة أكثر وضوحا عن هذا الأخير.

- شكل التحاق أتباع بلحاج الجيلالي المدعو "كوبيس" انتصارا عسكريا ونفسيا كبيرين في صفوف جيش التحرير الوطني، لكون أن جيش الجنرال بلحاج كان عانقا للحركة الثورية التابعة لجهة وجيش التحرير الوطنيين في المناطق التالية: عين الدفلى، خميس مليانة، ثنية الحد، والأصنام، كما كان يمثل مشكلا عويصا حرص قادة الولاية الرابعة وعلى رأسهم الجيلالي بونعامة والسي رشيد بوشوشي، على الإسراع في حله بمختلف الوسائل، لأن أتباع بلحاج كانوا على شاكلة أتباع "بلونيس" حيث حرصوا كل الحرص على مغالطة الشعب الجزائري وخداعه، حين كانوا يقدمون أنفسهم على أساس أنهم من مجاهدي جيش التحرير الوطني، خصوصا وكونهم كانوا يحملون نفس العلم الذي يحمله هؤلاء الآخرين، وهو ما كان يشكل خلطا كبيرا في مسألة القضية الجزائرية، كونه يسعى لتضليل الهدف الرئيسي للمجاهدين، فهناك العديد من شباب عين الدفلى، خميس مليانة، الشلف، وحتى مدينة الجزائر تجندوا في صفوف أتباع بلحاج وهم يعتقدون بكل سذاجة وحسن نية بأنهم انضموا لصفوف جيش التحرير الوطني.

- إن عمليات نصب الكمائن من طرف جنود جيش التحرير الوطني على اختلاف أماكنها لا تستغرق الكثير من الوقت، وذلك لأن أفراد جيش التحرير الوطني -زيادة عن معرفتهم التامة بمواقع الأماكن التي تستهدفها عملياتهم-، فإنه يلاحظ من خلال اشتباكاتهم مع قوات الجيش الفرنسي أنهم يكثرون من التحركات بحثا عن الأماكن الاستراتيجية.

- تسببت عمليات الوشاية التي قام بها أعوان الاستعمار الفرنسي في فشل العديد من المعارك التي قام بها جيش التحرير الوطني.

- لقد كان من الصعوبة بما كان تحقيق عمليات ميدانية جريئة على طول الشريط الساحلي وعلى الأخص داخل المدن الساحلية، التي كانت تقطنها أغلب الأسر الأوروبية الراقية، ولابد القيام بمثل هذه العمليات في أوقات ليلية مناسبة وتتطلب مع ذلك مزيدا من التضحيات الكبرى نظرا لتعدد مراكز الجيش الفرنسي من جهة، وكثافة قواته المتمركزة في عمق مناطق الولاية الرابعة، الشيء الذي ينذر بالانفجار باستمرار لو حاول جنود جيش التحرير الوطني التقرب من مراكز العدو الحساسة، وذلك نتيجة انتشار شبكات المراقبة في كل الجهات من الولاية.

- استخدمت قوات الجيش الفرنسي في معاركها ضد جيش التحرير الوطني سلاح النابالم الحارق الممنوع الدولي، والذي تسبب في كثر من الأحيان إلى حرق الأخضر واليابس، وإصابة المجاهدين والمواطنين،

فمنهم من استشهد ومن لا يزال على قيد الحياة وهو يحمل التشوهات الظاهرة عليه نتيجة هذا السلاح الخطير والمدمر.

- كانت كتائب جيش التحرير الوطني في حركة متنتقلة باستمرار حتى لا يتعرف عليهم الجيش الفرنسي، وكانت متركزة دائما في قمم الجبال، ويكمن دورها في الهجوم على العدو الاستعماري وإقامة الكمائن والقيام بالاشتباكات والمعارك، حيث كان الكمين يدوم ربع ساعة على الأكثر ثم ينسحب المجاهدون مباشرة ويبتعدون إلى أكثر من أربعين كيلومترا في نفس الليلة حتى لا يقتفي جنود الاستعمار الفرنسي أثرهم.

- لم يكن القصد من العمليات الفدائية في المدن الكبرى هو القضاء على أكبر عدد ممكن من الوجود الاستعماري بقدر ما كان يهدف لإيصال الثورة إلى كل مكان بتلك المناطق التي زعم الفرنسيون بأنها الأكثر أمنا واستقرارا.

- إن الثورة التحريرية الجزائرية كانت قائمة في المدن الكبرى بقدر ما كانت تحدث في الجبال والغابات، إلا أن دعاية المستعمر الفرنسي زعمت أنها لا تشكل خطرا على أمن فرنسا بالجزائر، وبمعنى آخر فإن العاصمة كانت وستبقى دائما مسالمة، وقد زاد هذا الادعاء من عزيمة قيادة جبهة وجيش التحرير الوطنيين بما فيهم الفدائيين من أجل الرفع من وتيرة النشاط فيما كان يعرف بـ"المنطقة المستقلة"، رفقة المنطقة الرابعة التي انضم إليها بعض الفدائيين من المنطقة الخامسة والمنطقة الثانية التابعتين للولاية الثالثة التاريخية.

- قرر النظام الاستعماري إفراغ الأرياف عن طريق عن طريق تأسيس معسكرات الاعتقال (المحتشدات)، فلم يكن بوسع أي شخص يستطيع الدخول إليها ولا الخروج منها دون أخذ ترخيص من الجيش الفرنسي.

- منع التدخين واستعمال التبغ في الولاية الرابعة التاريخية، وقد اتخذ هذا الإجراء للتوافق مع مقاطعة المنتجات التي يحتكرها كبار المستوطنين بالجزائر، حيث كان جندي جيش التحرير الوطني يحصل على نصيب معين من حقه في السجائر، حيث أنه كان يقطع مسافة طويلة بغية تدخين سيجارته في المنطقة المسموحة.

- تعود النجاحات التي حققها كوبيس في تكوين معقله ودعمه بالعدد والعدة في فترة وجيزة إلى: اختيار مناطقه الأصلية والتي كان يتمتع فيها بتاريخ سياسي في التيار الوطني الاستقلالي سنوات عديدة قبل الثورة، وأيضا إلى دعم الجيش الفرمنسي له بالموازة مع فرق الحركي والقومية منذ البداية على تكوين المعقل، فضلا على توظيفه للدعاية التضليلية التي تمكن من خلالها تسميم عقول مجنديه، حيث كانت

هذه الدعاية ترتكز على أفكار محددة ملخصة في أنهم هم الممثلون الحقيقيون للشعب الجزائري وهم المجاهدون من أجل الإسلام، عكس جبهة التحرير الوطني التي تعد حركة عميلة للحزب الشيوعي، وقادتها عبارة عن عناصر طفيلية تحاول تشويه صورة المجاهدين الحقيقيين عن طريق فن الخطابة التي كان يشرح من خلالها تناقض تعاليم الإسلام مع المبادئ الماركسية التي كان ينسبها لجبهة التحرير الوطني.

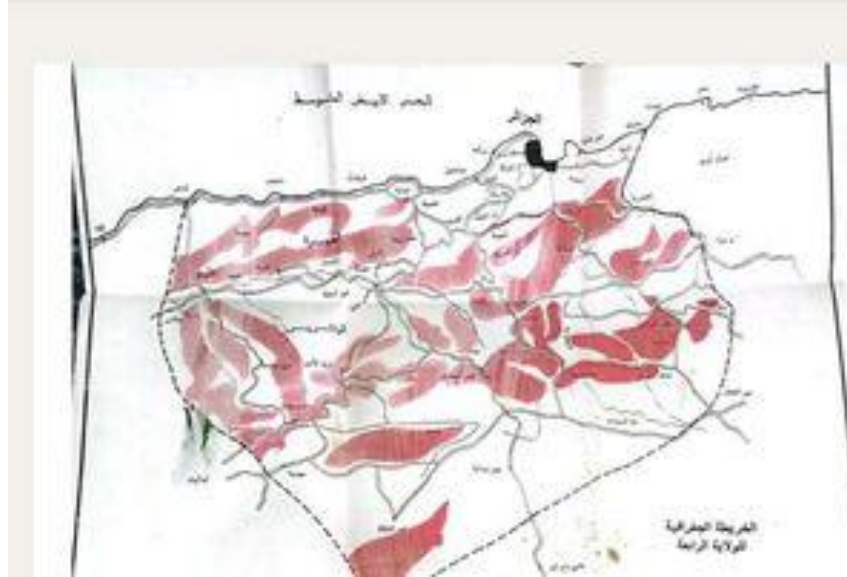
- سلحت وحدات الكومندوس الفرنسية التابعة لجيش محمد بلونيس بقطع سلاح أمريكية الصنع بهدف التضليل والتمويه.

- لجأت السلطات الاستعمارية إلى تعذيب الجزائريين سواء كانوا فاعلين في الحدث أو مشتبهين بهم، بحيث لم يقتصر التعذيب على الجانب الجسدي فقط بل تعداه إلى الجانب النفسي أيضا، كما كان لعامل الحرب النفسية دورا بارزا في الدعاية المغرضة التي شنها الاستعمار الفرنسي ضد جيش التحرير الوطني لإيهام الرأي الفرنسي والدولي بمعلومات كاذبة عن حقيقة الوضع الساري في الجزائر.

- لم يمنع رد الفعل الفرنسي الشنيع جيش التحرير الوطني من مواصلة عملياته وانتصاراته العسكرية، وهذا ما جعله يتوج بالانتصار في قضيته الوطنية نهاية المطاف.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة جغرافية توضح حدود الولاية التاريخية الرابعة.



المرجع: مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، الدليل التاريخي لثورة التحرير الجزائرية الكبرى لولاية تيبازة (1954م - 1962م)، الجزائر، 2012م، ص 13.

الملحق رقم 02: مقالات الإدارة الاستعمارية في الصحف اليومية تعبر فيها عن استيائها من عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية



Source; Echo D'Alger, 1957.

الملحق رقم 05: منشير الدعاية الاستعمارية الفرنسية المزيفة ضد انتشار الثورة الجزائرية

تفشييد جزائر الجدد يد
 الثورة خسرته وفاءت
 شامد هذه العفيفة بآلة خسرته وفاءت
 الثورة انعدمت
 كشم بآلة خسرته وفاءت وبما خسرته من سيطرة
 كلهم - أيها المظافة
 بقتلوا الكجاء واستسلموا
 رعداء مصلحتكم وبماكم
 ارجعوا الى كرمي القدي
 اتركوا رؤسا كرم المعمرين
 واتبعوا نداء الرئيس مولاي وندها الوزير
 المقيم العام كورست
 هي هذه الماعة اعول اهلون رئيس كادي
 اوريس اجاب الى هذا النداء ولدم الويس برضا
 بخدمه واماكم ببقا قبل ما يبيع الوفق
 فاندملوا واستعملوا وانقلوا معنا من اجابنا
 جزائر الجدد يد كشم وفاءت

الملحق رقم 06: وثيقة أرشيفية توضح تطور جيش الحلف الأطلسي في الجزائر سنة 1956م



المرجع: موقع الأرشيف السويصري

الملحق رقم 07: وثيقة أرشيفية توضح تطور الجيش الفرنسي في الجزائر سنة 1956م



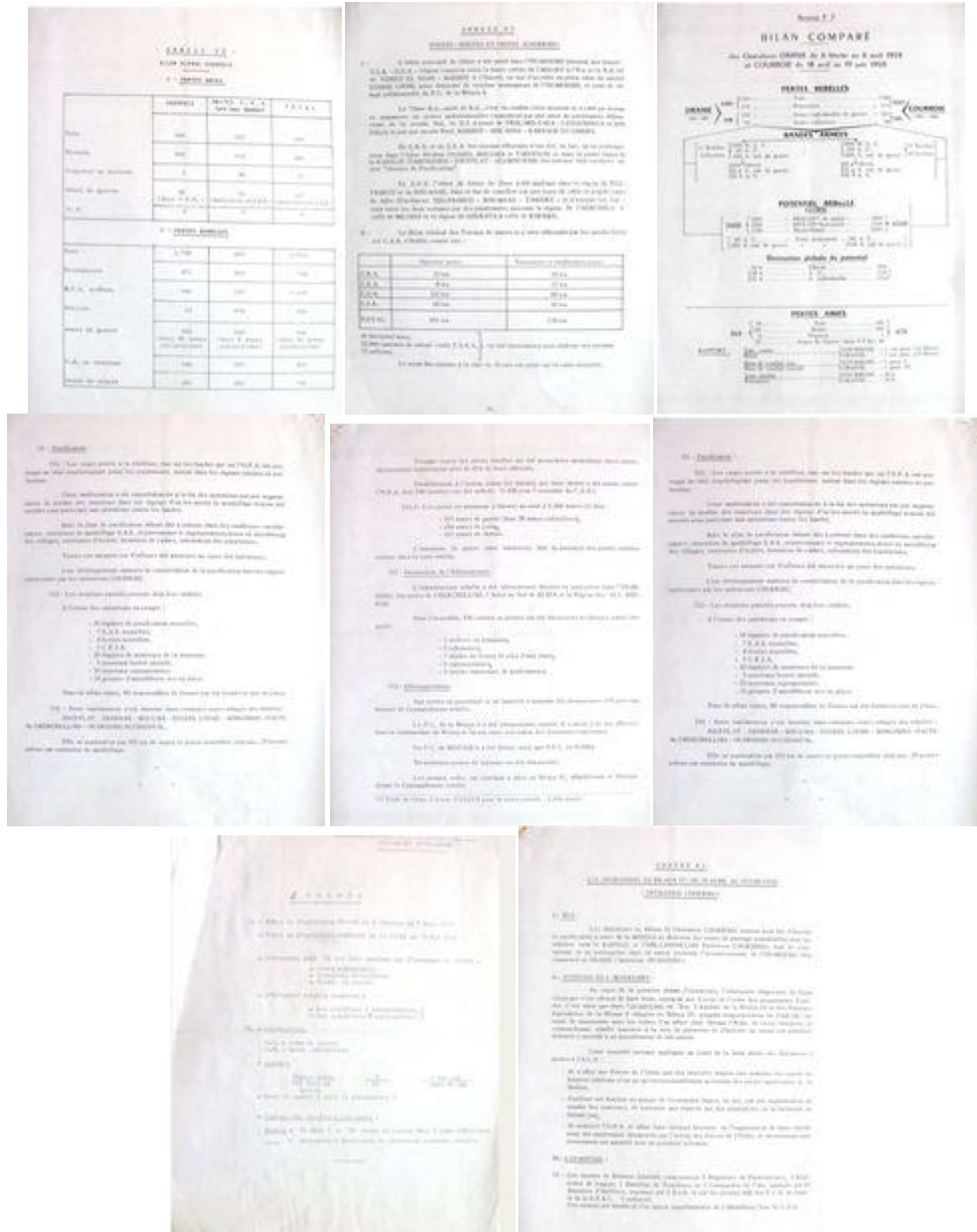
المرجع، موقع الأرشيف السويسري

الملحق رقم 08: وثيقة أرشيفية توضح تقرير الإدارة الاستعمارية عن عملية الحزام (La courroie) 1959 م في الولاية الرابعة التاريخية



المرجع: أرشيف فانسان

الملحق رقم 09: تقارير الإدارة الفرنسية عن عمليات شال العسكرية في الولاية الرابعة التاريخية (1959م-1960م)



الملحق رقم 10 : تقرير الإدارة الاستعمارية الفرنسية عن العمليات التفجيرية في مدينة الجزائر سنة 1957م



Source, Yacef Saadi, Archives Francaises, Sur la zone historique d'alger, p49.

المرجع: أرشيف فانسان

المرجع رقم 12: مليات التقجيرية التي طالت مدينة الجزائر سنة 1957م



Source, Yacef Saadi, Archives Francaises, Sur la zone historique d'alger, p49.



F. le Ministre et sont en Algérie
Le Colonel Technique
Chef de l'Etat-Major militaire,

Lombardi

المرجع: أرشيف فانسان

الملحق رقم 18: وثيقة أرشيفية توضح تطور الجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1956م



المرجع: موقع الأرشيف السويصري

الملحق رقم 18: خريطة جغرافية توضح تمركز مستوطنة باليسترو (الأخضرية حاليا) وسط البلديات الفرنسية سنة 1957م



المرجع: محمد الصالح البجاوي، مستوطنة باليسترو، الجزائر، 2012م، ص 543.

الملحق رقم 19: قصيدة شعرية من الشعر الملحون قيلت حول معركة سيدي المداني 15 أبريل 1957م، ألفها خيرابي عبد القادر أحد شهود عيان العملية العسكرية التي جمعت جيش التحرير الوطني

مع جيش الاستعمار الفرنسي:

فكروا يا إخوان في الشهداء الأبطال في السبعة وخمسين خوتي ماذا صار
فالمسبلين وجنود الأحـرار الشعب المخلص أشرب كل أمرار

بيعة من أنواع الاستعمار

ثلاثة وثلاثين انخدعوا في الديار اثنين من السفلاء والباقي من الثوار
خبرت العسة واستهزاو بالثوار خرجوا مزروبين لصقوا في لوعار
ضربوا بالإيمان هذوك الشطار حتى استشهدوا مكانش من دار
رؤساء الجيش في ذلك النهار هم السي يحيى والسي عبد القهار
ذلك التاريخ سجلت تفكار إلى الجيل الماجي يعرف ماذا صار
الله يرحمهم الشهداء الأبرار واليوم الخائن يقولك ماذا صار
15 أبريل 1957م خوتي ماذا صار فكر يا المخلص في قصة شعواو
في فجر الاثنين الاثنين إيدفقوا وتقواو لبيارة والقومية أعوان الاستعمار
أكثر من ألفين في ذاك النهار في تلك النهار جابوا طائرات ومدافع النار
رشاشات كثيرة نحن في زيار المناضلين تورخوها في ذاك النهار
إلى الجيل الماجي يعرف ماذا صار فكر معايا قولي ماذا صار
فكر يا المخلص في ذاك النهار عمري ما ننسى إذا طالت الأعمار
سقطوا الشهداء في عقبة شعواو ثلاثة وثلاثين من الشهداء الأبرار
في تلك الصبحة خرجوا من الديار حتى للمساء خرجوا هما في زيار
الشعب الثائر تحمل الأضرار جيشنا الباسل شعالين النار
ضربوا بالاخلاص مكاش من دار بالصناطير وقرونات لسقوا في لوعار
السلاح الثقيل كان معهم سار أنا شهدتم جنود الأبطال
كانت كاتبة في تلك النهار وقيل سلخوا منهم سبعة أبطال
بالصناطير وقرونات شعالين النار يضرب ويعبر في جيش الاستعمار
سقطوا عشرات من أعوان الاستعمار جيش الاستعمار لا يحصى محال

سقطوا الخبثاء حملوهم فوق البغال	قومية وحركة ماتوا مودة الحمير
أخذوا قشاقشبين غطاوهوم كالفئران	غطوا الخبثاء حنا في زيار
شفنوم يتراماو مثل رماد النار	كما تطبخ أكلك طايشو وشت صار
راحو عشرات من جيش الكفار	قاسوه في الكوبتير كالحطبة في النار
خازرونا خزرة جيش الاستعمار	حاسبو ذلك الشعب كلهم ثوار
نطلب معذرة في في تلك النهار	اتلاقلي العداد كنا في زيار
الحقية تقال ظلم الكافر جار	الشعب البريئ يشرب في الأمرار
حين نتلفتوا يكالمونا بالعار	كانوا محونين في تلك النهار
واقبلا خسروا أكثر من مليار	والعربي مسكين جوزها أزيار
لوكان نحكي لكم يا إخواني ما ذا صار	لا نقدر نحصي من قوة الأخبار
يعطل لساني من ظلم الكفار	ذلك النهار يتأرخ تفكار
إلى الجيل المايجي يعرف ماذا صار	والله ما ننسأه إذا طالت العمار
ذلك السبب بأعوان الكفار	كانوا يتمنون الريح للاستعمار
غلطوا في حسابهم أعوان الاستعمار	سبعة سنين ونصف جازت كي النهار
واليوم الأعداء قالك ماذا صار	جوزوا سبعة سنين يتملكوا في الديار
يضارر في أخيه لا حشمة ولا عار	عين الاستعمار صديقة قيار وبيجار
الثورة مسكين جوزها أضرار	والحمد لله رانا اليوم أحرار
الله يرحمهم الشهداء الأبرار	السبب انتاعهوم رانا اليوم أحرار
حررنا الجزائر فيها كل ثمار	ننصح في نفسي والجنود الأبطال
أياكم تتساو الشهداء الأبرار	تاريخ مسجل لجميع الأجيال
الذي خان العهد مقامه في النار	وحد بيننا يا الوحيد القهار
حديث "أحسن العهد من الإيمان"	أو حب الوطن من الإيمان

المرجع: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، منشورات قسم الإعلام والثقافة، الجزائر، 1982م، ص ص153، 154.

الملحق رقم 20: نشيد بربروس

يا ليل خيم، واعصفي يا رياح	يا أفق دمدم، واقصفي يا رعود
يا دم شرشر، واثنخي يا جراح	يا غل صرصر، واحدقي يا قيود
يا سجن أفجر، بجنود الكفاح	أنت يا سجن طريق الخلود
أنت محراب الضحايا	في حنايا الأسود

أنت يا بربروس

يا مطلع المجد ورمز الفدا	يا مصدر الوحي لشعر البقا
يا معقل الأبطال والشهدا	يا منتدى الأحرار والملتقى
أصبحت يا سجن لنا معبدا	عليك نتلوا العهد والموثقا
يوم قمنا ورفعنا	في السماوات البنود

إيه يا بربروس

يا جبهة التحرير صوني الحمى	وحرريه من يد الغاصبين
شقى الطريق فوق سيل الدما	وحطمي الطاغين والظالمين
اسمعي يا أرض واشهدي يا سما	أنا انشوبا الروح في العالمين
يوم قمنا ورفعنا	في السماوات البنودا

إيه يا بربروس

يا جيش اضرمها بنار الوغى	على العدو الغاصب الأجنبي
وصبها نارا على من طغى	تبعث بها مجد بني يعرب
وإن بلغت القصد والمبتغى	فحقق الوحدة في المغرب
بين تونس والمغرب	ومراكش لا حدود

عشت يا بربروس

المرجع: المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، منشورات قسم الإعلام والثقافة، الجزائر،

1982م، ص186.

الفهارس

1/- فهرس الأعلام:

أ-أ-

أعراب محمد، ص07.

-الرائد عز الدين، ص35، ص36، ص138.

-المكي الشاذلي، ص03.

أمقران عبد الحفيظ، ص20.

أوبسارفاتور فرانس، ص60.

أودان موريس، ص230.

أوساريس بول، ص230.

أوعمران أعمار، ص13، ص18، ص22، ص41، ص42، ص48، ص60.

آيت أحمد حسين، ص05، ص07، ص19.

آيت حمودة أعميروش، ص20، ص65، ص67.

ب-ب-

برزالي الطيب، ص16، ص18، ص22، ص27.

بلوزداد محمد، ص04.

بلونيس، ص270، ص271، ص273، ص274، ص275، ص276، ص277.

بن الهاشمي العربي، ص60.

بن بلة أحمد، ص05، ص07، ص18، ص60.

بن بولعيد مصطفى، ص08، ص12، ص17، ص19، ص62.

بن خدة بن يوسف، ص04.

بن سعيد الشريف، ص278، ص279، ص280، ص281.

بن طوبال عبد الله، ص13.

بن طوبال لخضر، ص32.

بن عودة عمار، ص62.

بن عودة مصطفى، ص13.

- بن مهدي محمد العربي، ص 08، ص 13، ص 19، ص 77، ص 79، ص 81.
بن موسى أحمد، ص 119.
بوجمعة سويداني، ص 09، ص 10، ص 15، ص 17، ص 18، ص 19، ص 21، ص 62.
بورقة بوعلام، ص 16، ص 17.
بوشامة الربيع، ص 20.
بوشوبة رمضان، ص 08، ص 11، ص 17، ص 18.
بوشعيب أحمد، ص 09، ص 10، ص 15، ص 16، ص 17، ص 18، ص 19، ص 31.
بوضياف محمد، ص 07، ص 08، ص 13، ص 17، ص 18، ص 19، ص 41، ص 60.
بومسيد محمد، ص 16.
بومنجل علي، ص 230.
بونعامة الجيلالي، ص 30.
بونيلة الطاهر، ص 16، ص 21.
بيطاط رابح، ص 08، ص 13، ص 17، ص 19، ص 41، ص 60، ص 62.
-ج-
الجغلاي الطيب، ص 06، ص 09، ص 47.
-ح-
الحاج بن علة، ص 13.
-خ-
خيزر محمد، ص 07، ص 19.
-د-
دحلب سعد، ص 62، ص 63.
دخلي محمد، ص 08، ص 11.
ديدوش مراد، ص 08، ص 10، ص 12، ص 16، ص 17، ص 19، ص 63.
-ر-
رابح عبد القادر، ص 15.

رابح مقراني، ص 115، ص 117، ص 119.

زافريان ميشال، ص 231.

زيغود يوسف، ص 13، ص 60، ص 61، ص 62، ص 68.

-س-

سعدي ياسف، ص 43، ص 60.

سوستال جاك، ص 61، ص 266، ص 283.

-ش-

شبحاني البشير، ص 12.

-ص-

الصيد بوعلام، ص 16.

-ط-

طيب سليمان السعيد، ص 16.

طيب سليمان محمد ص 16.

الطيب سليمان، ص 119.

-ع-

علاق هنري، ص 230.

العمرى محمد، ص 15.

العيشي محمد، ص 15.

-غ-

غلاب عبد الكريم، ص 02.

-ف-

فيرجاس جاك، ص 231.

-ق-

قانون بوعلام، ص 15، ص 16، ص 18.

-ك-

كافي علي، ص 65، 66.

كريتلي مخطار، ص 04، ص 06، ص 17.

كريم بلقاسم، ص 08، ص 13، ص 17، ص 40، ص 60.

كوبيس، ص 266، ص 267، ص 268.

كوريجي موريس، ص 231.

-ل-

لاكوست روبير، ص 114.

لحول حسين، ص 18.

-م-

ماسو، ص 230، ص 231، ص 234.

المحفوظ عمير، ص 16.

مختار باجي، ص 62.

المعسكري قدور، ص 05، ص 09، ص 15.

مهساس أحمد، ص 03، ص 04، ص 07.

مويسي محفوظ، ص 15.

-ي-

يحياوي علي، ص 04.

يزيد أمحمد، ص 04.

يوسف محمد، ص 07.

2/- فهرس الأماكن:

أ-

الأطلس البلدي، ص 06.

أولاد يعيش، ص 15، ص 16، ص 17.

باليسترو، ص 36، ص 50، ص 51، ص 1160

بلكور، ص 03.

البلدية، ص 07، ص 14، ص 16، ص 18، ص 19، ص 21، ص 22، ص 30، ص 35، ص 275.

بن شعبان، ص 14.

بوركيكة، ص 16.

بوشماعلة، ص 15، ص 16.

بوفاريك، ص 06، ص 14، ص 16، ص 18، ص 21، ص 22، ص 24، ص 25، ص 37.

بومدفع، ص 16.

بوينان، ص 06، ص 16

بئر توتة، ص 06، ص 48.

ت-

تبسة، ص 07.

تونس، ص 11.

تيازة، ص 14.

ج-

جسر ميمون، ص 14.

ح-

حلوية، ص 15، ص 16.

حمام ريغة، ص 16.

حمام ملوان، ص 14، ص 24.

حمر العين، ص 06، ص 16.

ذ-

ذراع الديس، ص 15.

س-

سويسرا، ص 17.

ش-

شفة، ص 06، ص 18.

الشمال القسنطيني، ص 11، ص 12.

ع-

العفرون، ص 16.

غ-

الغرابية، ص 16.

ف-

فروخة، ص 15، ص 16.

الفيتنام، ص 11، ص 232.

ق-

القاهرة، ص 02، ص 03.

قرواو، ص 15.

قسنطينة، ص 03.

القهايز، ص 38، ص 40.

م-

متيجة، ص 04، ص 14، ص 16، ص 21.

المدية، ص 06، ص 275.

المغرب الأقصى، ص 11.

منطقة الأوراس، ص 12.

موزاية، ص 06، ص 16.

و-

واد الثلاثاء، ص14.

واد الكرمة، ص14.

وهران، ص07.

قائمة البيليوغرافيا

قائمة الببليوغرافيا:

أ- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1/- الأرشيف:

1- 1H1544,d1, Notes de bases concernant l'établissement des fiches pour les armes perdus ou volées.

SHAT, 1H1949, dossier1, bilan des opérations courroies et jumelles 1959-1960.

SHAT, Service historique de l'Armée de terre, Vincennes.

2/- الكتب:

1. أتومي جودي، وقائع سنين الحرب في الولاية الثالثة (منطقة القبائل) "1956م-1962م" -

قصص حرب-، ج2، (د.م)، الجزائر، 2009م.

2. أوسايس بول، شهادتي حول التعذيب "مصالح خاصة الجزائر 1957م-1959م"، تر،

مصطفى فرحات، الجزائر: دار المعرفة، 2004م.

3. آيت أحمد حسين، روح الاستقلال "مذكرات مكافح" (1942م-1952م)، تر، سعيد جعفر،

الجزائر: منشورات البرزخ للنشر والتوزيع، 2002م.

4. إيفينو باتريك وبلانشايس جون، حرب الجزائر "ملف وشهادات"، تر: بن داود سلامنية، تصوير:

أحمد ياسين، الجزائر: دار الوعي، 2013م.

5. بخوش صادق، مذكرات الرائد السي لخضر بورقعة "شاهد على اغتيال الثورة"، تق، الفريق سعد

الدين الشاذلي، ط2، الجزائر: شركة دار الأمة، 08 ماي 2000م.

6. بطاش علي، أحمد فضال "الرائد السي حميمي أفاضل" من قادة الولاية الثالثة، الجزائر: دار

الأمل، 2018م.

7. بن بلة أحمد، مذكرات، تر، العفيف الأخضر، لبنان: دار الآداب للنشر والتوزيع، (د.ت).

8. بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر 1954م، تر، مسعود حاج مسعود، ط2، الجزائر: دار

الشاطبية، 2012م.

9. بوضياف محمد، التحضير لثورة أول نوفمبر، الجزائر: دار الكتب، 2012م.

10. تقيّة محمد، حرب التحرير في الولاية الرابعة، تر: بشير بولفراق، دار القصبّة للنشر، الجزائر:

دار القصبّة للنشر، 2012م.

11. حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر، نجيب عياد صالح المثلوثي، الجزائر: موفم للنشر والتوزيع، 2006م.
12. حربي محمد، الجزائر (1954م-1962) جبهة التحرير الوطني -الأسطورة والواقع-، تر، كميل قيصر داغر، لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية ودار الكلمة للنشر، 1983م.
13. دحلب سعد، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، الجزائر: منشورات دحلب، 2007م.
14. سالفات إيف، حرب العار "التعذيب في حرب الجزائر 1954م-1962م"، تر: محمد المعراجي، الجزائر: دار سيديا، 2010م.
15. سعدون شايب الذراع آسيا، أقفاص القردة بسيدي فرج، تر: دراجي بن داود، الجزائر: دار رافار، 2012م.
16. سعدي ياسف، ذكريات معركة الجزائر، تر، إبراهيم حنفي، مرا، صادق حلاق، الجزائر: دار القومية، 2012م.
17. صاري جيلالي، ثمانية أيام من معركة الجزائر (28 جانفي - 04 فيفري 1957م)، تر، خليل أوزاينية، الجزائر: موفم للنشر، 2012م.
18. صايكي محمد، مذكرات تائر من قلب الجزائر، ط1، الجزائر: دار الأمة، 2002م.
19. الصديق محمد الصالح، رحلة في أعماق الثورة مع العقيد عزورن محمد (بربروش) -مواقف- شهادات-ذكريات-خواطر، الجزائر: دار هومه، 2012م.
20. الغول سليمان، مذكرات أسد الونشريس، الجزائر: دار القصبة، 2015م.
21. كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي -من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946م- 1962م-، الجزائر: دار القصبة، 1999م.
22. لنقيب السي مراد، عبد الرحمان كريمي: ومنهم من ينتظر، تحرير، الجيلالي حلفي، الجزائر: دار الأمة، 2005م.
23. المتيجي بلقاسم، مسيرة مجاهد "من الشفة إلى الكتيبة الحمدانية" -الزواوي عبد القادر المدعو السي بن عيشة-، الجزائر: مطبعة ليجوند، 2016م.
24. مسعود جديد الحاج (السي علي)، مذكرات شهيد لم يمت، تق: مراد وزناجي، الجزائر: دار المعرفة، 2011م.

25. ناكي بيار فيدال، في مواجهة داعي المصلحة العليا للدولة مؤرخة في حرب الجزائر، تر: أسماء عزي الجزائر، دار سيديا، 1989م.
26. وعلي عبد العزيز، ووقائع في تاريخ ثورة التحرير بالولاية الثالثة، تق، عبد الحفيظ أمقران الحسني، (د.م)، الجزائر، 2011م.
27. ولد الحسين محمد الشريف، في قلب المعركة "سرد واقعي لمعارك كوموندو السي الزوبري وكتيبة الحمدانية -جيش التحرير الوطني، الولاية الرابعة-، تق، الحاج بن علا، الجزائر: دار القصبة، 2010م.
28. ولد الحسين محمد الشريف، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال "1830م-1962م"، الجزائر: دار القصبة، 2009م.
- 3/- منشورات منظمة المجاهدين:
1. المتحف الوطني للمجاهد، الشهيد مصطفى بن بولعيد "سلسلة رموز الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، الجزائر، 2000م.
2. المنظمة الوطنية للمجاهدين بولاية الشلف، التقرير السياسي والعسكري لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية للفترة التاريخية من أواخر 1958م إلى 1962م.
3. المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية تيسمسيلت، السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية تيسمسيلت، الجزائر، 2014م.
4. المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، مج01، ج03، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
5. المنظمة الوطنية للمجاهدين، الولاية الرابعة، التقرير السياسي من 20 أوت 1956م إلى نهاية 1958م، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية، ج1، الجزائر، (د.ت).
6. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير العمليات العسكرية، ج2، من 20 أوت 1956م إلى 31 ديسمبر 1956م.
7. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير العمليات العسكرية، ج4، جانفي 1958م - ديسمبر 1958م.

8. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية بالولاية الرابعة، ج1، 20 أوت 1956م نهاية 1958م.

9. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثالث لتسجيل وقائع وأحداث الثورة التحريرية بالولاية الرابعة، ج1، 20 أوت 1956م نهاية 1958م.

10. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل وقائع الثورة التحريرية -الولاية الرابعة-، ج1، التقرير السياسي، من 20 أوت 1956م إلى 31 ديسمبر 1956م.

11. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي المقدم للملتقى الوطني الرابع لتسجيل أحداث ووقائع الثورة التحريرية للولاية الرابعة، ج1، التقرير السياسي (1959م - 1962م).

12. المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة التحريرية للولاية الرابعة 1959م/1962م، التقرير السياسي، ج1، د.ت.

13. المنظمة الوطنية للمجاهدين، معركة جبل بولقرون كما وردت في وثيقة سرية للعدو، مجلة أول نوفمبر، العددان، 124، 125، جانفي، فبراير 1991م.

14. المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك المجد في أرض الجزائر، منشورات مجلة أول نوفمبر، الجزائر: وزارة المجاهدين، 1998م.

15. المنظمة الوطنية للمجاهدين، من معارك ثورة التحرير، منشورات قسم الإعلام والثقافة، الجزائر، 1982م.

4/- منشورات مديرية المجاهدين:

1. مديرية المجاهدين لولاية تيبازة، الدليل التاريخي لثورة التحرير الجزائرية الكبرى لولاية تيبازة (1954م - 1962م)، الجزائر: دار الهدى، 2012م.

2. مديرية المجاهدين، الدليل التاريخي لولاية عين الدفلى، الجزائر: دار الهدى، 2012م.

3. مديرية المجاهدين، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954م، تصدير، عبد العزيز بوتفليقة، الجزائر: الديوان الوطني للنشر والتوزيع، 2008م.

5/- الجرائد:

1. جريدة المجاهد، لازال النصر متواصلا "بعض اليوميات لجيش التحرير الوطني"، ع03، 1956/09/01م.
2. جريدة المجاهد، يوميات الكفاح الجزائري، ع08، 1957/08/01م.
3. جريدة المجاهد، التعذيب الاستعماري في الجزائر: فنونه وأساليبه الوحشية، ع08، 1957/08/15م.
4. جريدة المجاهد، صحفي أجنبي يشهد أن فرنسا تخبئ الهزائم العسكرية التي تتكدها في الجزائر، ع02، 1956/07/01م.
5. جريدة المجاهد، يقدم لكم الفدائي، ع01، 1956/06/01م.
6. جريدة المجاهد، مبادئ جيش التحرير الوطني وهي عشرة، ع1، 1956/06/01م.
7. جريدة المجاهد، يقدم لكم الفدائي، ع01، 1956/06/01م.
8. جريدة المجاهد، ثورتنا وأهدافها الأساسية، ع02، 1956/07/01م.
9. جريدة المجاهد، ثورتنا وأهدافها الأساسية، ع02، 1956/07/01م.
10. جريدة المجاهد، مصالي مضاد للثورة وخائن للوطن، ع02، 1956/07/01م.
11. جريدة المجاهد، يوميات الكفاح الجزائري، ع08، 1957/08/15م.
12. جريدة المجاهد، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ع09، 1957/08/20م.
13. جريدة المجاهد، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ع09، 1957/08/20م.
14. جريدة المجاهد، ع85، 1960/12/19م.

6/- التسجيلات:

1. شريط وثائقي، معركة أهل الواد بسيدي المدني 15 أبريل 1957م، مدة التسجيل، 09 د و 57 ثا.
2. منظمة المجاهدين لولاية المدية، شهادة المجاهد بوكتب بوعلام، 2002/10/22م، مدة التسجيل 02 سا و 02 د و 55 ثا).
3. منظمة المجاهدين لولاية المدية، شهادة المجاهد محمد براشيد، 2002/10/22م، مدة التسجيل 02 سا و 02 د و 55 ثا).
4. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد الحاج عدان، مدة التسجيل 05 د و 31 ثا.

5. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد بحري عبد القادر حول معارك منطقة بطحية، مدة التسجيل 14 د و 42 ثا.
6. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد بريق الطاهر بن عبد القادر حول شهداء منطقة بني بوعتاب بتيسمسيلت، مدة التسجيل 08 د و 34 ثا.
7. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد بريك الطاهر، مدة التسجيل 02 د و 21 ثا، وشهادة المجاهد عدان عبد الكريم، مدة التسجيل 08 د و 34 ثا.
8. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد سعيد محمد المدعو السي الزين، والمجاهد سعيد خضراوي، والمجاهد سعيد لخضر، ووالمجاهد لاليخ، والمجاهد موسى بلهتهات، والمجاهد يحي الخديم المدعو السي المجاجي.
9. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد سليمان الغول، مدة التسجيل 18 د و 20 ثا.
10. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد ظريف عبد القادر، مدة التسجيل 30 د و 20 ثا.
11. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد عبدون العربي، 26/12/2008م، مدة التسجيل 46 د و 57 ثا).
12. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد عضان عبد الكريم حول معركة باب البكوش، مدة التسجيل 28 د و 55 ثا.
13. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد عليقي سالم، مدة التسجيل 07 د و 17 ثا.
14. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، شهادة المجاهد محمد ديرة، مدة التسجيل، 13 د و 37 ثا.
15. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، فيديو سمعي بصري حول معركة باب البكوش، مددة التسجيل 03 د و 31 ثا.
16. وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد محمد أرمضان المدعو خير الدين.
17. وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد عبد القادر زواوي.

18. وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة المجاهد يحيى الوزري المدعو ساييلو.

19. وزارة المجاهدين، شريط وثائقي بعنوان الكتيبة الحمدانية، شهادة كل من رابح عشار المدعو وأحمد بن علي عبد القادر المدعو القنطوش وبوعلام كرسال المدعو السي حاتم.

20. وزارة المجاهدين، شريط وثائقي، معركة أهل الوادي بسيدي المدني بشقة 15 أبريل 1957م، مدة الشريط 09 د و 57 ثا.

21. وكالة الأنباء الجزائرية، شهادة المجاهد مصطفى البليدي، مدة التسجيل 15 د و 15 ثا).

7/- المواقع:

1- موقع الأرشيف السويسري.

ب- المراجع:

1/- الكتب:

1. ابن منظور، لسان العرب، مج1، مصر: دار الحديث للنشر والتوزيع بالقاهرة، 2002م.
2. أحمد فارس عبد المنعم، جامعة الدول العربية (1945م-1985م) "دراسة تاريخية سياسية"، ط1، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ماي 1986م.
3. بجاوي محمد الصالح، دراسة تاريخية لمنطقة باليسترو بالجزائر (1869م-1962م)، مصر: المكتب العربي للمعارف، 2016م.
4. بن داود أحمد، القضايا الثقافية والفكرية في مؤلفات وكتابات بن يوسف بن خدة، (د.م)، (د.ت.).
5. بن عمر مصطفى، الطريق الشاق إلى الحرية، الجزائر: دار هومة، 2007م.
6. بورعدة رمضان، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول (1958م-1962م) -سنوات الحسم والخلاص-، الجزائر: منشورات بونا للبحوث والدراسات، 2012م.
7. بوعزيز يحيى، الثورة في الولاية الثالثة التاريخية (أول نوفمبر 1954م-19 مارس 1962م)، الجزائر: شركة دار الأمة، 2004م.
8. بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، الجزائر: دار الهدى، 2009م.

9. بوقريوة لمياء، تطور الثورة التحريرية الجزائرية والاستراتيجية الفرنسية للقضاء عليها (1958م-1959م)، الجزائر: دار الهدى، 2013م.
10. بومالي أحسن، استراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى (1954م-1956م)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهر، 1999م.
11. جبلي الطاهر، الإمداد بالسلح خلال الثورة الجزائرية "1954م-1962م"، الجزائر: دار الأمة، 2014م.
12. جغابة محمد، بيان أول نوفمبر -دعوة إلى الحرب، رسالة للسلام- "قراءة في البيان، تق، محمد العربي ولد خليفة، الجزائر: دار هومه، 2012م.
13. جيار الهاشمي، مؤتمر الصومام الفعل المؤسس بحلوه ومره، تر، حضرية يوسف، الجزائر: منشورات ANEP، 2012م.
14. حاروش نور الدين، مواقف بن يوسف بن خدة النضالية والسياسية "قراءة في تاريخ الجزائر الحديث"، الجزائر: شركة دار الأمة، 2011م.
15. حفظ الله بوبكر، نشأة وتطور جيش التحرير الوطني (1954م-1958م)، الجزائر: دار العلم والمعرفة، 2013م، ص222.
16. حماد مجدي، جامعة الدول العربية "مدخل إلى المستقبل"، الكويت: دار عالم المعرفة، 2007م.
17. حمدي أحمد، الثورة الجزائرية والإعلام -دراسة في الإعلام الثوري-، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للإشهار والنشر والتوزيع، 1995م.
18. خلاص بلقاسم، التنظيم العسكري والفدائي وأساليب التسلح في الولاية الرابعة، الجزائر: دار موفم للنشر، 2019م.
19. خياطي مصطفى، معسكرات الرعب أثناء حرب الجزائر من خلال أضاير اللجنة الدولية للصليب الأحمر، تر، قندوز عباد فوزية، الجزائر: دار هومة، 2015م.
20. زبير رشيد، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956م-1962م)، الجزائر: دار الحكمة، 2012م.
21. الزبيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر: دار البعث، 1984م.
22. الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، الجزائر: دار الحكمة، 2014م.

23. زغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية "1956م-1962م"، الجزائر: دار هومه، 2009م.
24. شبوط سعاد يمينة، الولاية الرابعة في مواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية (1954م-1962م)، الجزائر: دار الهدى، 2015م.
25. شتوان نظيرة، سويداني بوجمعة ودوره في الحركة الوطنية وثورة التحرير، الجزائر: دار طليطلة، 2019م.
26. الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح، تر، محمد حافظ الجمالي، الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين، 2002م.
27. طافر نجود، من معارك الثورة التحريرية الجزائرية، الجزائر: دار سحنون للنشر والتوزيع، 2013م.
28. عاشور شرفي، قاموس الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، تر، عالم مختار، الجزائر: دار القصة، 2007م.
29. عباس محمد، ثوار... عظماء، شهادات 17 شخصية وطنية، الجزائر: دار هومه، 2005م.
30. عبد القادر حميد، فرحات عباس رجل الجمهورية، الجزائر: دار المعرفة، 2007م.
31. العسلي بسام، جبهة التحرير الوطني، ، ط3، لبنان: دار النفائس، 1990م.
32. العسلي بسام، نهج الثورة الجزائرية "جهاد شعب الجزائر"، طبعة خاصة، الجزائر: دار النفائس، 2018م.
33. علوي محمد، قادة ولايات الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، الجزائر: دار علي بن زيد، 2013م.
34. الغالي الغربي، فرنسا والثورة الجزائرية (1954م-1958م) -دراسة في السياسات والممارسات-، الجزائر: دار غرناطة، 2009م.
35. فيض الله فوزي، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، ط1، الكويت: مكتبة المنار للنشر والتوزيع، 1987م.

36. فيلاي مختار، أساليب القمع والتعذيب الوحشي والحرب النفسية ضمن مخطط القضاء على الثورة الجزائرية، محاضرة أقيمت بمناسبة الملتقى الوطني الثاني للثورة، عن كتاب أحداث وتأملات، الجزائر، 1994م.
 37. زهر بديدة، رجال من ذاكرة الجزائر، ج11، الجزائر: دار الرياحين، (د.ت.).
 38. لونيبي رابح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر (1830م-1989م)، الجزائر: دار المعرفة، 2007م.
 39. مرتاض عبد المالك، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، ط2، الجزائر: دار الكتاب العربي، 2014م.
 40. مقلاتي عبد الله، جيش تحرير المغرب العربي والثورة الجزائرية: نحو تجسيد مشروع مغربة الحرب "1955م-1956م"، (د.م)، (د.ت.).
 41. ملاح عمار، ثورة التحرير المباركة الفاتح نوفمبر 1954م، الجزائر: دار الهدى، جانفي 2019م.
 42. مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية، دليل الولاية الرابعة التاريخية "الماضي-الحاضر والمستقبل"، الجزائر، 2014م.
 43. ناصر لمجد، أحاديث مع أحمد علي مهساس أحد مهندسي ثورة التحرير، تق: محمد عباس، ط1، الجزائر: دار الخليل، 2013م.
- 2/- المقالات:**
1. أحمد مسعود سيد علي، برنامج شال في مواجهة الثورة الجزائرية 1959م/1961م، جامعة المسيلة، الجزائر، (د.ت.).
 2. آيت مدور محمود وحسيني عائشة، دور علي خوجة خلال الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة التاريخ المتوسطي، مج04، ع03، الجزائر، ديسمبر 2022م.
 3. بختاوي خديجة، أساليب التعذيب الفرنسية خلال الثورة الجزائرية، مجلة المرأة، ع04، ديسمبر 2015م.
 4. براهيم العرافي وشلالي عبد الوهاب، محمد خيضر ودوره في إنجاح الهجوم على بريد وهران 05 أفريل 1949م، مجلة آفاق علمية، مج 15، ع01، الجزائر، 2023م.

5. برنو توفيق، الفيف الأجنبي والثورة الجزائرية (1832م-1962م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج15، ع02، الجزائر، 2022م.
6. بلال ريم، سؤالية نورية، رؤية نفسية لتعذيب الفرنسي في الجزائر، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص، الجزائر، ديسمبر 2012م.
7. بلحاج صالح، مخطط شال وآثاره في تطور حرب التحرير الوطني، مجلة المصادر، ع12، الجزائر، د.ت.
8. بلحاج صالح، مخطط شال وأثره في تطور حرب التحرير الوطني، مجلة المصادر، ع12، الجزائر، 2005م.
9. بلوفة عبد القادر جيلالي، أحمد بن بلة ودوره في بناء معالم الدولة الجزائرية (1962م-1965م)، مجلة البحوث التاريخية، مج 06، ع02، الجزائر، ديسمبر 2022م.
10. بن جابو أحمد، جيش التحرير الوطني: تطوره ومعالم من استراتيجيته العسكرية (1954م-1958م)، مجلة مصداقية، (د.م)، (د.ت)،
11. بن جابو أحمد، حركة الشريف بن سعيد في الولاية الرابعة، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البليدة يومي 24-25 أفريل 2005م، الجزائر: وزارة المجاهدين، 2007م.
12. بوالديار حسني، التعذيب كظاهرة استعمارية، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، ع08، ج02، الجزائر، جوان 2017م.
13. بوحوموم أحمد، استراتيجية البعد التنظيمي في الولاية التاريخية الرابعة، ع01، الجزائر، 2011م.
14. بوحوموم أحمد، استراتيجية البعد التنظيمي في الولاية التاريخية الرابعة، ع01، الجزائر، 2011م.
15. بوضربة عمر، التدويل من خلال موثيق وتجارب جبهة التحرير الوطني "1954م-1958م"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، ع12، الجزائر، جوان 2017م.
16. بوضربة عمر، جهود الشاذلي المكي للتعريف بالمسألة الجزائرية في المشرق العربي، المجلة التاريخية الجزائرية، مج03، ع02، الجزائر، 02 ديسمبر 2019م.
17. بوطمين الأخضر، نظام المخابئ وأهميته أثناء الثورة، مجلة أول نوفمبر، ع130 و131، الجزائر، 1991م.

18. بوعريوة عبد المالك، اكتشاف المنظمة الخاصة عام 1950م وانعكاساته على حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، مجلة البحوث التاريخية، مج05، ع01، الجزائر، جوان 2021م.
19. بوعريوة عبد المالك، دور المناطق التاريخية للثورة التحريرية في مؤتمر الصومام "1954م-1956م"، مجلة الحقيقة، ع24، جامعة أدرار، الجزائر، (د.ت).
20. بوعريوة عبد المالك، دور المناطق التاريخية للثورة التحريرية في مؤتمر الصومام "1954م-1956م"، مجلة الحقيقة، ع24، جامعة أدرار، الجزائر، (د.ت).
21. بوكنة عبد العزيز، المعالجة السياسية والعسكرية لبعض الحركات المناوئة للثورة التحريرية، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجيات الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البليدة يومي 24-25 أفريل 2005م، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.
22. تلي رفيق، محمد بوضياف ودوره النضالي في الثورة التحريرية الجزائرية (1954م-1962م)، مجلة الإحياء، مج21، ع29، الجزائر، أكتوبر 2021م.
23. تواتي دحمان، استراتيجيات الجيش الفرنسي في مواجهة حرب الكمائن "الكوموندو الأسود أنموذجاً"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج2، ع04، الجزائر، جويلية 2020م.
24. تيرس سعاد، أساليب الإدارة الاستعمارية الفرنسية للقضاء على الثورة التحريرية الجزائرية (1954م-1962م)، مجلة البحوث التاريخية، مج06، ع01، جامعة الجزائر جوان 2022م.
25. جبلي الطاهر، مؤتمر الصومام والقاعدة الشرقية، مجلة المصادر، ع09، الجزائر، 2004م.
26. جيلالي بولوفة عبد القادر، المقاومة الشعبية الجزائرية، قراءة تاريخية في أسباب حدوثها وعوامل توصلها (1830م-1916م)، مجلة الحضارة الإسلامية، ع24، الجزائر، أكتوبر 2014م.
27. حاج يخلف عبد القادر، أبعاد بيان أول نوفمبر 1954م -بين مرجعيات إعادة تأسيس الدولة الجزائرية واستراتيجيات المستقبل-، المجلة الجزائرية للسياسة والأمن، مج01، ع01، الجزائر، جانفي 2022م.
28. حباسي شاوش، مؤتمر الصومام "آراء ومواقف"، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع04، الجزائر، 2003م-2004م.

29. حباش فاطمة، محمد بلوزداد المناضل الجزائري (1924م-1952م)، مجلة عصور، ع26-27، الجزائر، جويلية- ديسمبر 2015م.
30. حسيني عائشة ومداور محمود، دور علي خوجة خلال الثورة التحريرية الجزائرية، مجلة التاريخ المتوسطي، مج04، ع03، الجزائر، ديسمبر 2022م.
31. حفظ الله بوبكر، هيكله جيش التحرير الوطني في الداخل بعد انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م، مجلة البحوث والدراسات، ع06، الجزائر، جوان 2018م.
32. حفظ الله بوبكر، هيكله جيش التحرير الوطني في الداخل بعد انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م، مجلة البحوث والدراسات، ع06، الجزائر، جوان 2018م.
33. حمري عيسى، واقع التدريب أثناء الثورة التحريرية "1956م-1962م"، مجلة مدارات تاريخية، مج01، ع01، الجزائر، مارس 2019م.
34. الخطيب يوسف، قضية الاليزي، مجلة أول نوفمبر، العددان 116، و117، الجزائر، ماي-جوان، 1990م.
35. خيثر عبد النور، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية (1954م-1962م)، إشراف، شاوش حباسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر، 2005م-2006م.
36. خيثر عزيز، وحدات "كوموندو" الولاية التاريخية الرابعة "1956م-1960م" -نخبة جيش التحرير الوطني"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج05، ع01، الجزائر، 2021م.
37. سالم الحبيب وعصماني أحمد، دور الولاية الرابعة في دعم وتنظيم الولاية السادسة "1956م-1959م"، مجلة مدارات تاريخية، مج03، ع02، الجزائر، جوان 2021م.
38. سعدوني بشير، مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج02، ع03، جانفي 2014م.
39. سعدوني بشير، مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م -ظروف انعقاده وانعكاساتها المختلفة على مسار الثورة الجزائرية-، مجلة الدراسات الإفريقية، ع06، الجزائر، 20ماي 2018م.
40. سعيدي مزيان، جيش التحرير الوطني: تطوره ومعالم من استراتيجيته العسكرية (1954م-1958م)، مجلة مصداقية، (د.م)، (د.ت).

41. السي أحمد بونعامة، دليل الفدائي، تقرير شهيد لشهيد، جريدة الشعب، الجزائر، 16 و19 و20 جانفي 1985م.
42. شوب محمد، بن موسى محمد، سياسة جاك سوستال للقضاء على الثورة التحريرية 1955م - 1956م، حوايات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع26، قالمة، الجزائر، جوان، 2019م.
43. شبوط سعاد يمينية، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (1945م-1965م) "من الأزمة إلى القطيعة"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع08، الجزائر.
44. عبد الستار حسين، الصدام المسلح بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية (المصاليين والجهويين) 1955م-1962م، مجلة حوايات التاريخ والجغرافيا، ع10، 2016م.
45. عزيز خيثر، وحدات "كوموندو" الولاية التاريخية الرابعة "1956م-1960م" - نخبة جيش التحرير الوطني، المجلة التاريخية الجزائرية، مج05، ع01، الجزائر، 2021م.
46. عنان عامر، مظاهر من الصراع العسكري والسياسي بين الجبهويين والمصاليين خلال الثورة التحريرية في الولايتين الرابعة والسادسة من خلال أرشيف ما وراء البحر "1956م-1962م"، مجلة العلوم الانسانية والحضارة، مج02، ع02، 2020م.
47. عيادي سعيد، التنظيم العملي للنشاط الفدائي والعسكري بالولاية الرابعة "معركة دار السيوف أنموذجا أفريل 1958م"، مجلة المصادر، ع22، 2010م.
48. العياشي علي، كمين علي الحمى، مجلة أول نوفمبر، العددان 124، 125، جانفي-فبراير 1991م.
49. غربي الغالي، التعذيب خلال الثورة التحريرية - دراسة في الممارسات والمؤسسات -، (د.م)، (د.ت).
50. غريس مبروك ونايت قاسي الياس، حركة بلونيس المناوئة للثورة في الولاية السادسة التاريخية (1957م-1958م)، مجلة المحترف لعلوم الرياضة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج09، ع01، 2022م.
51. قاصري محمد السعيد، مدرسة جان دارك بسكيكدة وفنون التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر (1958م-1962م)، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع15، الجزائر، 2017م.

52. قربوع بشرى عليوش ومزيز صورية، مفاهيم وقضايا حول المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830م-1916م، مجلة هيرودوت للعلوم الانسانية والاجتماعية، مج07، ع02 (عدد خاص)، الجزائر، 2023م.
53. قندل جمال، مقاربات الاحتلال الفرنسي في التعاطي مع الثورة الجزائرية -الحرب النفسية أنموذجا (1954م- 1962م)، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ع19، جانفي 2018م.
54. قنطاري محمد، مؤتمر الصومام ومؤسساته السياسية والعسكرية، "الندوة الفكرية حول مؤتمر الصومام"، الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد، 19- 20 أوت 1996م.
55. كمون عبد السلام، اجتماع لجنة الـ 22 إشكالية التوقيت وعدد الحضور وهويتهم-، مجلة الحقيقة، ع34، الجزائر، (د.ت).
56. لونيسي إبراهيم، الجناح العسكري للحركة الوطنية الجزائرية "حقيقة وأهداف"، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البلدية يومي 24 - 25 أفريل 2005م، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007م.
57. لونيسي رابح، تحركات الحركة المصالية وتفسيرها، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة المنعقد بولاية البلدية يومي 24 - 25 أفريل 2005م، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007م.
58. ماجن عبد القادر، التحضير للثورة بناحية متيجة وواقع اندلاعها، مجلة أول نوفمبر، ع81، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر 1987م.
59. ماجن عبد القادر، التحضير للثورة بناحية متيجة وواقع اندلاعها، مجلة أول نوفمبر، ع81، المنظمة الوطنية للمجاهدين، الجزائر، 1987م.
60. ماجن عبد القادر، الشهيد الشايع عمار، مجلة أول نوفمبر، العدد 77، الجزائر، (د.ت)،
61. ماجن عبد القادر، كمين وادي الأكحل، مجلة أول نوفمبر، العددان 93، 94، ماي، جوان 1988م.

62. محمد رابح، عبد القادر الجيلالي بلوفة، موقف النخبة الجزائرية من مجازر 08 ماي 1945م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج17، عدد خاص، الجزائر، جانفي 2022م.
63. محمدي محمد، الحرب النفسية الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على الثورة الجزائرية "مؤامرة لابلويت بالولاية الثالثة التاريخية 1958م- 1959م أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، مج10، ع02، الجزائر، 2021م.
64. محمدي محمد، الحرب النفسية الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على الثورة الجزائرية: "مؤامرة لابلويت بالولاي الثالثة التاريخية 1958م- 1959م أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، مج 10، ع02، جامعة الجزائر، 2021م.
65. مقدم عبد الحفيظ، الحرب النفسية والاستعمار الفرنسي للجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، ع10، جامعة الجزائر، 1997م.
66. مقالاتي عبد الله، أحمد محساس ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية، أفكار وآفاق، ع07، الجزائر، 2016م.
67. مقالاتي عبد الله، أعمر أوعمران قائد الولاية الرابعة وعضو لجنة التنسيق والتنفيذ -مسيرة جهادية حافلة-، (د.م)، (د.ت)).
68. مقالاتي عبد الله، الشهيد محمد العربي بن مهيدي حكيم ومنظر الثورة الجزائرية، المجلة التاريخية الجزائرية، ع09، الجزائر، سبتمبر 2018م.
69. مقالاتي عبد الله، الشهيد مراد ديدوش ودوره في التحضير للثورة التحريرية وقيادتها، المجلة التاريخية الجزائرية، ع04، الجزائر، سبتمبر 2017م.
70. مناصرية يوسف وبوخاتم رحيمة، مسار الشهيدان الجيلالي بونعامة (السي محمد) 1926م- 1961م وبوقاسمي الطيب (الجفالي) 1913م-1959م، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الجزائر، جانفي 2020م.
71. مناصرية يوسف، تنظيم وهيكل الثورة أثناء اجتماع مجموعة الاثنين والعشرين من خلال مفكرة الشهيد "مصطفى بن بولعيد"، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، مج3، ع02، الجزائر، جويلية 2021م.

72. موسى شرف، الإعلام الثوري الجزائري من النشأة إلى غاية مؤتمر الصومام، مجلة الإنسان المجال، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، ع01، السنة الأولى، المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر، أفريل 2015م.
73. موهوب مبارك وبوضرساية بوعزة، جرائم التعذيب إبان معركة الجزائر من خلال مذكرات مصالح خاصة (1955م - 1957م) لبول أوسايس، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج07، ع03، ماي 2022م.
74. ميلود تيزي، خلفيات الصراع بين الداخل والخارج بعد مؤتمر الصومام 1956م، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع01، الجزائر، 2006م.
75. نعلمان نادية، المعتقلات والمحتشدات إبان الثورة التحريرية (ولاية المدية أنموذجا)، مجلة تاريخ العلوم، ع07، مارس 2017م.
76. نعلمان نادية، كتائب جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية "الكتيبة الحمدانية أنموذجا"، مجلة مدارات تاريخية، مج01، ع03، الجزائر، سبتمبر 2019م.
77. نعلمان نادية، كتائب جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية "الكتيبة الحمدانية أنموذجا"، مجلة مدارات تاريخية، مج01، ع03، الجزائر، سبتمبر 2019م.
78. وعلي عبد العزيز، دور المحافظ السياسي في ثورة التحرير، مجلة أول نوفمبر، ع85، جويلية، الجزائر، 1987م.
79. ومان حورية، التلمساني بن يوسف، البعد المغاربي للثورة التحريرية الجزائرية من خلال موائيقها الأساسية "بيان أول نوفمبر 1954م وميثاق مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م، مجلة العلوم الاجتماعية، ع26، الجزائر، سبتمبر 2011م.
80. يعيش محمد، مؤتمر الصومام عام 1956م وإشكالية تجسيد قراراته، مجلة البحوث والدراسات، ع24، السنة 14، الجزائر، 2017م.
81. بية نجا، الاستراتيجية الفرنسية في القضاء على الثورة الجزائرية، -الحرب النفسية للمصالح الإدارية المتخصصة (SAS) ما بين 1955م - 1962م - أنموذجا-، مجلة تاريخ المغرب العربي، مخبر تاريخ الوحدة المغربية عبر التاريخ، مج07، ع02، ديسمبر 2021م.

4/- الرسائل والأطراح:

1. بلوج سليم، التعذيب في فلسفة الاستعمار الفرنسي بالجزائر (1954م-1962م) "المبدأ والممارسة"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج03، ع03 (عدد خاص)، نوفمبر 2021م.
2. بن جابو أحمد، دور السي أحمد بوقرة في الثورة الجزائرية، إشراف، مسعودة يحيوي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2000م/2001م.
3. بوحوم أحمد، العلاقات التاريخية للولاية الرابعة مع الهيئات المركزية للثورة الجزائرية بالخارج بين سنتي 1957م-1962م، إشراف، بشير سعدوني، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2015م-2016م.
4. بوحوم أحمد، العلاقات التاريخية للولاية الرابعة مع الهيئات المركزية للثورة الجزائرية بالخارج بين سنتي 1957م-1962م، إشراف، بشير سعدوني، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2015م-2016م.
5. بوشبوب محمد، إجماع العقدا العشر: من 11 أوت إلى 16 ديسمبر 1959م، ظروفه، أسبابه، وانعكاساته على مسار الثورة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة وهران، الجزائر، 2010م.
6. بولغيتي بلقاسم، لجنة تحرير المغرب العربي وإسهامها في وحدة الكفاح المغربي (1948م-1956م)، إشراف: حوتية محمد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية، أحمد دراية، أدرار، الجزائر، (د.ت).
7. بومالي أحسن، مراكز الموت البطيء وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية، مجلة المصادر، ع08، الجزائر، ماي 2003م.

8. حليلى بن شرقي، **الولاية الرابعة ومخطط شال**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر والثورة، إشراف، حباسي شاوش، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سم التاريخ، جامعة الجزائر - 2- أبو القاسم سعد الله، 2016م/ 2017م.
9. حمري عيسى، **الثورة التحريرية في الولاية الرابعة "المنطقة الثالثة أنموذجا" (1956م-1962م)**، إشراف، عبد القادر دوحه، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في تاريخ الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجبالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، 2016م/ 2017م.
10. سلاماني عبد القادر، **دور المكاتب العربية في توطيد أركان الاحتلال الفرنسي بالجزائر**، مجلة البدر، ع03، الجزائر، مارس 2011م.
11. سليمان قريبي، **تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية "1940م-1954م"**، إشراف: يوسف مناصرية، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010م/ 2011م.
12. شتوان نظيرة، **الثورة التحريرية: 1954م-1962م "الولاية الرابعة أنموذجا"**، إشراف، يوسف مناصرية، أطروحة مقدمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان- لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2007م/ 2008م.
13. شلي أمال، **التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية "1954م-1962م"**، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2005م/ 2006م.
14. عالم مليكة، **دور الجيلالي بونعامة (المدعو السي أحمد) في الثورة التحريرية "1954م-1956م"**، إشراف، يحيوي مسعودة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر - 2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر، 2003م/ 2004م.

15. علامة صليحة، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830م إلى 1962م
* عمالة الجزائر نموذجا * -دراسة تاريخية-، إشراف، مبخوت بودواية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة
دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2016م - 2017م.
16. قاسمي يوسف، موثيق الثورة الجزائرية "دراسة تحليلية نقدية (1954م-1962م)، إشراف،
بوصفصاف عبد الكريم، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008م/2009م.
17. كريمي ياسمين، المعتقلون والأسرى أثناء الثورة الجزائرية (1954م-1962م)، إشراف: محمد
ودوع، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم
التاريخ، جامعة الجزائر -02- أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2016م/2017م.
18. لارباس نبيلة، نبيلة لرباس: حرب المدن "مدينة الجزائر أنموذجا" -1954م-1962م-، إشراف،
يحياوي مسعودة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، الجزائر،
2012م/2013م، ص ص 122، 123، وهنري علاق، مذكرات جزائرية، دار القصة للنشر
والتوزيع، الجزائر، 2007م.
19. مقدر نور الدين، المحتشدات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة التحريرية (1955م-1962م)،
مجلة دراسات، مج 07، ع01، الجزائر، 2020م.
20. بن مهدي رياض، الفرق الإدارية المتخصصة SAS "1955م-1962م"، مجلة أول
نوفمبر، الجزائر، فيفري 2021م.

ب/- قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

* المصادر:

* المراجع:

- 01- Hauteur inconnu : **Germaine Tillon, Libération des camps et découverte du l'univers**
02- CHABANE Nordine: **Colonel AMIROUCHE –L'Aigle de Djurdjura**, ENAG édition, Alger, Algérie, 2006.
03- La France contemporaine –La guerre d'Algérie- 1956.
04-Stotra Benjamin , Histoire de la guerre d'Algérie 1954/1962, Edition la découverte, paris, France, 1955. 05
1- Commandent AZZEDINE, **LES FELLAGAS**, Préface de Mourad OUSSEDIK, Algérie : ENAG Editions , 2012, p p 41- 42.
10- CHARB Jaques , Algérie en prison, Edition ANEP, Algérie, 2012.
11- MASSU Jaques , Alger, Le torrent et la digue –Du 13 Mai Au Barricades, Edition du Rocher, 1972,
12- Alleg Henry : **La guerre d'Algérie**, T3, Temps actuels, Paris, France, 1983.
13-Challe Maurice, Notre révolte, press de la cite, Paris, France, 1968.
14-TEGUIA Mohamed, **L armée de libération nationale en Wilaya4**, préface de Madeleine Rebérioux, Algérie : Edition Casbah.
2- COURRIERE Yves, **La guerre d'Algérie –Les fils de la toussaint-**, Algérie, Edition Casbah.
3- Ould El Hocine Mohamed Cherif : **Au cœur du combat –Récits authentiques des batailles du commando Si Zoubir et de la Katiba El Hamdania A.L.N wilaya 04-**, préface de Hadj BENALLA, Editions CASBAH, Alger, Algérie, 2007.
4-MORGAN Ted, My battle of Algies, traduction : Alfred DE MONTESQUIOU, Edition Taillandier, 2016.
5- COURRIERE Yves, La guerre d'Algérie –Les temps des léopards-, Algérie : Edition Casbah.
6- Commandent AZZEDINE. ET Alger ne brula pas, Algérie : Edition ENAG, 2012.
7- BEN KHEDDA Benyoucef , **Alger, capital de la résistance -1956-1957-**, Editions Houma, T2, Bouzereaah, Algérie, 2005.
7- Yacef SAADI, **Archives Francaise sur la zone historique Dalger**.
8- MASSU Jaques , **Le vrai bataille d'Alger**, librairie Jules Tallandier, Paris, France, 1971.
9- COURRIERE Yves, **La guerre d'Algérie –L heure des colonels-**, Algérie : Edition Casbah.
concentrationnaire, 1945 crime contre humanité et génocide, la vie de Germaine Tillons. Lachraf Mustapha , **L'Algérie nation et société**, Maspéro, Paris, France.
-Stotra Benjamin : Dictionnaire biographie de militants nationalistes algériennes, ONA, PPA, MTL, 1954- 162, Ed : Harmattan, Paris France, 1985.

فهرس الموضوعات

إهداء

كلمة شكر وعرفان

مقدمة.....	أ- ح
الفصل التمهيدي: انتشار الثورة في المنطقة الرابعة التاريخية (1954م-1956م).....	02- 58
1- أثر أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على المنطقة الرابعة.....	02
2- اجتماع مجموعة ال22 التاريخية وأثره على المنطقة الرابعة.....	11
3- تحضيرات اندلاع الثورة بمنطقة متيجة ومدينة الجزائر.....	14
4- النشاط العسكري في المنطقة الرابعة التاريخية (1954م-1956م).....	21
الفصل الأول: مؤتمر الصومام ودوره في التنظيم العسكري، السياسي والإداري بالمنطقة الرابعة التاريخية	
20 أوت 1956م.....	60- 111
1- انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م.....	60
2- التحديد الجغرافي للولاية الرابعة التاريخية.....	77
3- التنظيم السياسي والإداري في الولاية الرابعة التاريخية.....	82
4- التنظيم العسكري في الولاية الرابعة التاريخية.....	94
الفصل الثاني: عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية (1956م-1958م).....	113- 212
1- الكمائن.....	116
2- الاشتباكات.....	134
3- المعارك.....	159
4- الهجومات والتخريبات.....	202
الفصل الثالث: عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية (1958م-1960م).....	213- 267
1- الكمائن.....	213
2- الاشتباكات.....	225
3- المعارك.....	240
4- الهجومات والتخريبات.....	259

الفصل الرابع: السياسة الفرنسية تجاه عمليات جيش التحرير الوطني في الولاية الرابعة التاريخية

348 - 272.....(1956م - 1960م)

1- الاعتقال والتعذيب.....272

2- عزل الشعب عن القاعدة الثورية.....302

3- الحركات المضادة للثورة.....323

4- الحرب النفسية.....342

الخاتمة.....351

الملاحق.....356

الفهارس.....379

قائمة البيبليوغرافيا.....387

فهرس الموضوعات.....409